افتتاحية العدد :

يوم الاحتفال بذكرى تأسيس منظمة المؤتمر الإسلامي

للأستاذ محمد بنعبد الله

كان مؤتمر القمة الاسلامي الاول الذي انعقد فى اليوم الثاني عشر من رجب عام 1389 برباط الفتح ايذانا بفجر صادق فى حياة الامة الاسلامية ، وحدثا فذا من احداث التاريخ لهذا القرن ، ومناخا مناسبا لوضع أسس جديدة للتعاون والتآزر بين البلدان الاسلامية ، وبشيرا بحاضر مزدحم بالآمال الكبيرة تثلج الصدر وتنعش الآمال ، ومبشرا بالمستقبل العظيم الرائع الفسيح الذي ادخره الله للامة الاسلامية التي تشرق اعمالها فى الصفحات المظمى من التاريخ ، والتي اصطفاها الله لتبليغ رسالته الخالدة التي لا يلحقها نقص الانسان ، ولا يسبقها تطور العالم ، فضمن لها حياة صافية من الشوائب والامشاج ، تفيض فيها عوارف الود والاخاء ، وعطايا المحبة والسلام ، لانها تقوم على التنافس فى الخير ، والتضامن على البر والتفاضل فى التقوى ...

—●—

ففى عام 1389 هب العالم الاسلامي للحادث المروع المفجع الذي اقض المضجع ، وادى الى حريق المسجد الاقصى على يد الصهاينة واحلافهم الذين كشفوا عن نواياهم العدوانية ، مدركين اذ ذاك ما نحن فيه من ضراعة الجانب ، وضيق المضطرب ، فركبوا مركبا خشنا ، اثاروا به حفيظة المسلمين ، وحمية المؤمنين ، وكان له صدى عميق فى ضمائر

قادته على اختلاف نزعاتهم ، واجناسهم ... ولفرط فداحة الالم الممض الذي جمع شتى القلوب على الاحساس المتحد ، والمقاومة الشديدة ، والحياة العزيزة تداعى ملوك ورؤساء الدول الاسلامية الى مؤتمر عاجل في مستوى القمة يعالج ما مني به أبناء الامة الاسلامية من علل الفساد ، واسباب الوهن بالعلاج الصواب ، والنفع المحقق ، فهتفت قلوب الى قلوب ، وسعى بعض الى بعض ، وائتمروا بينهم بمعروف ، ورجعوا الى التوحيد جوهر الاسلام الذي يؤول الى التحاب في ذات الله ، والتعاون في سبيله ، والتفاهم على حقه ...

ولعل من نهض بهذا العبء الباهظ ، وعبأ له كل القوى الزاخرة ، وارصد له كل الاهب الحية جلالة الملك المسلم رائد التضامن الاسلامي مولانا الحسن الثاني حفظه الله الذي دعا الامة الاسلامية الى كلمة سواء ، وسعى لها سعيا وهو مؤمن ، وعمل لتدارك احوالها وجمع كلمتها ايمانا منه بان هذه الاعمال الواجبة ، امر يحتمه الشعور الحقيقي بعظمة الغاية التي تهدف اليها ، وبثقل التبعة التي تنتظر من ينهض لهذه الغاية التي تقوم على حياة جديدة ، واسس علمية واقعية ، وعمل عسير ضخم يكون في حاجة الى حماسة في الايمان به ، وجراة في اقتحام العقبات المرصودة في طريقه ، وصبر على الجهد الشاق الواجب له حتى يصبح الامل واقعا والرجاء حقيقة ...

—●—

وهكذا كان صوت سبعمائة مليون مسلم في رحاب عاصمة المملكة المغربية واضحا صريحا في قلوب المؤمنين ، وملعلعا مجلجلا في قلوب المذبذبين خر له العدو صعقا ، ومادت الارض تحت اقدامه ، واتاه العذاب من حيث لا يشعر ، حيث أخذ المد الاسلامي الزاخر الذي يعب عبابه ، وتصطخب امواجه منذ يومها في الظهور في كل مكان ، على الرغم من الضربات الساحقة المتلاحقة التي كانت توجه ضد طلائع البعث الاسلامي من طرف اعداء التحركات الاسلامية ومروجي الدعايات المغرضة التي كانت ، بفضل الصمود والثبات ، تنفثىء مؤامراتها النيئة اللعينة كما تنفثىء الفقاعات الفارغة دائما مهما كانت ضخمة المظهر ، شديدة البريق ، قوية اللمعان ...

ان الاسلام الذي يتضمن التصور الكلي الشامل المتناسق عن الوجود والحياة ، ويقيم التكافل الاجتماعي في المحيط الانساني مقام الصراع والتطاحن هو الذي دعا المسؤولين من رواد البعث الاسلامي وقادة التضامن منذ بداية هذا القرن ، لاقامة جسور من الاتصال والتعاطف بين مختلف الامم والشعوب ، والعمل على استيناف حياة اسلامية نابضة في مجتمع اسلامي تحكمه العقيدة الاسلامية والتصور الاسلامي والحياة الاسلامية التي توقفت منذ فترة طويلة في جميع انحاء الارض ، وهي ، اليوم ، تعود الى مسيرتها الظافرة متفيئة ظلال هدي اسلامي ، وقيم روحية عالية ، وقوة علمية مبصرة ، وحضارة عصرية راقية تسلمهم دفة الموكب ، وتذلل امامهم عجلة الزحف ، وتقدم اليهم راية الطليعة ...

لقد قيض الله للامة الاسلامية فى عصرها الحاضر زعماء للاصلاح ، ودعاة للتجديد ، وروادا للتوحيد شغفهم حب الخير ، واستمسكوا بروح الله ، واعتصموا بحبله ، وتغلبوا ، بعون الله وتوفيقه ، على عصف الخطوب والحاح المكايد ، وخبيث المؤامرات ، فاقاموا المناد ، وازالوا من الطريق الفساد ، وايقظوا الغافل من السبات حتى سرى الشعور الاسلامي ، بفضل النوايا الطيبة ، والارادة الصادقة بين امم الاسلام ، مسرى النـــور فى الظلم بعد ان استوفت كل امة حظها ، وبدا الركب يتحرك باقدام ثابتة ، وهامات مرفوعة ، ونفوس عالية ، ويسير بخطى حثيثة قاصدة الى غاياته المرصودة نحو صبح مشرق ، ونهار ضاح ، واخذت المشاعر الاسلامية تنتظم هذا العالم الكبير الفسيح ، وتهز الطيب من اعراقه ، والاصيل من غرائزه ، والدفين من ماضيه لتجعل منه امة تعمل على نصرة الخيـــر ، واذاعته بين الناس ، وتطمئن الى ظل الاسلام الظليل ، ورخائه الوارف ، وامنـــه المديـــد ...

—●—

ان الالم يجمع القلوب الشتيتة ، ويؤلف نافر المشاعر المتاججة ، ويوحد بين النفوس المتباينة لان المصائب تجمعن المصابينا ... والارزاء التي مني بها العالم الاسلامي من عداته وخصومه ، وتوالت ضرباتها خلال هذه الاحقاب المتاخرة ، وحدت صفوف المسلمين ، وقربت بينهم مسافة الخلف كلما وهى نظامهم الجامع ، وانفرط عقدهم المتسق ، فابناء الامة الوسط يتضامنون كلما حز بهم امر ، او حل بساحتهـــم مكروه ، لانهـــم كالعضو الواحد ، اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمـــى والسهر ، والله تعالى يامرنا بقوله : « واعتصموا بحبل الله جميعـــا ، ولا تفرقوا . » ورسول الله صلى الله عليه وسلم شهد قبل الاسلام ، وهـو ابن عشرين سنة حلف الفضول الذي انعقد بين بعض زعماء قريش لـــرد المظالم ، ونصرة المظلوم ... واثنى عليه بعد الاسلام فقال : « شهـدت حلفا فى دار ابن جدعان ما احب ان لى به حمر النعم .. ولو دعيت اليه فى الاسلام لاجبت ... » ، وقد قـــرر السيد هارولد سميث رئيس قسم الديانات بكلية ووستر بولاية اهايو فى امريكا واحد كبار المستشرقين بها هذه الحقيقة التي طالما ظلت قائمة على مدى العصور حيث قال :

« ينبغي ان نذكر ان الاخوة الاسلامية تظهر اقوى ما تظهر عندمـــا يهدد العالم الاسلامي او اى قسم من اقسامه مصدر غير اسلامي ، وانها تجنح ان تنسى حين لا يهدد الجماعة خطر وشيك من الخارج ، ومع ذلك فان هذه الرابطة قوة حقيقية ، وفى الامكان ان تصبح عامل تقوية فى العالم الاسلامـــي كلـــه » .

تجلت هذه الرابطة القوية الحقيقية التي اطارت النوم عن معاقـــد الاجفان فى اللقاء الاسلامي الاول الذي انعقد فى مستوى القمـــة برباط الفتح عاصمة المملكة المغربية ، والذي كان حلما جميلا طالما داعب الضمير الاسلامي منذ عدة قرون بعد ان تعثر فى طريقه بسبب التخلف والجمود ردحا من الزمن غير قليل ، الا انه تبلور بصيحات زعماء الاصلاح ، وعلماء

الدين ودعاة التجديد الذين اعطوا قضاياهم الكبرى زخما جديدا قويا ، وارصدوا الاهب للقيام ببث الفكرة الاسلامية على وجهها الصحيح ، والاخذ بضبع المسلمين ، وانتشالهم مما حاق بهم من كيد الاستعمار الذي كان يفت في الاعضاد ، ويفل غرب العزائم ...
وقد كان العلاج الناجع كامنا في عودة المسلمين الى الصف ، ووحدتهم الجامعة ، وقوتهم الظافرة ، والتمسك بحبل دينهم المتين ، والسير على النهج القويم الذي سار عليه أسلافنا الابطال الذين فتحوا عذارى المماليك وطهروا العالم من الوثنية والفسوق والفجور والالحاد ، وأعلنوا دين الله ونشروه ، وعلموا كتاب الله ونصروه ... وكان حقا علينا نصر المؤمنين..

وما من شك في ان الراي العام العالمي لاحظ تضامن المسلمين المتين ، وقوتهم الظافرة ، وتاييدهم المطلق لشعب فلسطين في نضاله المشروع ، وجهاده المقدس ، ودفاعه المستميت ضد الظالمين البغاة ، فلم يسجل ذلك التضامن تكتلا دينيا تعصبيا يستهدف مناصبة الاديان السماوية الاخرى العداء ، بل لكي يحارب ويقاوم ما تحاربه هذه الاديان ذاتها على اختلافها من ظلم وعسف واستهتار بالمثل العليا ، تجلى ذلك في البيان النهائي لاشغال مؤتمر الرباط الذي كان واضحا مركزا بعيدا عن كل تعصب مقيت ، او عنصرية رعناء او حقد دفين ، او ديكتاتورية باغية .

—●—

كان لدعوة التضامن الاسلامي ماهدون اشداء على الاستعمار والصليبية والصهيونية ، وقد مرت فترات عديدة على المسلمين كانت تدعو الى عقد مؤتمرات في مستوى القمة لتدارك الحال ، لكن الحدث المفجع المروع الذي اقض المضجع ، وكان له دوي رائع مرعب لا في الراي العام العربي وحسب ، ولكن في الرأي العام الاسلامي والذي استهدف حريق المسجد الاقصى هو الذي دعا الامة الاسلامية الى تجميع رأيها وتنسيق خطتها ، وتوحيد صفها ..

ويجب ان نشير الى أن أول مؤتمر اسلامي رسمي قد انعقد في القدس عام 1931 برئاسة المرحوم سماحة مفتي فلسطين الاكبر الحاج محمد أمين الحسيني ، اشترك فيه زعماء من بعض بلدان العالم الاسلامي، وكان ذا صفة شعبية ، لم تتمثل به اية حكومة من الحكومات ، لان معظم دول العالم الاسلامي كانت تحت كابوس الاستعمار والاحتلال حيث لم يكن هنالك الا القليل النادر جدا من الدول الاسلامية المستقلة استقلالا تاما ناجزا ...

وقد انبعثت ، ايضا ، دعوة مؤمنة في المؤتمر الاسلامي الذي انعقد عام 1964 بموقاديشيو ، ترمي الى عقد اجتماع قمة اسلامي كبير يتغيا جمع كلمة المسلمين ليزدادوا تعارفا وتآلفا ، ويتباحثوا في شؤون شعوبهم ، ويعززوا صفوفهم ويؤلفوا قوة جبارة تكفل لهم حياة العز المنيع، كما تضمن لهم فرض وجودهم في معترك الحياة ، وتعطيهم المكانة المرموقة التي يجب ان يحتلوها على الصعيد العالمي ...

كما جدد مؤتمر رابطة العالم الاسلامي فى مكة المكرمة لدى اجتماعه فى اعقاب حج 1965 الدعوة لعقد مؤتمر فى مستوى القمة ، وشرح المرحوم جلالة الملك فيصل بن عبد العزيز آل سعود فى زيارته لعديد من العواصم الاسلامية دعوته الى عقد اجتماع فى مستوى عال يستهدف تقاربا اسلاميا خالصا ، وقد حل جلالته بالمملكة المغربية عام 1966 ضيفا على جلالة الملك مولانا الحسن الثاني حفظه الله الذي القى بمناسبة هذه الزيارة خطابا جامعا صريحا دعا فيه الى توحيد الصف وجمع الكلمة، وتآلف القلوب ، ومما جاء فيه :

((ايماننا هذا هو الذي دفع بنا كذلك الى الترحيب بدعوة تآلف شعوب المسلمين ، وجمع صفهم وتوحيد كلمتهم تحقيقا لمصداق الحديث : ((المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا)) فنحن نفهمها كما تفهمها جلالتكم ، ونريدها كما تريدونها دعوة اسلامية تستجيب لواقع الاسلام والمسلمين ، ولم نردها ، ولن نريدها اخوة يتكتل فيها بعضنا ضد بعض ، ولم نتصورها فى خدمة مصلحة خارجة عن مصلحة المسلمين انفسهم ، كما لا نريدها ان تكون اخوة متعصبة عدوانية او يستغل فيها الدين للمساومة على الرخيص من الاغراض والمصالح ، وفى كلمة جامعة نريدها كما تريدونها قوة تعزز قوات السلم والحرية وفى خدمة اغراضها ، وان منها الدعوة لتآلف شعوب المسلمين)) .

وفى عام 1969 احتضنت كوالالمبور عاصمة ماليزيا مؤتمرا اسلاميا دوليا فى مستوى الحكومات بمقتضى الدعوة التي وجهتها حكومة هذه البلاد الى الاقطار الاسلامية ، وقد قرر المؤتمر دعوة جميع الدول الاسلامية الى مؤتمر سياسي على مستوى عال يضم ملوك ورؤساء الدول الاسلامية للتباحث والتشاور لتخليص القدس من التهويد وتحرير فلسطين المجاهدة ، وكان هذا المؤتمر فرصة فريدة للتباحث فى تاريخنا الاسلامي الحديث حيث سجل تقاربا متينا حيويا مثمرا بين البلدان الاسلامية ، كان مناسبة لابراز التضامن والوئام بين الاخوة المسلمين فيما يعود على بلدانهم وشعوبهم وعلى المسلمين بالخير المحض والنفع العام حتى يشعروا عن وعي يقظ وتبصر حي بقوتهم السياسية والبشرية وامكانية تسخيرها لخير شعوبهم ولصالح الانسان ...

وظهرت الدعوة بصفة صريحة ملحة الى عقد مؤتمر اسلامي للقمة فى اجتماع وزراء الدول الخارجية فى الاسبوع الاخير من شهر غشت 1969 بالقاهرة ، وقرر فى جملة ما قرر : ((تاكيد اهمية عقد مؤتمر قمة اسلامي، وان يعهد الى المملكة المغربية والمملكة العربية السعودية باجراء الاتصالات اللازمة من اجل عقد هذا المؤتمر ..

فكان مؤتمر القمة الاسلامي الاول الذي انعقد برباط الفتح عاصمة المملكة المغربية تتويجا للجهود المضاعفة التي بذلها رائد التضامن الاسلامي مولانا الحسن الثاني فى جميع المناسبات لتوحيد كلمة المسلمين، واجتماع قادتهم وملوكهم للقضاء على اسباب النفرة الطارئة ، والعمل على محو النكسة الاليمة التي وقعت فى سعيرها الامم الاسلامية التي تعيش اليوم فى دور التجمع والاستعداد على الرغم مما يبدو احيانا من عوامل

المقاومة والانتكاس وستظل فلسطين مؤشرا امام المسلمين والعرب على ضرورة الحذر والحرص على المرابطة والاعداد وحراسة الثغور والمصابرة على النحو الذي دعانا اليه الاسلام .

وهكذا وضع انعقاد مؤتمر القمة الاسلامي الاول الذي انعقد بالرباط والذي نحتفل هذا العـــام بذكـــراه السادســـة ، أو الثانـــي الـــذي انعقـــد فى مدينـــة لاهـــور بالباكستـــــان عـــام 1974 الامـــــة الاسلامية على بداية الطريق الواضحة لتحقيق الامل الكبير الذي عمل له المفكرون والرواد المسلمون خلال الاجيال المتعاقبة فى قيـــام عالـــم اسلامي متضامن موحد يرتكز على أساس ثابت فى العقيـــدة الاسلاميـــة الغراء التي تستطيع وحدها ان تعطي للمسلمين اسباب القوة الماديـــة والمعنوية ، وتمنحهم القدرة على الدفاع عن كيانهم وعقيدتهم امام كـــل المعتديـــن .

ان يوم الثاني عشر من رجب الفرد الذي قرر مؤتمر وزراء الخارجية الاسلامى الذى انعقد بكوالالمبور فى السنة الماضية الاحتفال بذكرى تاسيس منظمة المؤتمر الاسلامي لخليق بان نجعل منه عيدا اسلاميـــا لتاكيـــد عـــزم الامة الاسلامية واصرارها على مواصلة الخطى الثابتة الرائدة ، والسير فى درب الحرية الراشدة على ضوء المبادىء القويمة السليمـــة ، والمقررات التى انتهى اليها المؤتمر الاول الذي انعقد بالرباط ، فشهد ميلاد منظمة تجمع كلمة الدول الاسلامية ...

وانه سبحانه وتعالى حري ان يسدد خطانا ، ويظهر قوانا ، ويعيننا على النهوض بالعبء والصمود فى الراي ، والثبات على المبدأ ، والوقوف عنـــد حـــدود الله ...

سدد الله الخطى ، وما التوفيق الا من الله .

محمد بنعبد الله

* جلالة الملك المعظم الحسن الثاني يقول في خطابه السامي الى شعبه الوفي بمناسبة عيد الشباب المجيد، الذي يصادف الذكرى السادسة والاربعين لميلاد جلالتـــه.

الجهاد الأكبر ينتظرنا لتنمية الصحراء المحتلة.

وتطوير وتحسين الحياة فيها حتى يسقط الادعاء بأن المغرب يريد الصحراء لخيراتها



الحمد لله

والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه .

شعبـــي العزيـــز :

فى مثل هذا اليوم من السنة الماضية توجهت اليك ، ناصحا ومبشرا ، وها انا اليوم ، اخاطبك ، متفائلا مستبشرا .

توجهت اليك بالنصح ، حتى تتحد صفوفك وحتى تهتدي الى الخير خطاك ، وحتى نسكت مـــا بيننا من مشاكل داخلية لنتصدى بالكلية الى ما هـــو اكبر وما هو اقدس ، وهناك بشرتك بان وقت الكفاح ووقت الجهاد ، ووقت الملحمة قد اتى فعلا شعبي العزيز ، خضنا هذه المعركة منذ سنة ، سياسيـــا وعسكريا بحكمة جماعية وطنية الهمنا الله سبحانــه

وتعالى اياها ، فما خطونا خطوة ولا رسمنا خطة ، الا وكان التوفيق حليفنا ، وكان النجاح مواكبا لخطواتنا.

وهكذا شعبي العزيز ، بعد ان ظن الظانون ان جميع خطواتنا سوف تفشل الاولى تلو الاخرى ، الا ورأينا ان النجاح كما قلت لكم كان مواكبا لتلك الخطوات .

فحينما نادينا بالذهاب امام محكمة لاهاي كان المتشككون كثيرين والمترددون كثيرين ، ولكن بفضل الله سبحانه وتعالى وتضامن الاخوة العرب والافارقة ، والمسلمين تمكنا ان نرجح وجهة نظرنا ، وهكذا قررت هيئة الامم المتحدة ان تذهب امام لاهاي للتحاكم .

وحتى عندما خطونا هذه الخطوة تربص بنا المتربصون وحاولوا ان يقنعوا المحكمة ان ليس هناك مشكلا قانونيا قائما بين المغرب وبين اسبانيا ، ولكن مرة اخرى ، واكبهم الفشل واصبحت المحكمة بتعيينها قاض خاصا بالمغرب تعترف نهائيا على ان هناك مشكلا قانونيا قائما بين اسبانيا والمغرب ، واحسن من هذا وذاك والشيء الذي اريد ان اقوله ، وهو ان خصومنا كانوا دائما يعتقدون انه لا يمكن للمغرب ان يتفق مع شقيقته موريطانيا .

فعلا كان حسابهم هذا عنده وجهة من الوجاهة، لانه فعلا لمدة سنوات والمغرب متغيب عن موريطانيا، منذ سنوات ونحن نعيش بدون تمثيل ديبلوماسي متبادل ، منذ سنوات والناس يتحدثون ويقولون المغرب يطمع فى موريطانيا بان يردها اقليما من اقاليمه وتحت سيطرته ، وفعلا كان من الصعب على الانسان اننا سنغير مجرى التاريخ القديم لكي نخطو خطوة تؤدي بنا الى التاريخ الحديث تاريخ الغد .

وهكذا اتحدت الصفوف بيننا وبين موريطانيا وهكذا سوف تصبح بيننا وبينها حدود ، وهكذا فان القفل الذي كانوا سيضعونه فى جنوب المغرب لكي يبقى معزولا عن افريقيا سيزول وسيزول معه ذلك السد ويرجع المغرب الى حقيقته الطبيعية التاريخية الا وهو انه مطل ومشرف ومتطلع لافريقيا واخوانه الافارقة ، وحاول الخصوم ان يعملوا ما يمكن من الضباب هذا المشكل فكانوا فى كل وقت وحين يقولون الاطراف المعنية ، وحينما يذكرون الاطراف المعنية يعنون بها بالخصوص ان يكفهر الجو ويتعكر الماء ولكن هيهات هيهات الاطراف المعنية كانوا يقصدون بها المغرب وموريطانيا والجزائر ، لكن هذه الاطراف العنية مر عليها الاستعمار وتعرف ما هي شباكه وما هو الفخ الذي يريد وعرفت ان الاستعمار اينما كان وحل وارتحل يطبق سياسات فرق تسد ، ولهذا رزقنا جميعا العقل بالشيء الذي كانوا يظنون ، وان كل واحد منا لم ينس مشاركة الاخر فى التحرير معه فى المنطقة ، وكنا واعين ايضا نحن الاقطار الثلاثة ، على انه وراءنا تاريخ مجيد وامامنا مستقبل زاهر ولهذا بددنا جميع الشكوك وجميع السحب واصبح المغرب وموريطانيا يقولان لاسبانيا نحن متقابلان معك امام محكمة لاهاي ، وكذلك الجزائر كانت تنتظر منها اسبانيا ان تقف بجانبها او معها فلقد اصبحت الجزائر تكرر ما قالته دائما لا مطمع لها فى الارض بل من باب التضامن مع المغرب ، ونظرا لفحوى اتفاقياتنا جميعا وبالاخص اتفاقية ايفران فهي ملزمة بالتضامن وبالاخوة وبالوقوف جنبا لجنب مع المغرب .

وهكذا شعبي العزيز ترى اننا ولله الحمد بضبط الاعصاب وبالسكينة والطمانينة وايماننا بقضيتنا تمكنا اننا نربح لك كل يوم صديقا وكل يوم يمر الا والذي كان خصما يرجع صديقا وكل يوم يمر الا واصدقاؤنا يزدادون يقينا بحقنا ومطالبنا المشروعة .

فهنيئا لنا جميعا شعبي العزيز وهنيئا لك بالخصوص لاننا لو لم نخض هذه المعركة بهذا الحماس والنتائج التي وصلنا اليها فى ظرف سنة والاهداف التي وصلنا اليها ، فانه لم يشعر لا القريب ولا البعيد ولا الداني ولا القاصي ان المغرب فى هذه المسالة له كلمة واحدة ، له نقطة واحدة ، له نظرة واحدة ، وهي التحرير ، له طريقة واحدة الا وهي الاتحاد وتوحيد الصف .

وهذا ان دل على شيء فانه يدل دلالة كبيرة وعميقة على الاصالة وعلى المجد الاثيل لك ، وهذه الخصال وهذه الاخلاق لا يمكن لاي دولة ان تتحلى بها بل لا تتحلى بها الا الدول التي ارجلها تدخل التاريخ ورؤوسها فى سماء الآمال والاماني .

شعبي العزيز : فى الخطاب الذي القيته امـــام لجنة التخطيط والانعاش الوطني كنت اذ ذاك تطرقت الى ناحية تكوين الاطر ، وبالاخص تكويــــن الاطــــر السياسية تلك التي لها ان تسوس البلاد على الصعيد المحلي او على الصعيد الوطني .. وكنت اذ ذاك قد قلت لك على انني سافسر لك فلسفتي بمناسبـــة خطـــاب آت .

ولعلك شعبي العزيز بما اوتيت من فطانة مـــن جهة وبما يوجد بيننا ، انت وانا من وشائـــج ومـــن احساسات خاصة وارهاصات قلت فى الغالب انهـــا ستكون بمناسبة تاسع يوليوز .

وفعلا ، فعلا شعبي العزيز ، نظمنا اكثر ما يمكن حياتنا فى الخارج ، ونظمنا اكثر ما يمكن علاقاتنــــا سواء على صعيد القارة او على صعيد الاسر الدولية، ونريد ان نفند قول اولئك الذين يقولون اننا اتخذنـــا قضية الصحراء لنخفي مشاكلنا الداخلية نريـــد ان نفند هذا القول .

نعم ككل دولة لنا مشاكلنا الداخلية ، فما هي هذه الدولة التي ليست لها مشاكل داخليـــة ولكن نريد ان نظهر كذلك اننا اذا تحدثنـــا على الصعيـــد الخارجي فكذلك نريد ان نبني قواعد على الصعيـــد الداخلـــي .

شعبـــي العزيـــز :

ليس هناك اخطر على اي دولة كيفما كانت من الفراغ السياسي ذلك عملا بالمثل العربي الذي يقول: ويل للشجي من الخلي ، وحينما يوجـــد الفــــراغ السياسي ، اولا ، لا يجد الناس ما يعملون ، ثانيا ، جميع العبقريات ترى نفسها مكبوتة ، ثالثا ، لم تبق هناك نظم لتعامل السلطات بعضها مع بعض ، ولاقامة مقياس بموجبه يمكن لمن ولاه الله امـــر الامـــة ان يسير هنا او يتجه هناك ، ولا سيمـــا ان المغـــرب والشعب المغربي برهن ـ ولله الحمد ـ على نضـــج وعلى تقدم فكري وله اصالـــة وله تاريـــخ ، فما ذا سنبقى نحرمه من التعاطي بالكلية الحياة العامة .

الحياة العامة ـ كما تعرف شعبي العزيـــز ـ تنقســـم الى قسميـــن :

ـــ الحيـــاة المحليـــة

ـــ والحيـــاة الوطنيـــة

وحينما نقول المحلية نعني من المراكز القروية حتى الجهات الاقتصادية .

وحينما نقول الناحية العامة ، المستوى العام نعني به البلاد فى مجموعها .

نعتقد شخصيا ان المغرب لا بد له ان يرجـــع الى حياة نيابية عادية .

ولكن نظرا للظروف الاستثنائية التي نعيشهـــا الان والتي سنعيشها فى المستقبل ، نظرا لكون هذا جهادا اصغر وما يزال امامنا جهاد اكبر ـ وسانطرق له فيما بعد ـ فانه ليس ما لا يدرك كله يترك بعضه ، واعتقد ان البعض يمكن ان يوجد الان ريثما يوجـــد البعض الآخـــر .

ويمكننا دون ان نحدد موعدا للانتخابات العامة ، دون ان نحدد موعدا مدققا ، يمكن لنا القول بانه فى ظرف سنة او سنة ونصف على اكثـــر تقدير يمكـــن اذ ذاك للمغرب ان يخوض الانتخابات العامة ويستانف تجربتـــه الدستورية الكاملة .

ولكن ريثما تقع تلك الانتخابات لا بد ان نجري انتخابات على الصعيد المحلي : الجماعة القرويـــة ، البلدية ، العمالة او الاقليم ، والجهـــة ، وزيادة على هذا الانتخابات المهنية .

نعم سنخوض معركة الانتخابات المحلية ولكن نعتقد شخصيا ان الوقت حان لكي نوسع اكثر مـــا يمكن من حرياتهم ، أحسن من هذا لكي نعطيهم اكثر ما يمكن من وسائل المراقبة على المنجزات المحلية او الاقليمية او الجهوية ، علما ان مؤسسات كهذه هي التي تكون المجموع وهو الامة المغربية .

ثانيا ـ لا يريد لا شبابنـــا ولا المثقفـــون ولا الناس الذين لهم طموح خوض هذه المعارك الانتخابية الاولى والاولية الا اذا عرفوا ان هناك صلاحيات لهم يستطيعون بها ان يخدموا ويعملوا ويظهروا ـ كمـــا يقول العامة ـ حنة ايديهم .

فالمغرب كدولة وكنظام وكادارة وككيان لـــن يكون سوى رابحا من انتخابات مثل هذه ، لانـــه اذا كان المنتخب فى مستـــوى منتخبيـــه ، اذ ذاك سيرجع عمله بالخير عليهم وعلى مجموع الامة ، بـــل

على الاقل ستعرف السلطة العامة المركزية في الرباط ان فلانا وفلانا هناك ، وفلانا وفلانا هناك اطر صالحة سيروا الامور على المستوى المعين ، وستعرف ان مدخراتها البشرية يمكن لها ان تعول على جيش سياسي مسير عاقل حقيقي وواقعي لكي تجدد اطرها وتجدد شبابها ودمها .

شعبي العزيز :

ان الحكم والمسؤولية والسلطة شيء مهلك وشيء متعب جدا ، واذا قلتها لك انا فانني اعرف لماذا قلتها ، ونقول باننا كلنا بمثابة جيش يخوض المعركة وكل يوم يقع من ذلك الجيش معطوب ومجروح وقتيل وضحية للارهاق وضحية السهر وضحية التفكير ، بحيث ان المغرب والبلاد بمثابة طاحونة ، فالحكم والمسؤولية طاحونة يطحن فيها الرجال ، فاذا لم يرب منذ الان اناس يخلفون اولئك الذين سقطوا في الطريق او الذين انهكوا في الطريق او الذين انهارت قواهم ، سنكون خنا مسؤوليتنا واماناتنا ، لاننا قبل كل شيء كما قيل زرعوا فاكلنا وعلينا ان نزرع لياكلوا .. بحيث لا بد اذن من توسيع النطاق ، نطاق المسؤولية وصلاحية المنتخبين ، حتى يمكن لهم اذ ذاك حقيقة ان يقدموا لبلادهم الشيء الذي يجب ان يقدموه ، فاذا نجحوا كما قلت لكم حبذا ، بل ان البلاد ستكون فخورة بان تصدر امام العالم – والمغرب كدولة في طريق النمو – تصدر العشرات او المآت من الرجال الاكفاء القادرين الذين يشرفون واذا شاركوا في المؤتمر يسال عنهم : من هو هذا السيد الذي يتحدث ؟ مغربي ، ومن هو هذا الذي يتحدث عن التخطيط ؟ مغربي ، ومن هذا الشخص الذي يتحدث عن الاشتراكية ؟ مغربي ومن هو هذا الشاب الذي يتحدث عن التقنية ؟ مغربي ، ومن هو هذا الشاب الذي يتحدث عن التصنيع ؟ مغربي ، ان ذلك سيشرف المغرب ، واعتقد ان الاجيال الصاعدة – نظرا لتكاثر الطلبة وتكاثر التكوين – ستكون اجيالا لها حقيقة قيمة من ناحية المفعول ومن ناحية مضمونها .

واذا لم ينجحوا ، سيعرف المنتخبون بان انتخابهم كان في غير محله ، واذ ذاك سيكون المنتخب هو المسؤول مسؤولية كاملة بما وقع له في محله ، وان اصلح منتخبه صلحت القرية واذا لم يصلح المنتخب اذ ذاك سيعرف المنتخبون انه ليست دائما السلطة هي المسؤولة ، وليس دائما القائد هو المسؤول ، وليس دائما العامل هو المسؤول ، وليس دائما القائد الممتاز او الباشوات هم المسؤولون ، بل سيعرفون ان هناك اناسا آخرين مسؤولين لديهم الصلاحية ولديهم السلطة لكي يعملوا ولديهم القدرة لكي يمكنهم ان يراقبوا .

بل بالنسبة لي انا شخصيا اريد ان يكون اولئك المنتخبون والمجالس المنتخبة اكانت على الصعيد المحلي ام على الصعيد الجهوي ان تكون بمثابة سلطة تشريعية بالنسبة للعامل او القائد او القائد الممتاز الذين يوجدون امامها وهم السلطة التنفيذية .

وهكذا سيمكن لي شخصيا ان اعرف هل هؤلاء هم الذين على حق ام اولئك هم الذين على حق ، وسيمكن لي اذ ذاك بما ساتوصل به من هنا وهناك ان اقترح عليك شعبي العزيز احسن ما يمكن ان يقترح من جهتك رغباتك ومن جهة امكانياتك جميعا حتى يمكن ان نوافق بين الرغبات والمطامح والامكانات التي لدينا جهد المستطاع .

وانا شعبي العزيز اقول لك انني اريدك ان تتجه في هذه الانتخابات بجد ، بجد وجدية ، لانه كما تعلم فان مجموعها يكون ثلث البرلمان العام ، هذا سيهيا وسيخلق وسينتخب وسيشارك هو بالثلث في البرلمان المقبل .

فعليك اذن – لما نقوم بالانطلاقة في العملية الانتخابية – عليك شعبي العزيز ان تسير الى الانتخابات وتذهب اليها بشيء من الهيبة ، لانك ستقرر لقريتك او لمدينتك او لجهتك او لاقليمك مصيره ، يجب عليك ان تذهب بهيبة لان اختيارك سيكون مقياسا للمغرب لان الله لا يعطي للشعوب من قادة ومفكرين الا اولئك الذين تستحقهم ، ويجب عليك ان تعرف كذلك من هو كفيل واهل لان يمثلك ويمثل مطامحك ويمثل اخلاقك ويمثل سيرتك ويمثل تاريخك ويمثل حضارتك وتفكيرك .

ونحن ان شاء الله في بحر هذا الصيف سنكون لجنة وطنية من اكثر ما يمكن من النزعات ومن الجهات ، واكثر ما يمكن من المستويات ، وسنقترح

عليهم النص الجديد لقانون صلاحيات هذه المجالس، وبعد ان نكون فكرة من وراء الاراء التي سيكونون قد اعطوها لنا سيصدر اذ ذاك الظهير الجديد الذي بمقتضاه تقوم البلديات والجماعات القروية والعمالات والاقاليم والجهات .

قلت لك شعبي العزيز ان هذا جهاد اصغر وينتظرنا جهد اكبر ، معلوم

واسمح لي شعبي العزيز ان اقول لك مثلا عاميا يميل بعض الشيء الى الدارجة ولكن يمثل بالضبط الواقع ، تقول العامة : « اللي بغا سيدي علي بوغالم يبغيه بقلالشو » نحن نريد الصحراء فيجب علينا ان نعرف متاعبها ومشاكلها : 000 300 كيلو ميتر مربع جديدة ، آلاف الكيلومترات من الصحراء، تخطيطات وتخطيطات لكي يكون من الممكن ان يشعر السكان هناك بالفرق بين سكان تحت سيطرة الاستعمار وسكان احرار ، معظم السكان هناك رحل، سيكون من الواجب ان نقيم مراكز لكي يستوطنوا ونبني قرى لكي يسكنوا ، لديهم مشاكل المرعى ، لديهم مشاكل الكسب فيجب من الان ان نقيم تفكيرنا لكي نحول معيشتهم الاقتصادية ، وكيف نجعل من ذلك الكساب الذي لا يملك سوى بضعة جمال ولكن من الممكن ان يفقدها كثمن للجفاف رجلا يعمل ، وكيف نهييء له معامل ومصانع ، وكيف نجعل منه رجلا يملك رأسمال قار مستقر لا راسمال في يد المطر صب ام لم يصب ، فهؤلاء الناس يجب ان نعلمهم ونؤطرهم لكي يتعلموا كيف يفلحون ولكي يطمئنوا على مستقبلهم .

فبماذا سندرك هذا ؟

اولا سندركه بشيء اول : ماذا يميز الدولة المتقدمة عن الدولة غير المتقدمة بالنسبة لوحدتها ؟ تميزها وحدة اللغة ووحدة الدين ووحدة التراب .

اما حتى النظم فلا تظهر كمقياس لوحدة الامة .

فاذن يلزمنا ان لا نقدم بمجرد دخولنا للصحراء على ان نطبق على اولئك الناس القوانين التي نطبقها في طنجة او هنا في مراكش لا .

اولا وقبل كل شيء يجب علينا ان نستوعب وضعهم وان نعيش معهم ، وان نفهمهم وان نعرفهم ويعرفوننا ، اذ ذاك سنقوم بمجهود كبير لننظر في القوانين التي يمكن ان تظهر لهم انهم لم يخرجوا من حياة الى حياة ؛ بل خرجوا من استعباد الى حرية .

ثانيا ــ يجب علينا ان نكون اكثر ما يمكن من اطر الصحراويين انفسهم لكي يسيروا هم شؤونهم بانفسهم ولا يعتقدون ــ كما يقول لهم الاجنبي ــ ان المغرب يبحث عن الصحراء لخيراتها او ليوظف فيها موظفين ، ولا يمكن لاحد ان يسير مدينة العيون او اسمارة مثلا الا سكانها ، فهم اقرب الى الوقائع والحقائق منا .

ثالثا : يجب ان نضع في حسابنا ، زيادة على ما سيعطي للصحراء من الميزانية العامة كاقليم خيراتها حتى تشارك بحظ وافر حتى لا يظن لا الاقارب ولا الاباعد اننا نريد الصحراء لكي ناخذ خيراتها .

نريد الصحراء ، لانها ارضنا

نريد الصحراء لان الصحراويين هم نحن ونحن هم الصحراويون .

نريد الصحراء لان مصيرنا مع افريقيا وعروقنا مثل عروق الشجرة تسير نحو الجنوب في افريقيا ، ومستقبلنا في افريقيا ، ولا يمكن ان نبقى اسارى بين بحرين ودولة ملفقة ، اذ سيصبح ذلك كارثة على المغرب ، كما قلت لك وهذا ما لا يمكن للمغرب ان يتحمله ابدا ، بحيث ــ شعبي العزيز ــ الشوط الاول ربحناه ، والشوط الثاني نحن ــ ولله الحمد ــ في طريق ان نربحه ، ويبقى الشوط الثالث ، يجب علينا بعد هذا الصخب وهذه الضوضاء حول الصحراء ان نظهر ان المغرب هو مغرب آبائنا واجدادنا الذي فتح الاقطار ومصر الامصار ، وخلق حضارات وخلق مدنية ، فيجب اذن ان نظهر قدرتنا في البناء هناك ، ونظهر للمجموعة البشرية ان تلك الامانة التي ردتها لنا العدالة الدولية وانصاف بعض الاخوة والاشقاء كلهم ، سنرعاها احسن رعاية وسنجعل منها كما فعل آباؤنا واجدادنا ، جعلوها مشاركة ، مشاركة فعالة يومية في بناء صرح المغرب ، وكل واحد قرا تاريخ للصحراء الا ويجد انه لم تكن هناك عصور لم يكن الصحراويون مهمين يشتغلون مناصب مهمة او يشاركون مشاركة كبيرة في بناء السفارة المغربية وصرح المدنية المغربية .

لهذا – لهذا شعبي العزيز – فان ما وصلنا اليه من نتائج من شانه ، بل يوجب علينا اولا ان نحمد الله سبحانه وتعالى كونه هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا ان هدانا الله .

ثانيا – جعل ما وصلنا اليه كوننـــا نواصـــل مسيرتنا فهي مسيرة – ولله الحمد – تظهر كل يوم الحق ، والخصم ينفرد كل يوم وينعزل كل يـــوم ، ولكن ذلك ان يحذونا الى البقاء في مستوى ماضينـــا وفي مستوى ما نطمح اليه .

شعبـــي العزيـــز :

ارادت محبة والدي – طيب الله ثراه – وتقديره لابنه وخديمه الضعيف ، خادمكم هذا ان يطلـق على عيد ميلادي عيد الشباب ، ومع مرور الايام والسنين نرى اننا لسنا شبابا ولكن صرنا كهولا .

ولكن ابيت ان يبقى هذا العيد ، عيد تاســع يوليوز يسمى بعيد الشباب حتى يمكننا كل سنـــة كيفما كان سننا ان نشرب من كوثر الشبـــاب ارادة وعزما وحماسا وايمانا ، علما منا ان الامة واجيالهـــا مثل السلـسلة المرتبط اولها بآخرها .

علينا اذن ان نبقى تلك الحلقات مقدسـ‍ــــة ، ان نبقى تلك الحلقات التي تربط بين طرف السلسلـــة بالطرف الاخر مقدسة يانعة صالحة للبناء صالحـــة للجهد صالحة للحوار ، صالحة لحســـن الجـــوار ، صالحة لتخويف الاعداء وارهابهم ، صالحة لجلـــب الاصدقاء وايوائهم ، وما ذلك على همتنا بعزيز ، والله سبحانه عودنا الخير ، وسوف لا نرى منه الا الخير ، انه مجيب الدعاء .

وجميعا – شعبـــي العزيز – نتجـــه الى الله سبحانه وتعالى بهذا الدعاء الذي جاء في كتابه الحكيم:

ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيىء لنا من امرنـــا رشـــدا .

صدق الله العظيـــم

والسلام عليكم ورحمة الله

صاحب الجلالة الملك المعظم الحسن الثاني يقول في خطابه السامي الذي ألقاه في الجلسة الافتتاحية للمجلس الأعلى للانعاش الوطني والتخطيط :

✻ إننا نومن بالسلام، ونومن بالطرق السلمية

بل نحن الأولون الذين طالبوا باللجوء الى محكمة العدل

ولنا اليقين بأن محكمة العدل الدولية سوف تنصفنا.

افتتح صاحب الجلالة مولانا الحسن الثاني نصره الله في يوم الثلاثاء 17 يونيه 1975 اشغال المجلس الأعلى للانعاش الوطني والتخطيط في قصر الرباط ، والقى جلالته خطابا توجيهيا هاما حلل فيه الظروف الاقتصادية والسياسية التي يجتازها المغرب ، حيث ناقش حفظه الله الظروف التي تم فيها اعادة مراجعة بعض ابواب التخطيط واسلوب هذه المراجعة ، واكد سيد البلاد ان المغرب طموح ينظر الى الامور بجد ووعي ، ولا ينظر اليها بعين الخائف المترقب المتردد ، لان كل من تردد في الوقت الذي نعيشه تاخر ... كما تطرق صاحب الجلالة الى قضية الساعة قضية تحرير الصحراء المغربية المحتلة واعلن جلالته ان المغرب يدعو الى السلم ، وهو اول من لجا الى محكمة العدل الدولية بلاهاي التي لا شك انها ستنصفنا ... واكد حفظه الله ان استرجاع الصحراء استراتيجيا وسياسيا وعاطفيا اخطر من استرجاع الاستقلال ..

وقد كان صاحب الجلالة مرفوقا بصاحب السمو الملكي ولي العهد الامير الجليل سيدي محمد وصاحب السمو الملكي الامير مولاي عبد الله والجنرال مولاي حفيظ العلوي وزير القصور الملكية والتشريفات والاوسمة ومدير الديوان الملكي السيد احمد بنسودة واعضاء الحكومة يتقدمهم الوزير الاول السيد احمد عصمان .

وفيما يلي نص الخطاب الملكي السامي :

الحمد لله وحده

والصلاة والسلام على مولانا رسول الله وآله وصحبه حضرات السادة ،

انا راينا لزاما علينا ان نتراس جلستكم هذه حتى يمكننا ان نعطي لمجلسنا هذا التوجيهات الضرورية وطرق العمل المجدية لما يحيط بالمغرب من ظروف مالية واقتصادية وسياسية ، ولنا اليقين باننا سوف نجد في ادراككم للامور واطلاعكم على ما يجري حولكم ما يجعلكم اهلا لتنوير الابصار ، وتوجيه الافكار حتى يسير هذا التصميم الخماسي الذي نحن بصدده في محجة يرزقها الله سبحانه وتعالى التوفيق والنجاح ونحيطها نحن بما يجب لها من الجدية والتفاني في خدمة الصالح العام والنظر الى الواقع وتجنب العثرات حتى ندرك كل نجاح وكل فلاح .

ليس في رغبتنا ان نعطيكم ما يجيش في افكارنا من حكم حول ما انجز من السنوات الماضية ذلك لاننا لا يمكننا ان نكون في آن واحد حكما ومستشيرا ،



وانا سوف نترك لكم ولمجلسكم الموقر هذا العمل حتى يمكنكم ان تاتوا بالنقد البناء لما انجز علـى ضوء الاخطاء أو ضوء النجاحات ان توجهونا وتوجهوا حكومتنا وادارتنا حتى يمكن للجميع ان يقوم بما هو بصـدده .
الا انه فيما بين افتتاح الدورة الاولـى لهـذا التخطيط ويومنا هذا قد جرت احداث في المغرب وفي العالم تجعلنا ملزمين بالنظر اليها بعين الامعان والاعتبار كمـا فـي علمكم حرب رمضان تلك الحرب التي اراد الله سبحانه وتعالى أن ينصر فيها اهل القرآن خلقت فـي الميدان العالمي فوضى مالية وسقوط كـل اتـزان اقتصادي وجعلت جميع الدول تراجع مقاييسهـا بل تراجع ارقامها ولم يكن المغرب ان يبقى بعيدا عن هذا الجانب بل هو كذلك كاخوانه الدول الاخـرى سواء في المجموعـة الافريقية أو العربيـة أو الدوليـة ـ ولا سيما أن المغرب لم يكن منتجا للبترول الذي كـان سببا لهذه الازمـة ـ كان لزاما على المغرب ان يعيـد النظر في تصميمه وفي تخطيطه وفي تقييمه للامور وتقييمه للاسبقيات وفـي تقييمه للضروريات . ومـن ثم اخذنا علينا في مدينة ارفود ان نوجـه رجـال حكومتنا وجهة اخرى . وان نعطيكم اهدافـا تضـاف الى الاهداف التي كانـت قررت فـي التخطيط بـل ؛ طلبنا جميـع المنتخبين علـى الصعيـد المحلـي او الاقليمي او الجهوي ان ينضموا الى هذه الدراسات ، وينظروا الـى برامجهم حيـث انه نظـرا للظـروف والاحداث كان ما هو في الصف الثالث أصبـح فـي الصف الثاني ، وما كان في الصف الثاني أصبح فـي الصف الاول ، وما كان في الصف الاول أصبح في الصف الضروري والحيوي .

ثانيا اردنا ان تعطي لتخطيطنا هـذا فـي صفحته الثانية التي نحن بصدد افتتاحها والنظر فيهـا ميـزة الجهوية ذلك اننا مومنون ان الرباط وحده لا يمكـن لا للوزراء ولا التقنيين ولا العلماء لا يمكنهم من المعرفـة الحقيقة لضروريات البلاد ، بل ربما اذا نحـن اردنـا ان نتزوى في العاصمة سوف نحرم عدد الشبان الذين هم في الاقاليم وبالعواصم الاقليمية وبالبلديات سوف نحرمهم من المشاركة ، ومن ثم الى التعليم ومن ثم الى التاهل لاخذ مسؤولياتهم يوما ما . لذا اردنا ان نجعل من هذا التصميم الجهوي مدرسة للموظفين وللمنتخبين حتى اذا هم اتقنوا مخططا جهويا اصبحوا قادرين بل ومؤهلين على اتقان تصميم على الصعيد الوطني وهذه هي سياستنا سواء في الميـدان الاقتصادي أو فـي الميدان الاجتماعي أو حتى في التكوين السياسي لمـا ستعطيه للجمعيات المنتخبة في المستقبل القريب من مسؤوليات جديدة سوف تجعلها تقف بجانبنا وقفتهـا التي نريد لها وهي وقفة جدية مجدية نافعة وهذا ما سيكون موضوع خطاب مقبل انشاء الله .

ان عمليات هذا التخطيط الجديد تنقسم الـى ثلاثة اقسام »، منها ما هو داخل في برنامج التخطيط الجهوي بما اضيف من برامج ومنتخبين جهويـين ، وهكذا نجد انه لا يزيد عن 250 مليار من السنتيمات الداخلة في هذا التصميم الجهوي ، ثم ظهر للحكومـة انه في الامكان ان تدخل مشاريع اخرى كبيرة ضخمة تستلزم هي بدورها 927 مليار من السنتيمات واخيرا ، نظرا لما قلت لكم آنفا من تدهور سوق المال وسـوق الاقتصاد كان علينا ان نراجع حساباتنا وترتبت هذه الحسابات على ما يزيد عن 450 مليار من السنتيمات

وهكذا ترون حضرات السادة ان المغرب والله الحمد مقبل ومقبل طموح يرى الى الامور بجد ووعي ولكن لايرى الى الامور بعين الخائف والمتردد ، ذلـك اننا نجد أن من تردد تاخر ، واذا نحن سطرنا اهدافنا واخترنا وسائلنا لم يبق لنا مجال لاي تردد بل اصبح الاقدام من اوجب الواجبات ، ليس من الطبيعي ولا من المنتظر ان اتيكم بخطاب فيه الارقام وفيه تعبير تقني ومالي مفصل عما ننتظره منكم وليس كذلك من المعقول ان نعوم هذا الخطاب الافتتاحي في نظريات سياسيـة محضة دون أن نتطرق الى الجانب السياسي ولا سيما في السياسة والاقتصاد اصبحا توامين يرافق بعضهـا الاخـر

علينا ان نصل »

قلنا لكم اننا نعيش ظروفا ، ومن هنا يسهل علينا ان نكمل فنقول اننا نعيش ظروفا وعلينا ان نصل اهدافا رئيسية »، ان من اعضـل المعضـلات فـي الـدول المتخلفـة مشكلة تكوين الاطر ، وتكوين الاطر لا يعني بالضبط اننـا علينا ان نفتح المدارس والثانويـات ، وجامعات بعد جامعات لا يعني هذا فقط ، بل يعني هذا تكوين اكثر ما يمكن من الاطر حتى يملأ الفراغ الموجود في جميع مرافق الدولة وفي جميع مصالحها وذلـك بوضع خطة محكمة حتى يتمكن الوطن مـن الاستفادة بجميع ابنائه حتى الذين رسبـوا فـي امتحاناتهـم » فتكوين الاطر ليس وحده يعني التعليم بل يعني الانقـاذ وربمـا في بعض المستويات

الحاجة الى اطر متوسطة ،،

وامام بعض الحاجيات والواجبات الضرورة الملحة بالنسبة الينا للاطر المتوسطة اكثر من الاطر العليا لذا اصبح من الواجب علينا حينما نفكر فى تكوين الاطر ان نفكر فى تكوين الاطر ، وتكوين ما اعوج وما سقط من الاطر ، فاذا نحن ملأنا هذا الفراغ الثاني فنصبح اغنياء ذلك ان فى الامكان ان نتعاقد مع اساتذة من الخارج ، ومع اطباء فى الخارج ، مع مهندسين فى الخارج ، ان هناك بعض الواجبات ، بل بعض الاشغال التي لا يمكن ان يقوم بها الا المواطن ، لهذا الح عليكم حضرات السادة حتى تضعوا هذه النقطة تحت الاضواء اللازمة لها ، فتضعون لها خطة حتى يمكن للمغرب ان يقوم اولا بواجبه الدستوري ، ذلكم انكم كما تعلمون ان الدستور ينص ان التعليم والعمل واجب على كل مواطن ، ومواطنة ،، ولكن ما نعني بهذا اي تعليم ، ولا نعني بهذا اي عمل بل نعني بهذا التعليم النافع الذي يعلم ويعلم

دول عربية وافريقية تطلب منا المزيد ،،

ثانيا انطلاقا من هذا التكوين علينا ان ننظر الى التكوين المهني بعين لا جدال فيها ، ذلك اولا لافتقار المغرب مهنيا ، ثانيا : ان المغرب يجد نفسه فى الحوار الحرج فيما يخص اليد العاملة راسا لراس مع اوربا والحالة هذه ان هناك مجالات فسيحة وافسح من اوربا بكثير الا وهي مجالات افريقيا من جهة والدول العربية والشقيقة فى الشرق من جهة اخرى تطلب منا المزيد من الاطر المكونة تكوينا مهنيا ، وواجب علينا اذن ان لا نبقى مع مخاطب واحد بل علينا ان ننوع المخاطبين ، حتى نصبح أحرارا اكثر مما نحن عليه اولا وحتى نجيب الى الخطه التاريخية التي عرفت عن المغرب انه كان مصدر العلماء والفقهاء والاساتذة فعلينا اذن ان نربط الحاضر بالماضي وتكون الاجيال الكفيلة القابلة للتصدير ، والتيمن شانها ان تبقى وجه المغرب عاليا ومشرقا

الانتاج الفلاحي اكثر قيمة من الذهب ،،

انني مرارا اهبت بشعبي العزيز ان يتجنب حتى امكننا ان ندرك المليون هكتار الذي جعلنا فى مامن من عدة اخطار ،، وحينما دعوت الى المليون هكتار كنت لااري الا التغذية فحسب اما اليوم علينا ان نعلم ان الانتاج الفلاحي اصبح فى بعض الظروف وعند بعض الدول ذا قيمة اكثر من الذهب واكثر من البترول ،، واذا وقع العالم لا قدر الله فى ظروف مجاعة اصبحت الدول التي تعاني من تلك المجاعة اصبحت عندها التغذية اكثر قيمة من البترول او الذهب ،، لذا فان المليون هكتار سيجعلنا اولا تكتفي بتغذيتنا ولو وصلنا الى 22 او 24 مليون من السكان بل يجعلنا نتوفر على النصف المقابل لما نتغذى به لترويجه فى السوق الجغرافية المحيطة بنا ،، وهذا يمكننا كذلك بان تكون عندنا زيادة على عملتنا البشرية التي ذكرت بتكوين الاطر وتكوين الاطر العليا او المتوسطة والصغرى ، عملة التغذية واخيرا عملة الخبرات المعدنية التي اكتشفناها او التي سوف نكتشف منها الحظ الكثير ان شاء الله ،، سوف نجعل بيد المغرب ثلاث اصناف من الوسائل للتعامل فى السوق الدولية حسب الظروف وحسب ما يحيط بالظروف المالية والنقدية الاقتصادية

لذا اريد منكم ان توجهوا حكومتنا التي هي واعية حق الوعي ويظهر هذا الوعي فى ميزانية هذه السنة واريد منكم ان توجهوا اكثر للتنقيب عن الخيرات المعدنية ذلك انا موقنون ان بلادنا متوفرة ولله الحمد على خيرات كثيرة ومتنوعة وكما قلت لكم انفا فى الظروف والملابسات الراهنة كلها نقب كل ما وجد الا وعنده قيمة تجارية لاشك فيها ،، بالطبع كل دولة لها امكاناتنا ووسائلنا لها كذلك مطامح ومصالح لا تنحصر فقط فى التكوين ولا فى الفلاحة ولا في التغذية فلها مطامح كذلك حتى تصبح بضاعتها تروج فى السوق الخارجية ، وهذه البضاعة لا يمكنها ان تكون رائجة الا اذا توفر المغرب على صناعة ثقيلة بالطبع ،، الصناعة الثقيلة تنقسم الى قسمين :

الصناعة الثقيلة الحقيقية ، والتي تسفر عن الخيرات وعن الارباح ، والصناعة الثقيلة التى لا تكون الا مرآة لفخفخة او لشيء من العجرفة الشيء الذيلم يكن فقط وان يكون ان شاء الله فى سياسة المغرب

الحاجة للصناعة التقليدية ،،

وحينما نذكر الصناعة الثقيلة نذكر الصناعة التي نحتاج لها بل نذكر الصناعة التي من شانها ان تثبت لنا

وثبة اخرى الى الامام من فولاذ وصلب ومن صناعات فلاحية ومن صناعات بتروكيماوية ومن صناعات متعددة الاصناف مفتوحة الاسواق تكون قد اقيمت للنفع ولم تكن قد اقيمت للمجرفة كما قلت لكم ولا لانانية الدولة

ضرورة التفكير في التخطيط وفي تحصين المكتسبات

هذه حضرات السادة بعض النظريات اردنا ان نعرضها عليكم ولكن عليكم كذلك ان تفكروا في التخطيط الذي هو مولد المكتسبات ان تفكروا كذلك في وسائل تحصين المكتسبات ، ومن هنا ننطلق الى واجباتنا كمغاربة مدنيين كنا ام عسكريين : فحينما نسمي وزارة الدفاع الوطني من هنا اولا نعطي عن المغرب صبغة المدافع لا صفة المهاجم ، صفة الذي دافع عن مكتسباته اي يدافع عن حقوقه حتى لا تضيع ولا تداس ، وحتى فكرة الدفاع الوطني علينا ان لا نقصرها فقط في الميدان العسكري بل الدفاع الوطني اصبح شيئا مجملا يهم الجميع

الدفاع الوطني ،، ايمان كل مغربي ،،

الدفاع الوطني هي في فكر كل مغربي ومغربية ،

الدفاع الوطني هو ايمان كل مغربي يقوم بعمل عليه ان يؤمن به ، فلا مجال للمتشككين ولا مجال للكافرين بالحقيقة بل علينا ان نكون اجيالا تؤمن بمغربيتها بل تؤمن بان من اوجب واجباتها ان تضحي سواء باللباس العسكري او باللباس المدني ان تضحي بحياتها ان اقتضى الحال ،، ان تضحي باوقاتها في مكتبها في معملها في حقلها في جميع وجوه نشاطها

علينا ان نعلم ان الدفاع الوطني يوجب علينا ان نعيد النظر كل النظر في طرق التعليم وتلقين القيم الروحية الدائمة لهذه البلاد ، اذ جيلنا يجهل تاريخه ويجهل تاريخ بلاده فلا داعي لمن لا يعتز بمغربيته ان يدافع عن مغربيته ،، ولكننا اذا نحن لقنا ابناءنا تاريخ المغرب منذ ادريس الاول الى الحسن الثاني اعطيناهم من الاسلحة واعطيناهم من الدوافع والبواعث ما يجعلهم يجرون اذيال الفخار امام جميع الدول ونجعلهم يسترخصون انفسهم واسرتهم وحياتهم ومصالحهم في سبيل التضحية عن ذلك الاصل الذي اراد الله سبحانه وتعالى ان يكلل به ناحية هذه الدولة ويكلل به راس هذا الشعب

لهذا حضرات السادة فالتخطيط شيء هائل ولكن تحصين المكتسبات هي اسبقية من الاسبقيات ،، فالتحصين ينقسم الى ثلاثة اقسام تحصين مادي وذلك باعداد الجيش الملكي اعداده بالعتاد وما يتطلبه من آلات حتى يمكن ان يقوم بواجبه احسن قيام ،، التحصين يقتضي ان تجند كل واحد منا ويعلم ان الدفاع الوطني معناه الدفاع اللازم والواجب على كل مواطن نحو مواطنيه

تحصين ابنائنا من الناحية التاريخية ،،

النقطة الثالثة ، التحصين يعني ان نحصن ابناءنا ونسلحهم بمراجعة اساليب التعليم والتلقين وبالاخص من الناحية التاريخية للمغرب حتى يكونوا على اهبة دائمة للدفاع عن وطنهم ،، نعم سوف تقولون انه ليس لدينا من الاساتذة ما يكفي للتعليم وهنا اقول لكم هذه ضرورية افضل ان يتعلم ابني وفلذة كبدي ان يتعلم ويعلم تاريخ بلاده ولو عن طريق لغة اجنبية ولا ان يلقن تاريخ جندارك باللغة العربية فهذه كذلك مسالة برامج ومسالة تخطيط ومسالة توجيه .

لي اليقين حضرات السادة انكم تعلمون ما يعيشه المغرب اليوم من ساعات لذيذة من ساعات مشرقة نيرة ،، من ساعات لم يكن للمغرب الا يعلمها والا يعيشها فترة بعد اخرى ، الا وهي ساعة التجنيد ،، اما للكسب او للدفاع ، وتاريخ المغرب لم يرد الله سبحانه وتعالى ان يجعل منه تاريخا بسيطا مبسطا لا مذاق له ولا حار فيه ولا ملح بل اراد الله سبحانه وتعالى لهذه البلاد ان يجعل من تاريخها وحياتها اكلة شهية متنوعة طيبة يستسيغها كل واحد بفرح بل بنهم شره

لنسير الى ميدان الشهادة كما فعل الصحابة ،،

وهكذا حضرات السادة يعيش المغرب فترة اخرى من تلك الفترات من تاريخه المتنوع الا وهي فترة التحرير والضم علينا ان نحرر لنضم ما سنحرر من بلادنا ،، وهنا نريد ان ننتهز هذه الفرصة لنؤكد مرة اخرى ما قلناه ، اننا نؤمن بالسلام ونؤمن بالطرق السلمية بل نحن الاولون الذين طالبوا باللجوء الى

محكمة العدل ولنا اليقين بان محكمة العدل الدولية سوف تنصفنا ،، ولكن كذلك وفي ءان واحد نحن مستعدون الى ءاخر مغربي للدفاع عن ما نراه من حقوقنا بل اقول لكم - وانني اذن ما اقول - اذا نحن لم نسترجع صحراءنا فانني جد متشائم فيما يخص مستقبل المغرب وفيما يخص تاريخ المغرب كدولة وكمجموعة

ان استرجاع الصحراء استراتيجيا وسياسيا وعاطفيا اعتقده اكثر واخطر من استرجاع الاستقلال ذلك أن الاستقلال كنا دائما نامل ان يرجع لنا وان نفوز به ،، اما الان فاننا لا نجد امامنا دولة واحدة ربما تخشى العار من الضمير العالمي او تخشى العار من التاريخ بل نجد انفسنا امام تدخلات متعددة واطماع مختلفة سوف تقف في طريقنا وسوف تعرقل سيرنا ،، علينا ان نواجه هذه الفترة بوجه بسام مشرق لانني كما قلت لكم نعيش نحن واننا نحمد الله ان يعيش ابناؤنا - لانهم لم يعيشوا معنا مرحلة التحرير الاولى - ان يعيشوا هذه الجولة الثانية فانا مسرور جدا ان يكون ابناؤنا شركاء لنا في هذه الفترة واقول لكم علينا ان نواجهها باطمئنان وطمانينة والوجه البسام ذلك اما ان نفوز بما نريد ان نفوز به فعلينا ان نبتسم واما علينا ان نستشهد فعلينا ان نسير الى ميدان الشهادة بالابتسام كما كان يفعل ذلك الصحابة وفي الحقيقة اذا نحن اعتبرنا ان التخطيط يستوجب التنسيق راينا ان المشاكل السياسية والاجتماعية والاقتصادية تتداخل بعضها في بعض فعليكم اذن الا تغفلوا اي زاوية من هذه الزوايا التي طرحتها امامكم تاركا لما اوتيتم من علم ومعرفة ودراية ، تاركا لكم ان تزودونا وترشدنا وتشيروا علينا بما رايتموه اهلا لهذا البلد ولخير هذا البلد

والله سبحانه وتعالى اسال ان يديم علينا نعمته ويكلانا برحمته ويمدنا بعونه ويهدينا مستقيم صراطه علما منه سبحانه وتعالى اننا لا نطالب الا بالحق ولن نطالب الا بالحق ،، انه نعم المولى ونعم النصير

والسلام عليكم ورحمة الله

يوم الاحتفال في العالم الإسلامي

بذكرى تأسيس

منظمة المؤتمر الإسلامي



يوم الاحتفال في العالم الاسلامي

بميثاق التضامن الاسلامي

في ظل ذكرى انعقاد مؤتمر القمة الاسلامي الأول بالرباط

انعقد في جدة ابتداء من يوم السبت 12 يوليوز الجاري المؤتمر السادس لوزراء الدول الاسلامية الذي درس عديدا من القضايا الاقتصادية والسياسية والتنظيمية التي تهم العالم الاسلامي ، وقد مثل المغرب في هذا المؤتمر السيد الداي ولد سيدي بابا وزير الاوقاف والشؤون الاسلامية وسفيرا المغرب في القاهرة وجدة السيدان العراقي والناصري .

ومن بين جدول الاعمال قضية الصحراء المغربية التي تحتلها اسبانيا وسبتة ومليلية وبقية الجزر المحتلة. وكان المؤتمر الخامس الذي عقد في كوالالمبور قد اتخذ قرارات في قضية الصحراء المغربية وضرورة انسحاب اسبانيا من الاراضي المغربية المحتلة .

وقد أدلى السيد الوزير لدى مغادرته المغرب بتصريح اشار فيه الى انه يذهب للمشاركة في هذا المؤتمر بامر من جلالة الملك الذي زوده بالمعلومات السامية حول مختلف المسائل التي ستتم دراستها خلال المؤتمر والتي تهم العالم الاسلامي في شتى المسائل ، السياسية والاقتصادية .

واشار السيد الوزير ان من بين النقط التي يتضمنها جدول الاعمال قضية الصحراء المغربية المغتصبة وسبتة ومليلية والجزر المتوسطة الساحلية .

واضاف ان القضية قضية سيادة شعب عربي مسلم على ارضه .

وتطرق رئيس الوفد المغربي الى المؤتمر الخامس الذي انعقد في كوالالمبور والى المقررات التي اتخذتها خصوصا مقرر الصحراء الذي يلح فيه على ضرورة انسحاب الدولة الاسبانية من الصحراء المغربية ، ثم تحدث السيد الوزير عن المراحل والاشواط التاريخية التي قطعتها قضية صحرائنا ابتداء من الخطاب التاريخي لتاسع يوليوز 1974 .

وقد عقد على هامش هذه الدورة السادسة لمؤتمر وزراء الخارجية مؤتمر الاذاعات والتلفزة للدول الاسلامية بجدة كذلك .

وقد تقرر خلال المؤتمر الاول الاسلامي بالرباط مبدئيا عقد مؤتمر دوري لرؤساء دبلوماسية الدول الاسلامية .

ووفقا لما أقره مؤتمر الرباط فقد وقع انعقاد المؤتمر الاول بجدة في مارس 1970 اشتركت فيه سبع عشرة دولة ، والثاني بكراتشي في شهر ديسمبر من نفس السنة وتمثلت فيه ثلاث وعشرون دولة اسلامية ، والثالث ببنغازي بليبيا في مارس 1973 واستمر اربعة ايام واشتركت فيه هذه المرة ثلاثون دولة اسلامية بالاضافة الى مراقبين هما الامين العام لجامعة الدول العربية وممثل عن منظمة التحرير الفلسطينية ، والرابع في لاهور في فبراير 1974 ، والخامس في كوالالمبور في شهر يونيه 1974 . وخلال نفس مؤتمر القمة السابق تقرر انشاء صندوق اسلامي للتنمية ووكالة انباء اسلامية وامانة عامة للمؤتمر حيث يتولى منصب الامين العام حاليا المصري الجنسية حسن التهامي وهو يقوم بهذه الوظيفة منذ سنتين وتنتهي سنة 1976 .

وتبحث اللجان ازيد من ثلاثين نقطة مدرجة في جدول الاعمال أبرزها قضية الشرق الاوسط والصحراء المغربية المحتلة .

ولقد قام وفد المملكة المغربية بتقديم طلب انخراط العراق كعضو له كامل الحقوق بعد ان كان عضوا ملاحظا واشار الامير سعود وهو يعلن عن ذلك الى الاهمية التاريخية التي اكتساها العراق بالنسبة للاسلام اذ كانت بغداد عاصمة الخلافة العربية الاسلامية .

ووافق المؤتمر الاسلامي على قبول العراق عضوا وبهذه المناسبة تحدث السيد الداي ولد سيدي بابا وزير الاوقاف والشؤون الاسلامية ورئيس الوفد المغربي حيث بارك انضمام العراق الى المؤتمر وقال :

ان صفحات الاسلام الوضاءة التي يحتلها العراق في سجل تاريخ الامة الاسلامية تجعلنا نشعر بان لهذا البلد مكانا بارزا في المنظمة يجب ان يحتله ليسهم في قضايا مصالح الامة الاسلامية وان وفد المملكة المغربية يسعده ان يبادر الى مباركة انضمام الجمهورية العراقية الى المؤتمر حتى يتعزز التضامن الاسلامي ويقوى عقد الامة الاسلامية كما ان قبول المؤتمر انضمام العراق اليه وهو ينعقد في ارض المملكة العربية السعودية مهد الرسالة النبوية حدث له دلالته الهامة .

اما ترشيح جزر المالديف فقد قدمته ليبيا مشيرة الى التقاليد الاسلامية لهذا البلد الذي يتكون من ارخبيل يقع على بعد حوالي مائة كيلومتر من سواحل سريلانكا (سيلان سابقا) في المحيط الهندي ، وبما ان دولة المالديف لم تبعث الى جدة بممثلين فقد اقترح الوزير الليبي على المؤتمر اما ان يعلن فورا قبولها واما ان يؤجل البت في الامر الى المؤتمر المقبل ، فاخذ المؤتمر بالحل الاول وقد قوبل انخراط العراق وجزر المالديف بتصفيقات حارة كما قوبل قبول نيجيريا كعضو ملاحظ بنفس الحماس ، وعبر الامير فيصل بن سعود عن امله في ان يتم قبول نيجيريا في المؤتمر المقبل كعضو كامل الحقوق .

وقال السيد التهامي ان المؤتمر سيوصي بتأسيس مراكز تطوع في الدول الاسلامية لارسال المتطوعين للشرق الاوسـط .

وقال ايضا « ان المؤتمر سيركز على القضية العربية والمشكل الفلسطيني ووضع القدس » واوضح انه تم اقامة حوار بين المؤتمر الاسلامي وحظيرة الفاتيكان لتحديد موقفها ازاء مشكل القدس .

واضاف بان المؤتمر سيعرض على منظمة التحرير الفلسطينية في انشاء مراكز لتجنيد هذه القوات في 40 دولة اسلامية في آسيا وافريقيا .. والقدس هي أهم النقط وقال : « ان مشكلة فلسطين المدرجة في جدول اعمال المؤتمر الذي يشمل 33 موضوعا .

هذا وصرح ناطق باسم منظمة التحرير الفلسطينية بان الوفد الفلسطيني مسرور للاهتمام والاهمية التي اولاها العاهل السعودي للقضية الفلسطينية .

كما قدم الوفد المغربي بالاشتراك مع وفد موريطانيا مشروع قرار الى اللجنة السياسية في المؤتمر الاسلامي بجدة يتعلق بقضية الصحراء المحتلة من طرف اسبانيا ، وقدم الوفد المغربي كذلك مشروع قرار ثان الى نفس اللجنة يتعلق بالاحتلال الاسباني للمدينتين المغربيتين سبتة ومليلية والجزر الساحلية التابعة لهما .

كما تقدم الوفد المغربي ايضا بمشروعين مغربيين الى اللجنة الاقتصادية ينص على اقامة تعاون بين المؤسسة الدينية والحكومية التي تعنى بمهمة الدول الاسلامية وتشجيع هذه المؤسسة بالعمل على تنمية مواردها .

وكان رئيس الوفد المغربي قد قدم أمام المؤتمر خطابا هاما تحدث فيه عن المراحل التي قطعتها منظمة المؤتمر الاسلامي ، كما تعرض لقضية القدس والقضية الفلسطينية والاراضي العربية التي تحتلها اسرائيل

وتناول السيد الوزير قضية الصحراء المغربية الخاضعة للاحتلال الاسباني فاكد ان المغرب يعتبرها قضية مصيرية وقد عرفت تطورات هامة ، منذ ان طرحت امام محكمة العدل الدولية ؛ ومن ابرز هذه التطورات الاعلان الصادر عن الحكومة الاسبانية بشأن عزمها على ترك الصحراء المغربية ، محاولة من وراء ذلك القيام بمناورة مكشوفة وخلق المشكل في المنطقة ووضع محكمة العدل امام الامر الواقـع .

واشار السيد الوزير الى ان المغرب وموريطانيا المدركتين لابعاد هذه السياسة الجديدة قررا في لقاء تم بين جلالة الملك الحسن الثاني والرئيس الموريطاني المختار ولد دادة تنسيق جهودهما من اجل انهاء الوجود الاستعماري وسد الطريق أمام الدسائس الماكرة التي حاولت السلطات الاسبانية أن تحقق بها أهدافها الاستعمارية.

وقال السيد الداي ولد سيدي بابا ان مما يبرهن على ان اسبانيا ما تزال تتصرف تجاه بلادنا بنوايا استعمارية وبعقلية سلبية من بقايا القرون الوسطى انها ما تزال تبدي تصلبا متطرفا في شأن مدينتين مغربيتين هما سبتة ومليلية وجزرنا الساحلية بالبحر الابيض المتوسط * واضاف ان السكان المغاربة في هذه المواقع يطردون بعدد كبير كل يوم والسجون والمعتقلات الاسبانية مكتضة بالمغاربة الذين لا ذنب لهم سوى الاعلان عن ولائهم لوطنهم وملكهم

وختم السيد الوزير خطابه قائلا ان الوفد المغربي ينتظر من مؤتمرنا هذا ان يعرب عن تضامنه مع بلادنا في مواجهتها لهذا التحدي ليس فقط في الصحراء المغربية ولكن في سبتة ومليلية والجزر الساحلية .

وكان من بين المتحدثين في موضوع الصحراء المغربية الامين العام لمنظمة المؤتمر الاسلامي الدكتور حسن التهامي الذي خصص لهذا الموضوع جزءا هاما من تقريره كما تحدث في موضوع الصحراء المغربية المغتصبة رؤساء وفود كل من مصر واليمن الشمالية وتونس والصومال والكويت وابو ظبي حيث تعرضوا لهذه القضية المغربية على اساس انها قضية عربية اسلامية وأن هذه المنطقة ما زالت ترزح تحت الاحتلال الاستعماري كما الحوا في خطبهم على وجوب الجلاء الاسباني من هذه المنطقة ، وقد هنأ وزير خارجية تونس المغرب وموريطانيا على توحيد جهودهما وبارك بادرة الجزائر الاخيرة المتجلية في البيان المشترك الذي صدر عقب زيارة السيد عبد العزيز بوتفليقة وزير خارجية الجزائر للمغرب .

كما تحدث مندوبو ليبيا وموريطانيا ومالي والقابون حول قضية الصحراء المغربية ومدينتي سبتة ومليلية وباقي المناطق المغربية الخاضعة للسيطرة الاسبانية وباركوا الجهود المغربية الموريطانية المشتركة من اجل تحرير الصحراء كما أدانوا استمرار الوجود الاستعماري الاسباني في الثغور الشمالية من المغرب .

قرر مؤتمر خارجية الدول الاسلامية بكوالا لامبور اتخاذ يوم **25 شتنبر من كل سنة ، موعدا** للاحتفال السنوي – على صعيد العالم الاسلامي – بيوم ميثاق التضامن الاسلامي

والقرار المتخذ واقع – بطبيعة الحال – ضمن نطاق التعبير عن الرغبة الجماعية في توثيق مظاهر الترابط بين المسلمين ، وتعزيز عوامل وحدتهم ؛ وهي وحدة يراد لها – ان تكون ذات مخبر على غرار مالها من مظهر ، وان تدخل في الحياة الاجتماعية للمعتنين بها ، عن طريق التقاليد الاحتفالية التي يأخذ بها هؤلاء ، مثل دخولها في حياتهم الاقتصادية عن طريق المؤسسات المقامة لتنسيق التعاون الاقتصادي بين الدول الاسلامية .

ان التشارك في الشعور بين المجتمعات الاسلامية ، قد مكن من جعل مؤتمر كوالا لامبور والمؤتمرات قبله ، وما ترتب عنها حقيقة دولية قائمة ؛ وقد تلاقت الاهتمامات في حظيرة اللقاءات الاسلامية عقده حول العمل من اجل ترجمة هذا الشعور الموجود ، الى حقائق عملية على الصعيدين السياسي والاقتصادي ونحوهما ؛ تمكينا للوطن الاسلامي من اكتساب موقع مكين في عالم اليوم ، مرتكز على تفاعل طاقاته المادية وتناسقها ؛ الا ان اقرار الاحتفال سنويا بيوم الميثاق ، قد اتى ليركز اساسا على الجانب المعنوي كقوة فعالة في حفز الاتجاه نحو التكافل الاسلامي المنشود ، وحث الخطى لاصابته المزيد من اهدافه ؛ لقد جاء القرار ليكرس التضامن الاسلامي الجديد تكريسا بدخله في نطاق الاعياد المرعية في البلدان الاسلامية ، ويحله – من ثم – مكانة بين التقاليد الاجتماعية عند المسلمين ، بكل ما يتصل بذلك من ملابسات نفسية وفكرية ؛ من الضروري ان يكون لها أثر في زيادة الارتباط بمفهوم التضامن ومقتضياته .

ان النطاق الفكري والنفسي للعيد ليربط بين المحتفين به ربطا قوامه ، تشاركهم في الايمان بدلالة من الدلالات المحتفى بها ؛ وتضافرهم على الاعتزاز بها - والتجاوب معها بمشاعرهم وافكارهم . وهذا ما يوفر طاقة الحماس الجماعي لعيد من الاعياد ؛ ويمكن له في مضمون التقاليد المتبعة ، ويتيح له – من ثم – لان يصير من بين متوارث هذه التقاليد ، انتقالا من جيل لآخر .

والتضامن الاسلامي احساس قائم بالفطرة في نفسيات الافراد والجماعات بالاوطان الاسلامية ؛ وهو شعور يتمازج فيه التشارك في المشاعر الدينية مع مؤثرات الترابط التاريخي الطويل ، والتفاعل الثقافي والحضاري ماضيا وحاضرا ...

وباقرار الاحتفال سنويا في العالم الاسلامي ، بهذا التضامن ، فان الامر يشكل تجاوبا طبيعيا مع حالة فكرية ونفسية قائمة عند عامة الناس في البلدان الاسلامية ، وبكل ما تنطوي عليه حالة كهذه ؛ من اعتزاز بمعنى العيد المقرر ، وتحمس له ؛ وتضافر على الاحتفاء به .

ومن اليسير على عيد – والمناخ النفسي والفكري المحيط به على هذه الشاكلة – ان يتغلغل في صميم التقاليد الاجتماعية للبلدان التي تحتفي به ، مع ما يلزم عن هذا من رسوخ الدلالة التي يوحي بها في حظيرة المجتمع المعني ؛ وانعكاسها على اهتماماته ومصالحه القومية .

وقد روعي في توقيت الاحتفال السنوي بيوم الميثاق الاسلامي ؛ ان يكون موعده مطابقا لتاريخ انعقاد مؤتمر القمة الاسلامي الاول بالرباط ؛ وهو توقيت ملائم من الوجهة المنطقية ؛ باعتبار ان مؤتمر الرباط ، كان المنطلق لسلوك الخط التضامني الراهن ؛ ضمن نطاق منظمة المؤتمر الاسلامي ؛ وبالتالي فان العزيمة الصادقة ، التي كانت حافزا





مشهد اخر لاجتماع وزراء الخارجية الثاني في جدة

على الانطلاق ، متخطية عقباته ومصاعبه ، يجب ان تستمر ذكراها حاضرة في الاذهان ، موحية بمزيد من العزم على تجاوز اقصى ما يمكن ان يوجد من سلبيات ، او يعترض من حواجز ، وتوفير كافة الاسس الضرورية لمتانة البنيان المراد اقامته .

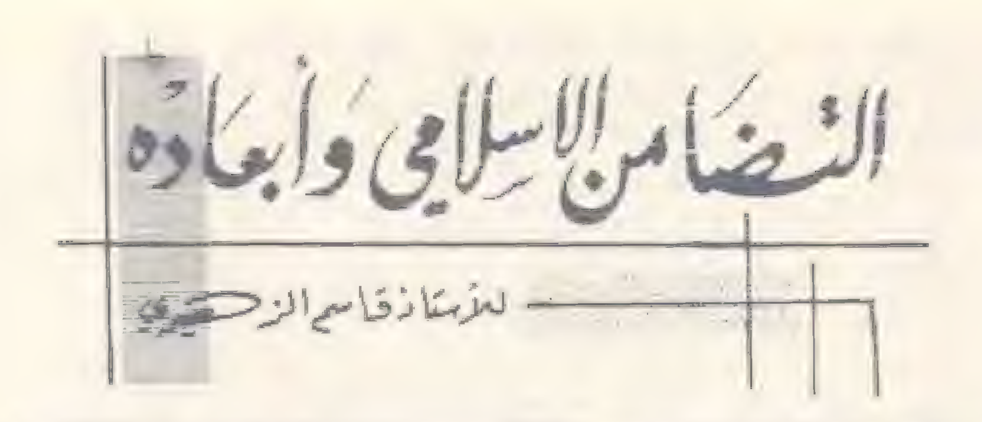
ان كل ما سيتم في المراحل اللاحقة للعمل التضامني الاسلامي لهو في الواقع ثمرة تلك الطفرة التاريخية ، التي حصلت في سنة 1969 عندما توجه جلالة الحسن الثاني الى العالم الاسلامي ، يدعوه الى لم الشمل ، وجمع الكلمة ، والوقوف على صعيد واحد في مضمار التضامن والتكافل ، واحتضنت عاصمة المملكة المغربية اول جمع دولي اسلامي من نوعه قام على اساس هذه الدعوة ، في تحد قوي لكافة سلبيات عصور التخلف ، وعهود الاستعمار ، وتضافر على حشد الطاقات الموفورة للبلدان الاسلامية ، واعطاء وجود المجتمع الاسلامي على اساس ذلك مدلولا جديدا ، يتسم بالتضامن والتكامل ، وتحدوه ميزات الفاعلية والتبصر ، وينعم باستقلال الفكر والارادة واتخاذ المبادرة والانجاز ، دون تبعية وانحياز .

وشهد العالم ، وسجل التاريخ ، ميلاد الكيان الدولي الجديد ، القائم على سند من اخوة الاسلام ، واستمداد من موضوعية الارتباط الحتمي بين المسلمين ، وكان في ذلك فوز بين للفكرة النيرة ، والبصيرة النافذة ، والايمان ، اذ يسمو على المثبطات ، ويطوع الظروف لطبيعة ما يستهدفه .

وتلاحقت — بعد مؤتمر الرباط — وفي تسلسل حتمي ناجم عن الروح التي انبثقت عنه — مظاهر التواصل — بين اقطار المسلمين ، سواء في جدة ، او في لاهور ، او في كوالا لامبور ، فلا شيء مما بدا في هذه التجمعات الاسلامية ، الا وكان مؤكدا لجذرية الحدث التاريخي الذي احتضنت العاصمة المغربية ، واصالة بواعثه وسعة ابعاده ، ولا شيء مما افضت اليه المشاورات والمؤتمرات الاسلامية المتلاحقة ، الا وهو بين الدلالة على ان الحشد العاطفي والفكري الكثيف الذي استمد منه مؤتمر الرباط وجوده ونتائجه ، كان اضخم واروع من ان تستهلك فعاليته في نطاق محدود ، او تستنفد اغراضه في مدى قصير .

ان هذه الهالة التاريخية التي اكتنفت مؤتمر القمة الاسلامي الاول ، وعمق الاستمدادات الفكرية التي انطلق منها ، وخصوبة المناخ العاطفي الذي اذكى حوافزه ، كل ذلك ليجعل منه ، منبثق اشعاع مستمر على ارضية التضامن بين المسلمين في النطاق الذي ترعاه منظمة المؤتمر الاسلامي ، ومستلهم سير وتطور لحركية هذا الكيان ، وآفاق نجاحه .

ومن هذه الرؤية يتبين مدلول اتخاذ القرار المتخذ في « كوالا لامبور » وما ينطوي عليه هذا المدلول من ابعاد منطقية .



« ينبغي ان نذكر ان الاخوة الاسلامية تظهر اقوى ما تظهر عندما يهدد العالم الاسلامي او اي قسم من اقسامه مصدر غير اسلامي ، وانها تجنح ان تنسى حين لا يهدد الجماعة خطر وشيك من الخارج ، ومع ذلك فان هذه الرابطة قوة حقيقية ، وفي الامكان ان تصبح عامل تقوية في العالم الاسلامي كله » .

هذه الحقيقة التي قررها احد كبار المستشرقين الامريكيين (1) ظلت قائمة على مدى العصور ، منذ اخذت الغارات تتوالى على البلاد التي تستظل براية الاسلام طمعا في اذلالها والقضاء على التراث الاسلامي بها . وسواء في عهد التتار او ابان الحروب الصليبية او اثناء التسلط الاستعماري ، لم تتخلف هذه الحقيقة فهب العالم الاسلامي بما لديه من وسائل لنجدة اطرافه المهددة بالغزو الخارجي .
واليوم ، اذ يعاني الاسلام محنة شديدة وتتحمل بعض الاقطار العربية غزوا شنيعا على يد الصهيونية التي كشفت عن نواياها باستباحة المقدسات الاسلامية تشهد بوادر تضامن اسلامي يبعث على الامل .

لقد كان لحريق المسجد الاقصى في اغسطس 1969 اثر بعيد في نفوس المسلمين بمشارق الارض ومغاربها ، كما كان له صدى عميق في ضمائر قادته على اختلاف نزعاتهم واجناسهم . وتفتحت الابصار الى الخطر الكامن في الروح الصهيونية ، فخرج النزاع العربي - الاسرائيلي من المجال الضيق الذي كانت اسرائيل تحرص على ابقائه فيه الى مجال اوسع ، اذ ادرك قادة العالم الاسلامي لاول مرة ان مقدساتهم اصبحت هدفا للانتهاك ، واستجابوا الى الدعوة الموجهة اليهم بعقد مؤتمر اسلامي للقمة واتخذوا مقررات على جانب كبير من الاهمية فاتفقوا على انشاء امانة عامة دائمة وتعقب الخطر الصهيوني.
ولاول مرة في تاريخ الاسلام ، اجتمع رؤساء الدول والحكومات الاسلامية للتشاور والتقرير في امر يهم مصير مقدساتهم وبالتالي مصير اوطانهم التي توحدها العقيدة والتاريخ المشترك (2) وهي بداية الطريق نحو مسيرة طويلة ستنتهي - ان هي استمرت - بمزيد التقدم والعزة والكرامة لاصحابها .

---

(1) هو السيد هارولد سميث Horold Smith رئيس قسم الديانات بكلية ووستر بولاية اوهايو في امريكا . وكان قبل رئيس قسم الفلسفة والاخلاق بالجامعة الامريكية في القاهرة .

(2) ورد في « مقاصد الشريعة الاسلامية ومكارمها » للاستاذ علال الفاسي فصل يتعلق بالامة والدولة في الاسلام جاء فيه صفحة 217 ما يأتي :
« الامة الاسلامية امة واحدة ، حدودها هي دار الاسلام وشعارها توحيد الله واقامة العدل بين الناس (وان هذه امتكم امة واحدة ، وانا ربكم فاعبدون) وصفة الوحدة هذه تقضي على كل فارق مبني على الجنس او اللغة او اللون ... وتكون الامة الاسلامية وحدة سياسية دون اعتبار للحدود الجغرافية ... والامة الاسلامية متضامنة الحقوق متكافئة الذمم ، وقد وصف ما بين افرادها من التضامن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله - مثل المومنين في توادهم وتراحمهم كالجسد الواحد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى ، وفي حديث آخر - المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا » .



ان هذا الحدث العظيم الذى شهده جيلنا كان حلما يراود نفوس قادة الرأي والسياسة فى العالم الاسلامي منذ اواسط القرن السابع الهجري حين دالت دولة العباسيين تحت ضربات الحركات الشعوبية وجحافل التتار بعد أن مرت بأدوار مختلفة من ناحية القوة والضعف ولم يبق لاواخر خلفائها من الحكم والنفوذ الا الاسم . لقد اعترى الدولة الاسلامية الموحدة فى عهد الخلفاء الراشدين ما اعترى غيرها من هزات داخلية بدأت بالخلاف بين الامام علي ومعاوية والصراع بين الامويين والعباسيين ؛ انقسمت الدولة اثره الى واحدة فى الشرق واخرى في الغرب ، ثم اخذت القوى الخارجية تعمل عملها فى تفكيك هذه الدولة الشاسعة الاطراف التى كانت تمد ظلها على اجناس وشعوب كثيرة .

ولقد عاصر الامام احمد بن تيمية نهاية الدولة العباسية على يد التتار وابلى هو نفسه البلاء الحسن فى الدفاع عنها وفى صيانة العقيدة من خطر الجمود والتحجر ومات ضحية افكاره . ولما لاحظ الاخطار التى كانت تحيق بالعالم الاسلامي من كل جانب ؛ دعا منذ ستة قرون الى التضامن الاسلامي فى كتابه « السياسة الشرعية فى اصلاح الراعي والرعية » مناديا بتنظيم الجماعة الاسلامية على اساس توزيع السلطة فى شكل اشبه ما يكون بالنظام الاتحادي او « الكونفيدرالي » فى مفهوم القانون الدولي الحديث وبالرغم عن هزيمة التتار على يد ظهير الدين بابر ؛ فان الوحدة الاسلامية لم تستعد متانتها لما كان يعانيه العالم الاسلامي من اسباب التمزق والانحدار .

ومما ضاعف متاعبه الحملات الصليبية التى وجهتها ضده دول اوربا المسيحية مجتمعة تحت قيادة الكنيسة . هاجمته فى عقر داره واستولت زمنا طويلا على بعض الاقطار الاسلامية وسيطرت على اماكنه المقدسة الى ان ردها ابطال تذكر منهم الاتابك زنكي وعماد الدين ونور الدين محمود واخيرا صلاح الدين الايوبي بعدما استنفروا المسلمين وعبأوهم لهذه الغاية وما كاد هذا الخطر ينجلي حتى مني العالم الاسلامي بخطر جديد مصدره اوربا التى اصابت حظا وافرا من التقدم اثر النهضة العلمية التى فسحت لها اسباب التطور منذ القرن الخامس عشر فاخذت الغزوات الاستعمارية تتوالى على الاقطار الاسلامية من انجلترا وفرنسا واسبانيا وهولندا والبرتغال ، ودخلت الخلافة الاسلامية التى كانت تتركز فى استامبول فى حرب ضروس انتهت بسقوطها فنصبت معاهدة سيفر سنة 1924 على نهايتها ؛ وهكذا تمت السيطرة الاوربية على الاقطار الاسلامية بدون استثناء .

ولم تخمد جذوة التضامن الاسلامي فى نفوس المسلمين بالرغم عن ضعفهم ووقوعهم فى يد الاستعمار الغربي ، ولا نغلو فى شيء ؛ اذا ذكرنا ان فكرة التضامن الاسلامي اكثر اصالة من اي فكرة اخرى فى ضمير الشعوب الاسلامية كما لا نجفو الحقيقة اذا اكدنا انه لم يتفق لفكرة ان لقيت حربا عوانا مثلما لقيته فكرة التضامن الاسلامي . وقد تعدد خصومها بقدر الاشكال التى برزت فيها عبر العصور . ذلك «ان فى العرف الاسلامي تصورا يتعلق بالفرد فى الجماعة ويمنح الناس وسيلة للترابط واحساسا بالاتحاد لا يوجد احيانا فى التصورات الغربية الحديثة للانسان . هذه الشخصية المتحدة يعمل فى تكوينها التصور الخاص « بدار الاسلام » اي تآخي المسلمين . وليس هذا التصور مجرد تفكير نظري ، انه واقع غير محسوس يضفي على كل مسلم شعورا بالترابط الوجداني مع كل مسلم آخر كما يهبه احساسا بالامن . فهو ينتمي الى كل من يعلو عن فروق اللون والطبقة والجنسية ونظم الدولة ؛ انه يستطيع ان يحس بانه فى داره فى ارض شاسعة متناثرة من الساحل الاطلنطي لافريقيا الى قلب المحيط الهادىء حيثما كان الاسلام هو الدين السائد والثقافة الغالبة (3) »

هذا الشعور هو الذى انقذ الديار الاسلامية من المحن والهجمات التى تعرضت لها خلال التاريخ ؛ لقد كان من اهم العوامل فى استرجاع حرية الاقطار الاسلامية وافاد ما لم تفد المبادىء التى دعت اليها المذاهب الاجتماعية التحررية منذ القرن الثامن عشر الى اليوم ، ويكفي أن نستعرض الحركات التى قامت هنا وهناك فى العالم الاسلامي لندرك ان اكبر الفضل فى الحقيقة يرجع الى الطابع الديني الذى اضفاه قادة الرأي والساسة المسلمون على كفاحهم لتخليص اوطانهم من ربقة المستعمر . لم تتحرك الشعوب الاسلامية لوتر مثل تحركها لوتر الدين . ومن الامثلة الدالة على ذلك الثورة العربية فى مصر وثورة المهدي فى السودان والثورة الوهابية بالحجاز والثورة

(3) مأخوذ عن هارولد سميث الآنف الذكر فى بحثه عن « مذهب الاسلام فى الانسان »

السنوسية بليبيا ، والثورة الجزائرية التي قامت على اساس الدعوة الاسلامية التي بشرت بها جمعية العلماء والحركة الوطنية بالمغرب التي سبقتها الحركة السلفية .

كان للدعوة التضامن الاسلامي ماهدون اشداء على الاستعمار ، تمثل في طليعتهم جمال الدين الافغاني وتلميذه ورفيقه في العمل الشيخ محمد عبده ، ويعتبران بحق اكبر من نبهوا الشعور في الشرق الاسلامي قاطبة ؛ كان جمال الدين اكبر داعية للجامعة الاسلامية يشير بها في مختلف البلاد الاسلامية ويشرح حقيقتها كذلك في البلاد الغربية التي حل بها ؛ واقام لها دروسا وحلقات اينما ارتحل فترك اتباعا عديدين . كانت مقالاته في « العروة الوثقى » و « ضياء الخافقين » وغيرهما من الصحف العربية والانجليزية النبراس الذي هدى الناس للسبيل الاقوم . ما فتىء جمال الدين الافغاني يردد « ان للمسلمين شدة في دينهم وقوة في ايمانهم وثباتا في يقينهم يباهون بها من عداهم من الملل ، وان في عقيدتهم أوثق الاسباب لارتباط بعضهم ببعض » (4) حتى نفخ العزة في نفوسهم ودفعهم الى الثورة ضد الاستعمار وخاصة الاستعمار البريطاني الذي كان اكبر عائق في طريق تقدم البلاد الاسلامية . ونفس هذه الدعوة كان يرددها الشيخ محمد عبده ؛ لكن باسلوب اقل ثورية واقرب الى المنطق والاقناع (5) . وقد تناقلت الالسنة اخبار الرجلين ؛ فكان لهما صدى بعيد .

صادف قيام هذه الدعوة حلول عصر النهضة في الشرق وبروز طائفة من رجال الفكر الذين رحلوا الى اوربا واطلعوا على نهضتها وتشبعوا بالافكار الجديدة واخذوا يروجونها بعد عودتهم ؛ نذكر من بينهم رفاعة الطهطاوي ومصطفى كامل وقاسم امين وعلي عبد الرازق . كل كان يدعو الى فكرة تحررية اما في الدين او السياسة او الاجتماع ؛ ولكن جميع الاتجاهات كانت في الواقع من البذور التي القاهما جمال الدين الافغاني ومحمد عبده . انكب الجميع على دراسة اسباب انحطاط العالم الاسلامي مبشرين بالعلاج ؛ وصدرت في ذلك الوقت رواية تحمل عنوان : « السبب اليقين المانع لاتحاد المسلمين » لاحد الكتاب المغمورين واسمه محمد كاظم تلتها مقالات ومساجلات تناول اصحابها بالبحث اسباب التفكك الموجود بين المسلمين والوسائل المجدية في التئام شملهم . وبعد قليل صدر كتاب « ام القرى » لعبد الرحمن الكواكبي يحمل دعوة صريحة للجامعة الاسلامية ؛ فقد « تخيل مؤتمرا في مكة يجمع ممثلين من مختلف الاقطار الاسلامية يبحثون فيه حالة الامة ويرسمون سبل الاصلاح ويعززون هذا العالم الاسلامي لتسري فيه رغبة الحياة ؛ وبدأت مناقشة المؤتمر حول حالة الفتور العام التي تعتري المسلمين كافة ، واحتدمت المناقشة حول الاسباب الدينية والسياسية ؛ ولم يرض المؤتمر بالاكتفاء بالبحث في الامراض وعلاجها بل اقترح انشاء جمعية دائمة تعنى باصلاح المسلمين والسهر على تنفيذ برامجها في الاصلاح» (6) .

ونشأت تبعا لهذه الافكار التي صادفت كثيرا من الرواج مدارس عدة في الاصلاح السياسي والاصلاح الديني والحكم الديمقراطي ، وتبين بوضوح الخط الفاصل بين من كانوا يرون الثورة وسيلة للاصلاح السياسي وبين الذين كانوا يرون الحكم الديمقراطي سبيلا للاصلاح السياسي . وعملت الافكار الجديدة عملها في النفوس فدفعتها الى الكفاح في سبيل حياة اكرم ؛ وكانت بمثابة الشرارة التي الهبت حمية الشعوب ونزلت بها الى ميادين النضال ضد السيطرة الاستعمارية التي كانت تقبض على بعضها بيد من حديد وتستعد للاخرى .

كان الاستعمار الغربي اذ ذاك في اوج قوته يتسابق على الفتوحات وتأمين الاسواق لتجارته والاستئثار بموارد افريقيا وآسيا ؛ ولم يكن يرعى الا ولا ذمة في الشعوب المستضعفة مستعملا جميع

---

(4) العروة الوثقى العدد الصادر في 10 — 4 — 1884 .

(5) في هذا الصدد كتب الدكتور محمد البهي استاذ الفلسفة بالازهر في بحثه عن الجماعات الفلسفية الاسلامية : « عندما حدد الشيخ محمد عبده الاسلام الذي يجب ان يتمسك به المسلمون رأى ان اتخاذ الثورة — قبل اعداد العدة لها — وسيلة في اخراج المستعمر من بلاد الشعوب الاسلامية يتصل بالعاطفة والحماسة الوقتية اكثر مما يتصل بواقع الامر . ولذا رأى ان يتخذ المسلمون وقادتهم اسلوبا آخر هو ما اتخذه المسلمون الاولون في تكوين جماعتهم » .

(6) الدكتور ماهر حسن فهمي في كتابه قاسم امين ص 7

الوفد المغربي في مؤتمر القمة الاسلامي الأول برئاسة صاحب الجلالة مولانا الحسن الثاني نصره الله وأيده .

مدينة القدس ـ مسجد الصخرة المشرفة

أولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين ، يقوم على الصخرة التي ارتقى منها النبي صلعم عند عروجه الى السماء . بناه الخليفة الاموي عبد الملك بن مروان سنة 691 ميلادية . واحتله الصليبيون عام 1099 ميلادية ، وحرره صلاح الدين بعد ذلك بفترة قصيرة وأزال منه كل المعالم الصليبية . وتتجلى في هذا المسجد جمال الهندسة العربية ورقي الذوق العربي الاصيل .

الوسائل لاذلالها . كان من جملة مخططاته القضاء على الخلافة الاسلامية من الداخل والخارج تمهيدا لاستعباد الاقطار المنضوية تحت لوائها ، ومن اهم برامج بريطانيا العظمى اذ ذاك الاستيلاء على الشرق الاوسط لتأمين طريق الهند « درة التاج البريطاني » كما كانت تدعى ، بينما كانت فرنسا تشرئب لمد سيطرتها على سوريا ولبنان . وما كادت الحرب العالمية الاولى تقوم حتى كانت جميع المخططات جاهزة للتنفيذ ، ففي الوقت الذي كانت المحافل الرسمية في لندن تتعهد فيه للعرب باستقلالهم لقاء انتفاضهم على الحكم العثماني ، كانت تبرم مع فرنسا الاتفاق المعروف باتفاق سايس بيكو (7) لاقتسام اقطار الشرق العربي ، وتلتزم للصهيونية العالمية في وعد بلفور سنة 1917 بانشاء وطن قومي لها في فلسطين ، انتهت الحرب العالمية الاولى بانهيار الخلافة الاسلامية من جهة ، وبوقوع الدول العربية كافة فريسة في يد الاستعمار من جهة ثانية .

انها اكبر نكسة تعرض لها الشرق العربي وهو في بدء نهضته يسعى بمفكريه ومصلحيه في شتى الميادين لشق طريقه الى التطور ومجاراة قافلة الدول المتقدمة . اخلفت الدول الغربية — وفي طليعتها بريطانيا العظمى وعودها للعالم الاسلامي والعربي فانتهجت خلال الحربين العالميتين سياسة مبنية على الدس والتآمر وشجعت قيام اسرائيل في المنطقة العربية لعرقلة تقدمها والهاء شعوبها ، كل ذلك لاستغلال ما تزخر به المنطقة من موارد طبيعية هائلة ، وقد دلت الاحداث التي تمت بعد ذلك على ما كان الغرب بيتة من النوايا .

ولا يفوتنا ونحن نستعرض بسرعة الاحداث التي مرت بالعالم الاسلامي ان نشير الى ما قام به الاتحاد السوفياتي من جهته حيال الاقطار الاسلامية الواقعة في آسيا الوسطى اثر الحرب العالمية الاولى . فبعد قيام الثورة الشيوعية في اكتوبر 1917 وانسحاب روسيا من الحرب ، وجهت موسكو اهتمامها لتلك الاقطار . وبالرغم عن اعلان حكومة الثورة لحق الشعوب في تقرير مصيرها بما فيها الشعوب المشمولة بالنفوذ الروسي ، فقد واصلت السير على سياسة النظام العنصري فجعلت من اوزبيكستان وكازاخستان وتادجيكستان وتركمينستان جمهوريات متحدة في دائرة الاتحاد السوفياتي ، بينما الحقت عددا كثيرا من الاقطار الاسلامية بجوارها وخولتها انظمة مختلفة ، ويبلغ ما بالاتحاد السوفياتي الآن من المسلمين نحو خمسة وثلاثين مليون شخص ، وكانت هناك حركات اصلاحية يقودها زعماء مسلمون امثال اسماعيل بك غابرانسكي والمصلح الكبير عبد الرؤوف فطرت والبطل شامل الملقب بعبد القادر القوقازي تشبيها له بالامير عبد القادر الجزائري . تناولت الحركة الاصلاحية ميادين شتى ولقيت محنا كثيرة ، ولكنها تشجعت عند قيام الثورة الشيوعية وصدور اعلانها المتضمن لمبادىء تحررية فراح زعماؤها يحثون الخطى لتنظيم اقطارهم على اساس اسلامي وانظمة عصرية . ومما يذكر في هذا الصدد ان السيد اسماعيل بك غابر انسكي دعا لعقد مؤتمر اسلامي عالمي سنة 1926 عقب انهيار الخلافة الاسلامية فاجتمع المؤتمر واصدر عدة قرارات في توحيد العالم الاسلامي وادخال اصلاحات على النظم السياسية والاجتماعية . ودخلت الحركة في خلافات ايديولوجية مع الاعوان الروسيين ثم في اشتباكات مسلحة وتصفية العناصر القومية على يد ستالين وبيريا ، وتشرد من استطاع ان ينجو بنفسه في افغانستان وايران . وهكذا قضي على الحركة الاصلاحية في الهند واصبح العالم الاسلامي كله اسيرا في قبضة الغرب من جهة والاتحاد السوفياتي من جهة ثانية .

بالرغم عن هذه النكبات لم يستكن العالم العربي والاسلامي للحظ العاثر ولم يقبل الضيم ، وكانت له قوة دافعة من ذاته هي قوة الاسلام التي تابى الذل والخنوع ، وقوة من الخارج تتمثل في الافكار

---

(7) هذا الاتفاق يحمل اسم ديبلوماسيين احدهما انجليزي سيرمارك سايكس والآخر فرنسي وهو جورج بيكو وقد ابرم بينهما بلندن في شكل تبادل رسائل ما بين 9 و 16 ماي 1916 بعد اطلاع روسيا على ذلك ، وتنص على اقتسام الاراضي العربية بين انجلترا وفرنسا اما بالحاقها او بوضع حمايتها او نفوذها عليها ، وتم الاتفاق في تكتم تام لانه كان متناقضا مع الاتفاق الذي ابرمته انجلترا مع الملك حسين امير مكة وتعهدت فيه باقامة دولة عربية مستقلة ، فكان السبب في الثورة العربية ضد السيطرة العثمانية وقد نشرت حكومة الاتحاد السوفياتي نص اتفاق سايكس — بيكو بمجرد ما انسحبت من الحرب . فكان لذلك خيبة امل في وسط الشعوب العربية .

مدينـة الخليـل ـ الحـرم الابراهيمـي الشريـف

يعتبر الحرم الابراهيمي الشريـف من الآثـار الاسلاميـة العظيمة وقد بني فوق مغارة تشتمل على قبور طائفة مـن الانبياء . ويحيط بالحرم سور مبني بالحجر الضخم بناء هندسيا يثير الدهشة ويبلغ طول بعض الحجـارة مـن 5 ـ 7 امتار طولا في متر ونصف عرضا ، وفوق السـور منارتـان .

ألسنة اللهب التي التهمت الجزء الجنوبي من المسجد الاقصى ، وترتفع مئات الاقدام في سماء القدس نتيجـة الحريق المتعمد الذي شب صباح 21 / 8 / 1969 .

التحررية التي هبت على العالم ففتحت العيون وايقظت الهمم . وحملت الشعلة جماعة من قادة الرأي والسياسة في المشرق والمغرب نذكر من جماعتهم سعد زغلول وشكيب ارسلان والسنوسي وابن باديس والحركة السلفية التي انقلبت الى حركة وطنية في بلادنا دون ان نغفل عن ثورة الريف التي كان لها الصدى البعيد في المشرق من ادناه الى اقصاه . ولم تهادن هذه الحركة على قلة وسائلها القوى الاستعمارية خلال الفترة الواقعة بين الحربين العالميتين . ولم يخمد أوراها في اي بقعة من بقاع العالم الاسلامي . بل كان يسند بعضها بعضا في معركة التحرير ومعركة المصير ، ناهيك بالاعمال البطولية التي قامت بها ضد المحتل في الشرق العربي على اتساع رقعته وفي غير ما مكان من المغرب العربي . وعانت الشعوب فيها ما عانته من المحن والتضحيات . وقد تجلى التضامن الاسلامي اروع ما تجلى في هذه التظاهرات التي كانت تجري باقصى المشرق احتجاجا على ما كان يقع من تعسفات في الاقطار المغربية ، والعكس بالعكس. وازداد التضامن الاسلامي حين استفحل الخطر الصهيوني في فلسطين وبدات انجلترا تحت قناع الانتداب تمهد لقيام الوطن القومي الاسرائيلي . فقد سالدت الامة الاسلامية من اقصاها الى اقصاها القضية الفلسطينية ولم تتردد في اداء واجبها بما كانت تستطيع بالرغم عن وقوعها تحت السيطرة الاستعمارية .

واذا كانت بعض الاقطار الاسلامية كمصر وايران وافغانستان والمملكة السعودية قد استطاعت ان تتحرر من ربقة الاستعمار ، ولو انها لم تستكمل كل صفات السيادة ــ قبل نشوب الحرب العالمية الثانية ــ فان هذه الحرب بما حملته من تيارات تحررية جديدة وبما ترتب عنها بالاخص من انهاك الدول الاستعمارية قد زادت من ايمان الشعوب المستضعفة بعدالة كفاحها ودفعتها قدما لاسترجاع سيادتها ، وكانت الاقطار العربية والاسلامية في مقدمة المعركة فبذلت الكثير من الجهود حتى استطاعت ان تتخلص في فترات متلاحقة من الاستعمار الغربي وباستثناء بعض الجيوب الاستعمارية التي ظلت اسيرة لحد الساعة والتي لا محيد من انعتاقها فالنقطة السوداء في العالم الاسلامي الآن هي فلسطين المغتصبة التي منيت باحتلال من ابشع اصناف الاحتلالات التي عرفها شعب في تاريخه . تآمرت على الشعب الفلسطيني الصهيونية العالمية مع الدول الكبرى ولا تزال بعض هذه الدول تضمن بصورة او باخرى الكيان الصهيوني وتدعمه بالقوة والمال ، فتزداد جبروتا وتحديا وتشكل اكبر خطر على الدول العربية

لقد كان لقيام اسرائيل في العالم العربي اثر بعيد في قلب اوضاع الشرق الاوسط ، خاصة بعد الهزيمة التي منيت بها الجيوش العربية سنة 1948 والهجوم الثلاثي على مصر سنة 1956 ، وبعد الثورة المصرية سنة 1951 وما تلاها من مضاعفات وانعكاسات على الشرق العربي عموما وبعد الدعم المستمر الذي كانت تلقاه اسرائيل من لدن الغرب اضطرت انظمة الحكم القائمة في المشرق ــ وخاصة منها الانظمة الثورية ــ أن تبحث عن حلفاء يمدونها بالعون المادي والمعنوي . وتبلورت القومية العربية فاصبحت بالنسبة للانظمة الثورية على الخصوص الدرع الواقي ضد الاطماع الاستعمارية والتوسع الصهيوني وهبت على المنطقة تيارات فكرية ومذاهب جديدة تمت باوثق الصلات الى الاشتراكية العالمية ، فوجدها الاتحاد السوفياتي مناسبة للتسرب الفكري والمادي الى هذه المنطقة واتخاذ موطىء قدم بها ، وهو حلم طالما كان يراود افكار ساسة روسيا القيصرية ، فتحقق على يد النظام البولشفيكي . وبفعل التطاحن المذهبي ، اصبحت دول الشرق العربي ممزقة الفؤاد بين المعسكرين المتنافسين على النفوذ في العالم ، وكل من المعسكرين يسعى لمصالحه الخاصة ولا يمنح « صداقته » او « معونته » الى تلك الدولة الا بالقدر الذي يضمن معها تلك المصالح وما اكثرها . . . لما تحتويه ارضها من الذهب الاسود عصب الصناعة الغربية الذي يدر ارباحا باهظة على الدول الغربية ، زيادة على الاهمية الستراتيجية التي يكتسيها الشرق العربي في الرقعة العالمية . لقد شاهدنا في العقدين الاخيرين احتدام النزاع بين الدول العربية الثورية والاخرى ذات الانظمة التطورية ، وما ترتب عن ذلك من انقلابات في انظمة الحكم ونزاع مسلح على ارض الوطن العربي بين الاشقاء . ولم تنفع جامعة الدول العربية التي ينص ميثاقها على منع كل التحام بين الاعضاء في حسم هذه النزاعات فكان فشلها واضحا بينما كانت اسرائيل تقف موقف الشامت وتستفيد من هذا الوضع وقد تجلى مدى ما استفادته في حرب يونيو 1967 . .

قبيل هذه الحرب بثلاث سنوات ظهرت على مسرح الاحداث في العالم العربي الدعوة من جديد الى التضامن الاسلامي لمواجهة القضايا والمشاكل التي كانت تجابه هذا العالم وما تزال . وما انفكت هذه الدعوة ان انقلبت الى دعوة « لمؤتمر قمة اسلامي » فاحدثت عديدا من ردود الفعل داخل العالم العربي وخارجه بحسب انظمة الحكم الموجودة في البلاد العربية والاسلامية وبحسب التيارات الايديولوجية التي كانت تهب على الاقطار العربية .

كيف عادت فكرة التضامن الاسلامي الى الوجود؟ وما هي الاسباب التي دعت اليها ؟ ان فكرة الدعوة الى عقد مؤتمر اسلامي للقمة ترجع في الاصل الى رئيس جمهورية الصومال الاسبق ؛ فقد صدرت عنه في مؤتمر اسلامي انعقد بموقاديشيو سنة 1964 ؛ فتبنتها «رابطة العالم الاسلامي» في المؤتمر المنعقد سنة 1965 والرابطة — كما هو معلوم — منظمة تأسست بالمملكة السعودية سنة 1961 وجعلت مكة المكرمة مقرا لها . ومن جملة الاهداف التي رسمتها لنفسها : « قيام جامعة للدول الاسلامية بغية توحيد طاقتها وتنسيق جهودها في حماية العقيدة الاسلامية والذود عن اوطان الاسلام » وقد سبق المجلس التأسيسي للرابطة ان ارسل مذكرة في هذا المعنى الى رؤساء الدول الاسلامية مقترحا خطوات ايجابية للوصول الى هذا الهدف . وكان المؤتمر الاسلامي الموسع الذي انعقد بمكة سنة 1965 اهم مؤتمر اسلامي نظمته الرابطة وشارك فيه 300 مندوب من مختلف البلاد الاسلامية ما بين وفود حكومية وشعبية والقى فيه الملك فيصل — باعتباره الرئيس الشرفي للمؤتمر — خطاب الافتتاح فاعلن : « اننا نؤيد الدعوة الى مؤتمر قمة اسلامي ليكون في مقدور اعلى قمة اسلامية ان تبحث في قضايا المسلمين وتقرر مصيرهم » . وتداول مؤتمر الرابطة في الفكرة ثم اصدر قرارا خاصا بتأييد الدعوة الى عقد مؤتمر اسلامي للقمة والتمس من الملك فيصل ان « يواصل السعي لتحقيق هذا الهدف الاساسي الكبير » . كما كلف المؤتمر الزعيم النايجري الشهيد احمد بيللو بدراسة الموضوع وتقديم تقرير عنه ؛ فانجز العمل قبل الانقلاب الذي اطاح بالنظام السابق وذهب هو نفسه ضحيته .

اما الاسباب التي اوجبت بالدعوة لانعقاد مؤتمر اسلامي للقمة فكثيرة ترجع في جملتها الى الحالة التي كان يتخبط فيها العالم العربي بالاخص . فلا يخفى ان حرب اليمن كانت مستمرة ولم ينفع في اخمادها اللقاءات الثنائية التي تمت بين المملكة السعودية والجمهورية العربية المتحدة وما ترتب عنها من اتفاق مرض ولا مؤتمرات القمة العربية التي كثيرا ما اوصت بحسم الخصومات بين الدول الاعضاء في الجامعة العربية . ومع ذلك فلم تفتر حدة الحملات الاذاعية والصحفية والمناوشات على الحدود والمؤامرات لقلب انظمة الحكم في بعض اقطار الشرق العربي وكانت الخلافات العقائدية على اشدها بسبب تسرب ايديولوجيات دخيلة في المنطقة كما سبق ذكره ؛ مما ادى الى انقسام الدول العربية والاسلامية على نفسها وشغلها على الاخطار الحقيقية التي كانت تحيط بها من كل جانب .

لوحظ ان القرار بعقد مؤتمر اسلامي للقمة لم يثر اي رد فعل في العواصم العربية لاول وهلة لصدوره عن منظمة لم تكن تعيرها هذه العواصم اهتماما كبيرا ولم تابه له الا بعد ما اخذ الملك فيصل عصا الترحال وقام بجولة في كثير من العواصم الاسلامية فزار كلا من ايران والسودان وتركيا والاردن ومالي والمغرب وتونس ، داعيا الى تحقيق المشروع . ولما لاحت في الافق خطوط نجاح الفكرة ؛ شنت بعض العواصم العربية حملة لاحباط المشروع وصورته في شكل حلف شبيه بحلف بغداد ؛ كما جردت وسائل الاعلام السوفياتية ما لديها من دعاية لمحاربة انعقاد المؤتمر . ففي تصريح ادلى به الرئيس جمال عبد الناصر لصحيفة « ايزفيستيك » السوفياتية اثناء زيارته لموسكو في خريف 1965 ورد ما يلي : « ان ثمة شعارات يجري الترويج لها مثلا فكرة اقامة حلف اسلامي ؛ وليست هذه الفكرة بجديدة ؛ فقد سبق ان شاهدنا محاولات مشابهة مثل حلف بغداد ؛ ولا اعتقد ان مصير هذا الحلف اذا خرج الى الوجود — يمكن ان يختلف عن سابقيه » .

وقد حمل الرئيس المصري حملة شعواء على الداعين للمؤتمر الاسلامي في خطاب القاه بعد ذلك بمدينة السويس ؛ ثم ترددت اصداء معارضة الفكرة في العواصم العربية التقدمية بالشرق .

لم تثن تلك الحملات الملك فيصل عن مواصلة العمل الذي كلفته رابطة العالم الاسلامي بتحقيقه وشرحته في البيان الذي اصدرته ذاكرة « انه اداء فريضة الله علينا في تبليغ دعوة الاسلام وشرح مبادئها وتعاليمها ودحض الشبهات عنها ومجاهدة

— المسجد الاقصى هو اول القبلتين وثالث الحرمين
— يقع في الجهة الجنوبية من رقعة الحرم الشريف
— يتكون المسجد من مستطيل تبلغ مساحته 80 متر طولا في (55) متر عرضا ، وهو مقسم الى خمسة عشر رواقــا .
— يقوم المسجد على ثلاثة وخمسين عمودا من الرخام وتسع واربعين دعامة مربعة الشكل
— في القرن الحادي عشر الميلادي عبثت ايدي الصليبيين بالمسجد ولكن صلاح الدين الايوبي رمم وجدد ما خرب منه واحضر له منبرا يعتبر تحفة فنية رائعة ، وهو المنبر الذي حرقه اليهود يوم 21 / 8 / 1969 .
— توالت يد التجديد والترميم على المسجد حتى اقدمت السلطات الاسرائيلية المجرمة على حرقه يوم 21 / 8/ 1969 .



المسلمون يؤدون صلاتهم في باحة المسجد الاقصى المبارك وامام قبة الصخرة المشرفة قبل العدوان الاثيم .

المؤامرات الخطيرة التي يريد بها اعداء الاسلام فتنة المسلمين عن دينهم وتمزيق وحدتهم واخوتهم والنظر في القضايا الاسلامية بما يحقق مصالح المسلمين وآمالهم » . وقد قام الملك فيصل خطيبا في البرلمان الايراني فذكر ان العالم الاسلامي في حاجة الى التضامن لحماية الدين والنهوض بالامة الاسلامية ومقاومة موجة الانحرافات والمبادىء الملحدة . وفي خطابه بالخرطوم ذكر ان المؤتمر يهدف لدعوة المسلمين والتعاون والتعارف فيما بينهم لما فيه صلاح دينهم ودنياهم » ولا علاقة له بالاحلاف المعروفة ولا ببث العداوة والبغضاء بين المسلمين وغيرهم ولا بخدمة اغراض سياسية ، وانما هو « يدعو الى الله ويدعو المسلمين الى المحافظة على دينهم والتعاون فيما يصلح دنياهم » . وكان الملك فيصل يردد ان ثلاث قوى تناهض تحقيق هذا المؤتمر : الاستعمار والصهيونية والشيوعية .

كان المؤتمر اذن يهدف – بحسب تصريحات القائمين به – الى الدفاع عن الفكرة الاسلامية ودفع الشبهات عنها وتصحيح الانحرافات التي شغلت العالم العربي والاسلامي واشاعت الفتنة والشقاق في اجزائه ، وقد وجدت هذه الدعوة معارضة شديدة من لدن بعض الجهات التي كانت تخشى على نفوذها من نجاح فكرة التضامن الاسلامي . لقد صادف قيام الدعوة الى مؤتمر قمة اسلامي دعوة الفاتكان هو كذلك الى توحيد صفوف المسيحيين والنتائج التي ترتبت عن ذلك . وعبر المطران اللبناني المعوشي عما لقيته هذه الدعوة وربطها بالدعوة الى المؤتمر الاسلامي فقال : « قامت ضجة من الملاحدة ودعاة الهدم عندما دعت الفاتكان الى مؤتمر لتوحيد كلمة المسيحيين حول عقيدتهم ولكن المؤتمر المسكوني اجتمع وكان من نتائجه ما هو معروف وسيكون الامر كذلك في حق هذا التجمع الاسلامي (8)

ظلت الدعوة الى المؤتمر الاسلامي للقمة بين مد وجزر ، بين مؤيدين ومنكرين ، وظل العالم العربي والاسلامي يعاني كثيرا من اسباب الخلاف والتناحر ، الى ان اكفهر الجو من جديد في الشرق الاوسط ونشبت الحرب بين الدول العربية واسرائيل .. وكانت النكبة ، فكان للاهتمام بمحو عار الهزيمة ومواجهة عواقبها اثره في تأخير تحقيق الفكرة .

بذلت الدول العربية قصارى جهدها على الصعيدين السياسي والدبلوماسي لمحو آثار العدوان . ولحد الساعة ، ورغم مضي سنتين ونصف ، تصر اسرائيل على احتلال اجزاء من الاراضي العربية فضلا عن فلسطين ، مواصلة عدوانها المسلح في تحد وعناد محتمية بالدول الاستعمارية ، مشجعة من لدن الصهيونية العالمية التي تستحوذ على مصادر القوة والنفوذ في الغرب وظهر جليا ان اسرائيل لا تبغي بديلا من استسلام العرب لارادتها وانها ترغب في الاعتراف بوجودها وضمان كيانها كخطوة في سبيل تحقيق مطامعها التوسعية على حساب الوطن العربي . ولقد تجاوزت الحد ، فأخذت تسعى لمحو التراث الاسلامي في البلاد التي تحتلها : هودت عشرات المساجد ، واحلت شريعتها محل الشريعة الاسلامية واللغة والبرامج العربية في المدارس العربية وتوجت كل هذه الانتهاكات بالحريق الذي التهم المسجد الاقصى في شهر اغسطس الماضي .

كان لهذا الحدث المفجع دوي مرعب لا في الراي العام العربي وحسب بل وفي الراي العام الاسلامي كذلك ، فظهرت على اثره الدعوة من جديد الى عقد مؤتمر اسلامي القمة . ووجدت آذانا صاغية وعقولا متفهمة . انعقد اجتماع وزراء الدول الخارجية في الاسبوع الاخير من اغسطس 69 بالقاهرة ، وقرر من جملة ما قرر « تأكيد اهمية عقد مؤتمر قمة اسلامي وان يعهد الى المملكة المغربية والمملكة العربية

---

(8) كتب الاستاذ احمد زكي رئيس تحرير « العربي » في هذا الصدد (ع 132 نوفمبر 1969)

« ومن الناس من يخشى ان ينعقد مؤتمر اسلامي .

وهؤلاء لم يخشوا أن ينعقد مؤتمر عربي .

وهؤلاء لم يخشوا ان ينعقد مؤتمر افريقي اكثر اممه لها باسرائيل اتصال وثيق

وهؤلاء لم يخشوا ان ينعقد مؤتمر للدول غير الملتزمة . وهم يواقعهم ، لا في نياتهم الحسنة ملتزمون الى حد غير صغير .

وتجتمع في العالم مؤتمرات قمة للاحزاب الشيوعية

وتجتمع في العالم مؤتمرات مسيحية ومنها ما تناول شؤونا سياسية حتى اذا نودي باجتماع مؤتمر اسلامي ، ظهرت الخشية وظهر الحذر القديم من ان يقول العالم ان روح التعصب الديني قد عادت » .

السعودية باجراء الاتصالات اللازمة من اجل عقد هذا المؤتمر » . وتجدر الاشارة الى ان جلالة ملك المغرب سبق ان حث على عقد هذا المؤتمر بمناسبة عيد المولد (شهر ماي) حين ظهر بما لا مزيد عليه من اليقين ان اسرائيل مصرة على عدوانها ومتربصة بالتراث والقيم الروحية الاسلامية .

وفي 5 شتنبر اجتمعت اللجنة التحضيرية للمؤتمر في مدينة الرباط واتفقت على ايام 22 الى 24 شتنبر موعدا لانعقاده في نفس العاصمة . انعقد المؤتمر ـ كما هو معلوم ـ على مستوى رؤساء الدول والحكومات الاسلامية وحضرته وفود 25 دولة ؛ وشارك في اعماله ممثلو منظمة التحرير الفلسطينية بوصفهم مراقبين .

صدر عن المؤتمر اعلان مهم تضمنت ديباجته هذا الالتزام : « ستتشاور حكوماتهم بغية التعاون الوثيق والمساعدة المتبادلة في الميادين الاقتصادية والعلمية والثقافية والروحية وحيا من تعاليم الاسلام الخالدة ؛ وتعلن التزامها بتسوية المشكلات التي قد تنشأ فيما بينها بالوسائل السلمية بما يؤكد مساهمتها في تدعيم السلام والامن الدوليين وفقا لاهداف ومبادىء الامم المتحدة » . وتضمنت المقررات التي تعهد بها رؤساء الدول والحكومات الاسلامية النقط الاساسية التالية :

1 ـ ادانة اسرائيل لما ترتكبه في البقاع المقدسة ورفض كل حل للقضية الفلسطينية لا يكفل لمدينة القدس وضعها السابق لعدوان 1967 .

2 ـ مساندة الشعب الفلسطيني مساندة تامة لاسترجاع حقوقه المغتصبة ومواصلة نضاله من اجل تحرير وطنه .

3 ـ اقامة امانة دائمة للمؤتمر الاسلامي للقمة تكون من جملة مهامها الاتصال مع الحكومات الممثلة في المؤتمر والتنسيق بين اعمالها وتقرر انعقاد اجتماع لوزراء خارجية الدول المشاركة بجدة في شهر مارس 1970 لبحث نتائج مقررات المؤتمر وموضوع تاسيس الامانة الدائمة .

تستخلص من هذه المقررات نتيجتان على جانب كبير من الاهمية :

اولا ـ بروز التضامن الاسلامي وخروجه من الاطار العاطفي الى مجال الواقع بتجليته في مظاهر التعاون بين مختلف البلاد الاسلامية في شتى المجالات وطرحه على المستوى الدولي.

ثانيا ـ اضعاف الطابع الاسلامي على القضية الفلسطينية باخراجها من اطار العروبة الضيق وتقويتها بالصبغة الاسلامية ثم عرضها دوليا على هذا الاساس بالاضافة الى صبغتها الاقليمية ؛ وبذلك يضمن دعم اكبر لحق الشعب الفلسطيني المغتصب .

ان الاتفاق الذي تم بين رؤساء الدول الاسلامية في الرباط قد انعش الآمال . وتتطلع الانظار الآن الى مشاهدة ما سيعقبه من نتائج عملية واول خطوة هي قيام الامانة الدائمة للسهر على تطبيق الاتفاق حتى لا يبقى حبرا على ورق كما حصل بالنسبة لمؤتمرات اخرى نذكر منها مؤتمر باندونغ الذي اصبح ذكرى من الذكريات فقط ؛ وكان المؤمل ان يستمر الى ان تتخلص جميع اقطار العالم الثالث من الاستعباد والاستغلال (9) .

---

(9) تجدر الاشارة بهذه المناسبة الى القرارات التي أصدرها المجلس التأسيسي لرابطة العالم الاسلامي في دورته الحادية عشرة التي عقدت بين فاتح و14 شعبان 1389 ؛ و 12 ـ 25 اكتوبر 1969 بمكة المكرمة والتي جاء فيها : « ان انعقاد مؤتمر القمة قد وضع الامة الاسلامية على بداية الطريق الواضحة .. لتحقيق الامل الكبير الذي عمل له المفكرون والرواد المسلمون خلال الاجيال المتعاقبة في قيام عالم اسلامي متضامن موحد يرتكز على اساس ثابت من العقيدة الاسلامية الغراء التي تستطيع وحدها ان تعطي للمسلمين اسباب القوة المادية والمعنوية وتمنحهم القدرة على الدفاع عن كيانهم وعقيدتهم امام كل المعتدين » . والنتيجة الهامة التي يراها المجلس هي ان يكون هذا المؤتمر ؛ منطلقا لمراحل جديدة واساسالتنظيم ثابت ومستمر تكون مهمته توسيع آفاق التعاون بين الدول الاسلامية في كل المجالات الممكنة وجمع مواردها وطاقاتها في خطة عملية وجهد منسق لتدعيم القضايا الاسلامية ، ولاسيما القضية الاولى في المرحلة الراهنة ، قضية فلسطين » .

لقد تعرض العالم العربي ـ وفلسطين بالذات ـ خلال تاريخه الطويل الى هجمات وغزوات ومخططات رهيبة اختلفت صورها بحسب الدول التى كانت تنجذب إلى المنطقة وتسعى للسيطرة عليها ، وها هو ذا اليوم يعاني من الصهيونية غزوا بلغ درجة قصوى من الضراوة . وقد جربت الحكومات العربية صده بكل ما لديها من الوسائل ومرت ازيد من عشرين سنة على قيام اسرائيل ، سلك القادة العرب خلالها عدة طرق لوضع حد لماساة وطنهم دون ان يجدوا مخرجا . وها هم اليوم قد اهتدوا الى سبيل التضامن الاسلامي فلعل فيه الامل والنجاة ، لقد جرب فى عهد صلاح الدين الايوبي ، وبالامس القريب حين كانت الشعوب الاسلامية واقعة تحت السيطرة الاستعمارية ، فاتى ثمرته . وما افاد بالامس حقيق بان يفيد فى المستقبل ، مع المحافظة على كل اساليب الكفاح والدعوة ، وعدم التفكير فى التخلي عن اقناع اي من الاجزاء التى يتكون منها الراي العام العالمي بعدالة قضية فلسطين والقضايا الاسلامية الاخرى التى اصبحت محط العدوان الصهيوني .

الرباط ـ قاسم الزهيري



بمناسبة تأسيس منظمة المؤتمر الاسلامي :

يوم التضامن الاسلامي

للاستاذ حسن السايح

تحتفل البلاد الاسلامية بيوم ميثاق التضامن الاسلامي استجابة لقرار مؤتمر وزراء خارجية الدول الاسلامية الذي انعقد في السنة الماضية بكوالالمبور، وهو يوم جدير بالامة الاسلامية التي تعيش أحداث العصر الحاضر ان تقف فيه وقفة لتستعرض الاشواط التي قطعتها والمواقف الايجابية التي سجلتها في مسيرتها نحو التماسك والتكامل بفضل العقيدة الاسلامية التي تهدف الى وحدة المسلمين وتآزرهم ليستطيعوا الاسهام في المجتمع الانساني بروح متضامنة متكاملة . تمتد دعوة الاسلام الاولى وهو يعمل لتفجير طاقة التضامن بين البشر كافة ، في دائرة ضيقة اسروية، الى دائرة اكبر منها عائلية الى دائرة اخرى قومية ووطنية هادفا لتحقيق التضامن الانساني العام حتى تستطيع الانسانية في موكبه ان تحقق معجزة الفكر والوجدان .

وقد حمل الاسلام في نظامه السياسي والاجتماعي بذور هذا التضامن سواء في توجيهاته التربوية او في تنظيماته الاجتماعية والسياسية والاقتصادية .

وانطلق الاسلام مطبقا لهذه المبادىء في حياة الرسول الذي التحق بالرفيق الاعلى بعد ان خلف اسس هذا النظام الذي يرتكز سياسيا على تحقيق عدالة اجتماعية وتكافؤا بين الفرص ومساواة مطلقة بين البشر ، ولم يحدد الرسول (ص) اى نظام للحكم وانما اعتمد فلسفة الحكم واصوله التي ترتكز على العدل والمساواة المطلقة ... وجاء الخلفاء من بعد الرسول ليتابعوا الخط المستقيم فيما سنه من انظمة اجتماعية وسياسية ، فبقي الخليفة رئيسا للدولة الاسلامية مهما تباعدت امصارها واختلفت اقطارها ، وتعدد حكامها ، وهكذا استمر عهد الخلفاء الراشدين ثم عهد الامويين ثم عهد العباسيين الذين ظهرت في عهدهم امارات متعددة ، لم تعلن الانفصام عن وحدة الجامعة الاسلامية الا في الاندلس حيث تواضع خلائف بني امية امام خلفاء بني العباس (ولو بهذا الاسم المتواضع) ، وبقيت مصر بعد انتهاء الخلافة الفاطمية تأوي الخلافة العباسية ولو شكليا حفاظا على الجامعة الاسلامية ، حتى اذا جاء العثمانيون ظلوا يسوسون البلاد الاسلامية باسم خلافة كانت قوية في اوليتها ثم لم تلبث ان ضعفت وانهارت امام تحديات الاستعمار ، وتظلمات البلاد الاسلامية التي رات فيها نوعا من التحكم الاستعماري وامام دسائس الصهيونية التي رات فيها حائلا بينها وبين امانيها الاستعمارية في فلسطين .

وقبل ذلك بنحو قرن دوت مدافع نابليون في بلاد الشرق في مصر والشام ثم تآزر الاستعمار في افريقيا الشمالية والشرق الاوسط والادنى ... يحمل بحيوية ويقظة لتصفية الفرق الاسلامية ، وامتصاص نفوذ الاسلام الروحي ... ولم يجد نابليون حرجا ان

بعلن الاسلام ليحارب الاسلام . ونجحوا الى حد فـي تفريق المسلمين واضعاف مركزهم والتشكيك فـي القوة الاسلامية ، نعم نجحوا فـي التفريـق والاضعاف والتشكيك والتصويت ولكنهم لم يستطيعوا اخماد الجذوة الاسلامية ولا اطفاء نور الله لان النور الالهي يستحيل ان يخبو لانه الحق .

وظل المفكرون المسلمون والمصلحون المخلصون يبحثون عن اسس جديدة لتضامن المسلمين في جامعة اسلامية ، وتضامن اسلامي او رابطة اسلامية او وحدة اسلامية .

وكان القرن التاسع عشر ميدانا خصبا للبحث عن هذا التضامن فقد ظهر في الهند مؤسس الباكستان الشاعر الفيلسوف محمد اقبال الذي لم يكتف بالدعوة الى الاسلام ، ولكنه صاغ فلسفة اسلامية جديدة لا تتفق والجبرية الاقتصادية ، والحتمية ، ولا الفلسفة الليبرالية الالحادية ، او المسيحية ، وكانت دعوته في شعره للجامعة الاسلامية اكثر عمقا من تحليله لهذه الفكرة في فلسفته ، لانه كان فيلسوفا نظريا ولم يكن عالم اجتماع ولا مشرعا فقيها ، وانما اراد ان يتضافر العقل والوجدان والارادة لبناء عالم المسلمين .

كما عمل جمال الدين الافغاني (المولود 1839) جهده لتوحيد كلمة الاسلام ، وكان هدفه ان يصبح المسلمون وحدة متماسكة يستطيعون ان يكونوا في عهده العالم الثاني ، كما كان يرى ان الخلافة العثمانية وسيلة لهذه الوحدة فكان يناشد الجميع بالالتفاف حولها ويناشدها هي بالعدالة والتمسك بديمقراطية الاسلام.

وقد كان رجال الفكر الاسلامي يعالجون موضوع الحكومة الاسلامية بآراء ونظريات يعرضونها فـي ابحاثهم المتعلقة (بالنظم الاسلامية) حيث حددوا نظام البيعات والالتزام بها ، ولما اصبحت السلطة بيد الحاكمين لم يبق للمفكرين الا البحث النظري فـي الموضوع ، وتناوله من الوجهين النظرية والفقهية كثير من الفقهاء المسلمين ومؤرخين : فابو الريحان البيروني (1408/440) اعلن انه لم يبق للخليفة من الامر شيء ، الا ما كان متعلقا بالدين وحرمته ، وبحث ابو الحسن على الماوردي (450 / 1058) في الخلافة بحثا نظريا حيث يرى ان مركز الخليفة انتخابي ... وسرد تاريخ البيعة منذ ايام ابي بكر ليدلي بالحجة) على ان بيعة كل من الخلفاء الراشدين صحيحة شرعا .

كما سرد شروط اهل الامامة وواجبات الخليفة الدينية والادارية والقضائية والحربية ، على ان اهم نظرية في الموضوع عند الماوردي تقوم على اساس التسليم بالواقع ، ثم جاء نظامي عروضي ليرى ان الخليفة يجب ان يكون خير المجتمع كما يرى ان الخليفة لا يستطيع ان يدير دولته ادارة حازمة لاتساع رقعتها ، ولابد ان يكون له نواب يعاونونه في الولايات النائية .

وتكلم في نفس الموضوع ابن حزم (456 /1064) والشهرستاني (548 /1153) الذي عرض لآراء اصحاب الفرق ، وبدر الدين بن جماعة وبحث فـي الموضوع بحثا اجتماعيا وسياسيا عبد الرحمن بن خلدون (808 / 1382) فتكلم عن المجتمع البشري، ورأى ان في السياسة الدينية الخير للبشر ، لان هذه السياسة تؤدي الى اسعاد المجتمع في جميع احوالهم من عبادة او معاملة حتى في الملك الذي هو طبيعي للاجتماع الانساني ، ويرى ان الحكومة الدينية هي خير انواع الحكومات ، وان غايتها هي المصلحة العامة ومنفعة المجتمع والخلافة في نظره وكالة عن النبي ، والخليفة يمثله في السلطة السياسية والدينية،ولا يمتاز عن سائر المسلمين الا من حيث كونه منفذا للاحكام وحارسا للدين كما يرى انها تطورت وتحولت عما كانت عليه في صدر الاسلام ، وانه لم يكن بأس من ان يختار المسلمون الخليفة من اصحاب العصبية ايا كانت جنسيتهم .

ولقد تحدث ابن المقفع في رسالة الصحابة من آراء اصلاحية في الموضوع وتناول الفلاسفة هذا الموضوع كذلك المسلمون الذين تأثروا بفلسفة ارسطو وافلاطون ، كابن سينا والفارابي والغزالي وابن رشد وابن الطفيل وابن باجة وابو نصر الفارابي الذي افرد في كتابه آراء اهل المدينة الفاضلة ، بابا عنوانه «القول في العنصر الرئيسي» كما ناقش الموضوع علماء الكلام وبالاخص المعتزلة في موضوع العدل ، وكذلك تعرض اخوان الصفا للموضوع من الناحية الفلسفية، وكذلك نظام الدين وزير السلطان ملكشاه السجلوقي ، في كتابه سياسة نامة الذي الفه سنة 485 هـ 1092 م فبحث مسالة اعداد الحكام وادارة الدولة ، وكذلك شهاب الدين سهراوردي (1191/587) الذي تأثر في كتابه حكمة الاشراق بما كتبه افلاطون في جمهوريته ،ونصر الدين الطوسي الشيعي الذي دخل



قطبا التضامن الإسلامي
صاحب الجلالة مولانا الحسن الثاني نصره الله وأيده في جلسة خاصة مع المرحوم صاحب الجلالة الملك فيصل الأول عاهل المملكة العربية السعودية

في خدمة هولاكو التتاري وحثه على ازالة الخلافة العباسية .

وعني ببحث موضوع الخلافة في العصر الاخير بعض المستشرقين من امثال جولدزيهر وتوماس ارنولد . (راجع النظم الاسلامية للدكتور حسن ابراهيم حسن) ... وعن مصير الخلافة الاسلامية التي بدات تتصدع منذ القرن السادس حيث اتخذ عبد المؤمن بن على مؤسس دولة الموحدين في بلاد المغرب (524 – 667 هـ) لقب خليفة وامير المؤمنين ، وتجددت رسوم الخلافة ببلاد المغرب في الوقت الذي اوشكت فيه الخلافة العباسية على الزوال وفي سنة 656 هـ سقطت الدولة العباسية ، فانتهت الخلافة واصبح في مقدرة كل امير قوي متغلب على جهة اسلامية يستجيز لنفسه لقب الخلافة ، ففي فارس اعتنق غازان (1295 – 1304 م) الاسلام ودعي له على المنابر بالقاب (السلطان الاعظم وسلطان الاسلام والمسلمين) . وتلقب الشاه رخ بلقب الخلافة ، كما تلقب ايضا ابو عبد الله محمد الحفصي في تونس (1229 – 1277) بلقب الخليفة ، كما تلقب ايضا ابو عنان فارس المريني (1348–1358م) بلقب خليفة وامير المؤمنين وامام ، واتخذ علاء الدين خلجي واوزون حسن التركماني (1453 – 1477 م) ومؤسس دولة ازبك في بلاد ما وراء النهر نفس اللقب، بل لقد اطلق سلاطين المماليك في مصر ، مثل قايتباي وقانصوه الغوري على انفسهم لقب امام .

وبهذا اصبحت كلمة (خليفة) لا تدل على الخليفة بالمفهوم الموحد للمسلمين كلهم ، وكان سقوط بغداد انقراضا للخلافة بمعناها الصحيح .

ولم يعد الخليفة كما كان في عهد الخلفاء الاربعة الذين كانوا ائمة المسلمين كما ذكر ابن جوزي في القوانين بل توارث الخلفاء لقب الامام ، حتى اخذت بعض الاقطار تنفصل عن الخلافة كالادارسة على لقب الامامة لهم ، ونقل الناصري الاموي – 350 لقب امير المؤمنين وتبعه العبيديون بافريقية وتواضع المرابطون فلقبوا انفسهم بامراء المسلمين كما عند ابن ابي زرع وغيره ، وقد لقب في بعض المسكوكات بامير المؤمنين ، اما الموحديون فلقبوا انفسهم بامراء المؤمنين كما كان الموحدون يلقبون المهدي بن تومرت بالامام وعادت الدولة المرينية الى لقب امير المسلمين ، **وهكذا بقي المغرب محافظا دائما على الوحدة الاسلامية . للخلافة في مصر** وامل كثيرا في حركة مهدي السودان لتحقيق وحدة الاسلام ، كما امل ذلك في ايران ثم في الدولة العثمانية .

وراى جمال الدين ان وسيلة تقوية الاسلام ترتكز في رفض الاحتلال الاجنبي واصلاح حال المسلمين اعتمادا على صلاحية الاسلام لكل عصر ، وقدرته على تربية الانسان وحفظ المجتمعات فيما لا تملكه الراسمالية في اوربا انذاك .

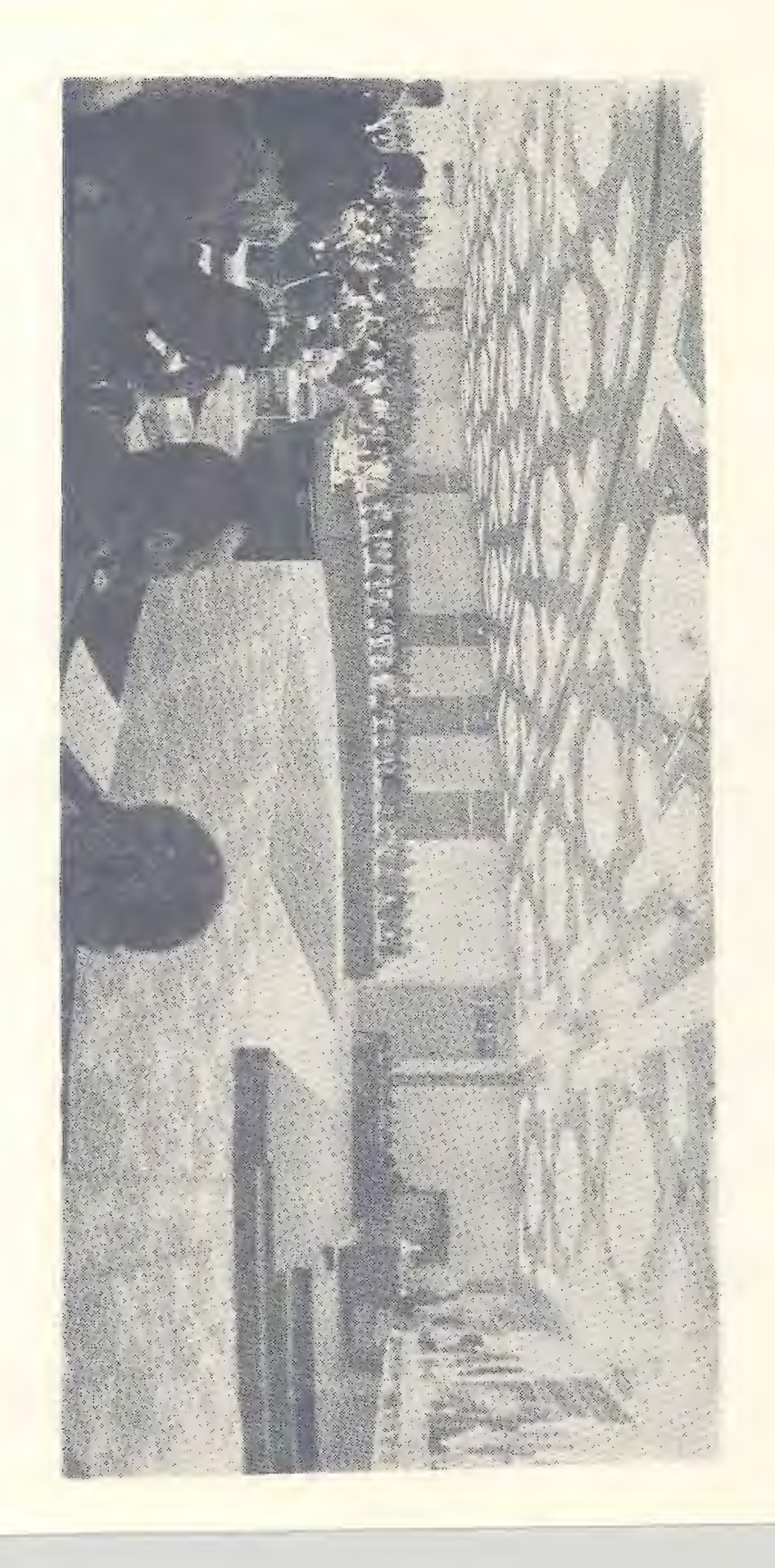
ولم يقر جمال الدين الافغاني ، الا وسيلة واحدة لاعادة قوة الاسلام ، وهي الثورة الاجتماعية نابذا الاصلاحات التربوية والتعليمية معتبرا اياها طويلة المدى دون جدوى ، ولخص الافغاني في كتابه الرد (على الدهريين) الذي ترجمه الى اللغة العربية الشيخ محمد عبده الوسائل الكفيلة بتطوير الاسلام .

وفق الافغاني في اعماله حيث استطاع ان يشجع تنمية حركة الشباب المصري التي اثارت الثورة العربية ، ونجح كذلك في قيادة ثورة اخرى في الشرق – 1891 – وكان اثره بارزا في العالم الاسلامي كله ، اذ عرفه بنواحي النقص واسلوب التخلص منه سواء في افغانستان او فارس او تركيا او الهند او مصر كما تقترن النهضة الاسلامية الحديثة بمجلة (العروة الوثقى) التي كانت تصدر في باريس بتوجيه الافغاني ومقالات محمد عبده (1849 – 1905) لتوعية العالم الاسلامي ودعوته الى الاتحاد والبحث عن معوقات تطوره ، واستطاعت العروة الوثقى ان تؤدي رسالتها وتحلل وضع المسلمين وسبب تأخرهم ، وبما ان الخلافة الاسلامية كانت تعاني نهايتها في الاستانة فقد شرحت المجلة الاسلامية معنى الخلافة واسباب تدهورها والدعوة الى المحافظة عليها لانها الخير معقل لجميع شتات المسلمين .

واتبع رشيد رضا راى الشيخ الامام في قضية جمع وحدة المسلمين عن طريق الخلافة كما هو موقف اهل السنة والف في الموضوع كتاب (الخلافة) الى القرآن والحديث والاجماع في ضرورتها ولكن على اساس انتخاب الخليفة واقامة حكومة نورية لتعالج الحكم بطريقة ديمقراطية .

وكان الزعيم التونسي باشا حماية من دعاة استقلال تونس في ظل الجامعة الاسلامية كما كان مصطفى كامل ينادي باستقلال مصر في نفس الاتجاه متحدة مع الدول الاسلامية في جامعة اسلامية.

ولقد احتفى المفكرون المسلمون في اواخر



القرن التاسع عشر بقضية الخلافة احتفاء عظيما ، ذلك ان الصهيونية ، وحركة الدونما ، والاستعمار ، كانت ترمي الى زعزعة الخلافة الاسلامية والقضاء عليها ، فاثار هؤلاء جميعا شبهات عقائدية واجتماعية حول الخلافة الاسلامية من وضع قلق مبين . ولذلك ثابت الحركات الاصلاحية في العالم الاسلامي تهتم بقضية الخلافة اهتماما كبيرا وتختلف فيها وفي وسيلة الاصلاح ، ولعل من اهم ما كتب في الموضوع واثار ضجة كبرى كتاب علي عبد الرزاق (الاسلام واصول الحكم) المولود سنة 1888 وهو تلميذ الافغاني ، ودرس في انجلترا ، وحاول ان يخوض في هـذا الكتاب الخلافة ، وتصدى للرد عليه محمد بخيت في كتابه حقيقة الاسلام واصول الحكم ادانته هيئة العلماء وطردته من جماعتها ، ويرى علي عبد الرزاق ان اساس فكرة الخلافة في القرآن والسنة غير واضحة بل انها نظرية تولدت عن (الاجماع) وهو غير حجة تاريخيا لان الخلافة انشقت عنها عدة احزاب وطوائف . بل ان الخلافة كانت نكبة على الاسلام والمسلمين . . . وجره بحثه الى فصل الدولة عن الدين . وقرر في آخر كتابه ضرورة هدم نظام الخلافة . . . وظهر في اعقاب الدولة العثمانية (كوك الب) الذي اهتم بموضوع القانون والشريعة الاسلامية . ودعا الى الفصل بين الدين والدولة ، والتمييز بين الميادين الاخلاقية المدركة عن الوحي ، وبين القانون الوضعي وتبعا لذلك رفض التيوقراطية في الحكم ورفض الخلافة ؛ ورغم ذلك فقد انعقد اول مؤتمر لبحث قضية الخلافة في 13 ماي 1926 ؛ وكان رشيد رضا من دعاة الخلافة على اساس الحد من السلطة المطلقة للخليفة مع ضرورة اجماع الامم الاسلامية على بيعته ، ودعا رشيد رضا الى تأسيس مدرسة يتخرج فيها الخلفاء والمجتهدون .

والحق ان المصلحين المسلمين في هذه الحقبة اختلفوا في التجربة الاصلاحية اختلافات عديدة ومتضاربة وفي بعض الاحيان نجد المصلحين يتنقلون عبر حياتهم في تجارب مختلفة ، فمنهم من نادى بالسلفية الخالصة والابتعاد عن حضارة الغرب كالوهابية في الحجاز والمهدوية في السودان ، ومنهم من نادى بالسلفية المتفتحة التي تأخذ من الحضارة الغربية ما يناسب الاسلام ويوافق اصوله ومنهم من راى ان التعلم والتربية هي وسيلة اصلاح حال المسلمين ، على ان آخرين راوا ان الثورة السياسية هي الحل الوحيد ، وقد نرى منهم من يرى ان تؤسس مدرسة اسلامية بعيدة عن المجتمع الاسلامي المعاصر حتى نستطيع ان نعطيها تعاليم خالصة غير متأثرة بواقع المجتمع الاسلامي ، ومن هؤلاء الافغاني في آخر حياته منتهجا نفس الطريقة التي نادى بها تولستوي . في روسيا ، وغاندي عندما كان بافريقيا ورغم هذه المحاولات فقد انتهت الخلافة وتخلت مصر عن فكرة الخلافة ناحية باستقلالها من تعسف الاتراك وكان ذلك بداية نشأة القومية العربية عند بعض انصارها ودعاتها سيما بعد انتصار ثورة اتاتورك . ورغم وجود بعض دعاة الخلافة من العلماء أو من اتباع الوهابيين كالسعوديين حيث دعا الملك عبد العزيز آل سعود لعقد اول مؤتمر اسلامي في مكة لجمع كلمة المسلمين ، ولو بدون نظام خلافة ، كما دعا الحاج الحسين سنة 1932 لجمع كلمة المسلمين في مؤتمر العالم الاسلامي وصودم الاسلام بحركة تناهضه في مصر على يد دعاة اصحاب المذاهب العقلانية والمادية تزعمها سلامة موسى واسماعيل مظهر شبلي وتصدى لهم بالنقد الرافعي وعز الدين الخطيب والمصراوي والعقاد بالاضافة الى جماعة المسلمين والاخوان المسلمين وانحلت المعركة عن دراسات اسلامية جديدة في السيرة والاقتصاد والتاريخ والفلسفة الاسلامية .

واذا كان المسلمون في حيرة فان الاسلام لم يكن قط في هذه الحيرة بل كان يملك القوة الكاملة في فلسفته ومرونته وقوته ، تلك القوة التي تنتظر التحدى لتعرب عن نفسها . . . وهكذا وجد الغرب المعتدى نفسه امام قوة لم يستطع مواجهتها بالاقتناع وانما اخذ يواجهها بالمراوغة وقص الاظفار ، فبدات حملات التشكيك تتوالى على المسلمين حتى طرحوا موضوع اسباب (تخلف المسلمين) . ولهذا لا نستبعد ان نرى بعض المسلمين يرون ان التخلف يرجع للاسلام نفسه مرددين آراء المبشرين والمستعمرين ، ولانناقش هؤلاء آراءهم لانها من السطحية والجهالة والغرض مالا يجعلها في حاجة للمناقشة . . . والمهم ان السؤال بقي ينتظر الجواب ، وجاء الامير شكيب ارسلان يكتب في نفس الموضوع كتابه (لماذا تأخر المسلمون وتقدم غيرهم) ، كما حلل حالة المسلمين في تعليقاته على حاضر العالم الاسلامي . . . واذا تصفحنا تاريخ هذه الحقبة نجد ان هـذا الموضوع اهم كل البلاد

الاسلامية ... فقد كانت الحجاز تحاول انقاذ العالم الاسلامي عن طريق الثورة الوهابية ؛ **ونرى المغرب يتزعم في اعتداليته الاراء الوهابية على يد الملك المصلح المولى سليمان الذي بعث بمنشور في الموضوع ليطبق في مختلف نواحي البلاد وكان الفقيه السنوسي احد علماء المغرب يردد على منابر القرويين الاصلاحات السلفية** ... كما عرفت الهند ؛ مطلع القرن التاسع عشر حركة اسلامية واسعة النطاق تهدف الى مقاومة الاستعمار ، وتحدى الاغلبية البوذية ... وقد اتيح لكثير من مصلحي الاسلام في الهند التعرف على الثقافة الانجليزية ومعرفة الحضارة الغربية ؛ ولذلك كانت دعوتهم قوية التوفيق بين الاسلام والتطورات المدنية اعتبارا من صلاحية الاسلام لكل زمان ومكان ؛ وقد بسط جولد زهير هذه المرحلة في تاريخ الاسلام المعاصر . حيث كانت الحركة السلفية لعودة نحو التفتح والاحياء والانبعاث . وحيث كانت المسيحية نفسها تسير في صراعاتها وحل مناقضاتها الى الاسلام .

ومن الواجب اذا ذكرت عبقرية الاسلام وقدرته على التطور والتحدى ان تذكر جهود أعظم حركة اسلامية عملت على بعثه وتقدمه ولعله لم تنجح اية حركة دينية فكرية في العالم الاسلامي نجاح الحركة السلفية ؛ هذه الحركة التي انتشرت في الشرق اواخر القرن التاسع عشر واوائل القرن العشرين ؛ وكانت لها جذور تاريخية ترجع الى ما قبل هذا القرن بكثير ... وتعتبر دعوتها بحق عاملا اساسيا في اليقظة الاسلامية الحديثة التي قاومت التبشير وكافحت دسائس الاستعمار ... ولولا هذه الحركة لهان على الغرب ان يستعبد الشرق روحيا وفكريا الى امد بعيد غير ان عزيمة هؤلاء المؤمنين السلفيين الذين استوحوا تعاليمهم من الحركة السلفية القديمة ؛ والتي رجعت الى الينابيع الاصلية للفكرة الاسلامية حطمت نوايا الغرب وبددت آماله وكانت هذه الحركة الجديدة من القوة بحيث استطاعت ان تخلق جيلا جديدا يعرف الاسلام بحق ؛ ويعرف في نفس الوقت مدى تربص الغرب بالاسلام والمسلمين ليوقعهم في حبائله ويسلخهم من مقوماتهم ثم يفصلهم عن حضاراتهم .

ان الاسلام يناصر الحركة ويؤيد العقل والمنطق ويشجب الراسمالية والاحتكار والكنز ، وقد عرف الاسلام دائما سلسلة من الثورات الاصلاحية كانت آخرها حركة الوهابية والمهدوية والسنوسية والسلفية .

❊ ❊ ❊

فلماذا لا يكون الاسلام المنقذ وهو دين مثالي وعملي عاش اربعة عشر قرنا وما يزال يستطيع ان يعطي للعالم الكثير ، بل لم تظهر نظرية علمية جديدة الا كانت فيضا عن تباشره وكانت له القدرة على تبنيها وهضمها والاستفادة منها ؛ فهو بذلك قادر على حل المشاكل البشرية كلها . ولا نستطيع ان نتجاهل العمل الاساسي الذى اسداه الغزالي وابن تيمية في القديم وجمال الدين الافغاني والكواكبي للحركة السلفية في العصر الحديث ؛ وكذلك الدور الذى قام به محمد عبده مؤسس مدرسة المنار التي كانت لها اياد بيضاء على الحركة الفكرية الاسلامية واذا كنا اليوم نرى المسلمين استطاعوا ان يقفوا في وجه الغربيين وان يتفوقوا مبدعين في شتى المجالات والميادين فليس ذلك الا بفضل هذه الحركة التي خلقت جيلا جديدا يتفهم مقتضيات العصر ومطالبه ... ويودك ان ترجع بذاكرتك القهقرى لترى المسلمين في اوائل هذا العصر وهم ينفرون من التمدن ويعيشون في جو فكرى عكر مليء بآراء بدائية لا تتصل بالاسلام وهو براء منها ؛ لا تنحدر عن الفكر السليم بقدر ما تبعد عنه ويمكن ايضا بسهولة ان ترجع الى آراء غربية منقولة عن اوروبا جعلت تدعو لحركة قومية انفصالية ؛ ولذلك شعر السلفيون بالفرق بين الدعوة السلفية وما يجب ان تكون عليه من وحدة اسلامية وبين الفكرة القومية التي برزت في الشرق فوسموا ميدانها وتولد عنها ما يسمى بالحركة الاسلامية ... وتعتبر الحركة السلفية في الشرق جذوة تديدة الالتهاب تساقطت شظاياها في كل البلاد الاسلامية ؛ على ان الشظية التي سقطت في المغرب الاقصى وجدت امامها قرائح تلتهب حماسا وافكارا تتأجج شوقا الى تحرير الفكر المغربي ؛ وكان القبس الروحي الوقاد الذى القته صحف السلفيين الشرقيين ومجلاتهم كفيلا ان يبعث العالم الاسلامي المغربي والافريقي بعثا يتناسب ومطامح الشعوب في الازدهار والتطور وكان للسلفيين اوائل هذا العصر عمل متواصل لتنظيف الفكر المسلم ، وتهيء الشباب للحياة الجديدة المعاصرة ، فلولا جهود هؤلاء لظل العالم الاسلامي مجالا صالحا لاستعباد المستبعدين واستغلال المستعمرين .

واذا فالحركة السلفية كانت عاملا من عوامل التطور العقلي في الشعوب الاسلامية ، وكانت مركز عمل وتوجيه ، كما ان معارضتها للتيار الغربي خلق في تفكيرها ذبذبة جديدة وطاقة قوية كانت سببا في هذا النشاط العميم الذي غمر العالم الاسلامي ... ثم كان من مقاومتها لمكايد الغربيين ان اصطبغت عن غير قصد بلون جديد في الجدل والحوار ، وتاثرت بانظمة الغرب واساليبه فكانت ايضا عاملا في انتشال الفكر الشعبي الاسلامي من الخمول الى العمل والى تنظيم وحدة عقيدية قضت على المشعوذين والمستغلين للصيد في مجال الفكر الاسلامي معتمدين على ساطة الدهماء في تحقيق مآرب شخصية زائفة .

ورغم ان الحركة السلفية في الشرق كان عليها ان تكون حركة اوسع من نطاق القوميات فان وجودها في عصر القوميات اعطاها صبغة للتاقلم والبيئة **اما في المغرب فيقر التاريخ ان الحركة السلفية المغربية عرفت قبل عصر الافغاني بكثير ، ولكنها لم تكن من الوضوح والنصاعة والاستعداد للعمل مثلما اصبحت عليه فيما بعد ، ولذلك فما كادت الحركة السلفية المتاخرة بالشرق تصدع بامرها حتى كان صداها في المغرب اكثر قوة واشد تاثيرا ، وحتى استجاب المغرب لندائها ، وحمل لواءها ، ولكن الحركة السلفية الفتية في المغرب لم تكن تجد من وسائل الدعاية والنشر ما كانت تجده اختها بالشرق نظرا لضعف وسائل الاعلام وتكالب المستعمرين على خنقها في المهد والقضاء عليها وليدة قبل ان تشب .**

لقد عرف المغرب الحركة السلفية عندما حمل الحجاج دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب الى المولى سليمان الذي اعجب بها وحاول نشرها بالمغرب فالف رسائله الاصلاحية وانشا خطبة امر الخطباء بقراءتها على المنابر كما سبق ، ويحدثنا الزياني والناصري عن هذه باسهاب لا محل لذكره هنا ، وجاء عبد الله السنوسي من الشرق وكان اثريا سلفيا واتصل بالمولى الحسن وحضر بنفسه دروسه بفاس ، وكان السنوسي يدعو لاصلاح العقيدة وفتح باب الاجتهاد والاخذ بالسلفية ولما كانت دعوته اقوى من عصره ثار بعض العلماء في وجه دعوته ورشقوه بسهام النقد ... كما يقول بعض رجال الحركة السلفية المغربية في كتاباته عن هذا العصر وكما ايد المولى محمد بن عبد الله خلافة العثمانيين فقد دعا خلفه الحسن الاول الى تعزيز خلافة العثمانيين ووافق على تبادل السفراء وفتح قنصليات في طنجة واستمبول غير ان الاستعمار قاوم هذه المحاولة واجهضها وما كاد الشيخ محمد عبده يرفع عقيرته بهذه الدعوة في الشرق حتى كان لها صدى في المغرب ، وتلهف المصلحون على كتب الشيخ الامام وابحاثه .

وقد كان الشيخ محمد عبده عازما على زيارة المغرب ولكن عاجلته المنية . وكما كان الشيخ محمد عبده يصادف معارضة نزيهة من بعض العلماء الذين لم يروا برايه كالنبهاني والشيخ بخيت مثلا كذلك عرف المغرب حركة تواجه السلفية ، وراى فيها بعض العلماء حركة ترجع التيفري بالتطور الفقهي والعمل على عدم مزج التصوف بالعقيدة .

ولهذا فقد قاوم كثير من رجال التصوف والفقهاء الحركة السلفية بالمغرب تارة عن نية صالحة واخرى عن تاثر بالتوجيه ... وكتب لهذه الحركة ان تنتشر في المغرب على يد كثير من العلماء المخلصين كالشيخ ابي شعيب الدكالي والشيخ ابن العربي العلوي والشيخ المدني ابن الحسني وغيرهم .

وقد عاصر الشيخ ابو شعيب الدكالي محمد عبده واظن انه اتصل به اتصال الانداد ، وكان ان بدا حركته السلفية في عهد المولى عبد الحفيظ ، وساعدته ذاكرته القوية وحافظته الجبارة ولهجته المحببة ان يخلب الالباب ويحير الاسماع ، فنجح نجاحا منقطع النظير وتبوا منصب القيادة العاطفية والزعامة الدينية في هذه البلاد .

❊ ❊ ❊

والحقيقة ان السلفية صادفت الحركات القومية في العالم الاسلامي التي تاثرت باوربا فحاصرتها ايما حصار ذلك كان موقف القوميات الاوربية من الدين المسيحي يعتمد على اعتبارات لا علاقة لها بطبيعة الاسلام وطبيعة عالم الاسلام ، فقد عرف القرن السادس عشر حركة الاصلاح

حيث انشقت الكنيسة عن نفسها وانحلت قومية اوربا الدينية لتحل مكانها قوميات وطنية ولم يكن للكنيسة موقف يرتكز على اعتبارات دينية صميمة كما هو في الاسلام وانما كانت البابوية سياسة خاصة في التعامل مع مختلف القوميات تهادنها حينا وتحاربها حينا آخر فالمسيحية كدين تترك ما لقيصر لقيصر . والمسيحية البابوية تعلي من تشاء من القياصرة وتخفض



الشيخ محمد عبده



صورة للسيد جمال الدين أهداها الى الشيخ محمد عبده وكتب عليها : « تذكرة للشيخ الفاضل محمد عبده ، يتذكر بها ما حوته الصدور ، واستقرت عليه القلوب » سنة 1885
وهو أول من نادى بوحدة المسلمين لمواجهة الاستعمار الغربي ..



الشيخ رشيد رضا بعد هجرته الى مصر فى سنة 1327

من تشاء والمسيحية كدين لا وطن لها ولا تعلق لها بالبيئة والارض بل هي دولة الله وان ارضها هي السماوات العلى حسب التعبير التاريخي للمسيحيين؛ اما البابوية فقد ملكت الارض واستعمرت الارض وساندت من القياصرة من والاها حتى اذا بدا عصر الاصلاح الكنيسي وتفككت اوصالها نشأت القوميات ولكن بقي لها سلطان روحي وقطعة قومية تقيم عليها دولة الفاتيكان .

واذا كانت القوميات مزقت الكنيسة فان وراء ذلك عامل صهيوني لا يغفل المؤرخون المحدثون ذكره بعد ان نبهوا اليه . فاليهودية قومية ودين ؛ تعتمد الشعور القومي والارض واللغة ولما لم يعرفوا في الارض امنا كانوا دعاة القوميات ليضعفوا من شأن الكنيسة التي حاربتهم بقسوة لاسباب دينية ، وحرفوا اراء الفلاسفة الى الحاد مارق ، بل كان الملاحدة الماديون في اغلبهم من مفكري اليهود الذين يصدرون بضاعتهم ويحتفظون شخصيا بدينهم وقوميتهم وليس معنى هذا ان المسيحية لم تكن تعيش المتناقضات التي افضت بها الى انهيار تلك المتناقضات التي كان من نتائجها حرب الثلاثين سنة وحرب المائة سنة ولكن البديل من النظام الكنيسي كان في بعض الاحيان ان لم يكن في الغالب من عمل الصهاينة الذين اثروا بنفوذهم المادي منذ القديم على الحركة الثورية في الغرب المسيحي طيلة القرن السابع عشر والثامن عشر .

اما اطراح قضية الدين الاسلامي في القوميات وشروط القومية فيه كثير من الحيف وعدم التبصر ، والا فلماذا يتقاتل الارلانديون الشماليون مع الجنوبيين وارضهم واحدة الا حفاظا من كل على دينه رغم ما يتبع ذلك من مصالح اقتصادية للجماعات المتدينة ولماذا يتأرجح القبرصيون بين الترك واليونان وقوميتهم واحدة ؟ ولماذا لم تفتح القومية الامريكية صدورها للسود وارضهم واحدة وبيئتهم واحدة .

وان من التسرع اتخاذ راى في موضوع الدين والقومية دون عمق التحليل بطبيعة الدين ورسالته وطبيعة القومية ونتائجها والاستغراق في ترديد الشعارات والتلويح بالمبادىء والكلمات الجوفاء .

اما الاسلام فلم يحارب القومية وانما اعتمدها في تركيبة الجماعة الانسانية الكبرى كما اعتمد الاسرة في بناء المجتمع الصغير فقد مجد قومية الفرس في أحاديث مشهورة وكان سلمان الفارسي من آل البيت ومجد الاحباش وكان بلال داعية المسلمين الى الصلاة ولكن الذين اعتمدوا فكرة القوميات من مفكري العرب سايروا الفكر الغربي اكثر من مسايرتهم لطبيعة الاسلام فكان المصلحون متأثرين بالمذاهب الغربية منذ حركة تركيا يدعون لفصل الدولة عن الدين وللنص في الدستور على لائكية الدولة ؛ وهي دعاوى لا تنسجم مطلقا مع طبيعة الاسلام وتطور المسلمين .

لان الاسلام ، قد اقر القوميات باعتبارها مجالا للعمل المتكامل ليسمو بالانسان فلم يضق باية قومية كانت سواء منذ نشأته او في عصور ازدهاره تعاليمه وبالنسبة للعرب يعتبر الاسلام هو الذى خلق القومية العربية سياسيا واجتماعيا واقتصاديا ولغويا ؛ فلولا القرآن لما توحد العرب ولولا الاسلام لظل يهود يثرب يفسدون الخلق الاعلى العربي والقيم الاخلاقية العربية ولولا الاسلام لما كانت للعرب مثل عليا في العدل والمساواة واقرار شريعة الله وحمل رسالته الى الناس اجمعين فتجاوز العرقية والوثنية والاقليمية والقبلية .

ولولا الاسلام لما اندمج الغساسنة في الروم والمناذرة في الفرس .

ولولا الاسلام لما عرفت دمشق وبغداد وتلاقحت الغارات الفارسية والهندية واليونانية والسريانية .

بل يشهد تاريخ العرب انهم كلما انحرفوا عن التعاليم الحقة للاسلام الا وتجرعوا تبعات ذلك كما وقع لهم مع الموالى في عهد بني امية ومع الشعوبيين في عهد بني العباس حسب راى من يرى فيها اتجاها تولد عن عدم اعتبار المساوات الاسلامية،ولولا الاسلام لما انتصر العرب على المغول والتتار واجلوهم عن ديارهم ولعلنا ما نزال نذكر حرب (رمضان) وانتصار العرب بمجد الاسلام الذين يخافون اليوم من الاسلام يتصورونه جمودا وانسجاما مع البرجوازية كموقف الكنيسة من من القوميات الاوربية ؛ او كما يتصور الماركسيون انه افيون للشعب او كما تصور عملاء الاستعمار انه نزعة طائفية يفسد وحدة الشعوب وهم يقلدون تاريخ اوربا .

حيث انه في تاريخ القوميات باوربا ابعاد عنصر الدين من مفهوم القومية ؛ غير ان طبيعة المسيحية وحركة تاريخ اوربا لا تتفق بتاتا وطبيعة الاسلام وتاريخ الشرق وافريقيا ؛ ولذلك ابعد علماء الاجتماع

التربيون مفهوم الدين من عناصر القومية اما عالم المسلمين فله شأن آخر ومفاهيم اخرى لا تتصل من قريب او بعيد بعالم الغرب ... فتاريخ اوربا يثبت بداية القوميات بعد انهيار الامبراطورية الرومانية حيث كانت الدولة الاورلنجية في شرق اوربا وبزنطة في غربها والانجلوساكسونية في وسطها والغالية في شرقها ، ثم بعد ازدهار المسيحية ضعف شأن هذه القوميات لتخضع لكهنوتية استغلالية انتقامية لا تمد الانسانية بالعون المادى او الادبي مما افضى باوربا الى صراعات اقطاعية تمدها الكنيسة بالعون المادى والادبي حسب مصالحها حتى اذا كان القرن الخامس عشر بدت دول لها قومياتها اللغوية والجغرافية كفرنسا وانجلترا وروسيا واسبانيا ، ولكنها كانت تخضع لاسرة ملكية ذات اصل واحد مما اغرى شارل حفيد ايزابيل وفرناند بالتفكير في امبراطورية اوربية ... لقد تسامح بعض المصلحين في الفصل بين الدين والقومية ، وبالاخص بين الاسلام والعروبة لمقاومة التتريك من جهة ثم للاحتفاظ بالمسيحيين العرب من جهة اخرى وعندما انتهى خطر التتريك ، فان مفهوم الاسلام المتسامح يضايق الكنيسة العربية في شيء ، وان اربعة عشر قرنا لشاهدة على ما نقول

ولهذا فان ظهور القومية العربية كفكرة وطنية اسلامية تعتمد الفكر الاسلامي في بيولوجياتها ليس بخطر على المسلمين بقدر ما هو تأكيد للاسلام وحقيقته وعمله ولكن تحريف القومية الى حركة تعصب فكرة الاسلام وتدينه هو اعظم خطر عليها وعلى المسلمين ، وهي عمل لتحقيق هدف استعمارى وصهيوني يحارب الاسلام في حواريه

وقد وجد المفكرون العرب انفسهم في ضرورة للبحث عن الطريق بعد تخلف العالم الاسلامي ... ومنذ احتلال مصر من قوات نابليون والمحاولات تتجدد فالجبرتي في مصر اعجب بتطور الغرب ونعى على المسلمين تركهم للتطور كما اعلن الكردودي في المغرب ضرورة الحرب النظامية والاخذ بالتقنية (والعطاء) المصرى يتحدث في (مناهج الاسباب) عن اسباب تفوق الغرب وهزيمة المسلمين لعدم اخذهم بالاساليب والمعارف البشرية المدنية ، كما يلاحظ ذلك (السليمان) في تاريخه ... وعلى هذا النهج سار بعد ذلك محمد عبده ورشيد رضا ، كما سار على هذا النهج في المغرب الشيخ ابو شعيب الدكالي في دعوته السلفية ، واتى الفكر السلفي الاسلامي على محمد حسنين هيكل الذي تأثر بالنزعة الفرنسية في مدرسة (جان جاك روسو) والعقاد المتأثر بالثقافة الانجليزية في البحث عن (الابطال) المنقذين للانسانية ... واخيرا المفكر الاسلامي حسن البنا الذي اعاد ثورة الافغاني الدينية الاصلاحية وعبد الرحمن الشرقاوي الذي كتب اخيرا (محمد رسول الحرية) ليرى في الاسلام نهجا اشتراكيا يبدأ عن الصحابي الجليل ابي ذر الغفاري .

ولعل (الارتباك) الذى عاناه الفكر العربي والاسلامي في هذه الحقبة من تاريخه يرجع اتصال الشرق بالتغييرات التاريخية الجديدة لتطور حضارة الغرب من الاقطاع الى البرجوازية ، ولذلك فقد كان مفهوم القومية ينطوي ضمنيا على المصالح الوطنية والاقليمية والتخلى عن الروابط العقائدية التي تجمع بين المؤمنين بها وقد اجتهد بعض المتحمسين المتعصبين للمسيحية ليحرجوا تاريخ الاسلام ويرمون المسلمين بالتعصب واضطهاد غيرهم .. بل وقع كثير من كتاب المسلمين في شراك التأثيرات الموجهة لتطبيق الخناق على الخلافة الاسلامية لم التركيز على (القومية) ولهذا الف شبلي شميل (شكوى وامل) كما الف فرح انطون (ابن رشد) والف كذلك المتحمسين جرجي زيدان الروايات التاريخية على انها من عاطفة الوجدان العربي،واخيرا كتب (عزوزي) كتابه بالفرنسية ومن اثر هؤلاء في المفكرين المسلمين منهم عبد الرحمن الكواكبي في (ام القرى) وبذلك فتح الباب للتاريخ الاسلامي ليقع في فخ القوميات ولم يعتبر هناك خلاف بين المسيحيين والمسلمين وانما اختلق الاستعمار هذا الخلاف الذي يقوده عملاؤه عن قصد او عن غير قصد . اما المسلمون فكانوا متمسكين بالوفاء للمسيحية والمسيح ، كما كان المسيحيون الخلص من اخلص الناس تقديرا للاسلام

وبعكس ذلك فان محمد جلال ينقل في كتابه الماركسية والغزو الفكرى عن (موروبيرجر) في كتاب العالم العربي ... لقد ثبت تاريخيا ان قوة العرب تعني قوة الاسلام،ونفس الشيء يمكن ان يتكرر اليوم حيث يحرز الاسلام انتصارات واسعة في افريقيا .

وما دام (القرآن كتاب المسلمين ودستورهم الاخلاقي والاجتماعي الا وهو يحفظ اللغة العربيـة ويذيعها ولا شك ان معرفة (الصين) باللغة العربية ، ومعرفة الماليزيين وجنوب افريقيا انما هو من ثمرة اسلامهم. واذا كانت الدول الحديثة تعمل جادة لنشر لغتها حتى تخلق بها مجالا للاقتصاد والسياسة فان العرب يستفيدون لا محالة من هذه اللغة القرآنية التي تفتح لهم مجاهل الدنيا واوارها ورغم ان (العالم العربي) تخلف حقبة جديدة فان اللغة العربية ظلت تنتشر بفضل القرآن الذي يحرسها ويذيعها ... واذا كان العالم العربي شاهد تخلفا مريرا منذ قرون ، فان (القرآن) هو الذي عصمه الانحلال التام والفناء المحيط. واذا تركنا التحليل اللغوي واثره في مفهوم القومية فان فقهاء القانون الدستوري يختلفون في تحديد مفهوم القومية هل هي مفهوم تاريخي في عصر معين حسب راي الاشتراكيين او وليدة البرجوازية كما ذكر الياس مرقص في كتابه (الماركسية والشرق) ام الامة لا يشترط لوجودها بالحتمية وجود حياة اقتصادية كما ذكر ذلك حكم دروزة في (كتابه الشيوعية المحلية) على ان (كلوفيس مقصود) يجعل للقومية العربية في الواقع العربي مدلول انتمائي ، اي بالانتماء الى الامة العربية ومدلول حركي يحتم حركة في القومية العربية ، ويفسرها مثال عملي القومية العربية بالاشتراك والحرية بينما يرى آخرون ان القومية ارتباط بالفكر والعقيدة وهو راى فكرى لتفسير الماركسية اما الماركسيون يرون ان القومية هي مجرد الواقع (حسب تفسير ستالين) ظاهرة مرحلته صاحب نشوء الراسمالية وتزول بزوالها فستالين يرى انها ظاهرة بورجوازية وهي في دور تطورها دائما انعكاس لنهوض الراسمالية ومآلها الى الزوال عندما تسود الاشتراكية . وهي راى نظرى والا فان القوميات بارزة عمليا في تنظيمات الاتحاد السوفياتي ... وهي ان القوميات لا يضايقها الاسلام بل ان مزية الاسلام التي لا تنكر انه دين حر متسامح تمثل عبر تاريخه مختلف الثقافات والفلسفات واستوعب عدة قوميات وتراكمت اليه عدة لغات ، ومصدر الغلط عدم التفريق بين مفهوم الدين الاسلامي ومفهوم كلمة دين بصفة عامة بل ان العنصر اللغوي يزيد دعم التضامن الاسلامي لان العربية لغة القرآن ذلك اللسان المشترك بين المسلمين جميعا ، ولان لغة القرآن متسامحة لا تضايق لغة ولا تضايقها لغة ، كما حدث بالنسبة للغات الفارسية والهندية والاردية والتركية والبربرية وغيرها من اللغات .

وكلنا يعرف ان المسلمين في حاجة الى اداء فروض الدين باللغة العربية ، فالمصلي يتلو الفاتحة ويقرا ما تيسر من سور القرآن ، والحاج يطوف ويسعى وهو يدعو الله بلغة القرآن بل ان اغلب المفكرين والكتاب المسلمين كانوا غير عرب فخدموا العروبة بالاسلام ولا اريد ان اثير هذا الموضوع بقدر ما اريد ان اقول ان العروبة ستكسب حصة الاسد في التضامن الاسلامي الذي يعمل للقيم الاسلامية المثلى .

لقد ادى انحراف المسؤولين الاولين عن القيم الاسلامية الى ضعف العالم الاسلامي والعربي وسقوطهما تحت الغزو التتاري المبيد والغزو الصليبي والغزو الاستعماري وقد كان كثير من مفكري العرب والمسلمين يحاولون تدارك هذا الصدع الذي تداعيه النعرات القبلية العربية والنخوة العظامية الاعجمية فالعالم الكيميائي جابر بن حيان وهو من اعظم مفكري العرب في القرن التاسع الميلادي يقول خلق الله للابواب مفتاحين وضع احدهما عند العرب ووضع الآخر عند العجم فاذا ضاعت المفاتيح بقيت الابواب مغلقة .

وكان ابن خلدون وكثير من مفكري العرب يعترفون للفرس بفضلهم على الثقافة العربية .

وكان كل ذلك دعوة صارخة للتعاون والتآزر ولكنها كدعوة المفكرين النصحاء كانت صيحة في واد .

والحقيقة ان الاسلام دين مرن قابل للتحدي يقوى على هضم الايديولوجيات المعاصرة والمدنيات الحديثة والفلسفات الجديدة حيث يصبغها بروحيته، وفعلا نرى الاسلام كيف خرج من هذه التجربة نظريا على الاقل مستوعبا ومنقحا التجربة الماركسية والليبرالية .

والعقيدة الاسلامية ظلت تحمل بذور التضامن الاسلامي تارة تكشف عنه بصراحة واخرى تتقمص الفكرة منتظرة الفرصة المناسبة ، وهي اذ تنادي بالتضامن الاسلامي تعطيه مختلف ابعاده وعناصره الدينية والسياسية والاجتماعية ، لا تلوح به لمصلحة اتجاه معين وانما تعتمد على ارضية شعبية وعناصر



لقطة من آخر جلسة لمؤتمر كوالالمبور 1969



أعضاء وفد المغرب العربي في المؤتمر الاسلامي الذي انعقد بكوالالمبور بماليزيا ، عام 1969 ، وهم من اليمين الاساتذة :

حسن ميمي ، ومحمود المسعدي وزير الثقافة التونسي وداتوه عبد الرحمن يعقوب وزير المعادن بماليزيا ، وعبد الله كنون ، وكمال الناروزي والشيخ المرحوم نعيم النعيمي .

وفي الصف الثاني الدكتور محمد السويسي ومحمد بن سلامة ومحمد بنعبد الله وحسن فطاني والسعداني ...

اصولية وانسانية ، كما انها اذ تدعو اليه اليوم تهدف الى تجميع الاقطار الاسلامية جمعاء انطلاقا من هذا التضامن الذي يهدف للوحدة الروحية التي تربط بين قلوب ابناء الامة الاسلامية وقد ساعدت الوحدة الجغرافية الممتدة بين خطوط عرض متوازية التي تضم سكان منطقة معتدلة في الغالب على وحدة البيئة ومعطياتها ، مما يساعد على وحدة العقلية والانتاج الفلاحي والاقتصادي في العالم الاسلامي الذي يمتد من آسفي الى مراسي الصين مستوعبا افريقيا الشمالية والوسطى ، والشرق الادنى والاوسط وحوض البحر الابيض المتوسط والذي تطل عليه آسيا الوسطى كما يشمل اجزاء من روسيا الجنوبية من تركستان وقوقاز ويضم كذلك جزءا من الهند واندونيسيا وماليزيا وجزر الهند الشرقية بالاضافة الى جماعات اسلامية مبثوتة في اوربا وآسيا وامريكيا وافريقيا ، ويضم العالم الاسلامي قوميات مختلفة ، عربية وفارسية وبربرية وكردية وهندية وغيرها كما يضم الوانا مختلفة من ابيض واسود واصفر ، وكذلك يستوعب بلغات عديدة ولهجات كثيرة وتمتد رقعته الى افريقيا وآسيا واوربا .

واذن فالتضامن الاسلامي يملك امكانيات جغرافية وثقافية واقتصادية ، تهدف الى تركيز وحدة واقعية جغرافية وتاريخيا ، كما تهدف الى خلق تعاون وثيق بين مجموعة متساكنة في ارض حية ذات اسس روحية متحدة تيسر لهم اتصالات ثقافية واقتصادية لانها تعتمد على اساس واضح في خلق الانسان واعطائه مفهوما اخلاقيا وثقافيا موحدا مما يسهل التعارف والاتحاد ووحدة العمل ... ومهما يختلف انصار القوميات في تحديد مفهوم القومية واعطاء مفهوم للانسان ، فان الذي لاشك فيه ان الاسلام اعطى للمسلم شخصية واضحة مفهومة ذات ابعاد اخلاقية واجتماعية ، واذا كانت هناك قومية ما تستفيد من هذه الرابطة وهذه الجامعة ، فهي الامة العربية التي تتكلم لغة القرآن فتزيدها اللغة قوة وعصبية وتعيش في نفس الوقت حضارة الاسلام وتراثه اللغوي .

ولقد اختلف اصحاب القوميات العربية في تفسيرها وتحديدها ممثلا بقول الاستاذ احمد لطفي السيد انها رابطة بين امم اتسعت بينهما دائرة المتشابهات وضاقت دائرة الفروق .

وقال زكي مبارك : (العروبة لغة لا جنس) وراى آخرون انها الشعور الموحد الذي يجمع الامة العربية الواحدة التي تسكن الوطن العربي الواحد الممتد بين ايران الى الاطلس ، وبين تركيا الى الصحراء الكبرى والتي تربط بين ابنائها اللغةوالتاريخ والبيئة والجغرافية والمصالح المشتركة .

وكان الخليفة عمر بن الخطاب ادرك الناس لمفهوم العروبة حين راى ان العرب مادة الاسلام ... وعندما برزت فكرة القومية العربية كان عليها ان تجد مضمونا ومحتوى لعقيدتها فراى بعضهم كالاستاذ محمد المبارك السوري عدم الحاجة الى مذهب عقائدي للعروبة لان العروبة دعوة من الدعوات الانسانية منذ دعوة ابراهيم عليه السلام (انظر الامة العربية في معركة تحقيق الذات ص 56)

وقال اصحاب الاشتراكية العلمية كالاستاذ بلوقيس في كتابه ازمة اليسار العربي بضرورة نهج علمية فكرية ذي هياكل نظرية تضبط خطواتنا وتضبط سير القوى المعباة في الامة وهي لا تحصل الا بالالتزام نهج علمي يحدد معالم النظرة الى الحياة .

وتمخضت هذه الابحاث عن اسئلة علمية تتساءل عن الانسان العربي وحقيقته ورسالته وغير ذلك .

فقال بعضهم العربي يتكلم العربية ، ويفكر تفكيرا عربيا وقال بعضهم هو من يشعر بالعروبة وراى آخرون ايضا انها (الارادة المشتركة للوجود الجماعي) اي انها رابطة ادبية . واضطر كثير من انصار العروبة الى القول بالاستعراب بالنسبة للاكراد والارمن والبربر ، بل اضطر كثير الى التنازل عن هؤلاء جميعا كما اضطر بعض انصار القومية العربية الى النص على ان العربي هو الذي يتكلم العربية ويشعر انها لغة امته تفاديا من ضعف اللغة كعامل في تقوية الوحدة ، كما وقع في بعض البلاد الغربية ، وقد اكد تاريخ العرب الحديث ان رابطة اللغة لا تكفي لاقامة الوحدة ، وكتب بعض مفكري العروبة ، ليدافع عن العروبة بمفهومها الجديد المعاصر فابعد عنصر اللغة والدين من مفهوم القومية معتمدا العامل الجغرافي وحده كما نادى غيره من مفكري القومية العربية بالاعتماد على خصائص الروح العربية وقيم الفكر العربي غير مرتكز كل الارتكاز على روابط الجغرافية واللغة والتاريخ ، وشعر آخرون كابن خلدون وساطع الحصري بضعف اللغة القومية كعنصر

فى القومية فزاد عن عناصرها وحدة المصالح والتاريخ وهذا الجدل كله من اثر النقل عن المفاهيم الغربية .

ولقد اثرت الحضارة الغربية فى المجتمع الاسلامي وهي حضارة علمانية تفصل الدين عن الدولة فكان صدامها قويا مع الاسلام الذى لا يقر هذا الفصل بحال ، ذلك لان الغرب كان يخضع للدين المسيحي الذي ينظم علاقة الانسان بربه بينما ترك التنظيم الاجتماعي للفلسفات الوضعية والمذاهب الاجتماعية ولم يقبل الاسلام هذا الفصل لانه يجمع الدين والزمنية او المدنية على ان المتأثرين بالنزعة الغربية بقوا فى معزل عن التاثير الحق فى المجتمع الاسلامي وروجوا لاصلاحات جزئية فى نظرهم حيث قسم بعضهم الاسلام الى اسلام تقليدى واسلام معلمن .

اى يتغير الى المدنية الغربية ذات النظرة العلمية للحياة لا اسلام علماني الذى هو موقف يرفض النظرة الدينية ويخالف الاسلام تماما .

فاللغة العربية لم تكن قادرة وحدها على توجيه العرب كما ان اللغة اللاتينية لم توحد المتكلمين بها وقد اخطأ بسمارك حين سئل عن اكبر كارثة حدثت فى القرن التاسع عشر فقال ان شمال امريكا اعتنق اللغة الانجليزية ، لان امريكا الشمالية وقفت مرات ضد الانجليز .

والاسلام لم يكن مفهومه ضيقا يعنى الطائفية والاكراه وعدم التسامح والقسر اللغوى . ومن صراحة القول ان العربية بمفهومها اللغوي لم تخلق المثل العليا فى الحياة وانما اخذت المثل العليا والفلسفة الاخلاقية والمواقف فى الموت والحياة والفهم للقضايا المعاشية عن طريق تعاليم الاسلام وفلسفته وتشريعاته ونظرته للحياة . فمن الارتباك الاغراق فى جدل يضر بالعرب والمسلمين معا فى وقت عصيب من تاريخهم .

ولعل انصار القوميات دفعوا لرفض الدين اول الامر لمواجهة تحريف رسالة الخلافة العثمانية ، متأثرين بما كان فى اوربا فى اواخر القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين ؛ ولسد ما كان من محاولات عثمانية جادة لتتريك العرب فنادى عرابي بالجمهورية المصرية منفصلة عن العثمانيين ودخلت فرنسا لحماية لبنان وفصله عن العثمانيين سنة 1860 واستعمرت فرنسا الجزائر وتونس . فضعف العنصر الديني في مواجهة هذه الاحداث واصبح صوته بحا لا يجمع كلمة المسلمين تحت راية دولة تعلن احزابها الرسمية صراحة سياسة التتريك او التخلي عن العرب ، ولولا هذه المواقف لما تخلى العرب عن اعتبار الرابطة الاسلامية ، فقد كان يكفي أن يعلن الدستور العثماني المساواة بين العرب والترك حتى يقول الشاعر :

يا آل عثمان من ترك ومن عرب
وأى شعب يساوى الترك والعربا ؟

وكان رواد القومية يعتمدون على اللغة اول الامر باعتبارها الارث المشترك بينهم لمقاومة التتريك او املا فى مقاومة الاستعمار الذى غزو بالعرب كذلك فتآزر المسيحيون العرب وهم قلة مع المسلمين العرب وهم كثرة واصبح الشعار .

(عيسى واحمد فى بلواهما اعتناقا
والناطقون بحرف الضاد اخوان) .

وكما يقول بدوى الجبل :

كل الربوع ربوع العرب لي وطن
ما بين مبتعد منا ومقترب

تفنى العصور وتبقى الضاد خالدة
شجى بحلق غريب الدار مغتصب

ولكن العرب فوجئوا بعد الخلافة العثمانية باستعمار ظالم يحارب العربية كلغة والاسلام كدين ؛ بل يحارب صلابة الفكر الاسلامي والعربي معا ويحمل آراء مستوردة الى بلاد العرب تعتمد على تركيز لغة المستعمر وثقافته ساعيا الى تقويض الحضارة الاسلامية والثقافة العربية وبرزت فنيقية لبنان ؛ وفرعونية مصر ، وبابلية العراق وبربرية المغرب معتمدة توجيهات استعمارية لتفتيت قوة المسلمين والعرب ؛ وفي خضم نزعات القوميات التى ارادت ان تنسلخ من تعاليم الاسلام على نهج ما فعلت تركيا المتاثرة بنزعة علمانيا غربية تتابع اوربا من محاربة تقليدية للكنيسة ، فعادت الفكرة الاسلامية الى الظهور بعد ان فشلت الخلافة الاسلامية وتمزقت الامم الاسلامية طرائق قددا ، وظهرت من جديد دعوة للتضامن الاسلامي فى عدة محاولات انعقدت بالقدس والباكستان والصومال ومكة ثم اصبحت دعوة رسمية تنادى بها الحكومات وكان (الصومال) من اول دعاتها ؛ ثم تبنتها المملكة السعودية لاسباب دينية وجغرافية واضحة ؛ وتصدت عدة نزعات للشك فى

هذه الدعوة باعتبارها تجربة (رجعية) ورغم أن التضامن الاسلامي عاش تجارب مختلفة عبر التاريخ فانه ظل غير واضح في طريقة احياله ليخلق تقاربا بين الامم او تضامنا او وحدة او تكاملا ؛ وقد تسارع علماء الاسلام الى الدفاع عنه وتجديد مفهومه ؛ فاجتمع المؤتمر الاسلامي بمكة والمؤتمر الاسلامي بماليزيا ودافع عنه الاخوان المسلمون سرا وعلانية . . . ولذلك اصبح التضامن فكرة تعتمد على ارضية شعبية وعلى عمل قمة الهرم ايضا ، وهذا ما لم يكتب له في تاريخها الحديث .

وتبلور مفهوم التضامن الاسلامي بعد مرحلة مؤتمر مكة ومؤتمر القدس ومؤتمر كوالالمبور ومؤتمر الصومال (موكاديشو) وعمل احمد او بيلو في نيجيريا الى مرحلة مؤتمر القمة بالرباط ومؤتمر وزراء الخارجية بجدة ؛ ولعل ابرز ما يعتمد عليه التضامن الاسلامي اليوم وحدة العقيدة ووحدة لغة القرآن الاجتماعية والسياسية وتدفق العاطفة الانسانية ؛ ووضوح مفهوم الانسان المسلم مع استيعاب الاسلام لمختلف القوميات بالاضافة الى تكامل الاقتصاد الذي تمليه الوحدة الجغرافية ووحدة الكفاح ومصارعة التحدي ووحدة التاريخ الطويل المشترك لمواجهة الاستعمار الاقتصادي والثقافي والتبشيري والتضامن الاسلامي يوافق المبادئ الاسلامية على اساس فلسفي واصولي وفقهي ذلك اذا كان الاسلام في أصوله القرآنية والحديثية حدد نظاما للحكم فان هذه التحديثات تظهر في اصول الحكم فقط ، وهي اصول تعتمد الشورى ورفض الظلم وتوجب الخضوع لرأى الجماعة . ومعنى الشورى تربية الامة على الادراك الصحيح والفهم العميق لمصلحة الفرد في دائرة مصلحة الجماعة ؛ ومصلحة الجماعة التي لا تخل بحقوق الفرد على اساس اختيارى لا شبهة فيه وعلى هذا الاساس سار الرسول وخلفاؤه الراشدون من بعده ولم يقر الاسلام انظمة محددة لشورى الحكم وذلك رعيا للظروف والبيئات وانما المبدأ اقرار العدالة الاجتماعية التي لا تفرق دينيا ولا جنسيا ولا جغرافيا فتتيح للشورى في الحكم ان تبدو جلية وكذلك رفض الظلم او الانحراف عن النهج المستقيم . . . وكان الخليفة عمر مثالا صادقا لبيان الى اى مدى يستطيع الحاكم المسلم ان ينصاع لتعاليم العدل في الاسلام ويقبل النقد مهما كان عنيفا ويرد الظلم مهما حفت به المكاره ؛ كما امر بالخضوع للرأى الجماعي حتى لا تنفرد وحدة المسلمين او ينقلبوا الى طوائف يحارب بعضها بعضا .

وحتى قضية الخلافة ، ونظامها وشروط الامام ؛ لا يتضح الموقف الاسلامي منها على اساس واضح في الكتاب والسنة ؛ فالمسلمون الاولون منهم من شرط بيت الخلافة من قريش او من ابناء على او من بني هاشم . . . وكل ما اثير في الموضوع محض استنتاجات فقهية موقوتة بزمانها على ان الفقهاء قسموا في الاخير الخلافة الى قسمين ؛ خلافة نبوية اذا استكملت الشروط وخلافة ليست نبوية كما عند ابن تيمية .

وانما يأمر الاسلام بيقظة المسلمين في تطبيق تعاليمه بالاصلاح بالحسنى والامر بالمعروف والنهي عن المنكر والتشبث بالمبادىء الثابتة ولا يقر السلطة الكهنوتية ولا يخفى ان التاريخ الاسلامي اقر لاسباب جغرافية واجتماعية وحدة عدة دول لكنها كانت ترتبط في الماضي (بخلافة) روحية ، ويدعو اليوم رجال الفكر الاسلامي ان ترتبط بينهما (بتضامن) يمثل مختلف رجال الحكم والفكر ؛ ليضمنوا فعالية التضامن وهو ما يناسب مبدأ الشورى في الاسلام ؛ فالتضامن الاسلامي هو فيدرالية في العمل تتعاون فيه الشعوب الاسلامية فيما بينها في مختلف المجالات الحيوية ؛ وقد يتحقق هذا التعاون بامانة عامة دائمة ينتخب فيها الامين العام لمدة معينة ولمختلف الدول الاسلامية لتظل متعاونة متآزرة وهذه احسن نظام يمكن ان يحقق المطامح الاسلامية وهو من صميم التشريع الاسلامي الذى يراعى تطور مفاهيم الحكم وفنية العمل الاجتماعي والسياسي على اساس تحقيق مبادئ المثلى التي هي الوصول الى العدالة الاجتماعية التي يتكامل فيها الفرد مع الجماعة والجماعة مع الامة والامة مع باقي الامم الاخرى لتسمو بالانسانية جمعاء .

تخوفات مفرضة :

اما الغرب فقد عبر عن تخوفاته من هذا التضامن منذ بداية القرن العشرين وقد عبر المرشال ليوطي عن تخوف الغرب من التكتل الاسلامي حين قال بان العالم الاسلامي يشبه انبوب نحاس اذا طرقت احد جوانبه تراجع الصدى في بقيته . . . وحقا ما قال ليوطي ؛ فعندما هاجم الصليبيون القدس هبت جحافل



لقطة لأعضاء المؤتمر الاسلامي الذي انعقد في مستوى الحكومات بكوالالمبور 1969

المغرب لترد الغزو في عهد يعقوب المنصور ؛ حتى اذ اعلن الاستعمار في المغرب الظهير البربري رجعت البلاد الاسلامية عبر الهند وآسيا الوسطى انين المستنجدين لئلا يفرق الله بين العرب واخوانهم البرابر وعندما تكالبت الصهيونية على القدس تطوع المسلمون من اندونيسيا والسنغال لرد العدوان الآثم . ان الاسلام يأبى الظلم ، ويرفض التسيسة وسيكلوجية الاستعمار تريد اخضاع السكان لمصالحهم كما يقول كي دويتش في كتابه (تشريح جثة الاستعمار) وعقلية المستعمر عقلية تقسر كل الامم على اتخاذ اسلوبها للانتاج ، فتقسر الامم على ان تدخل الحضارة المزعومة لتصبح برجوازية ؛ لانها تشكل العالم على صورتها كما يقول (ماركس) .

واسلوب الاستعمار هو القضاء على شخصية المغلوب وثقافته واستبدال عزته بالاستسلام كما يرى (فانون) في المعذبون في الارض وكما ردد نفس الفكرة ابن خلدون في مقدمته قبله بستة قرون .

فمن يحول بين الاستعمار والتردي الفكري والثقافي واللغوي ان الاسلام هو الحائل الذي يجب القضاء عليه في نظر الاستعمار ولكن الاسلام لما في طبيعته من حيوية وديناميكية والمسلمون لما في تفكيرهم من نزعة عادلة وفي اخلاقهم من عزة يفوتون على المستعمر دسيسته ولعبته . والمسلمون لما في سلوكهم من وضوح لا يلتبس عليهم الامر ولو تقمص الذئب الاستعماري دثار الحمل التبشيري . والمسلمون يعرفون الرجال بالحق لا الحق بالرجال كما يقول حكماء الاسلام في القديم لذلك انهارت كل اساليب الاستعمار امام قوة الاسلام وعبقريته ؛ وانهزمت جحافل القوة وانهزم سان اوجست مرة ثانية على يد المسلمين السلفيين في المغرب كما يقول جاك بسعيرك .

ورغم الجهود الاستعمارية الليبرالية لتفتيت العالم الاسلامي والجهود الماركسية لاتهام التضامن الاسلامي بالرجعية والجمود ومركب الحياء للدعوى اليه ؛ فان المسلمين يتضامنون في كل مناسبة تضامنا تلقائيا تقدميا بالمفهوم الصحيح لمعنى التقدمية .

فاذا تخوف الاستعمار من التضامن الاسلامي ؛ فهو تخوف من قوة ثالثة تشمل معظم دول عدم الانحياز ومعظم دول البترول ؛ ومعظم دول القارات (افريقيا) ؛ ولكنه تخوف السارق ان تفضح جريمته ؛ والمغتصب ان ينتزع منه الحق ؛ والظالم ان يوضع في قفص الاتهام ، فليس الاسلام كما جرب عبر تاريخه دعوة استبدادية تعسفية ولكنه دين مساواة وعدالة ومحبة وخوف الاستعمار من اتحاد الاسلام ليس له ما يبرره الا الحقد والكراهية ؛ ولا ادل على ذلك من ان يقف احد جنرالات الاستعمار على قبر صلاح الدين في اعقاب الحرب العالمية ليقول له رغم انه جنرال لانكي : لقد عدنا يا صلاح الدين .

وكذلك يتخوف من التضامن الاسلامي آخرون من اصحاب الفلسفات الوطنية والمذاهب القومية وهو تخوف من قوة عقيدية تتحدى الايديولوجية الاشتراكية في كثير من الضراوة الفكرية والتجربة الفلسفية كما تتحدى الفكرة القومية لما في قيم الاسلام من فلسفة انسانية شمولية لاتضيق بالالسن والاجناس والبيئات وهي تخوفات صادرة عن نوايا طيبة ومشفقة على مواطنيهم ان يترددوا في نفس التجربة القاسية التي عاشوها والتي استغلت التفكير الديني لتجعل منه اداة للتخدير الفكري والاستغلال الاقتصادي .

والحق ان التضامن الاسلامي كما يفهمه المخلصون من انصاره لا يقصد ان يعيد التجربة العتيقة للعالم الاسلامي ؛ وانما يقصد العودة الى تاريخ الاسلام وعدالته ؛ وتجديده ليتصل بسياسة كل دولة حسب اختياراتها ومعطياتها ؛ ولن يكون التضامن الا تنسيقا في العمل التطويري لبناء العالم الاسلامي اقتصاديا واجتماعيا واخلاقيا وتربويا ... وليس من مصلحة الدول الاسلامية ان تفرق وحدتها وقد جمعتها العقيدة لتبحث عن احلاف يتربصون بها ؛ فالعقيدة ؛ التي جمعت بين المسلمين في هذا العالم الاسلامي الممتد لم تفرض عليهم فرضا ؛ ولم يكرهوا عليها اكراها وانما كانت استجابة لواقعهم ومعطياتهم متلائمة مع معطيات البيئة والاقتصاد والاعراف والعادات كما كانت عاملا على التقدم وما تزال تملك الرصيد الذي تحرك به عجلات تاريخها لتكون قوة انسانية ولذلك فالاسلام لا يضيق بالقوميات كما تنص التعاليم الاسلامية ، وقد جاء النص القرآني ليؤكد ضرورتها . حيث خلق الناس شعوبا وقبائل ليتعارفوا) .

وردت احاديث لتعبر عن اقرار القوميات كحديث (لو كان الايمان منوطا بالثريا لتناوله قوم

من الفرس ! » وكأحاديث اخرى فى فضل البربر ... والتـرك

وكذلك يتخوف من التضامن الاسلامي كثير مـن المسلمين خوفا من بعث مسيحية او غيرها لتواجه الاسلام من جديد .. وليس من حقنا ان نتخوف من هذه التكتلات ، اذ ستصبح فريسة لها مادامت متكتلة لتواجه عالم الاسلام ... وتكتل الاسلام ليس للغزو والفتح وانما هو تكتل انساني للدفاع عن الشخصية الاسلامية وابراز ملامحها الواقعية كمـا هـي ، وليس الاسلام بعاجز عن تحدى التكتلات اليهودية والمسيحية والليبرالية ، وهو يملك رصيدا مـن حجية تعاليم الاسـلام وقوته وفعاليتـه .

نعم هناك تخوفات حقة ؟

اذ ليس معنى ذلك ان الطريق الذى يسير فيه التضامن لتحقيق رسالته طريقا محفوفـا بالورود والرياحين وانما هو طريق شاق وعسير ، فهو في حاجة الى اعطاء الاسلام اليوم مفاهيم فلسفية تسايـر التطور والتقدم الحديثين ، وليس اشد على الشباب المسلم يأسا الا ان لا يجد فى عالم الاسلام ما يروى نهمه الفكرى والفلسفي والفني بل ان ضحالة الانتـاج الفكرى والفنى ستعزل اجيال الاسلام اليوم بعضهـا عن بعض وتعرض تجربته ـ نتيجة ضحالة الفكـر ـ للفشل كما ان الاسلام فى حاجة الى توعية مختلف الطبقات الاجتماعية بالمفاهيم الاسلامية عن طريـق التعبير الثقافي المكتوب والمسموع والمنظور ، وهذا يستوجب تغييرا فى اسلوب الوعظ والحوار وبنـاء ذلك على اساس جديد كما ان التضامن الاسلامـي ليس بموقف سياسي بقدر ما هو وعى اجتماعى ، وحق على رجال الفكر ان يكون لهم راى بجانب راى رجل الاقتصاد والاجتماع والسـياسة

فالتحجر يحول دائمـا دون تطـور المجتمـع الاسلامي ، وليس معنى اعلان الاجتهاد العام ، ولكن معنى ذلك ايجاد رجال الاجتهاد وفتح المجال لابداء الراى فى الموضوع لمصلحة فئة من الناس ولا لامة واحدة من الامم ، او دولة من الدول ، ولكنه لمجموعة متضامنة عقيديا تعمل جاهدة لتعيش حياة الكرامـة والعزة والتقدم والعلم كما تلبي معتقداتها ومبادئها وفق مبادىء الاسلام .

وان دعوة التضامن الاسلامي ، يجب ان ترتكز على اساس الترابط الحي فى انظمة التضامن المعاصر

... واهم هذه الروابط هو الاقتصاد ، والاسـلام فلسفة اقتصادية خاصة لا يمكن تحقيقها على اساس الايديولوجية الشيوعية ، ولا على اساس الايديولوجية الليبرالية بمختلف مذاهبها ، ذلك ان اسلام يواجـه المجتمع بفكر شمولي وامتداد تاريخي وجغرافي على اساس وحدة الانسان وقدرته الفائقة على التعـاون المثمـر ولذلـك فالاخـلاق الاسلاميـة لا تنفصل عن الاقتصاد الاسلامي سيما وتستطيـع الراسمالية ان تفصل الاخلاق عن الاقتصاد ، بل ان يكون الاقتصاد يعادى الاخلاق كما انها لا تنشـد المستحيل بالسير وراء تحقيق عدالـة خياليـة تتساوى فى ظلالها مختلف القدرات العضلية والفكرية

فالاقتصاد الاسلامي يعتمد وحـدة اخلاقيـة واجتماعية وسياسية ، بل على اساس اباحة الملكية المقيدة التي تنزع عند الحاجة ويشرك فيها غيـر مالكهـا عنـد الضـرورة .

وجاءت تعاليم الاسلام لتملـي عـدة تكاليـف لاستثمار المال واجتناب الضرر فى نفقته وتحديد وسائل انفاقه ، واذابته بطريقة الزكاة والصدقـة والضرائب وتفتيته بالارث ... وعدم تنميته بالقمـار والاحتيال والربا والاسراف والارتشاء .

اما الاقتصاد الليبرالي فهو يسمـح بالاستغلال والربا والاحتكار والتجهيز العسكرى للاعتداء علـى الآمنين ، وهو اقتصاد يقر كل ما ينمي المـال على اساس احتكـار الشركـات القابضـة والكارطيـل وغيرهمـا .

واما الاقتصاد الماركسي فهو يقوم على اسس الصراع الطبيعي وبذلك يجيز للبروليتاريا التحكم فى الطبقات الاخرى على اسس نظرية تراجعت عنهـا مختلف الدول الشيوعية فى تطبيقها علـى اعتبار جديد يراعي الحوافز المادية وعنصر التشجيع .

ثم تأتي الوحدة الثقافية والتعليم والجامعات فى العالم الاسلامي لتوحد بين المسلمين فى منظمـة ثقافية تضم العلماء الاكفاء والمجتهدين الذين يوجهون بآرائهم ، ويرشدون طبق تعاليم الاسـلام بجانـب التقنيين فى العلوم والاقتصاد ومـن نافلة القـول ان نقيم الدليل على وحدة الثقافة فى العالم الاسلامي ، وانما من الواجب ان يسعى المربون فـى ميـدان التعليم الى توحيد البرامج والكتب وتبادل الخبرات

وتبادل الاساتذة والطلبة ونتائج مراكز الابحاث في مختلف المستويات ومن حسن الحظ ان انشئت جمعية الجامعات الاسلامية التي سيكون لها دور ايجابي في تحقيق تقارب ثقافي وعلمي بين الدول الاسلاميـــة .

فمن حسن حظ العالم الاسلامي ان نجد فيه على الاقل بقايا جامعات عتيقة ذات تقاليد علمية ، وجامعات جديدة ولكنها تواصل رسالة الاســلام ؛ فالقرويين في المغرب والازهر في القاهرة والنجف ببغداد والزيتونة بتونس وجامعة السنوسي بليبيا والمقاصد الاسلامية بلبنان وجامعة عليكرة في الهند هي جامعـات لها تاريخها وتستطيع ان تؤدي رسالتها كما واصلت السربون واكسفورد وسلامنكا وميلانو رسالتها في تطور علمي جديـد . عشرات الكتب الغربية المتحدثة عن الاسلام ومستقبل العالم الاسلامي ، ويصعب على من يكتب بحثا مقتضبا ان يتعرض لها ولو بذكر اسمائها وملخصات لاهم فقراتها ولكن الواقع ان الكتاب الغربيين حين يعالجون قضايا الاسلام تنقصهم حالة وعي الواقع الاسلامي وتذوق العمق الثقافـي والحضـاري للاسلام ، ومن ثم يعسر ان تكون لاحكامهم آراء حتمية النتائج غير ان ذلك لم يمنعهم ان يعتمدوا النهج العلمي في البحث والاعتماد على الاحصاء والصبر في التقصي ومن الاعتراف بالجميل ان انقـل بعض آراء المفكرين الغربيين في التضامن الاسلامي .

ويلخص (ف . وفرنو) في كتابه يقظة العالم الاسلامي آراءه في مستقبل الاسلام (ص 203) بان المسلمين اليوم غير متحدين ، وان المسلمين يقلدون اوربا بسرعة ليصلوا الى مستواهـا الـذي بلغت اليه بعد قرون تحت قيادة رؤساء تنقصهم الخبرة السياسية والاقتصادية والثورات في عالم الاسلام اليوم ، في اتجاهات ثلاث ، وطنية وسلفية ، وتطويرية لتغيير المجتمع .

ويلاحظ المؤلف ان دول العالم الاسلامي الثلاث مختلفة في هدفها ، فالباكستان لها اتجاه خـاص وهو غير اتجاه تركيا ولا اتجاه الجمهورية المتحدة كما يرى ان العالم الاسلامي يملك طاقـات وامكانيات كبرى ليلعب دورا استراتيجيا لوجود الدردنيل والبسفور واقتصاديا لامكانيات البترول الذي تستغله الدول الاجنبية عنهم .

ويرى مؤلف (عالم الغد) الذي صنف مؤلفه منذ ربع قرن تقريبا ، ان العالم في آخر القرن العشرين ستسوده ثلاثة قوى قوة العالم الراسمالية وقـوة العالم الاشتراكي ، وقوة العالم الاسلامي . وقد تنبأ المؤلف للاسلام بالانتشار رغم ان المؤلف كتبدراسته في وقت كان الاسلام يعيش تحت وطأة الدوليـة والاستعمارية ولكنه ادرك (الفعالية الاسلامية) التي تستطيع ان تحقق بفلسفتها واقتناعها وتحليلها الواقعي لقضايا الانسان والمجتمع ، اما هذه القوى الرابعة فستنتصر لتكون اقوى ما في العالم .

اما مؤلف من سيسود العالم لمؤلفـه . ب . لتوس فيري في فصل (الاسلام يتحرك) انه لا يمكن ان تتكلم عن العالم اليوم اذا لم نعط للاسلام قيمته اذ نظم المجتمع والجيش والعدالة الاجتماعية ترجع للاسلام الذي اعطى للعالم اكبر علماء الانسانية كابن رشد وابن سينا .. وهو الان اخذ يتيقظ من التاثيرات الاجنبية المتحكمة فيه وقرر ان يناهض الاستعمار .

وللاسلام نظرية معروفة في التكافل الاجتماعي وعلاج الفقر واتاحة الفرص للجميع وضمان العدالة الاجتماعية وحرية الملكيـة .

ان اقتصاد العالم الاسلامي سيكون اكثر فعالية لو نظمت الاستفادة منه بطريق التكامـل الاقتصادي عن طريق المنظمات الاقليمية للتعاون الاقتصادي كمجلس الاتحاد العربي ومجلس الاقتصاد المغربي ، ومنظمة التعاون الاقليمي بين ايران وتركيا والباكستان والمنظمة الاقتصادية لباكستان واندونيسيا والمنظمة الاقتصادية الافريقية .

وعلى اساس ذلك يجب تنمية الموارد الطبيعية بالعون المتبادل بدل الاعانة الاجنبيــة المشروطة ، والجميع يعرف مدى ما في البنـوك السويسرية والانجليزية والفرنسية من اموال موضوعـة تدعم الاقتصاد الاجنبي .

وانطلاقا من ذلك يجب تأسيس بنوك اسلامية للقرض والتنمية ، واقامـة منطقة نقديـة خاصـة بها على غرار تجربة الصين الشعبية وغيرها من الدول وكذلك ان تقيم سوقا مشتركة على غرار السوق الاوربية المشتركـة .

ان الاقطار الاسلامية تملك 40 بالمائة من احتياطي العالم المعروف من النفط ، وتنتج 31

بالمائة من الانتاج العالمي للفوسفات ، وان احتياطي الفوسفات في المغرب وغيره من الاقطار الاسلامية كبيرا جدا ، وقد عثر مؤخرا فقط على 1950 مليون طن من الفوسفات في (الصحراء الغربية) .

ومن بين المواد المعدنية الاخرى ، ينتج عالم الاسلام 52 بالمائة من الانتاج العالمي للقصدير .

كما اكتشفت اخيرا كميات كبيرة من النحاس في ايران والمملكة العربية السعودية وتنتج تركيا حاليا حوالي 20 طن من النحاس سنويا .

كما اكتشفت اخيرا رواسب ضخمة في باكستان وافغانستان وايران . (راجع تقارير المؤتمر الاسلامي) .

ولتحويل الحديد الى صلب فان عملية التحويل الحديثة تحتاج الى نسبة صغيرة من المانغانيز ، والولايات المتحدة تملك كل انواع المعادن باستثناء المانغانيز ، الذى تستورده من الكونغو الاسلامية وتنتج المانغانيز بالمغرب حيث يبلغ انتاجه منه 160 الف طن سنويا كما ان المانغانيز موجود في اقطار اسلامية اخرى ويعتبر الكروم عنصرا آخر لصنع الصلب غير القابل للصدا ، وتعتبر تركيا من اكبر البلدان المنتجة للكروم في العالم . كما ان ايران وباكستان تنتجان الكروم . اما الكولمبيت وهو معدن اكتشفت حديثا فيستخدم في مركبات الصلب لجعله يتمتع بدرجة عالية من المقاومة لصنع المحركات النفاثة . وتنتج نيجيريا 80 بالمائة من انتاج العام من الكولمبيت . وقد اكتشف هذا المعدن للمرة الاولى في النيجر (كما جاء في تقرير المؤتمر الاسلامي) .

الرباط : حسن السائح

مصادر البحث

مقدمة ابن خلدون — ابن خلدون
الاسلام والتجديد — فوماس
ماركسية القرن العشرين — جارودى
الاسلام والتجديد في مصر — فوماس ار تولد
التاريخ الاسلامي والمذهب المادى — فتحي عثمان
النكبة والخطا — اديب منصور
الامة العربية في معركة تحقيق الذات — محمد المبارك
التجربة المرة — الدكتور الرزاز
العروبة — ساطع الحصرى
الماركسية والشرق — الياس مرقص
ازمة اليسار العربي — مقصود
الماركسية والمسالة الوطنية — يوسف ستالين
الشيوعية المحلية — حكتم دروزة
القومية والغزو الفكرى — محمد جلال كشك



ندوة العلماء، تاريخها ونشأتها

للأستاذ أبو الحسن على الحسني الندوي

أعلن سماحة الاستاذ السيد ابو الحسن علي الحسني الندوي امين ندوة العلماء العام ان ندوة العلماء تزمع عقد اول مهرجان تعليمي كبير بمناسبة مرور 85 عاما على تاسيس ندوة العلماء ، وذلك ابتداء من يوم الجمعة 25 شوال القادم 1395 المصادف 31 اكتوبر عام 1975م.

وقد وجهت الدعوة لحضور هذا المهرجان الى عدد من الشخصيات الاسلامية والعلمية ورجال الفكر والدعوة وخبراء التعليم فى العالم الاسلامي كله ...

وان الغرض الرئيسي من اقامة هذا المهرجان التعليمي لتنشيط حركة ندوة العلماء ولعريفها الى الناس من جديد ، وتنوير الرأي العام الاسلامي لفهم مبدء الجمع بين العلم والدين ، وبين القديم والحديث ، وتعميم هذه الفكرة فى جميع المجتمعات والاوساط فى العالم الاسلامي واقناعها بانها هي الفكرة التي يحتاج اليها الجيل المسلم فى بناء مستقبله ، وهدم ما علق بنفسه من آراء وافكار ...

ويرجى ان يحضر المهرجان شخصيات كبيرة من جميع انحاء العالم الاسلامي والعربي .

وبهذه المناسبة يسعد دعوة الحق ان تقدم الى قرائها حديثا قيما بعث به الاستاذ العالم الهندي الكبير ابو الحسن علي الحسني الندوي تحت عنوان : « ندوة العلماء ، تاريخها ورسالتها » ...

صارت قيادة المسلمين فى القرون المتأخرة الى اناس لم يكونوا جامعين بين الدين والدنيا ، فحدث فى الاسلام بدعة فصل الدين والدنيا ، فاستبد الملوك بدنياهم وانقطع العلماء بدينهم ، وبقي العامة لا قائد لهم ولا رائد ، وصار الاسلام كالنصرانية ، عرش وكنيسة ولكل رجال ، وقيصر والاله ولكل نصيب ، ولكن عرش بدون قوائم وكنيسة بغير حراس .

ولما طال بعد العلماء عن الحياة صاروا اجانب عن الحياة وعن الدين وعن السياسة ، حتى اذا تدخلوا فى شأن من شؤونها كان ذلك حجة لاهل الدنيا على اهل الدين ، لعدم خبرة العلماء وقلة مهارتهم فى شؤون الحياة وعلوم العصر .

وتشاغل العلماء بعلوم ليس لها دعوة فى الدنيا ولا فى الآخرة ، وبمسائل لا تجدي نفعا ، وتشاغلوا فى الزمن الاخير بالجدل والشقاق والتكفير والتضليل ، وصاروا يجاهدون فى غير جهاد ، ويحسبون انهم يحسنون صنعا ، فكم سالت دماء وكم جرت محاكمات لاجل مسائل فقهية فى محاكم الكفار ، وكم وقع من اهانات ذلت لها رقبة المسلمين فى الهند .

استولت اوربا على الارض ، وكانت كما وصف الله سبحانه وتعالى (من كل حدب ينسلون) فهجمت على الاسلام من طريق العقل والنقل والفلسفة والحكمة والتاريخ والادب ، ومن طريق السياسة وباسم الحضارة والثقافة ، وعجزت الآلات التي حارب بها اسلافنا علوم اليونان عن مقاومة العلوم الغربية ، فاقتضى الحال ان يجدد علماء الاسلام آلات الدفاع عن الاسلام ، ويحدثوا آلات اخرى للهجوم على العدو .

هذا : والمسلمون في الهند بين طائفتين ، طائفة قد آمنت بالعلوم الغربية بالغيب وآمنت بعصمة الغربيين في علومهم وبسيادتهم وامامتهم في كل شيء ، ودعت الى قبول نظامهم في التعليم على علاته ؛ وطائفة قد آمنت بعصمة العلماء المتأخرين في منهاج درسهم وترتيبهم للكتب ، لا يرون عنه بدلا ولا يجدون عنه محيصا ، ويرون العدول عنه في شيء ضربا من التحريف ونوعا من البدع فكاد الدين وكاد العلم يضيع بين جاحد وجامد .

ادرك هذا الخطر رجال من اهل الدين المتين والعلم الراسخ والنظر الثاقب ، في مقدمتهم العالم الكبير والشيخ الصالح مولانا السيد محمد علي المونكيري رحمة الله عليه ، وكثير من اصحاب الشيخ الكبير مولانا فضل رحمن الكنج مراد آبادي قدس الله سره وتلاميذ الاستاذ الكبير مولانا لطف الله العليكرهي ، ينتهي نسبهم العلمي الى بيت الشيخ ولي الله الدهلوي، واجتمعوا وشاوروا في الامر ، وكانوا قد اجتمعوا في حفلة مدرسة فيض عام في كانفور التي اسسها المفتي عنايت احمد (م 1279 هـ) استاذ الشيخ لطف الله.

اجتمعوا في هذه الحفلة سنة 1310 هـ وبحثوا في مسائل التعليم الديني ومستقبل المدارس العربية وشؤون المسلمين الاجتماعية والخلقية ، وصحت عزيمتهم على تأسيس جمعية دينية علمية تعنى بمسالة التعليم الديني واصلاح المسلمين الاجتماعي الخلقي ، والجمع بين طبقات المسلمين عامة وطبقات العلماء واحزابهم خاصة .

اسس هؤلاء العلماء — وهم نخبة علماء الهند — جمعية باسم « ندوة العلماء » وعقدوا حفلتها الاولى في كانفور سنة 1311 هـ تحت رئاسة الاستاذ الاكبر الشيخ لطف الله العليكرهي ، وارسلوا دعوتهم الى جمع كلمة العلماء ورفع الشقاق والنزاع من بينهم ، واصلاح المدارس القديمة والتغيير اللائق في منهاج المدارس .

اجتهد اعضاء الندوة في ذلك واجتمعوا وتشاوروا وكاتبوا وراسلوا وخطبوا وكتبوا في هذا الموضوع ، ولكن علموا بعد الاختبار ان ذلك لا يتم الا اذا اسسوا مدرسة خاصة تكون مثلا عمليا للمدارس الاخرى .

فاسسوا في لكهنؤ عاصمة الولايات المتحدة في الهند — على دعوة السري المخلص الشيخ اظهر علي الكاكوري (م 1326 هـ) دفين البقيع — مدرسة دينية عربية هي دار العلوم التابعة لندوة العلماء ، وكان ذلك سنة 1312 هـ تولى ادارتها والاشراف على شئون مدرستها رجال يمتازون بمتانة في الدين مع تسامح في الخلافيات والفروع ، ورسوخ في علوم الدين مع اطلاع واسع على شؤون العصر ، ومحافظة على الشرع والتقوى مع حب الجمع بين طبقات الامة؛ وهم من بيوتات علم ودين ، فكان مولانا السيد محمد علي المونكيري (م 1346 هـ) خليفة الشيخ الكبير مولانا فضل رحمن الكنج مراد آبادي اول مدير لندوة العلماء وخلفه مولانا مسيح الزمان الشاه جهان پوري (م 1331 هـ) استاذ سمو نظام حيدر آباد السابق ، وخلفه مولانا خليل الرحمن السهارنپوري (م 1355 هـ) ابن المحدث الكبير مولانا احمد علي السهارنپوري صاحب حاشية البخاري ، وخلفه مولانا السيد عبد الحي الحسني (م 1342 هـ) صاحب «نزهة الخواطر» والمؤلفات العربية الجليلة من بيت السيد الامام احمد ابن عرفان الشهيد ، وخلفه مولانا السيد علي حسن خان (م 1355 هـ) نجل الامير المؤلف الكبير السيد صديق حسن خان ملك بهوپال ، وخلفه الاستاذ الدكتور السيد عبد العلي الحسني نجل مولانا السيد عبد الحي مدير ندوة العلماء الاسبق .

وكان الاشراف على شؤونها التعليمية الى الى الاستاذ الكبير والمؤرخ الشهير الشيخ شبلي النعماني (م 1332 هـ) ثم الى تلميذه النابغة الاستاذ السيد سليمان الندوي .

تمتعت الندوة بحماية كبار الصالحين ورجال العلم والدين من اول يومها ، كمولانا ظهور الاسلام الفتح پوري ، ومولانا نور محمد البنجابي ومولانا

نجمل حسين البهاري من كبار أصحاب الشيخ سليمان البهلواروي ؛ والسرى الفاضل مولانا حبيب الرحمن الشرواني رئيس الشؤون الدينية فى امارة حيدر آباد سابقا من أقدم اعضاء الندوة ومن كبار حماتها ؛ والشيخ رحيم بخش وصي امارة بهلول بور سابقا ؛ والعلامة عبد الحق الحقاني صاحب التفسير المشهور ؛ والشيخ سليمان المنصور فورى ؛ والمفتى احتشام علي الكاكوروى وغيرهم .

وتولى التدريس في دار العلوم علماء كبار من مشاهير علماء الهند وخارجها ؛ كالشيخ محمد فاروق الجرياكوتي والشيخ عبد الله التونكي والشيخ محمد طيب المكي والشيخ شير علي الحيدر آباد والشيخ محمد بن الحسين اليماني والشيخ امير علي اللكهنوى والشيخ حفيظ الله البندولي ؛ والشيخ شبلي الاعظمي ؛ والشيخ حيدر حسن خان التونكي ؛ والشيخ تقي الدين الهلالي المراكشي .

تأسست ندوة العلماء على مبدأ التغيير والاصلاح فى نظام التعليم الديني وفى منهاج الدرس العربي ؛ فحذفت وزادت وغيرت واصلحت فى منهاج التعليم .

حذفت المقدار الزائد من كتب المنطق والفلسفة اليونانية التى ضعفت الحاجة اليها فى هذا العصر ؛ واعطت القرآن حقه من العناية فقررت دراسة متنه الشريف حرفا حرفا لغة ونحوا وأدبا واجتماعا وفقها وكلاما ؛ هذا ما عدا التفاسير المقررة فى الصفوف العالية ؛ والزمت تدريس القرآن والحديث بالتدريس فى سنيها التعليمية .

زادت مقدار دراسة اللغة العربية وآدابها لان اللغة العربية والادب العربي مفتاح كنوز الكتاب والسنة والرابطة الادبية فى الشعوب الاسلامية ؛ ووجهت عنايتها الى تعليم اللغة العربية كلغة من لغات البشر وكلغة حية يكتب بها ويخطب ؛ لا كلغة اثرية عتيقة ميتة ؛ والفت لذلك كتبا تساعد على ذلك ؛ وقد اقر الناس بفضل الندوة فى هذه الناحية .

قررت تدريس اللغة وبعض العلوم العصرية كالجغرافية والتاريخ والعلوم الرياضية والسياسة وعلم الاقتصاد ؛ ليطلع العلماء على مقتضيات العصر ؛ ويتسلحوا بالاسلحة الجديدة للدفاع عن الدين .

انست ما كان بين اهل المذاهب والطوائف الفقهية كالحنفية والشافعية واهل الحديث من المشاجرات ودواعي العصبية ونجحت فى ذلك نجاحا تاما فلا تشم دارها رائحة الخلاف والحقد المذهبي وترى الطلبة من كل مذهب اخوانا متقابلين فى قاعة درسهم ودار اقامتهم جنبا لجنب .

مبدء الندوة وشعارها أن تخرج من مدرستها رجالا مبشرين بالدين القديم لاهل العصر الجديد ؛ شارحين الشريعة الاسلامية بلغة يفهمها اهل العصر وباسلوب يستهوى القلوب امة وسطا بين الجامدين والجاحدين .

وقد انجبت فى مدة قليلة رجالا هم خير مثل للعالم المسلم العصري الذين قد قامت بهم حجة العلوم الاسلامية على اهل العصر الجديد ؛ ورفعوا رأس علماء الدين عاليا بين طبقات المتعلمين ؛ ولهم آثار جميلة خالدة فى الادب الاسلامي وعلم التوحيد لاهل العصر الجديد ؛ والسيرة النبوية والتاريخ ككتاب « سيرة النبي » فى ست مجلدات كبار وهي موسوعة اسلامية واكبر كتاب الف فى السيرة النبوية ومهمات الدين فى هذا العصر للعلامة سليمان الندوي؛ وكتب فى تراجم الصحابة وسيرهم للمتخرجين من دار العلوم ؛ ورسالة قيمة فى الدين والعلوم العقلية للاستاذ عبد الباري الندوي ؛ الى غير ذلك من الكتب والرسائل .

وقد انشأ المتخرجون من الندوة جمعية دار المصنفين فى أعظم كره وهي من المؤسسات العلمية الكبيرة في الهند تصدر مجلة علمية راقية شهرية باسم « معارف » .

ولدار العلوم بناية عظيمة على شاطىء نهر كومتى فى مدينة لكهنؤ ؛ ومكتبة كبيرة تحتوي على 80 الف كتاب اكثرها غير مكرر و 2000 من الكتب الخطية النادرة ؛ ودار لاقامة الطلبة ؛ ومسجد جميل .

الهند : ابو الحسن علي الحسني الندوي

بمناسبة يوم ميثاق التضامن الاسلامي

ماهو مستقبل الإسلام

للأستاذ ادريس الكتاني

كثيرا ما وضع هذا السؤال من جانب المهتمين بالاسلام ، سواء من العرب والمسلمين ، او من جانب غيرهم من الباحثين ، ومع ذلك فان السؤال سيظل موضوعا الى ان يجد الباحث المطلع الخبير الذي يجيب عنه علميا وتاريخيا واجتماعيا بطريقة موضوعية لا عاطفية ، تستند على نصوص الاحاديث النبوية التي تنبأت هي نفسها بمستقبل المسلمين ، وما سيواجهونه من تغير شامل في حياتهم ، كما تستند على تحليل طبيعة الثورة الصناعية الحديثة ، وتأثيرها البالغ في تغيير قيم وتقاليد المجتمعات التقليدية ، بما فيها المجتمعات الاسلامية . وتعالج بصفة خاصة مشاكل التوافق والاندماج بين الحضارتين الاسلامية والغربية الصناعية ، ومدى قدرة المسلمين على حل هذه المشاكل ، ومنافسة الغرب في الميدان العلمي والصناعي .

لقد اجتاز الاسلام خلال الاربعة عشر قرنا التي مرت على ظهوره عدة مراحل تاريخية : عرفه في اولها الانتشار والتمكن في الارض ، مع ادراك كامل لرسالته ، واخلاص كبير في ادائها . وجاءت المرحلة الثانية متميزة بانشاء واستقرار الدولة العربية الاولى ، وامتداد واتساع سلطانها ، ولكن هذا الاتساع الجغرافي والامتداد البشري جعلا الاسلام ينفتح على شعوب وثقافات واجناس ولغات مختلفة ، ليحقق عالميته الانسانية ، وهكذا دفعه تطوره المرحلي ليخرج من اطار عروبته المحلية ، ويبدا مرحلة ثالثة يشترك فيها مع العرب شعوب اخرى غير عربية في بناء وادارة الدولة الاسلامية العالمية . وقد احتفظ الاسلام مع هذه المرحلة ايضا ، ليس فقط بسيادته المطلقة على هذه الشعوب ، وانما بقدرته على خلق الاندماج بينها ، والتآخي بين افرادها ، وربطها في اطار (امة اسلامية عالمية) ، وامتصاص ثقافاتها المحلية ، لتصبح كلها من عناصر الثقافة الاسلامية العالمية ، ولتلتحم وتتلاقح وتزدهر ، ولتصبح بعد ذلك اساس التقدم الفكري والعلمي ، الذي سيتمخض عنه عالم القرنين التاسع عشر والعشرين . اما المرحلة الرابعة فانها تبدا بزوال السيادة عن يد العرب ، امة الاسلام الاولى ، لتنتقل كليا الى امة اسلامية اخرى ، ولتتوزع بين امم اسلامية مختلفة بعد ذلك ، وقد رافق انحسار السيادة العربية في هذه المرحلة انحسار الثقافة الاسلامية ، وتاخر الفكر والعلم العربيين . وتنتهي مرحلة التراجع هذه بوقوع اغلبية البلدان الاسلامية تحت حكم دول نصرانية استعمارية ، وزوال السيادة الاسلامية عنها ، وهذه المرحلة من مراحل الشيخوخة .

ومن خلال هذه المراحل يتبين ان سيادة الاسلام ارتبطت تاريخيا بسيادة العرب ، بحكم انهم امة الاسلام الاولى ، واصحاب لغته الدينية ، وحملة رسالته الاولون الى سائر الامم الاخرى . كما ان ضعف سيادة الاسلام ، ثم زوالها ، ارتبط بضعف ثم زوال السيادة العربية .



منظر عام لجموع المصلين حول الكعبة المشرفة فى المسجد الحرام بمكة المكرمة

وقد عرف العالم الاسلامي بعد ذلك بداية « عصر اليقظة » الذي تمثل في الاستقلال السياسي والتحرر من سلطة الدول الاستعمارية النصرانية .

ولا تزال نحن اليوم نعيش هذا العصر الذي لم يستكمل فيه المسلمون بعد يقظتهم ، ويبدو انه لابد ان يمر جيلان او ثلاثة قبل ان تتم هذه اليقظة .

ان مستقبل الاسلام مرتبط ارتباطا عضويا بمستقبل المسلمين ، والمسلمون متأخرون عن عصرهم الحالي بعدة قرون ، وهذا التأخر هو الذي خلق رد الفعل عند اجيال الشباب المعاصرة ، المتمثل في حالة التمرد والثورة على كل القيم والانظمة ، حتى الاسلامية منها ، اذ اعتقدوا انها تقف حجر عثرة في سبيل التقدم والتطور السريع ، واستدراك الوقت الذي ضاع .

وقد برهنت ماساة فلسطين منذ نصف قرن ، وحتى اليوم ، على ان شعوب العالمين العربي والاسلامي لم تستكمل بعد شروط اليقظة ، ولا اقول النهضة ، وهذا ما يفسر عدم قدرتهم على استيعاب مدركات عصرهم ، ان عصور الجهل والفقر والخمول والاستبداد امحقت شخصيتهم الدينية والقومية ، وخصائصهم الفكرية والعقلية ، وقبل ان يتم انتشار التربية والتعليم ، ومحو الامية ، وتعميم الثقافة ، ومحاربة الفقر والتخلف ، ورفع مستوى الفرد الادبي والمادي ، لا يمكن أن يسترد المسلم شخصيته — وخصائصه الضائعة .

ان الحضارة المعاصرة قامت على تقرير واستغلال ثلاث مدركات رئيسية : المال ، والعلم ، والصناعة ، ومع ان الاسلام حث المسلمين ، بكل الحاح على اكتساب وتنظيم واستغلال هذه الطاقات الحضارية الهائلة التي سخرها الانسان ، الا ان توقف سير الحضارة الاسلامية ، وما تبعه من توقف تقدم الانسان المسلم ، عطل الفكر الاسلامي عن الاستفادة من هذه المدركات التي استوعبها الفكر الغربي ، ليجعلها في خدمة نهضته وتقدمه وسيطرته على العالم .

لقد فشلت حتى الآن عدة حركات اسلامية في اقامة مجتمع اسلامي شبيه بالمجتمع الاسلامي الاول ، لانها لم تقم الحساب في دعوتها واسلوبها لاختلاف العصرين ، ولم تستطع ان تحقق التوازن — في الميدان الفكري والتنظيمي على الاقل — بين مدركات الحضارة المعاصرة : المال والعلم والصناعة ، التي تعتبرها ناحية مادية للانسان ، وبين مدركاتها الخاصة عن الحضارة الاسلامية ، التي كثيرا ما تقصرها على القيم الدينية والخلقية ، باعتبار انها الجانب الروحي الاهم للانسان . وهكذا برهنت هذه الحركات على انها لم تصل بعد الى مستوى الفكر الاسلامي الاول في سعة وعمق ادراكه للحقيقة الانسانية والاجتماعية ، وهو الفكر الذي لم يفرق بين المادية والروحانية ، ولم يطلب من المسلمين أن يزهدوا في الحياة ويعيشوا في فقر وقناعة ، لان الدنيا دار فناء ، وانما طالبهم بالعمل والسعي من اجل الدنيا ايضا : « ولا تنس نصيبك من الدنيا » ، « المال والبنون زينة الحياة الدنيا » ، ليذامهم بعد ذلك عن اهمالها : « قل من حرم زينة الله التي اخرج لعباده والطيبات من الرزق » . فهل آن الاوان ليدرك العرب والمسلمون بعد تجاربهم التاريخية القديمة ، وبعد تجاربهم المعاصرة مع الاستعمار والصهيونية ، انه لا اسلام ابدا مع الفقر ، في عالم ، غني ، ولا اسلام ابدا مع الجهل ، في عالم التخلف ، ولا اسلام ابدا مع التخلف في عالم متقدم ، وأن الصناعة الآلية التي هي طابع العصر الذي انتهى اليه التقدم البشري ، ما هي الا ثمرة من ثمرات العلم والمال .

انني اقف دائما مندهشا امام الحديث المعجز الذي اخبر فيه الرسول عليه السلام عن العصر الذي يعيشه المسلمون اليوم حيث قال : « يوشك ان تتداعى عليكم الامم كما تتداعى الاكلة الى قصعتها ، قالوا : يارسول الله امن قلة نحن يومئذ ؟ ، قال : لا ، ولكنكم غثاء كغثاء السيل » فهذه كانت الحال التي انتهى اليها امر المسلمين منذ القرن الماضي ، والاستقلال السياسي للدول الاسلامية لم يغير من حقيقتها الا قليلا ، كان فقط تعبيرا تاريخيا واجتماعيا عن يقظتها ، وبقي أن نتساءل عن عصر نهضتها متى يبدأ ؟ ونجيب بأن هذا العصر سيشرق عندما يصمم المسلمون على اعلان الثورة ، لا ضد اعدائهم فقط ، ولكن ضد انفسهم ، ضد قيمهم النفسية والاجتماعية التي حافظت على تخلفهم وفقرهم وجهلهم عدة قرون ، ان الاجيال العربية والاسلامية الثائرة اليوم ، لم تثر ضد الاسلام ، في واقع الامر ، ولكنها ثارت ضد نظام التخلف الذي قيل لها انه هو الاسلام ، وثارت ضد العقلية المتحجرة التي ارادت ان تحمي المسلمين من سيئات الحضارة المعاصرة ، فاضافت اليها حرمانهم من حسناتها ، وثارت ضد المسلمين الذين



قبة الصخرة في بيت المقدس . انشأهـا الخليفة الاموي عبد الملك بن مروان ، وتم بناؤها في سنـة 72 هـ (691 م) . وهي مثمنة الشكل وتزخرف جدرانها لوحات من الفسيفساء برسوم بديعة . ويحيط هـذا المبنى بالصخرة المقدسة ، التي صعد النبي عليها ليلة المعراج . هـذا البناء تعرض لجريمة اسرائيل البشعة

تركوا شعوبهم فريسة للفقر والجهل والاستغلال ، فأضحت لقمة سائغة للاستعمار ثم للصهيونية .

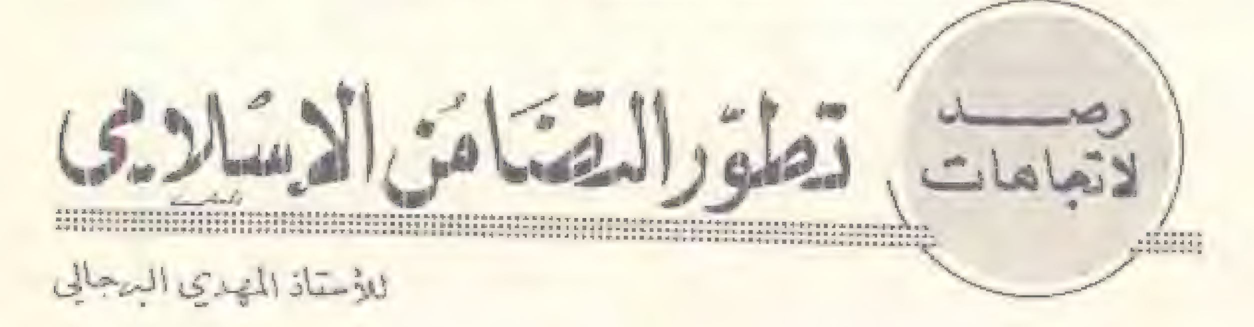
ولا يمكن لمن يحاول أن يتحدث عن مستقبل الاسلام ، ان يغفل ايضا عن دراسة وتحليل تجربة مرة ، عاشها العرب منذ الحرب العالمية الاولى ، تمثلت في اتجاه كثير من الزعماء والاحزاب — لدوافع واسباب مختلفة — لخلق اطار موحد للعمل ، يكون اساسا للنهضة العربية ، ويجمع شمل الامة العربية ، اصبح يسمى « القومية العربية » ، وقد قبل العرب هذا الاطار باعتبار انه مجرد غطاء خارجي لمحتوى اساسي هو الاسلام ، ولكن هذا الاتجاه تطور فيما بعد ليجعل «الغطاء» يحل محل «المحتوى» ، وبدا الناس يبحثون عن فلسفة خاصة القومية العربية ، واشتراكية خاصة بالقومية العربية ، وثورة نابعة من القومية العربية وهكذا .. واصبحنا نحن الذين ايدنا القومية العربية « الاطار » نراها تتحول الى «المذهب» ، رغم ذلك ، ان تتمتع بالتأييد لزمن اطول ، لو انها استطاعت ان تحقق اقل قدر من النجاح ، فاثبتت اصالة بنائها ، وانها قامت حقا على ارض صلبة ، لا على كثبان من الرمال .

ان اقل ما يجب ان يخلقه المذهب ، اي مذهب كان ، هو الايمان به ، والتضحية من اجله ،ولكن مذهب (القومية العربية) لم يستطع ان يخلق في نفوس اصحابه شيئا من هذا الايمان ، او قليلا من هذه التضحية ، وكان من المفروض ان تحقق فكرة «القومية العربية » ذاتها على الاقل ، اي الوحدة العربية ، ولكن هذه الوحدة لم تتحقق حتى بين دعاتها وانصارها الذين اتخذوها شعارا لهم ، ان مذهب الدولة يعتبر القوة المعنوية التي تستندها في الشدائد ، فضلا عن انه المثل الاعلى الذي يستميت الناس من اجله ، فهل حقق مذهب (القومية العربية) بفلسفته واشتراكيته وثورته شيئا من ذلك للعرب المؤمنين به .

ان تجربة هذا المذهب تكون قد استنفدت غرضها بعد ان ادى العرب ثمن فشلها غاليا ، وينفتح الباب امام الاسلام من جديد ، برجال جدد من العرب انفسهم ، ويمضي العرب مرة اخرى الى تحقيق وحدتهم ، ولكن باسم العقيدة التي وحدتهم اول مرة ، وباسم هذه العقيدة سيواصلون معركتهم في واجهتين : ضد التخلف بجميع صوره داخل الوطن الاسلامي الكبير ، وضد الاستعمار والصهيونية في كل مكان في الارض ، عندئذ فقط ، يكون عصر اليقظة الاسلامية قد انتهى ، يبدا فجر النهضة ، وتشرق شمس الاسلام من جديد على العالم .

الرباط — ادريس الكتاني

على ضوء تحولات العالم فيما بين الستينات والثمانينات الهجرية :



للأستاذ المهدي البرجالي

انقضى الآن ما يقرب من ست سنوات على انعقاد مؤتمر القمة الاسلامي الاول بالرباط ، اول تجمع اسلامي عالمي من نوعه ، يعرفه تاريخ المسلمين منذ عصورهم الاولى .

وقد تمت في هذه الفترة المتراوحة من انعقاد ذلك المؤتمر الى الآن ـ خطوات تاسيسية وتنظيمية ، اتخذ التضامن الاسلامي باستمداد منها مدلولا متحركا ، ومتطورا بكيفية ملحوظة.

فمن جمع الرباط الذي شاركت فيه خمسة وعشرون دولية (من 22 الى 25 شتنبر 1969) الى المؤتمر الاول لوزراء خارجية الدول الاسلامية بجدة (من 23 الى 25 مارس 1970) ثم المؤتمر الثاني لوزراء الخارجية بكراتشي (بين 26 الى 28 دجنبر 1970) والمؤتمر الثالث بجدة (من 29 يبراير الى 4 مارس 1972) ، ومن هذا المؤتمر الى مؤتمر وزراء الخارجية الرابع بليبيا (24 ـ 26 مارس 1973) ثم الى مؤتمر القمة الاسلامي الثاني بلاهور (22 ـ 24 يبراير 1974) حيث ارتفع عدد المشاركة الى 36 دولة ، ومنه الى مؤتمر وزراء الخارجية الخامس بكوالامبور (21 ـ 26 يونيه 1974) .

ومن تلاقي المشاعر وتفاعل الافكار في سياق اللقاء الاسلامي الاول بالرباط الى التوصل لبلورة الارادة الناجمة عن ذلك ، متمثلة في انشاء الامانة العامة الاسلامية (مؤتمر جدة الاول لوزراء الخارجية) ومن هذا الى الموافقة على الميثاق الاسلامي ، ومشروع تاسيس وكالة الانباء الاسلامية (مؤتمر كراتشي) الى اقرار انشاء صندوق التضامن الاسلامي (مؤتمر لاهور للقمة) ومتابعة دراسة المؤسسات والتنظيمات المتعلقة بالتعاون بين المسلمين وتعزيز الخطوات المتخذة قبلا (مؤتمر كوالامبور) .

ان بداية هذا التسلسل الواقع في الرباط ، ان كانت قد حركت معنى التضامن الاسلامي في الاتجاه العملي ، فان المراحل اللاحقة ضمن نطاق هذا التسلسل ، ما فتئت تغذي ديناميه الانطلاقة بمزيد من دوافع التحريك ، وهي دوافع يؤمل أن تؤدي الى تطوير المفهوم التضامني بين المسلمين بحيث يصير هذا المفهوم ذا سعة لاستيعاب مشاكلهم المشتركة ، واقامة ارضية للتكافل بينهم ، وتأهيلهم هكذا لمواجهة العالم من حولهم بكل ما يلزم من ثقة بالنفس وقدرة على الفعل ، وايجابية في تحصيل النتائج .

عبر السطور التالية ، تلمح ـ على نحو سريع ـ ملامح التطور الذي تبلور في مضمونه الاتجاه للعمل الاسلامي الراهن :

— طبيعة المناخ العالمي الذي اختمرت فيه ـ خلال العقود الاخيرة ـ بذور هذا التطور

— التعقيدات الدولية التي لم تفتأ تكتنف تسلسله

— الحوافز والاختيارات الواقعة في هذا النطاق

— الصيغة العملية التي تستوعب اوجه الانشطة التضامنية الواقعة الآن .

موقع (المرحلة) في رقعة التاريخ

ينطلق عادة التضامن بين المتضامنين ، من واقع تشاركهم في الشعور والفكر على مستوى معين وتشابه نظرتهم الى الامور بحكم هذا التشارك ، مثلما ينطلق ذلك من تضاهي المصالح عند المتضامنين وتكاملها ، ومن تقارب او ربما تماثل الاختيار والهدف اللذين تتحدد بهما وجهة هذه المصالح .

وبالنسبة للمسلمين ، فان المنطلقات الباعثة على التضامن عديدة بقدر تعدد الارتباط الذى يحتمه الاسلام بينهم على صعيد روحي وفكرى ، وبما يتدرج فى ذلك من معطيات ثقافية وحضارية وسياسية ونحوها .

ومن الممكن — نظرا لاهمية معنى التضامن فى مبدا وجود الكيان الاسلامى العالمى تعيين المراحل الكبرى فى تاريخ الاسلام عامة ، من منظور هذا المعنى بالذات . ومن ثم ، نستطيع ان نميز فى كل التاريخ الاسلامى على امتداده ، بين ثلاث مراحل اساسية هى :

1) اولا ، مرحلة الفتوح خلال القرن الهجرى الاول ، وقد بلغ فيها التضامن او بالاحرى التماسك بين المجموعات الاسلامية حدا ، كان من شانه ان يمتص كثيرا من مؤثرات التفكك الناجمة عن سعة الامتداد والانتشار ، على ان استمرار تلك الحال ، كان رهينا ببقاء التوازن موجودا ، — بين واقع التمدد الحاصل فى ذلك الظرف ، وبين فاعلية الطاقة الروحية التى كانت تحول دون حدوث التفكك الملازم لحركة الانتشار تلك ، وحيث ان هذا التوازن لم يستطع — بتاثير حتميات كاسحة — ان يحافظ على استمراره ، فانه لم يكن هناك مناص من دخول الكيان الاسلامى فى مرحلة جديدة : ابرز سيماتها تخلخل وحدانه سياسيا ، وبما يوجبه ذلك من تعدد المحاور وتضاربها فى احوال عدة .

2) مرحلة العصر الاسلامى الوسيط وقد انطبعت هذه المرحلة الطويلة جدا الممتدة الى مطالع العصور الحديثة — باستفحال التناقض بين استمرار الانتشار الاسلامى فى العالم ، وبين ازدياد دواعى التفكك (السياسى خاصة) المترتب — من جملة ما ترتب عنه — عن توالى هذا الانتشار وتنوع ابعاده . انعكس هذا التناقض على العالم الاسلامى فى شكل تضاد بين توالى تضخم حجم هذا الكيان ، ارضيا وبشريا ، وبين هبوط نسبة تماسك بين اجزائه ، ومما ترتب عن هذا التضخم الكمى ، على حساب تماسك ، تدنى اهلية الجماعات الاسلامية لاستثمار الطاقة الناجمة عن تفاعل قدراتها المشتركة ، وتضاؤل قابليتها لحماية كيانها ككل امام القوى الجديدة الصاعدة فى اوروبا ، ثم عجز كل منها بعد ذلك ، عن حماية ذاتيته الخاصة ، الواقعة فى النطاق الاقليمى ، امام المد الاوروبى المترامى حينئذ .

3) مرحلة العصر الحديث ، وتستغرق فاعليتها الجدية القرن الهجرى الحالى خاصة ، وان كانت بعض الارهاصات الفكرية المؤذنة بها ، قد بدت فى وقت متقدم قليلا اواخر القرن الماضى او حتى قبل ذلك .

وبحكم الموقع الزمنى لهذه المرحلة فان المنطق الذى لزم ان يسودها ، كان لا بد ان يكون هو منطق الانبعاث والتحرك ، فى استجابة حتمية لداعى رد الفعل ، ازاء حالة الخدر والتقوقع التى استمرت طويلا اثناء المرحلة السابقة .

وقد حدد واقع المسلمين فى فجر تحركهم هذا ، مواطن الاهتمام التى يجب ان تقود خطواتهم فى هذا التحرك ، ورصد له معالم وغايات مرسومة .

ومن ثم تتمايز فى الحركة الاسلامية الحديثة فترتان اساسيتان ، وان كانتا متداخلتين فيما بينهما ومتكاملتين بالضرورة .

1 — فترة السعى للانفصال عن التبعية للاجنبى

2 — فترة جنى ثمرات هذا السعى وتحصيل الاستقلال .

لقد انطبع فجر الفترة الاولى بتوصل النخبة الطلائعية الاسلامية — نتيجة بالاخص لاصالة منتماها الثقافى والحضارى — الى التخفف من وطاة الحيرة امام المحتوى الفكرى والمادى للحضارة الاوربية الحديثة ، ومساعدة حالة استرجاع الوعى بالذاتية الحضارية عند المسلمين ، فى الظروف التى تلت ذلك ، الى دعم فاعلية حوافز النزوع التحررى الذى ما فتىء يتصاعد منذئذ ، كما مكنت طبيعة التحولات العالمية عموما ، النخبة الاسلامية من تطوير تصورها لكيفيات تحقيق هذا التحرر ، وتاطير الطاقات البشرية فى بلدانها للتعجيل بوتيرة تسلسله .

اندرجت — بموجب الظروف الموضوعية ساعتها — حركة العمل النضالى الاسلامى فى قناة النضال الاعم لما يدعى بالعالم الثالث ضد هيمنة القوات التوسعية الغربية ، الا ان هناك ملاحظتين

بهذا الصدد (اولاهما) ان نضالات الاقطار الاسلامية ، كانت ذات اثر رائد ومحرك بالنسبة لعدد من مناطق العالم الثالث (وثانيتهما) ان الحركات النضالية الاسلامية — وان كانت غير واقعة بالضرورة فى خط تضامن اسلامى منسق ، فانها لم تكن تخلو — مع ذلك — من دواعى تجاوب وتضاد فيما بينها ، يبلغ احيانا حد التفاعل بدرجات معينة .

وانفعل مسلمى الهند فى خلال الخمسينات الهجرية باحداث فلسطين ، والاصداء البعيدة التى خلفتها فى الآفاق الاسلامية حرب الريف بالمغرب من بين امثلة هذا التجاوب الذى كان كثيرا ما يفرض وجوده عبر كل الحوائل القائمة .

وعندما كان ذلك التجاوب يرقى الى مستوى التفاعل بين الجهات الاسلامية ، كان ذلك يتم خاصة بين الوحدات الاسلامية الاكثر قربا من بعضها البعض كمجموعة الاقطار العربية الافريقية فيما بينها ، ومجموعة الاقطار العربية الاسيوية فيما بينها كذلك ، وهكذا مجموعات اقاليم افريقيا السوداء الاسلامية من جهتها ، والمناطق الاسلامية بجنوب شرقى آسيا من جانب آخر .

هذا عن الفترة الاولى من مرحلة التاريخ الاسلامى بالعصر الحديث ، وهى فترة العمل النضالى الاسلامى فى سبيل التخلص من التبعية .

اما الفترة الثانية من هذه المرحلة ، فقد كانت — كما ذكر — فترة جنى ثمرات النضال واحراز الدول الاسلامية — فى هذه الحصيلة — على استقلالها الكاملة ، الا استثناءات محدودة .

واذا كانت الستينات الهجرية قد سجلت فى هذا المقام تحرر الكيانات الاسلامية الكبرى فى آسيا (قيام دولة الباكستان ، واستقلال اندونيسيا) فان العقدين التاليين قد شاهدا شمول استقلال اكثرية الدول الاسلامية بآسيا وافريقيا ، وتأثر الوضع الدولى عامة بالنشاط المستقل لهذه الدول ، فى الميادين السياسية والاقتصادية ونحوها .

لقد تبلور فى مضمون هذا التطور ، عالم اسلامى متسم فى ابرز ما يتسم به ، بحرية التصرف ، والقدرة على التحكم فى توجيه المصير .

لكن ماذا يعنيه العالم الاسلامى فى هذا المنطق من التاريخ الذى انتهى اليه وقد استقلت كافة اقطاره وشعوبه الا فى الاقل النادر ؟

لقد راينا — فيما سلف — ان التمايز بين مراحل التاريخ الاسلامى كله ، واقع حسب معايير من اهمها حالة المد والجزر فى درجة التضامن بين العناصر التى يتشكل منها الكيان الاسلامى .

والمرحلة الحديثة التى يجتازها الوجود الاسلامى والمتميزة اساسا بتحرر ديار الاسلام من ربقة التبعية — تدخل بالضرورة فى مشمول هذه الملابسة ، اى انها (اى المرحلة) لا بد ان توضع فى نطاق التساؤل حول موضوع العلاقات الاسلامية ، ومن الضرورى — بموجب مدلول الظرف القائم ، ان تتأثر بمنطق التضامن كقاعدة لا بديل لها فى توجيه هذه العلاقات وصياغتها .

ان تعبير « العالم الاسلامى » لا يعنى — خارج دائرة هذا الانضباط فى العلاقات بين المسلمين — الا مجرد وجود اشتات من الامم والاعراق فى نقط مختلفة من المعمور تدين بالاسلام وتحيى شعائره .

واذا كان عالم المسلمين قد اعوزه فعلا اثناء دهر طويل مثل هذا الانضباط فى العلاقة بين وحداته ، فان الانبعاث الاسلامى الحديث ، والتحرر من التبعية قد الغيا فى الواقع مختلف العوامل والاحوال التى كانت وراء حالة كهذه . ويشكل هذا تحديا حقيقيا للفكر الاسلامى الذى كان عليه ان يسعى — بعد ان استقلت الاقطار الاسلامية — الى توفير محتوى تضامنى للوجود الاسلامى المتحرر ، الذى سعى الى تحقيقه ، والا ، فان ذلك الفكر كان سيكون قد قصر عن الوصول الى المرمى الابعد من هذا التحرر .

وواقعا ، فان الفكر الاسلامى قد استطاع ان يواجه مثل هذا التحدى ، بكيفية ملحوظة ، وكانت نهاية العقد الماضى بالذات موعد الدخول فى المنعطف الذى تكاملت للمسلمين عنده ، مقومات الكفاءة لخوض هذه المواجهة ، واستحصال شروط النجاح فيها .

لقد كان انعقاد مؤتمر القمة الاسلامى الاول بالرباط (ما بين 9 و 12 رجب 1389) (من 22 الى 25 شتنبر 1969) ايذانا بالدخول فى الفترة الثانية ،



منظـر عـام لكوالالمبـور عاصمـة ماليزيـا



الجلسة الافتتاحية للمؤتمر الثاني لوزراء الخارجية الذي عقد في جدة عام 1972 وقد ترأس الجلسة المرحوم جلالة الفيصل عاهل المملكة العربية السعودية

من المرحلة الحديثة التي يعيشها الوجود الاسلامي في التاريخ .

ان هذه الفترة الجديدة ، متداخلة كما اسلفنا ، مع الفترة الاولى ، التي انقضت طوال العقود الثلاثة السابقة ، ورابط التداخل هذا ، هو حالة الشعور بالتضامن الاسلامي ، الذي اتخذ غالبا خلال فترة النضال ضد الاستعمار ، اشكالا عاطفية معينة ، ولم يكن له ، في الفترة اللاحقة — عندما استقلت الدول الاسلامية — الا ان يتخذ الشكل العملي المتلائم مع حرية العمل التي اصبحت موفورة لهذه الدول .

واذا كان التضامن الاسلامي ، قد اعترته اثناء العصر الوسيط عوامل التفكك الناجمة — فيما هي ناجمة عنه — عن توسع الرقعة الاسلامية في العالم ، وامتدادها الشاسع عبر آسيا وافريقيا ، فان مثل هذا التاثير ، لم يعد له موضوع في عصرنا بالنظر للاعتبارات الآتية :

1) ان الدهر الطويل الذي مضى الآن على وجود الاسلام ، قد مكن من استيعاب كل نتائج التعدد في الرقعة الاسلامية خلال العالم ، واتاح من ثم ، للمجتمعات الاسلامية ، ان تستقر مشاعرها نحو بعضها البعض على اسس غنية بالرؤى والتجارب ، واعطى لمفهوم التضامن الاسلامي بحكم ذلك ، ابعادا معينة ، تسندها هذه المشاعر المتجذرة .

2) ليس لتطور وسائل الاتصال في عصرنا ، وما تفتحه من منافذ شتى للتلاقي بين الافكار والتفاعل بين الاتجاهات ، في العالم ، الا ان يزيد في تمتين مفعول الفكر التضامني بين المسلمين ، ويغني رصيد مستوحياته .

3) ان الوحدات التي يتألف منها المجتمع الاسلامي الحديث قد اتخذت بالفعل قوالب سياسية معينة ، منبثقة عن جذور تاريخها المحلي ، وبالنتيجة ، فان قضية التضامن بين هذه الوحدات ، لا تتناول في شيء بنياتها السياسية الخاصة ، وانما الذي يعني فقط هو تحقيق اكثر ما يمكن من التناسق بين الفاعليات الايجابية عندها ، وترسيخ اقدام المسلمين — ضمن هذا الاطار — امام تعقيدات المشاكل الدولية المختلفة .

* * *

المحيط الاسلامي العالمي عشية انعقاد القمة الاولى بالرباط :

يتحدد لنا من هذه الرؤية للامور ، موقع قمة الرباط في مجرى التاريخ الاسلامي والعلاقة الحميمة التي له بالدلالات الكبرى لهذا التاريخ في تدبيبه ومستقبله ، فالجمع الذي احتضنته في سنة 1389 العاصمة المغربية ، كان تتويجا لتطور طويل النفس على صعيد التاريخ خلال قرون تراوحت خلاله فاعلية الوجود الاسلامي بين مد التضامن وجزر التفكك ، لتستقر هذه الفاعلية في نهاية المطاف على ارضية تضامنية محققة ، تستوعب التجارب الطويلة عبر الماضي ، وتنسجم مع مقتضيات منطق العصر .

ومن منظور مستقبلي ، يتجلى جمع الرباط كبداية استقطاب جدي للعالم الاسلامي ، بمواجهة تطورات العالم ، خلال القرن الهجري السادس ، وتعبيرا غير محدود الدلالة عن سعة ممكنات هذا الاستقطاب ، وهي ممكنات مشتقة من جذرية الفكر المنبثق للاتجاه المنطلق من الرباط ، ومن صفة الحسم في مداول المرحلة التي وقع الدخول فيها ابتداء من ذلك المنطلق .

ولنستطلع بعض احوال المحيط الاسلامي في (مجرى الظرف) وهذا ، سيقودنا الى تركيز النظر قبلا حول اوضاع المجموعات الدولية الاسلامية وما كان يكتنفها حينئذ من مشكلات تتعلق بالصلة بينها وبين العالم ، كما تتعلق من وجهة اخرى بالصلات فيما بين بعضها البعض .

ولنبدا — اولا — بالشطر الاول من هذه المشكلات وهو :

* * *

1) مشكلات العلاقة بين الجماعات الاسلامية والعالم الدولي حولها :

لقد انعقد مؤتمر القمة الاسلامي الاول في ظل ظروف الانفعال بحادث محاولة احراق المسجد الاقصى ، وتفاقم خطورة الاحتلال الصهيوني للاراضي العربية فيما بين الجولان والسويس ، وبطبيعة الحال ، فان الحادث — على ما يحمله من اثارة — لم يكن الا اضافة — لكنها اضافة شديدة الفاعلية — الى ركام العوامل الموضوعية التي ما برحت تتجمع — كما راينا — طوال امد بعيد ، لتدعو الى عقد الجمع ، وتفتح الافق التاريخي الذي نتج انطلاقا منه

والرأى العام الاسلامى الذى اخذ تأثرا بمحاولة الاحراق ، لم يكن لـه ليراهـا من خـلال صورتها الظاهرة فحسب ، وانما كان فى وسعه استشفاف الابعاد التى تقوم عليها فى العمق ، وهى ابعـاد ، تتصـل بمسلسل الصراع الطويـل بين الوجـود الاسلامى ، وبين بعض القوالب الاجتماعية والنظـم والمؤسسات التى تناقضه مناقضة منطوية على حوافز الاصطدام به ومناصبته العداء .

وبموجب سعـة الموقع الذى يشغلـه الحضور الاسلامى على امتداد اطراف العالم القديم ، وجسامة المدلول الروحى والفكرى والحضارى الذى يكرسـه هذا الحضور فى غير مـا قطاع من قطاعات العالم ، فان المجموعات الاسلامية ما فتـئت — بمجرد مـا حصلت على الاستقلال — ان اصطدمت بجملـة من التهديدات ، بعضهـا صادر عن قـوى الاستعمار الجديد ، وبعضها ذو طبيعـة ايديولوجية محفـوزة بنوازع اكتساحية ، وبعضها الاخـر آت من حالات عداء دينى مزمن ، هـذا ، الى المشاكل المتولدة عن بقايا الاستعمار التقليدى ، المتـشبث بالاستمرار فى احتلال الاراضى ، او الاستعمار الاستيطانى المصر على احلال جماعات دخيلة ، محل السكان الاصلاء ، وفى جهات اخرى غير هذه ، بـؤر انظمـة عنصرية لا يخلو الحال من ان يعانى منها مسلمون فى جملـة من يعانى من ضحاياها .

لقد زخرت الفترة القصيرة التى عاشتها البلدان الاسلامية مستقلة اثناء ربـع قرن الاخير ، بحالات شتى من المشاكـل من هذا المعنى ، يعـد الصراع العربى الاسرائيلى حالة واحدة من حالاتهـا ، وان كان هذا الصراع اخطرها شأنا ، واشدها حـدة ، واكثرها تعقدا من وجهة النظر الدولية . والواقع ان توافق ظهور اكثر هذه المشكلات مع عهـد الاقطار الاسلامية ببداية الاستقلال ، لا يعنى شيئا ، الا كون السيطرة الاجنبية التى جثمت طويـلا على العالـم الاسلامى ، كانت من الشمول وثقل الوطأة بحيث لم تكن تظهر من خلالها مختلـف التحديـات الموجهـة للمسلمين الا بكيفية ضمنية . ومن ثـم ، فان تخلص البلدان الاسلامية من اطار التبعية ، كان حريا بأن يميز مواقع هذه التحديات بما فيه الكفاية ويبـرز منطوياتهـا .

وعندما كان منطـق المرحلة التى دخلها العالـم الاسلامى اواخر الثمانينات الهجرية ، يطرح اجتماع قمة الرباط كضرورة واطار واسلوب ، ويقيم اطروحة التضامن قاعدة عديمة البديـل لاستيعاب جميـع مقتضيات هذا المنطق ، كان امـام كل مجموعة من المجموعات الاسلامية فى العالم ما يكفى من مشاغل المواجهة من قبيل ما ذكرنـا ، على الرغـم من ان التحديات الأجنبية التى تفرض مثل هذه المواجهة ، هى من حيث الجوهر واحدة فى جميع الحالات .

وفى الوسع ، تعيين قطاعات المواجهة القائمـة حينئذ وموضوعاتها على النحو التالى :

بالنسبة للمجموعة العربية :

الصراع مع الصهيونيـة العالميـة (فلسطـين والاراضى العربية المحتلة)

الصراع مع بقايـا الاستعمار الاوروبى (سعى المغرب مثلا لاسترداد اراضيه المغتصبة)

بالنسبة للمجموعة الماليزية — الاينـدونسية :

استرسال اليقظة الحذرة ، ازاء امكانيات التغلغل الشيوعى فى المنطقة ، بشكل او بآخر من اشكالـه المختلفـة

بالنسبة لمنطقة ما بين بحر عمان وخليج البنغال

دواعى ورواجـع الصراع الحـاد احيانـا بين الباكستان والهند ، وانعكاساته على عموم المنطقة

بالنسبة للمجموعة الايرانية — التركية

مشاغل الانتـباه المستمر ، للتحركات الشيوعية فى الناحية ، وانشغال خـاص من جانب الاتراك ، بالمشكل القبرصى .

بالنسبة للمجموعة الافريقية السوداء

مواجهـة متواصلـة للمكايـد الاستعماريـة (المقدمات الممهـدة لقيام قضيـة بيـافـرا بنـيجريـا)

صمود دينى مستمر امام الحملات المضادة .

* * *

هذه خطوط عريضة لموضوعات المواجهة عشية انعقاد القمة الاسلامية بالرباط بين شعوب الاسلام ،

صورة لملوك ورؤساء الدول الاسلامية بلاهور في المؤتمر الثاني الاسلامي

مدينة القدس ـ كنيسة الجثمانية

اجمل كنائس القدس ، وتقوم على سفح جبل الزيتون فى المكان الذي قضى فيه السيد المسيح اخر لياليه متعبدا متالما ، وبها حديقة وثماني شجرات من الزيتون ترجع فى اصلها الى الشجرات التى شهدت ايام المسيح

وبين الجهات الدولية الاخرى التى تتشابك معها فى صراع سافر ومقنع ، ان ساحات المواجهة هذه — وان كانت تداخلها فى الغالب مؤثرات الصراع العام بين الاستعمار والدول الحديثة العهد بالاستقلال — فان هناك عدة ملابسات اساسية فى الصراع هذا ، تتعلق خاصة بالصفة الاسلامية للمسلمين ، ويرتبط بعضها على نحو وثيق ، بالجذور التاريخية لمواجهات الماضى بين المسلمين وبين التيارات المختلفة التى التحموا بها خلال حقبة او اخرى ، فى حروب معينة .

فالنزاع العربى الاسرائيلى بصرف النظر عن المنظويات الاستعمارية التى تكمن وراءه وتضاعف من تعقيده — له فى مدى اعمق جذور موصولة بالكيد الاسرائيلى للاسلام منذ بدايات الدعوة ، وتواصل ذلك الكيد على مناح مختلفة فى مجرى التاريخ الاسلامى .

والحركات الالحادية المعاصرة — وان تكن مستوحاة من منازع فلسفية حديثة ، فان الفكر الاسلامى — على اى حال — قد جابه فى القديم غير ما نحلة من النحل المؤكدة على التحلل من الدين وتصدى طويلا لتيارات الهرطقة والتجديف التى ما فتئت تظهر على الساحة بمواجهته متقمصة شتى الاوجه والصور .

ولا يعدو الصراع الذى يجرى بين مسلمين وغيرهم فى بعض مناطق البحر المتوسط ، ان يكون احد رواسب العراك الطويل حول هذا البحر بين القوى الاسلامية وغيرها .

وفى افريقيا السوداء ، ما برح الاسلام ، يحقق على مسار الزمن ، المزيد من الانتشار ، الا ان نجاحاته هذه فى القارة ، كثيرا ما اثارت عند الاوروبيين الذين كانوا يهيمنون عليها ، الحذر الشديد منه ولم يخل الحال من دواع عندهم لترجمة هذا الحذر الى مناواة منظمة .

ويبدو ان هذه المناواة قد تقلصت فى الكثير خلال الحقبة الاخيرة ، نتيجة لانحسار المد الغربى عن القارة ، وتولى اهليها امورهم بانفسهم ، بيد ان هذا ، لا ينفى — مع ذلك استمرارها ضمن الاستراتيجية الاعم ، للمناورات الاستعمارية والصهيونية بافريقيا ، تحت ذرائع ادق حبكة ، واشد التواء .

2) صعوبات العلاقات الاسلامية وتناقض الاتجاهات :

وفضلا عن هذه المشاكل المتصلة بالعلاقات ، بين الدول الاسلامية الحديثة العهد بالاستقلال وبين الجهات الدولية الاخرى ذات الحنين للماضى الاستعمارى ، او المتأثرة بتطلعات استعمارية جديدة فقد نشأت بين عدد من الدول الاسلامية نفسها ، فى الفترة ما بين الستينات والثمانينات الهجرية ، صعوبات فى العلاقة اتخذ بعضها اشكالا نزاعية حادة .

وقد ارتبط وجود تلك الصعوبات بأسباب مختلفة ، منها ما هو من قبيل رواجع العهد الاستعمارى ، الذى خلف فى الواقع ركاما كثيفا من المشاكل فى الصلات بين الاقطار الإسلامية ، ومن ذلك المشاكل الترابية ومنها ما يعود الى اختلافات فى النظرة الايديولوجية او الانتماء الدولى ، او تناقض بعض المصالح الاقتصادية ، او نحو هذا كثير ، والواقع ان العالم الاسلامى ، قد وجد نفسه غداة توالى احراز دوله على الاستقلال ، امام وضع دولى ممزق الاهواء فى خضم الحرب الباردة بين الشرق والغرب ، متبلور التناقض فيما بين معسكر التكتلات ومجموعة الحياد وعدم الانحياز ، منفصم المصالح على اساس التباين بين حالة غنى الدول الصناعية ، وفقر الدول النامية .

وقد انعكست — بصور مختلفة — تمزقات العالم الايديولوجية والسياسية والاقتصادية هذه خلال العقود الثلاثة الماضية على الاقطار الاسلامية التى كانت ساعتئذ — وقد نالت استقلالها — بصدد تحديد اختياراتها فى السياسة الخارجية وما يتصل بذلك من مسائل التعاون الدولى ، والارتباطات التى يمكن ابرامها مع هذه الجهة او الأخرى من جهات العالم .

وبفعل هذا الانعكاس ، كان ان تبلورت عند عدد من الدول الاسلامية تناقضات جديدة احيانا فى اتجاهات السياسة التى ترسمها لنفسها على الصعيد الخارجى ونشأ عن هذه الحال ما جعل من العالم الاسلامى فى بعض الفترات ما يمكن اعتباره فسيفساء معقدة ، من التكتلات الصغيرة يولى بعضها وجهه عن البعض ، بل ويتضارب بعضها مع بعض ، نتيجة للتباين الشاسع بين هذه الكتلة والاخرى فى النظرة للقضايا ، وتعدد

المشارب المستقاة منها اصول هذه النظرة وما توحى به .

وهو امر غير مستغرب في شيء ، اذا روعى ان الدول الاسلامية التي حصلت على استقلالها اثناء الستينات واوائل السبعينات الهجرية — لم يكن ميسورا لها — حتى ولو ارادت ذلك — ان تقيم نظاما فعالا للتكافل فيما بينها على الصعيد الدولي والعالمي .

فاضافة الى محدودية عدد تلك الدول آنئذ ، فانها لم تكن موصولة ببعضها جغرافيا بما فيه الكفاية ؛ نتيجة لاستمرار تمركز الاستعمار حينئذ في عدة مناطق اسلامية ، وفصله بهذه الصورة — فصلا ماديا — بين بلد وآخر من البلدان الاسلامية المستقلة التي كانت تتداخل فيما بينها اراضي اسلامية ايضا ، لكنها مشمولة بالنفوذ الاجنبي .

وقد نجم عن طغيان الحرب الباردة بين الشرق والغرب على السياسة الدولية خلال العقود الاخيرة ؛ ان وجدت بعض الدول الاسلامية نفسها مضطرة — لاعتبارات تتعلق خاصة بامنها القومي — الى الانتماء لاحد معسكري الصراع الدائر بموجب تلك الحرب ؛ بينما ذهبت دول اسلامية اخرى — وفي نطاق اهتمامات من بينها صيانة امنها الوطني كذلك — الى اقامة محاور معينة مستقاة من مثاليات قومية اما خاصة بها ، او مشتركة بين عدة اقطار تشاركها في الاتجاه .

وبغض النظر عن الدول الاسلامية التي اتخذت — لاعتباراتها الخاصة — موقفا انحيازيا على نحو ما ، في صراع الشرق والغرب ؛ فان اكثرية اقطار العالم الاسلامي قد تبنت على النقيض من ذلك فكرة الحياد الايجابي مبدأ لها ، وقواما لسلوكها الدولي ، غير ان الفكرة (فكرة الحياد) ما برحت تتقمص عند هذه الدول — في حالة التطبيق ؛ صيغا واشكالا مختلفة ؛ تبعا للظروف الدولية او الاقليمية المحيطة بكل دولة ؛ وطبيعة النهج الذي تاخذ به في التفكير السياسي ونوعية العلاقات والمصالح التي لها في خضم المتغيرات الدولية .

منطق التلاؤم بمواجهة منطق التشعب

على انه بالرغم من كل هذه التشعبات في العالم الاسلامي ؛ التي ميزت الفترة قبل انعقاد قمة الرباط ؛ فان العوامل الايجابية ؛ كانت — كما المحنا اليه قبل — تعمل هي ايضا عملها في خلق البيئة المناسبة لتحقيق ذلك اللقاء . لقد استمر قائما عبر كل التشعبات ، قاسم مشترك بين المسلمين ، كان طبيعيا ان يوحي بهذه الايجابية ، ويضمن فاعليتها ؛ ويمكن تصور هذا القاسم في نطاق ذي شقين :

1) — الحرص الطبيعي لدى الشعوب الاسلامية — ككل شعوب العالم الثالث — على تامين سلامتها القومية ، وضمان خط معقول لتحقيق تطورها الاقتصادي والاجتماعي والانفلات بذلك من اسار التخلف .

2) شعورها الفطري بانتمائها الاسلامي ؛ وحنينها المتجذر — رغم كل ما يمكن ان يوجد احيانا من مظاهر سطحية تستخفي ذلك الى ارتباطاتها الاسلامية التقليدية .

ان شقي هذا القاسم المشترك ، متممان لبعضهما في نطاق معين من التفكير كان لابد ان تصل اليه الدول الاسلامية ، بعد طول تجاربها — خلال العقود الاخيرة — بصدد البحث عن سبيل للامن والتطور عن طريق التعاون الدولي .

فما بين هذه الدول من وشائج القربى في الشعور والتفكير ، والتاريخ والتراث ودواعي الحنين الذي يراودها في العمق الى بعضها البعض ، لما يبيح لها اسسا عملية وناجعة لاقامة نظام فيما بينها للامن الجماعي ، واقرار قواعد سياسة موازية في مضمار التكافل الاقتصادي وما اليه .

صحيح ان الجانب العاطفي في الروابط الاسلامية لا بوسعه ان يستوعب مشاكل التنسيق بين مقدرات مجموعة بشرية ضخمة ، ذات ابعاد عالمية كالمجموعة الاسلامية ؛ لكن الذي هو صحيح كذلك : انه لا يوجد اي اساس آخر لارتباط مبدئي بين وحدات هذه المجموعة اقوى من ترابطها الاسلامي بما يستطيع ان ييسره من امكانيات التجاوب والتفاهم بين هذه الوحدات ؛ ومن الواضح ان حسن التفاهم والتجاوب بين اقوام ، من طبيعته ان ييسر احتمالات التعاون بينهم ؛ ويزيح بقدر ذلك كثيرا من العقبات المعترضة في هذا السبيل .

وفي اواخر الفترة ما بين الستينات والثمانينات الهجرية حيث كانت الظروف تتهيأ لتسهيل انعقاد

القمة الاسلامية بالرباط ، وكانت طبيعة هذا التطور ، تقضي بشد الدول الاسلامية بعضها الى بعض ، حدث تطور آخر يسير في اتجاه معاكس ، بحيث يقضي بالارخاء لا بالشد ، ارخاء ارتباطات بعض الدول الاسلامية بمحاور دولية معينة كانت ملتزمة لها ، خلال العقود الاخيرة ، وذلك كتمهيد لخلق وتقوية التزامات لها جديدة ، داخل المحور الذي كان يتهيأ تبلوره ، اي المحور الاسلامي .

وفي مضمون هذه الحلقة من التساسل ، (تغير موازين الارتباطات لصالح الاتجاه نحو الترابط الاسلامي) نلاحظ الظواهر الاساسية التالية ، التي اتخذ تطورها خلال العقد الاخير وتيرة اكثر اتساعا تبعا لمتغيرات الاوضاع العالمية في هذه الفترة .

1) بالنسبة لعالم الاحلاف

كان للتحولات الاساسية في العالم ، التي تمت خلال العقد الماضي (انخفاض حدة الحرب الباردة ، الاتجاه للوفاق بين الشرق والغرب ، انحسار نفوذ الدول الكبرى ، وتصاعد نشاط الاقطار الحديثة عهد بالاستقلال) كان لكل ذلك آثار متفاوتة في ارخاء ارتباط الدول الاسلامية الواقعة في معسكر الانحياز بهذا المعسكر ، وضعف التزاماتها نحوه بالنسبة لما كان عليه الحال خلال الستينات الهجرية وما بعدها ، ومقابل ذلك ، تم انفتاح افق امام هذه الدول يمكن ان تضع في نطاقه قسطا من الالتزامات التي تخدم مصالحها بصورة اكثر ملاءمة وذلك بما توفرت امكانيته عن طريق الاخوة الاسلامية ، وما يندرج في محصلتها من سبل التعاون والتكافل .

2) بالنسبة لمجموعة عدم الانحياز

توقف - عدم الانحياز والحركة الدولية التي تؤطره - عند حدود معينة اثناء الثمانينات الهجرية ، واتصالا بما قبلها قليلا كذلك ، لقد صار على هذا الاطار للتجمع الدولي - بعد ان خفت وطأة الحرب الباردة ، وتبلورت بصورة حاسمة سمة الفوارق بين الدول المصنعة والنامية ان يتجه الى استيعاب تضامن الدول المتشاركة فيه على صعيد اقتصادي ، بيد ان هذا التطور لم يتم بالوجه اللازم لاسباب من جملتها ، ان عدم الانحياز كان اصلا ، ذا منطلقات سياسية اكثر منها اقتصادية .

ويحكم تطور الفكر الدولي داخل مجموعة عدم الانحياز ، ومعانقة هذا التفكير - لقضايا التعاون الاقتصادي بين الدول المتشاركة ، فان ما تبلور عنه الحال في ذلك ، هو تلاقي عناية الدول غير المصنعة جميعها سواء منها الواقع في نطاق المحالفات الدولية ، او الملتزم لعدم الانحياز - حول الموضوع الاقتصادي بصورة اساسية ، وتطور الدواعي لديها الى التقارب - عبر مختلف الحواجز الدولية - حول هذا الموضوع .

وقد كان هذا معبرا مناسبا لفكرة التضامن الاسلامي ، كي تطرح نفسها على مجموعة الدول الاسلامية التي تعنيها نفس الاطروحات الاقتصادية الملحة على الاقطار الغير المصنعة ، كما تطابق احوالها الاقتصادية والاجتماعية نفس الوسائل تقريبا ونفس التخطيطات .

ولا يلزم عن تضامن البلدان الاسلامية - كما بدا واضحا في افق هذا التطور - انعزالها عن الخط العام للتعاون الذي يجب ان يكون موجودا بين مجموع دول العالم الثالث ، فالتضامن الاسلامي لا يعدو - وهو شيء واضح كذلك - ان يكون عملا على تجميع وتنسيق طاقات مجموعة معنية من مجموعات الدول النامية هي المجموعة الاسلامية ، ومن شأن هذا ان ينعكس ايجابيا على العالم الثالث ، الذي لا يمكن الا ان يفيد من نمو قوة دولية جديدة تقع في نطاقه ، وتحفزها نفس الاهداف الذي تحفزه نحو النمو والتطور .

3) بالنسبة لمحيط القومية العربية

ربما بدا للبعض في فترة من الفترات - ان حركة القومية العربية يمكن ان تكون بالنسبة للعرب ، بديلا عن رابطة روحية اخرى كرابطة التضامن الاسلامي ، اعتبارا بالاخص لصعوبة تحقيق مقتضيات هذه الاخيرة بالقياس للاولى ، وقد يكون وقر في بعض الاذهان احيانا ، ان الامر يصل الى حد عدم التعايش بين الفكرتين ، فاحرى تداخلهما في العالم العربي على نحو تكاملي وعملي .

الا ان تطورات الاحوال غداة الحرب الرابعة بين العرب واسرائيل (5 يونيه 1967) وما تلاها من وضوح الحاجة عند العرب الى تمدد محاور التضامن الدولي حولهم ، ثم ما تجلى من اهمية التضامن الاسلامي في هذا المجال ، كل ذلك

قد اظهر ان ليس من تناقض قط بين العربية والاسلامية فيما يهم العرب على الصعيد الدولي ، بل ان انصهارهما في بوتقة واحدة ، يشكل ضرورة نظرية وعملية ، لا معدل عنها كما ابان ذلك للدول الاسلامية غير العربية — وقد استعرضنا من قبل نماذج من مشكلاتها الدولية الخاصة — ان الالتزام مع العرب ضمن ستراتيجية تعاونية فعالة توامها الصبغة الاسلامية التي تعم الجميع — لا يمكن الا ان يدعم مقدرتها على حل هذه المشكلات ، ويتيح لها امكانيات ثمينة للعمل بهذا الشأن .

* * *

موضوعان آخران في مضمون منطق التلاؤم :

1) موضوع التكامل الاقتصادي :

شهد العالم خلال العقد الاخير ، استقطابا حادا بين قطاعين دوليين اساسيين ، هما قطاع الدول الغنية ، وقطاع الدول الفقيرة ويتجه هذا التمايز على الصعيد العالمي الى تجاوز معايير التمييز التقليدية بين المجموعات الدولية ، (المعسكر الشيوعي والراسمالي ، الانحياز وعدمه ، الدول الصغيرة والدول الكبيرة ، الاقطار النامية والمتقدمة) بحيث ان مقياس الفقر والغنى يسير نحو أن يصبح قاعدة شمولية للتمييز بين التكتلات العالمية ، تتضاءل في نطاقه ، كل مقاييس التمييز الاخرى ذات الصبغة الايديولوجية والسياسية وغيرها .

وحتى حالة التفاوت في التقدم التقني ذاتها قد بدات تاخذ طابعا ثانويا في تحديد الفوارق ، بين الدول ، بعد ان غدت مسالة ارتفاع الموارد والدخول ، او انخفاضها اساسا — وهو اساس منطقي حقا — لتعيين صفة الغنى او الفقر عند هذه الدولة او تلك وتصنيفها بالتالي على ضوء هذا الاعتبار ضمن مجموعة معينة من المجموعتين الدوليتين الفقيرة او الغنية .

على ان الدول الفقيرة او الغنية ، ليست سواء في مستوياتها فقرا او غنى ، فثمت دول فقيرة نسبيا ودول مدقعة ، وثمت من الاقطار ما هو ثري ، ومنها ما هو من الثراء في درجة مطلقة .

ويشكل المحيط الاسلامي بالذات عالما قائما بنفسه ، من هذه الناحية ، فهو يضم من الاقطار حشدا متنوع الاحوال ، فقرا بمختلف نسبه ، وغنى بنسب متفاوتة كذلك ، ومثل هذا التفاوت الكبير في الكثافات الديموغرافية واستعدادات السكان ومردودية التشغيل ، والامكانيات التقنية الموفورة كذلك .

وهذه التفاوتات تشكل في الواقع داعيا ملحا الى سلوك سبيل التفاعل والتكامل ، اعتمادا على تبادل الامكانيات والطاقات ، وتقوية الكيان المشترك بعضه ببعض على أساس ذلك ، بل انه في الوسع اعتبار التضامن الاسلامي من هذه الناحية ، اقوى من اي سبيل آخر للتضامن ، نظرا لعمق الروابط المعنوية التي تشد مبدئيا ، المسلمين ، الى بعضهم افرادا وجماعات .

وعلى الرغم مما يبدو من كون هذه التصورات، قد لا تكون اكثر من مثاليات نظرية ، لكن التغيرات التي سجلتها العقود الاخيرة على المسرح العالمي ، وما حصل خلالها من مراجعات رامية تنصب على اعادة تقييم العلاقات بين الامم ، من شانها — وقد حصل ذلك فعلا — ان تبرز فكرة التضامن الاسلامي ، كامكانية يعتمد عليها في اقامة نظام للتعاون الدولي ، ذي مردودية مضمونة .

2) موضوع الامن المتبادل :

ويرتبط بتبادل المنافع المادية في هذا النطاق، تبادل الامن كذلك ، والامن ضرورة لا عوض عنها لامكانية تطوير المبادلات على كل مستوى ، داخل قطاع دولي معين ، واقرار جو ملائم لشيوع الازدهار في نفس النطاق ، وهو المراد اساسا من هذه التبادلات .

ان الاوضاع التي تتخذها الاراضي الاسلامية نفسها ، لتنطبق على بعض مقتضيات ضرورات الامن المتبادل ، بالوجه الذي اشرنا اليه .

ويظهر شيء من هذا في التوازنات الجغرافية الملحوظة بين المناطق الاسلامية في العالم بحيث ان التجاور بين هذه المناطق، يهيء لها اوسع احتمالات لحماية بعضها ظهر بعض ، كما يمكنها امتدادها الموصول تقريبا بين شرق وغرب ، من تحقيق ترابط ثمين بينها ، له اهمية قصوى في شمولية اثر الوقاية

المتبادلة في العالم الاسلامي ، اذا ما اقام نظاما مضبوطا لهذه الوقاية .

ويمكننا أن نتبين خطوط هذا التلاحم الجغرافي في المتوازيات التالية :

الشمال الافريقي ، والخط الموازي له جنوب الصحراء ، من المحيط الاطلسي ، الى منابع النيل .

خط الدول الواقعة على البحر الاحمر وغربي المحيط الهندي والخط الموازي له شمالا عبر تركيا وايران وافغانستان وفي مدى ابعد ، الباكستان .

الارخبيل الايندونيسي ، والخط الموازي له شمالا ، من خلال ماليزيا وجنوب الفلبين .

— * —

رؤيـــة اجماليـــة :

هذه لمحات عن المناخ العالمي الذي تبلورت في طيه الاتجاهات اثناء العقود الاخيرة ، الى اقامة اسس التضامن الاسلامي على مستوى دولي شامل ، مع عرض لبعض الافكار التي لا بد ان تكون تضافرت بصورة او باخرى على ترجمة النوايا المتصلة بالموضوع الى انجازات عملية .

وبطبيعة الحال ، فمنظمة المؤتمر الاسلامي الحالية بتنظيماتها ومؤسساتها ، وملتقياتها الدولية، تشكل القاعدة العملية ، القائمة الان ، للنفوذ من التنظيرات المثالية للتضامن الاسلامي ، الى مجال التطبيق الفعال لهذا المبدأ .

وتتجه المؤسسات المحركة لهذا الجهاز ، الى التبلور في صورة تنظيم جدي للتجميع والتنسيق والتركيز على مستوى العالم الاسلامي ، بما يؤثر في تطوير علاقات اقطاره مع بعضها ، ويضبط ضبطا منطقيا ، مجموع علاقاته بالعالم حوله .

ان اقامة المؤسسات خطوة حيوية في السبيل نحو انجاز عمل حقيقي لبلوغ اهداف ما ، ضمن نطاق مبدا معين ، ومن هذا المنظور ، يمكن اعتبار ما تم التوصل اليه من مؤسسات اسلامية ــ خلال هذه السنوات الست ــ مظهر تطور جيد بالنظر لما تقتضيه في العادة اقامة المؤسسات من اتفاق فعال بين الجهات التي يعنيها الامر ، وما يوجبه ذلك من التزامات وتحملات وتكاليف مختلفة ، يتعين الايفاء بها ، وبكيفية فورية في بعض الاحوال .

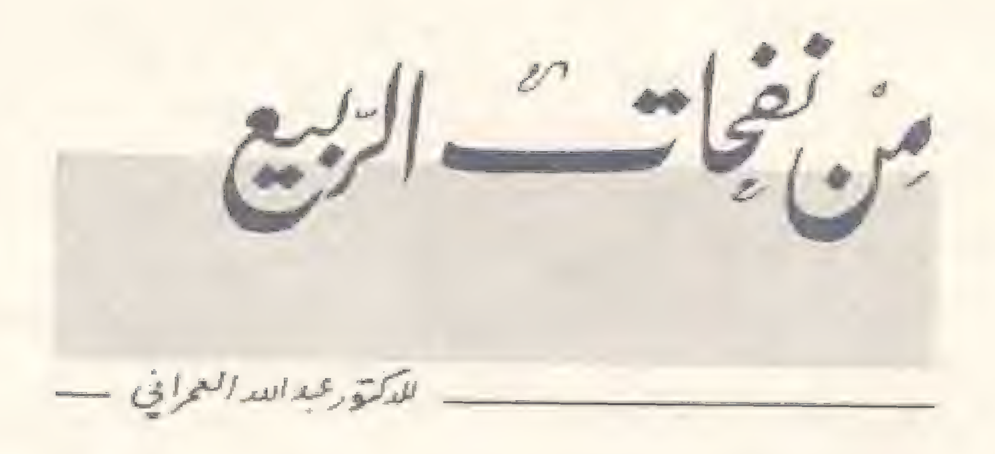
وتستوعب المؤسسات المقامة مختلف مقدرات العالم الاسلامي ، تنظيمية وسياسية واقتصادية واجتماعية وثقافية وحضارية ونحوها .

والواقع ان الممكنات الضخمة المتوفرة للعالم الاسلامي ، من شسوع مساحة ، وحساسية مواقع ، وكثافة وجود بشرى ، وتنوع طاقات وموارد ، وتعدد علاقات دولية ، ليكون في حد ذاته ، مشكلة تنظيمية غير هينة ، اذا لم تكن المؤسسات الموجهة لتاطير هذه الامكانيات ، موسومة بالشمول والدقة والدينامية والعملية .

فليس المهم ــ بطبيعة الحال ــ ضخامة حجم العالم الاسلامي ، وعملاقية ممكناته ، وانما المهم ايضا ، وربما الاهم ، هو مدى القدرة على احداث التلاؤم والتفاعل بين اجزاء هذا الحجم ، والتوصل من ذلك الى صياغة الصورة البشرية والمادية لعالم اسلامي ذي استعدادات حقيقية لخوض معترك الحضارات في القرن القادم ، والفوز في ساحة هذا الرهان .

وان ما تم عته الخطوات الواقعة حتى الان لمما يترك انطباعا بان العزائم قارة على الاتجاه في هذا السبيل ، وتحقيق اقصى ما يمكن من مستهدفاته .

سلا : المهدي البرجالي



مِنْ نفحاتِ الرّبيع

للدكتور عبد الله العمراني

... ان الرباط ، وهي تعتز بانها مقر اول مؤتمر قمة في تاريخ الامم الاسلامية، لقمينة ان تقوم بمناسبة يوم ميثاق التضامن الاسلامي باول مبادرة في دراسة انتاج الادباء المسلمين من فرس وترك وهنود وغيرهم فتعيد النظر في مناهج تاريخ الآداب ودراستها ببعض كلياتها الجامعية ومعاهدها العليا ، وبذلك تخلق لتاريخ الاسلام والامم الاسلامية الذي ندرسه ونعني به ، صنوه الذي طالما حن اليه ، وترقبه بفارغ صبر ، وهو تاريخ الادب الاسلامي ...

احلى فترات العمر فترة الشباب . واجمل فصول السنة فصل الربيع . وما الربيع الا حلية الزمان والمكان وحلتهما القشيبة التي قد تذبل وتنهرا حين تبلى ، ولكنها دائما تتجدد ولا تفنى .

بعض البلدان تتمتع بفصولها السنوية المتتالية المتميزة الواضحة ، تماما كما يتمتع بعض الناس بشبابهم خير ما يكون التمتع ، بسبب توافر الوسائل المادية والروحية التي حاطت حياتهم بسياج من العناية والرعاية وحسن التربية والتوجيه . بينما اقطار اخرى تكاد تكون محرومة من الاستمتاع بجمال الربيع ، لأن الطبيعة شحت ازاءها فلم تمنحها فصولا مكتملة متميزة ، بل حبتها فقط فصلين رئيسين : احدهما صيف والآخر شتاء ، او احدهما حار والآخر اقل حرارة .

ان مثل هذه البيئات المحرومة من التمتع بكل الفصول الزمنية ، تظل حياتها مفتقرة الى كثير من مظاهر الجمال الطبيعي التي تتجلى في مواكب الربيع الزاهية الصاخبة . وان الاديب او الشاعر – وهو ابن بيئته ومرآة مجتمعه – يظل انتاجه النثري او الشعري – تبعا لذلك وبسبب من ذلك – محتاجا اشد ما تكون الحاجة ، الى التغني والتعلي بجمال الربيع ، وفتنة شجره وزهره ، ووفرة مائه ، وهدير خريره ، وهديل يمامه وحمامه ، وشدو طيوره ، وزقزقة عصافيره ... الى غير ذلك مما يؤلف « سيمفونية » الربيع الخالدة .

قد تدخل شبه الجزيرة العربية مهد العروبة ومبعث الاسلام – ضمن البيئات المحرومة من فتنة الربيع الخلابة ، فلانجد ادب الزهر او الربيع واضح المعالم ، بين القسمات في المعلقات او في غيرها من نتاج شبه الجزيرة الادبي، ولكننا لا نستطيع ان نخلي ساحات البيئات العربية – الاسلامية الاخرى من نفحات الربيع ، وتألق جماله ، وروعة مغانيه . وان اي اديب يتحدث عن الربيع ، لا يمكنه ان يفعل ذلك

دون ان يقفز الى ذهنه اسم الشاعر العباسي الخالد ابى عبادة الوليد بن عبيد البحترى ، ودون ان ترتسم امام مخيلته صورة من شعره الرقيق الحاشية ، الصافي الديباجة ، ودون ان يهجس خاطره بأبياته التي قالها في وصف الربيع ضمن قصيدة طويلة مدح بها السيد الهيثم الغنوى ، تلك الابيات التى قالها رحمه الله فخلق من ذلك الفصل شخصا جم النشاط والحركة ، مليئا بالحيوية ، بديع الجمال :

وما نور الروض الشآمي بل فتى
تبسم من شرقيه فتبسما

اتاك الربيع الطلق يختال ضاحكا
من الحسن حتى كاد ان يتكلما

وقد نبه « النيروز » فى غلس الدجى
اوائل ورد كن بالأمس نوما

يفتقها برد الندى ، فكأنه
يبث حديثا كان قبل مكتما

ومن شجر رد الربيع لباسه
عليه ، كما نشرت وشيا منمنما

احل ، فابدى للعيون بشاشة
وكان قذى للعين اذ كان محرما

ورق نسيم الريح حتى حسبته
يجيء بانفاس الاحبة نعما

وانذكر انى ذات مرة قرأت للمرحوم عباس محمود العقاد نقدا للمرحوم امير الشعراء احمد شوقي ينعى عليه ربيعياته ، زاعما ان ابيات البحترى هذه ، تزرى بكل ما قال شوقي فى الربيع . ولعل الناقد الكبير يقصد ابياتا من قصيدة طويلة قالها الشاعر فى الروائى (هول كين) وافتتحها بقوله :

آذار اقبل ، قم بنا يا صاح
حي الربيع حديقة الارواح

— * —

الى ان قال :

ملك النبات ، فكل ارض داره
تلقاه بالاعراس والافراح

منشورة اعلامه من احمر
قان ، وابيض فى الربى لماح

لبست لمقدمه الخمائل وشيها
ومرحن فى كنف له وجناح

يفشى المنازل من لواحظ نرجس
آنا ، وآنا من ثغور اقاح

ورؤوس (منثور) خفضن لعزه
تيجانهم عواطر الارواح

الورد فى سرر الغصون مفتح
متقابل يثنى على (الفتاح)

ضاحى المواكب فى الرياض مميز
دون الزهور بشوكة وسلاح

مر النسيم بصفحتيه مقبلا
مر الشفاه على خدود ملاح

وبنائق النسرين فى اغصانها
كالدر ركب فى صدور رماح

والياسمين : لطيفه ونقيه
كسريرة المتنزه السماح

متألق خلل الغصون كأنه
فى بلجة الافنان ضوء صباح

و (الجلنار) دم على أوراقه
قانى الحروف كختام السفاح

وكأن محزون (البنفسج) ثاكل
يلقى القضاء بخشية وصلاح

— * —

فى جولتنا هذه الادبية ، وفى انتقالنا من الشرق العربى الى الشرق الاسلامى ، نجد انفسنا امام خاطرة تفرض نفسها ، وازاء تساؤل لا ينبغى تجاهله او اغفاله . ذلك اننا فى دراستنا الادبية ، وفى تاريخنا للادب نهمل — لا عن قلى — انتاج الادباء المسلمين من فرس وترك وهنود وغيرهم ، مع ان لهؤلاء شعرا ونثرا انتجوه بلغتهم الاصيلة « الام » ، كما انتجوا بلغة دينهم الجديد : العربية .

افما كان علينا – نحن العرب المسلمين – ان نؤرخ لادبهم ايضا ، وندرس بعض انتاجهم ولو قيل بلغة اخرى غير العربية ؟ واعتقد ان اعتناق غير العرب للاسلام فرض عليهم تعلم لغة دينهم وجعلهم يتحجون بها تارة ؛ وبلغاتهم الوطنية تارة اخرى ؛ واعتقد اننا في طموحنا العربي نسعى ونرحب بتدريس لغتنا العربية وادبنا العربي في جامعات الدول الاسلامية ومعاهدها العليا . فهلا كان ذلك شفيعا لدى واضعي المناهج العربية ومؤرخي الادب العربي كي يلتفتوا الى الادب الاسلامي بالدرس والتحليل ، وبالعناية التي يستحقها !

ان الرباط ؛ وهي تعتز بانها مقر اول مؤتمر قمة في تاريخ الامم الاسلامية ؛ لقمينة ان تقوم باول مبادرة في الموضوع ، فتعيد النظر في مناهج تاريخ الآداب ودراستها ببعض كلياتها الجامعية ومعاهدها العليا ، وبذلك تخلق لتاريخ الاسلام والامم الاسلامية الذي ندرسه ونعنى به ؛ صنوه الذي طالما حن اليه ؛ وترقبه بفارغ صبر ؛ وهو تاريخ الادب الاسلامي .

خطر لي هذا كله عندما كنت اتصفح بعض انتاج الشعراء المسلمين بالشرق الاسلامي ؛ وهو الذي حدا بي الى تعريب بعض ما قالوه في وصف الربيع (1) .

الربيع في بلخ

لشاعر بالفارسية ابي شكور البلخي الذي هو من شعراء العصر الساماني (القرن العاشر الميلادي) . قال يصف الربيع في مدينة بلخ التي كانت يوما ما قاعدة خراسان ؛ واصبحت اليوم مجرد قرية بجمهورية افغانستان الفتية :

الحديقة هكذا ملأى بالزهور

حتى لتشبه كتاب رسوم (ماني)

اذلك لافتتان عيني (المجنون) بالحب

ولازدهاء المروج بجمال (ليلى) ؟

الندى في كاس الخزامى

يشبه المدام في قدح من اليشب

والنرجس الطرى يلمع كتاج الاكاسرة

والبنفسجة في غلائها الزرقاء اشبهت راهبا

فهل ارتدت الى المسيحية ؟

ونعرج على شاعر بلخي ايضا هو ابو منصور محمد الدقيقي المتوفى سنة – 370 هـ / 980 م ، والذي هو اول شاعر ملحمي في فارس المسلمة ، بدا ملحمة الفرس الخالدة : شاهنامه (اي كتاب الملوك) ، واكملها بعد موته الشاعر المعروف : الفردوسي (ت 412 / 1021) قال الدقيقي في :

اغنية الربيع

يا معبودتي ،

الغيمة العلوية تنشر اكرم وشاح للربيع

والحديقة المزهرة

تضاهي جنة عدن ؛

والاشجار مزدانة بالنوار

تبدو كحوريات الفردوس ،

والارض كثياب سندس مقرمز

والجو مثل وشي مائل للزرقة

* * *

حان الوقت لتكون معي ظريفتي

بوجهها الشمسي المشرق

مثل القمر يعكس اشعة الشمس

* * *

آن الاوان لان اكون

مع معبودتي الزهرية النظرات

ومع خمر داكنة اللون كمسوح راهب .

* * *

العالم شبيها بطاووس

---

(1) براجع : Najib Ullah - Islamic Literature, PP, 227, 233-4, 313-4, 338.

في الواتــه الالـــفه

ليـــن في بعض الأماكـــن

صلب في بعضها الآخــر .

الســهل هكذا جميـــل

حتى ليــدو في صفحتــه

كأن يد الربيع رسمتــه

بســـواد المســك

ولون الراح القرمــــزي

صـــــورة محبـــوبتــــي .

❊ ❊ ❊

يـــــا حبـــــي

للطين بعــــد المطر

عبيـــر الـــورود

مذ صاغتهمـــا معـــا

يــــد الطبيعة الصنـــاع

❊ ❊ ❊

من كـــل خيـــر وشـــر

في هذا العالم المتغيــر

اختار (الدقيقى) اربعـــا

للحب المتملك ، للصون :

شفاها بلون الياقوت الأحمــــر

حسن ايقـــاع قيثـــارة

نبيذا احمر يبهـر البصـر

ثم عقيدة (زرادشت) ؟ ؟ ؟

واذا كان (ابو شكور) تساءل في آخر قصيــدته عن البنفسجة وهل ارتدت الى المسيحية ؟ فاننـــا نتساءل بدورنا ـ اعتمادا على البيت الاخيـــر ـ : هل ارتد الدقيقي الـى الزرادشتية ؟ وهل كان واحدا من اولئك الشعراء الذين كانوا يتظاهرون بالاسلام بينما كانوا يعتقدون في الباطن اديان آبائهم القديمة مـــن زرادشتية ومازدية ومانوية ؟

لندع هذا الآن ، ولنواصل تصفح صحائف الربيع التي دبجتهــا يراعات الشعراء المسلمين غير العــرب فنقرا للشاعر الهندي امير خســرو (ت 1325 م) اعظم شعراء الهند في عهد الحكم التركي الافغاني . قـــال عن موضوع :

الربيـــع

ياتي ذلك الوقت حين ياخذالنسيم طريقه للحديقة

ويزين الارض بعشب يشبه السندس

والأشجار والاغصان بالزهـــور .

ينساب الماء من ينبوعه في جداول مرتجفة

وزهرات الخزامى توقد نارا وهاجة . . .

❊ ❊ ❊

المطر ينهمر من الغمامـــة

وانا ملزم بفراق عشيقتى

لا احد ينبغى ان يهجر عزيزته في وقت كهذا .

الغمامة : ومحبوبتي ؛ وانـــا

ثلاثتنا نذرف الدمـــوع

وشاعر آخر هو قعنى الشيرازي يتحدث لنـــا عن نفس الموضوع (الربيع) فيقول :

اهي بنفسجات نامیات على ضفاف الجدول

ام هـــي حوريات مـــن الفـــردوس

ينشـــرن شعرهـــن المتمـــاوج ؟

اذا لم تكن قـــد رايـــت

كيف تندلع اللهب من الحجارة

فانظر الى ورقات الخـــزامـــى

فـــي الحقول الخزاميـــة ؛

فهي تثب وتعلو كشرر النـــار

من صخور الجبال ... (2)

ولنول وجوهنا في رحلتنا الربيعية شطر المغرب ، فنختار لشاعرين غربيين :

1 ـ احدهما قديم ينتمي الى ارض الاندلس الحبيبة ، وقد اختاره المغرب هذه السنة ليحتفل بذكرى ميلاده الالف ، وهو الشاعر العاطفي (الرومانسي) ابو الوليد احمد بن عبد الله بن زيدون (ت 463 هـ / 1071 م) الذي يقول في مخمسة له :

ويا حبذا (الزهراء) بهجة منظر
ورقة انفاس وصحة جوهر

وناهيك من مبدا جمال ومحضر
وجنة عدن تطبيك وكوثر

بمرأى يزيد العمر طيبا ونسا

* * *

معاهد ابكيها لعهد تصرما
اغض من الورد الجنى وانعما

لبسنا الصبا فيها حبيرا منمنما
وقدنا الى اللذات جيشا عرمرما

له الامن ردء والمداواة مربا

* * *

كساها الربيع الطلق وشي الخمائل
وراحت له مرضى الرياح البلائل

وغادى بنوها العيش حلو الشمائل
ولازال منا بالضحى والاصائل

سلام على تلك الميادين يقرا

ونقتطف الابيات التالية من مخمسة له ثانية :

سقى جنبات القصر صوب الغمائم
وغنى على الاغصان ورق الحمائم

بقرطبة الغراء دار الاكارم
بلاد بها شق الشباب تمائمي

وانجبني قوم هناك كرام

ويوم لدى النيلي في شاطىء النهر
تدار علينا الراح في فتية زهر

وليس لنا فرش سوى يانع الزهر
يدير بها عذب اللمى اهيف الخصر

بفيه من الثغر الشنيب نظام

ويوم بجوفي (الرصافة) مبهج
مررنا بروض الاقحوان المدبج

وقابلنا فيه نسيم البنفسج
ولاح لنا ورد كخد مضرج

نراه امام النور وهو امام

— ◆ —

2 ـ والشاعر الغربي الآخر الذي اخترناه من شبه جزيرة الاندلس ، حديث ، هو « بابلو بيغيربر » الذي عربنا له « انشودته عن الربيع » ، ويجد القارىء الكريم نصها في (ديوان المجلة) من مجلته المحبوبة (دعوة الحق) الغراء .

تطوان : د. عبد الله العمراني

(2) تراجع « قصيدة الربيع » للشاعر محمد اقبال ترجمة الاستاذ عبد الوهاب عزام . رسالة المغرب عدد 140 السنة 11 شعبان 1371 مايو 1952 .

كيف تأسست دولة باكستان الإسلامية

للاستاذ سعيد أحمد

مما يجب ان يعلمه كل مسلم ان باكستان التي اعلن وجودها رسميا منذ ثمانية وعشرين عاما مضت كدولة اسلامية مستقلة متحررة من الاستعمار البريطاني والارهاب الهندوكي ، انما جاءت نتيجة صراع طويل شاق وتضامن واتحاد بين المسلمين كان مضربا للامثال ادى في النهاية الى خلق هذه الدولة المسلمة الفتية .

ولقد حارب هذا التجمع الاسلامي من اجل عقيدة راسخة وهدف ثابت هو صون مجتمع المسلمين من الاضطهاد والتهتك وحفظ الثقافة والمبادىء الاسلامية من الاندثار على يد الهنادك وصيانة القيم الروحية من العبث والفساد ، لذلك طالب المسلمون بوطن مستقل لهم ، واعلن هذا المطلب لاول مرة يوم الثالث والعشرين من شهر مارس 1940 بعد اتفاق جميع المسلمين عليه في اجتماع المؤتمر الاسلامي لعموم الهند الذى عقد في مدينة لاهور في ذلك التاريخ ، واستطاع المسلمون تحقيق هذا الهدف التاريخي في مدى سبع سنوات فقط وهو زمن قياسي بالنظر الى مقاومة كل من الهنادك والانجليز له ومحاربتهم انجازه بكل الوسائل والسبل ، ولكن المسلمين بفضل تعاونهم وتآزرهم تمكنوا من تخطى كل العقبات واجتياز كل الموانع .

الجهود المثمرة :

كان اول من بشر بوحدة اسلامية في القرن التاسع عشر هو المرحوم العالم جمال الدين الافغاني (1838 — 1897) نطالب باتحاد العالم الاسلامي لمواجهة تحديات دول الغرب وتسلطهم وسيطرتهم ، وكان في شبه القارة الهندوباكستانية مناضل آخر من مناضلي الوحدة الاسلامية يقود مقاومة المسلمين ضد احداث الشغب والاضطهاد والقتل التي كان يقترفها ضدهم الهنادك عام 1857 ، ذلك هو السيد احمد خان (1817 — 1898) الذى بذل جهودا مستميتة من اجل تجميع المسلمين صفا واحدا للجهاد ضد تلك الطغمة الباغية من الهنادك والعناصر الاخرى المعادية للمسلمين الذين كانوا يخططون من اجل اخضاعهم واستعبادهم ، وقد عمل باخلاص لتحذير شعبه من تلك الخطط واخطارها ، وقد اقتنع سيد احمد خان في نضاله ان طائفتي المسلمين والهنادك شعبان منفصلان لا يمكن ان يعتليا عرشا واحدا او يتظللا بسلطة واحدة او يتمتعا بقوى متساوية ، فكل منهم يهاجم الآخر ويحاول صرعه ، والامل في ان يتعايشا تحت سقف واحد هو تمني المستحيل الذي لا يمكن تحقيقه او حتى تصوره . ومقاومة اهداف حزب المؤتمر الهندى الذي تأسس عام 1885 بهدف دمج القوميات المجتمعة في شبه القارة ، في قومية واحدة يسيطر عليها الحزب والعمل



على النهوض بالهنادك في جميع المجالات وتمكين الروابط بين الهنادك والانجليز .

الدعوة الى الاتحاد :

وقد ادرك السيد احمد خان مدى ما يمكن ان تسفر عنه هذه المؤامرة الانجليزية الهندوكية الجديدة على المسلمين من وبال وانه سوف يكون من المستحيل على الحكومة البريطانية ان تحفظ السلام في شبه القارة وانها لن تستطيع وقف اعمال العنف والحروب الاهلية التي يمكن ان تندلع نتيجة لهذا العمل . ودعا السيد احمد خان المسلمين الى المحافظة على تضامنهم وجمع صفوفهم والقبوع بمنأى عن هذا الحزب الذي وجد ليدافع عن مصالح الهنادك وحدهم .

وقد لبى المسلمون جميعا دعوته فقاطعوا حزب المؤتمر وحدث بعد ذلك ما ايد بعد نظر السيد احمد خان وذلك عندما هال اللورد كرزن اتساع اراضي بلاد البنغال وقام في عام 1905 بتقسيمها الى ولايتين فقام الهنادك باضطرابات واسعة النطاق شملت كل ارجاء الهند متذرعين بأن المسلمين قد منحوا ولاية اغلبيتها مسلمة وان هذا من شأنه ان يضعف روح الوطنية الهندية لا سيما وان البنغال هي اقوى مركز لحزب المؤتمر . وبينما ان هذا التقسيم قد ازعج الهنادكة فانه من ناحية اخرى قد سر المسلمين ، وطالب السيد احمد خان المسلمين بأن يحذروا نيات الهنادك وان لا يتوقعوا منهم أي اتزان او موقف عادل بل على المسلمين ان يعتمدوا على جهودهم وكفاحهم الذاتي .

حزب الخلاصي

وفي عام 1906 تأسس حزب الجامعة الاسلامية للدفاع عن حقوق المسلمين ومصالحهم واعلن استنكاره للحركات التي يقوم بها الهنادك ضد التقسيم ، وعندما ارادت الحكومة البريطانية اجراء انتخابات في البلاد لتكوين مجلس استشاري ، رأى المسلمون ان حقوقهم سوف تضيع مع اكثرية هندوكية فطالبوا بانتخابات منفردة وذهب وفد برئاسة اغاخان الثالث ممثلا لجميع اتجاهات المسلمين وقابل اللورد منتو نائب الملك في مصيف سملا في اول اكتوبر 1906 وقدم اليه مطالب تتمثل في جعل انتخابات المسلمين في كل الولايات منفصلة عن انتخابات الهنادكة بحيث ينتخب كل من المسلمين والهنادك ابناء طائفتهم فقط وعلى ان يمنح المسلمون قسطا اكبر في المجالس ويزداد عدد مقاعدهم في تلك المجالس . ونجح المسلمون في تحقيق بعض هذه المطالب رغم معارضة حزب المؤتمر الشديدة لها . وقد اعلنت ضمن اصلاحات منتو ومورلي التي قدمتها الحكومة البريطانية عام 1909 بعد الاتفاق عليها في اجتماع لكهنؤ الذي ضم كلا من حزب المؤتمر والجامعة الاسلامية ، ولكن هذا الاتفاق لم يكتب له الاستمرار طويلا اذ عندما تولى نهرو زعامة حزب المؤتمر قدم عريضة تطالب بالغاء جميع مقررات لكهنؤ لما منحته من فرص للمسلمين وتبنى حزب المؤتمر هذه العريضة عام 1928 ووافق عليها ، وقد كان تقرير نهرو هذا وموافقة حزب المؤتمر الهندي عليه لطمة قاسية للمسلمين افاقوا بعدها بعد ان ظنوا انه يمكنهم التعاون مع الهنادك ، وكان عليهم حينذاك ان يصمموا بلا تراجع عن الانتخابات المنفردة والمقاعد المحددة داخل المجلس الاستشاري .

مؤتمر كلكتا :

عقدت جميع الاحزاب في شبه القارة مؤتمرا عاما في مدينة كلكتا عام 1929 لمحاولة الاتفاق فيما بينها على مبادىء مفصلة للتعايش السلمي وصيانة حقوق الاقليات ولكن كل الجهود التي بذلت في هذا المؤتمر باءت بالفشل فعم السخط زعماء المسلمين وايقنوا تماما انه ليس هناك مفر من الانفراد بوطن مستقل لهم . وقد علق القائد الاعظم محمد علي جناح على نتائج المؤتمر بعد نهايته بأن « الغلبة الطائفية قد كشفت نفسها بانها تريد الهندستان للهنادك فقط » كما اشار مولانا شوكت علي قائلا « لقد كنت طوال حياتي اعجب بالكلاب السوقية ولكنني لم ار قبل الآن كلبا يلتهم ارنبا بالاسلوب الذي تريد به الطائفة الكبيرة ان تعامل الاقلية الدينية في الهند » . وكان ان اعلن القائد الاعظم نقاطه الاربع عشر التي عبرت عن الحد الادنى لمطالب المسلمين في الهند .

ليس المسلمون باقلية :

وقد اعلن المسلمون بعد انتهاء مؤتمر المائدة المستديرة الفاشل انهم ليسوا باقلية على الاطلاق فالطائفة الموجودة في الهند وحدها يبلغ تعدادها اكثر من سبعين مليونا من المسلمين وهذا العدد لا يمكن ان يطلق عليه اقلية .





الشقيقان المجاهدان مولانا محمد علي جوهر ومولانا شوكت علي



شاعر الانسانية اقبال اول من تنبأ بخلق باكستان



العالم جمال الدين الافغاني أول من نادى بوحدة المسلمين لمواجهة الاستعمار الغربي

وحدث بعد ذلك ان اجريت انتخابات عام 1937 فى الاقليم المتحد فاز فيها حزب الجامعة الاسلامية بعدد كبير من المقاعد وكان من المحتم بعدها تشكيل حكومة ائتلافية تضم الحزب الاسلامى وحزب المؤتمر الهندى .

حزب المؤتمر ينفضح

تمسك حزب المؤتمر بمبادئه الطائفية ووضع امام المسلمين شروطا قاسية ليحد من امكانية اشتراكهم فى الحكومة بل ليجعلها مستحيلة ، ففرض عليهم حل تنظيمهم البرلمانى المستقل واجبر اعضاءهم على ان يلتزموا بتعهدات معينة كما اشترط ان يتم التصويت على القرارات داخل المجلس بالاغلبية المطلقة وليس بتصويت منفرد لكل من المسلمين والهنادك وكان من العار على المسلمين الانصياع لتلك الاشتراطات فقرروا مقاطعة المجلس مقاطعة تامة .

وتعليقا على هذه الواقعة قال رتشارد سايموند « ليس هناك حادثة اوقع من هذه لجعل باكستان حتمية الوجود » . وخلال ذلك العام والعامين التاليين تعرض المسلمون لاشد الوان الهوان واقسى انواع التعذيب والطغيان من الهنادك ، وقد ذكر عن ذلك بيربار فى تقريره ان اطفال المسلمين كانوا يجبرون على ترتيل الباندى ماطرام وهى اناشيد وثنية تحض على كراهية المسلمين كما اجبروا على عبادة صورة غاندى ، وحرم عليهم ذبح البقر واكل لحمه بل حرم عليهم لمسه ، وقبرت اللغة الاردية وحروفها المطبعية كمحاولة لدثرها . وكان رجال الشرطة يشجعون الهنادك على اتيان اعمال الشغب ضد المسلمين ويغمضون اعينهم عنهم ، كما استحوذ الهنادك على كافة الوظائف الحكومية والمناصب الرفيعة

دعوة الى التهنيد :

كل ذلك جعل المسلمين اكثر تصميما على الاستقلال ، بتبنى شودرى رحمة على دعوة جمال الدين الافغانى ببعث جمهورية اسلامية .

وفى دورة الانعقاد السنوية لحزب الجامعة الاسلامية لعموم الهند عام 1930 فى اله آباد اعلن العلامة اقبال اقتراحه بخلق دولة منفصلة للمسلمين مشيرا الى ان الهند صورة مصغرة للقارة الاسيوية فهى تضم جماعات تنتمى الى سلالات واجناس متعددة ويتحدثون لغات مختلفة ويؤمنون بعقائد متباينة .

منطق التقسيم :

وعندما عرض دستور 1935 راى المسلمون انه يتعارض كليا مع مبادئهم واهدافهم وانه لم يوضع الا تدعيما لموقف الهنادك ، وقد قال عنه العلامة اقبال « ان هذا الدستور الجديد قد صيغ خصيصا ليطيب خاطر الهنادك » . واصر اقبال على ان السبيل الوحيد لكى تنعم شبه القارة بالهدوء والسلام هو تقسيمها بين المسلمين والهنادك وبعث برسالة الى القائد الاعظم محمد على جناح معبرا عن افكاره هذه قائلا « ما الذى يمنع من ان تعتبر المناطق شمالى غرب الهند بالاضافة الى البنغال دولة قائمة بذاتها ذات اغلبية مسلمة » .

اعتدال المسلمين :

هاجم القائد الاعظم جناح حزب المؤتمر ووزراءه خلال الاجتماع السنوى لحزب الجامعة الاسلامية لعموم الهند عام 1938 واستنكر اضطهادهم للثقافات الاسلامية فى المدارس واجبارهم اطفال المسلمين على ترنيم الاناشيد الوثنية ورفع اعلام حزب المؤتمر على البنايات الحكومية والمؤسسات العامة . وعندما فشل حزب المؤتمر وفى محاولات المساومة مع الحكومة البريطانية فقد الثقة فى المجلس الاستشارى وانهى حكمه ، وكان ذلك جل ما يأمل فيه المسلمون لذلك فرحوا فرحا شديدا واحتفلوا بتلك المناسبة واعتبروا يوم الثانى من ديسمبر 1939 عيدا للخلاص

لم يحصل المسلمون على اى مكسب من تلك المناصب الاقليمية الا بفضل الوحدة والتماسك ، ولذلك فقد اكد القائد الاعظم عليها وحث جميع المسلمين على التضامن لان ساعة يسر المسلمين قد دنت وخلاصهم قد قرب وتحررهم بات وشيكا ، ونظم بعد ذلك مؤتمرا عاما للطلبة المسلمين عقد فى جامعة عليجرة الاسلامية يوم السادس من مارس 1940 وخطب فيهم قائلا « يجب ان تتلاحم مناكبكم وتقفوا صفا واحدا الى جانب الجامعة الاسلامية لعموم الهند حتى تصير كتلة صلبة من الحديد ، وعليكم ان تساهموا فى تنظيم شعبنا وتدريبه واعداده



سلطان محمد شاه آغا خان الثالث
الذي كرس حياته لخدمة المسلمين



مولانا ظفر علي محرر جريدة زمندار
واحد كبار حركة النهضة الاسلامية



سيد احمد خان الذي تزعم مقاومة
المسلمين لاضطهاد الهنادك عام 1857



شودري رحمت علي الذي اقترح اسم
باكستان لدولة المسلمين عام 1932

ليصبح افضل جيش سياسي راقية الهند قوة وفعالية ، وابشروا باننا قريبا سوف نبلغ حريتنا » .

لكل داء دواء :

تم الاتفاق في اجتماع المؤتمر الاسلامي لعموم الهند الذي عقد في مدينة لاهور في الثالث والعشرين من شهر مارس 1940 على ان المسلمين ليسوا باقلية وانه حينما احتل البريطانيون الهند كان المسلمون يحكمون الجزء الاكبر من شبه القارة وانه لا زالت الاغلبية العظمى في كل من اقليم البنغال والبنجاب والسند وبلوشستان والحدود الشمالية الغربية من المسلمين .

وانتهى الاجتماع الى قرار صريح اطلق عليه « قرار باكستان » نص على ان تتجمع الوحدات المتجاورة جغرافيا والتي يشكل سكانها اكثرية مسلمة لتتالف منها دولة مستقلة تعدل حدودها بحسب الضرورة وتتمتع بالحكم الذاتي والسيادة وعلى ان ينص الدستور بصورة خاصة على منح الاقليات في هذه المناطق والاقاليم ضمانات لحماية اديانهم وثقافاتهم واقتصادهم وغير ذلك من الحقوق والمصالح وذلك بالتشاور معهم ، كما يجب ان ينص الدستور على اعطاء الاقليات الاسلامية وغير الاسلامية في الاجزاء الاخرى من شبه القارة نفس الضمانات .

وقد تولى القائد الاعظم محمد على جناح شرح تلك الاهداف قائلا « ان المسلمين يؤمنون باله واحد ونبي واحد ويعتقدون في كتاب مقدس واحد هو القرآن الكريم لذلك فان عليهم ان يظهروا كأمة متحدة ومستقلة » كما اصدر نداء الى العالم الاسلامي ذكر فيه « اننا نقوم الآن ببناء دولة جديدة لكي تقوم بالدور المخصص لها وتأخذ نصيبها المقدر لها في العالم الاسلامي » . كما ادلى القائد الاعظم في يوم الثاني من شهر مارس عام 1940 بتصريح قال فيه « انه عندما يحين الوقت الذي يكتب فيه التاريخ ، فانه سوف يسجل بفخر صحوة التسعين مليونا من المسلمين الذين هبوا في الثلاث سنوات الاخيرة وجمعوا صفوفهم حول قيادة واحدة وراية واحدة وهو ما لم يشهده التاريخ خلال القرنين الماضيين ، ولقد كان الخصوم والاعداء يأملون عدم حدوث هذا التغيير بل كانوا يتمنون زيادة الفرقة والخلاف في صفوفنا » . وفي الخامس والعشرين من شهر ديسمبر عام 1942 القى برسالة اخرى وجهها الى المسلمين في شبه القارة « ان اعظم انجاز اتمناه هو تحقيق تضامننا واتحادنا ، فكل المسلمين الآن يتحدثون بصوت واحد ويسيرون تحت راية واحدة ونحو هدف واحد ، ولا احيد عن الحقيقة اذا اعلنت انه لا توجد طائفة اكثر تنظيما من المسلمين في شبه القارة » .

وحدة العقيدة

وفي الخطاب الذي القاه في الثالث والعشرين من شهر مارس عام 1943 قال « ان هذه الامة التي اطلق عليها بالخطأ اقلية قد اثبتت وجودها بسرعة فائقة تحسد عليها ، فطالما اضطهدت في الهند وغلبت على امرها ولكنه اصبح لها الآن هدف واحد مدعم بالتنسيق الفكري والعقائدي ومساند بالملايين من الشعب المؤمن » .

الارتباط مع العرب

وكما كان القائد الاعظم يسعى حثيثا لخلق التضامن والاتحاد بين مسلمي الهند ، فانه بنفس القدر كان يهتم بايجاد الروابط الوثيقة مع العالم العربي ويشاركه في افراحه واتراحه فمنذ ما تحرش البريطانيون بعرب فلسطين عاملين على طردهم من اوطانهم ، قال القائد جناح في الاجتماع السنوي للمؤتمر الاسلامي لعموم الهند الذي عقد في لكهنؤ عام 1937 والحزن يعتصر قلبه « ان قضية فلسطين قد هزت افئدة المسلمين في كل ارجاء شبه القارة ، واننا نعرب عن شعورنا بأن السياسة البريطانية تجاه العرب قد اتسمت بالغدر والخيانة منذ البداية وكانت تساعدا على تفتيتهم وتمزيقهم ، وقد تخلت بريطانيا عن وعودها التي قطعتها للعرب بضمان استقلالهم ومساعدتهم على تشكيل اتحادات اقليمية فيما بينهم ، فقد اعلنت بريطانيا تلك الوعود تحت ضغط الحرب العظمى ، وبعد ان نفذت مآربها سارعت باعلان وعد بلفور المشئوم بايجاد وطن قومي لليهود على حساب الارض والشعوب العربية . والآن نجد بريطانيا تقترح تقسيم فلسطين استكمالا لفصول المأساة ، واننا نعلن انه اذا تم فعلا تنفيذ هذا الوعد فسوف يكون انتهاكا خطيرا للحقوق الشرعية للشعب العربي ، والمسئول عن ذلك اولا واخيرا هو الاستعمار البريطاني الغادر » .

وفى عام 1938 قال القائد الاعظم فى اجتماع المؤتمر فى مدينة باتنا « ان مسلمي الهند لن يتوانوا عن تقديم المساعدات والتضحيات لاشقائهم العرب متى طلب منهم ذلك ، وانهم يقدرون كفاحهم المجيد من اجل حرية واستقلال اوطانهم ذلك الكفاح الذى يخضع الآن لاقسى انواع القمع » .

مؤتمر السلام

ان تعاليم القائد الاعظم محمد على جناح الداعية الى الوحدة والتضامن والتماسك بين المسلمين فى كل ارجاء الارض وبوجه خاص مسلمي شبه القارة ، هي فى الواقع التي ادت الى خلق باكستان التي سرعان ما اصبحت اكبر دولة اسلامية وخامس دولة فى العالم من حيث حجمها ، وقد اضيفت الى مفاخر باكستان وامجادها صفحة جديدة رائعة عندما ساهمت فى تنظيم مؤتمر القمة الاسلامي الثاني واستضافت قادته فى مدينة لاهور التاريخية التي اعلن قرار باكستان فى ظلالها منذ ثلاثة عقود .

وقد تضافرت جهود قادة وزعماء باكستان وشعبها من اجل انجاح المؤتمر الذى ضم ملوك ورؤساء العالم الاسلامي من اندونيسيا الى المغرب العربي فى قاعة واحدة مما اثار اعجاب وتقدير القوى المحبة للسلام فى العالم اجمع ، وكان ذلك المؤتمر مظاهرة عالمية ضد قوى الطغيان والعدوان والامبريالية والصهيونية للمطالبة باعادة الاراضى العربية التي تحتلها بلا شرعية ونحن نبتهل الى الله تعالى ان يبقى علينا تلك الصورة المشرقة للوحدة الاسلامية التي بزغت فى مدينة لاهور ونامل ان يؤدى ذلك الى بعث جديد للنهضة الاسلامية وولوج عصر ذهبي مضيء زاخر بالعدالة والرفاهية .

باكستان : سعيد احمد

صورة العالم الاسلامي في النصف الأخير من القرن الخامس الهجري

للأستاذ عبد الحليم عويس

(القســم الاول)

كان العالم الاسلامي خلال النصف الاخير من القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي) مسرحا لصراعات عادثة وحادة ، تجري احيانا ظاهرة واحيانا خفيــة .

وكان هذا العالم يبدو وكأنه عالم يعاد تركيبــه على نحو جديد ، ثم حمل القرنان التاليان (الخامس والسادس الهجريان) صورة التركيب الجديد لهــذا العالـــم .

لقد بدات تبرز بوضوح فى خلال النصف الثاني من القرن الخامس الهجري ــ مجال حديثنا ــ ظاهرة الفوضى الدينية والسياسية التي تمثلت فى وجود خلافات اسلامية ثلاث تقتسم العالم الاسلامـــي ، وتتنازع الزعامة عليه ، ثم فى وجود حركات انشقاق روحي وسياسي عن هذه الخلافات ، توشك كلها ان تفقد مكانتها الروحية والسياسية .

لقد احست الدولة الفاطمية التي كانت تسيطر على بلدان المغرب العربي الى عام 362 هـ (972 م) سيطرة سياسية كاملة بشيء من عدم الاطمئنـــان فى تلك الوهاد الوعرة ، وتأكد لحكامها ان المغرب العربي لم يتشيع بالافكار الشيعية ، وبانه لا يصلح ــ بعــد طول كفاح ــ قاعدة ثابتة لانطلاق الدعوة الشيعية ؛ فقد توسل الفاطميون بكل وسيلة لمصارعة خصومهم من السنة المالكية ، ولرفع لواء مذهبهم ... توسلوا بالمناظرة ، فعقدوا المجالس ، وجلبوا ائمة المالكية بالقيروان ، واخذوا يناقشونهم بالحجة ويصارعونهم بالراي فما ازدادوا ــ أي (المالكية ــ الا تمسكا برأيهم (. . .) ، فلم يجدوا بدا من التنكيل والتعذيــب ، وافتى فقهازهم : بان من انتقص واحدا من نســل فاطمة فانه مباح الدم ، فجلسوا الى المساجد ومعهم الدعاة ، واحضروا الناس بالعنف والشدة ودعوهم الى التشرق (التشيع) (1) ، فمن اجاب احسنـــوا اليه ، ومن أبى حبسوه (2) .

وقد وقف المالكيون فى وجه بني عبيد بكـــل الطرق التي اتيحت لهم ، ولم يكن المذهب المالكـــي بالنسبة الى اكثريتهم مجرد مذهب من مذاهب فقهية كثيرة ، بل كان بالنسبة اليهم حصنا يعتصمون به فى مقاومة التشيــــع (3) .

---

(1) كانت الشيعة تسمى بالمغرب المشارقة نسبة الى ابي عبد الله الشيعي الذي كان من المشـــرق (الكامل لابن الاثير ج 9 ص 295 طبعة دار صادر ببيروت 1967 ولا زال اخواننـــا المغاربـــة يطلقون كلمة المشارقة على المصريين والسوريين والفلسطينيين دون تمييز .

(2) انظر عن جهود ابي عبد الله واساليبه واســاليب الشيعة من بعده البيان المغرب لابن عـــذارى I / 166 ، وما بعدها ، 220 ، 226 طبعة دار صادر بيروت .

(3) رياض النفوس للمالكي 23 (مقدمة) دكتور حسين مؤنس مكتبة النهضة المصريـــة الطبعـــة الاولـــى .

لقد كان من ابرز اهداف خروج الفاطميين من المنصورية الى القاهرة البحث عن قاعدة جديدة قوية تستطيع الدعوة الشيعية ان تجد فيها الامن والاستقرار والانتشار ، بعد ان يئس الفاطميون من المغاربة « المعروفين بطبعهم بالعصبية ... يتعصبون للشيء فيخلصون ويصلون الى حد التضحية بانفسهم في سبيل المبدأ الذي يؤمنون به (4) » .

ولئن ظل بلكين بن زيري الصنهاجي المستخلف على المغرب من قبل المعز لدين الله الفاطمي وفيا لدولة الفاطميين في مصر ، فانه كان مضطرا الى ذلك بحكم المتاعب الداخلية التي يتعرض لها من القبائل المنافسة لصنهاجة ، والتي كانت تطمع في حكم المغرب العربي بعد رحيل الفاطميين عنه ، يؤكد ذلك ، تلك الحروب التي خاضها بلكين وابنه المنصور من بعده مع زناتة وكتامة وغيرهما من القبائل التي كانت ترى لنفسها حق حكم المغرب — مما سنفصله بعد .

وعلى الرغم من ان باديس بن المنصور بلكين (386 — 406 هـ) (996 — 1016 م) ترسم خطى اسلافه في اعلان ولائه للخليفة الفاطمي ، وعمله على نشر المذهب الاسماعيلي ، ورفع لوائه ومحاربة اهل السنة وتسخير الجند والشرطة في النيل من فقهاء المالكية .... على الرغم من هذا نشب النزاع بينه وبين الحاكم بأمر الله بسبب تدخل هذا الخليفة في طرابلس ، ومحاولة انتزاعها من الزيريين ، وهكذا ساءت العلاقة بينهما ، وكان من اثر سياسة الحاكم بأمر الله ان بدأ اهل السنة في القيروان ينشطون في نشر دعوتهم ، وكان من مظاهر ازدياد نفوذ اهل السنة في عهد باديس ان عهد الى فقيه سني يدعى « ابا الحسن بن على الرجال » بتربية ولي عهده وتنشئته . وكان ابو الحسن سنيا مالكي المذهب فاخذ يحبب الى الامير الصغير عقائد المذهب السني ، وكان اختيار هذا الفقيه لتربية ولي العهد فوزا بعيد المدى للمذهب السني في افريقية ، ظهر اثره في مذبحة الشيعة بافريقية التي وقعت في عهد المعز بن باديس سنة 407 هـ (1016 م) (5) .

وقد كانت مذبحة الشيعة الآنفة الذكر فاتحة عهد من الصراع البارز عبر فيه المغرب عن مستوى التأثير الشيعي السطحي ، بل الكراهية النفسية العميقة ، التي يكنها لاساليب ودعاة الدعوة الشيعية، فان المعز بن باديس — الذى حدثت المذبحة بعد توليه الحكم بعام واحد — كان هو « اول من صرف دعوة العبيديين الى غيرهم من بني العباس ، وازال اسماءهم من السكة في سنة ثلاث واربعين واربعمائة (6) ولا شك في ان انتقال عاصمة الفاطميين من تونس الى القاهرة فصل عنهم امراء البربر تدريجيا (7) .

واذا تجاوزنا هذه النهاية التي اصابت الدولة الفاطمية في المغرب العربي ، والتي لم تنجح «الحملة الهلالية » — التي رمت بها الخلافة الفاطمية المغرب — في اعادته الى حظيرتها ، بالرغم من نجاحها في الانتقام من المعز . اذا تجاوزنا هذا ، وانتقلنا مع الخلافة الفاطمية الى مقرها الجديد في القاهرة منذ سنة 361 هـ — 971 م لنرى الحال التي كانت عليها هذه الخلافة — باعتبارها احدى القوى الاسلامية الثلاث الكبرى في ذلك العصر ، وباعتبارها اكثر الدول احتكاكا بالدولة موضوع دراستنا — اذا انتقلنا هذه النقلة ، وجدنا ان الدولة الفاطمية في مصر ، لا سيما بعد عهد المعز لدين الله الفاطمي الذي يعتبر « اعظم ملوكهم قدرا واجلهم خطرا (8) ، واتصافا بقوة العزيمة ورحابة الصدر والزهد

---

(4) المرجع السابق ص 99 .

(5) وتاريخ الدولة الفاطمية في المغرب ومصر وسورية وبلاد العرب للدكتور حسن ابراهيم ص 344 ، 335 ط 2 مكتبة النهضة المصرية وانظر في تفصيل هذه الحادثة الكامل لابن الاثير حوادث سنة 407 والعبر لابن خلدون المجلد 6 ص 5 32 منشورات دار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر 1968 .

(6) اعمال الاعلام ج 3 لسان الدين بن الخطيب تحقيق د. احمد العبادي والاستاذ محمد ابراهيم الكتاني ص 73 نشر دار الكتاب بالدار البيضاء 1964 .

(7) الاسلام هنري ماسية ترجمة بهيج شعبان منشورات دار عويدات بيروت ص 82 .

(8) اعمال الاعلام 3 / 55 .

والحلم (9) والذي « ملك بلاد المغرب باسرهـا الى البحر المحيط وبرقة والاسكندرية ثم مصر والشام والحجاز » (10) وبعض اعمال العـراق وجزء مـن البحر الابيض حتى الاتلانتيك من ناحية آخرى (11) كما انه في عهده « بلغت القاهرة من الازدهار والعز شأوا بعيدا (12) » .

اذا عبرنا هذه الحقبة القصيرة ، ونظرنـا الى هذه الخلافة في مقرها الجديد بعد سنوات قلائـل من موت المعز ، وجدناها بـدأت تدخـل في دور انحطاط ، ظهر واضحا منذ عهد الحاكم بأمر الله ابي علي المنصور المتوفي سنـة 411 هـ (1020 م) ؛ فان سياسة هذا الخليفـة التي اتسمت بالشـذوذ والاضطراب والتناقض في الاخلاق حتى انه كان يأمر الشيء وينهى عنه (13) نتيجة سوء المزاج المرضي في دماغه (14) ـ هذه السياسة ، فضلا عن كونهـا تعكس صفات شخصيته له ـ كانت تعكس اضطرابا واضحا بدأ يظهر في السياسة الفاطمية .

لقد كانت للحاكم اعمال جيدة في مجال حماية الاخلاق : كمنع شرب الخمر ، وصناعة البيرة المسماة فقاع ، وتحريم دخول الحمام بغير مئـزر ، ومنعـه اللهو العلني ، وافراده لاهل الذمة حمامات ، ومنعه النساء من الخروج (15) كما انه اصدر قرارات جيدة تعالج اوضاعا اقتصادية او اجتماعية كأمره بمنع ذبح البقر المولود توفيرا للانتاج الحيواني (16) وكحماية اموال اليتامى (17) والغاء كثير من المكـوس التـي ابتدعـت (18) .

لكن هذه الاعمال الجيدة لا تنفي عن الحاكـم صفة الاضطراب والسياسة الغير المستقرة ، لدرجة ازعجت الناس ايما ازعاج ، وحولت عهده الى عهـد دمـوي .

وفي معظم سنوات حكمه تتصدر اخبـار قتـل كثير من الناس ومن بينهم اخص المتصلين به اخبار سنوات حكمه ، فضلا عن الاضطرابات الاخرى التي لا يقوم تبريرها على اسس قوية ، وقد اضطر الحاكم نفسه الى اصدار امانات اكثر من مرة لتطمين الناس بعد ان اصابهم اليأس في عهده (19) ، وتدل حادثة قتله للجرجرائي الكاتب (غبن) مساعده بطريقة فيها كثير من السخرية والتذبذب،علىعقليته المضطربة(20).

ويلخص الدواداري رأيه في الحاكم ، بأنه كانت له محاسن في ابتداء امره ، ومساوىء صدرت عنه هي الجنون بعينه من خرافات دنيوية ودينية ، ثـم

---

(9) المعز لدين الله د. حسن ابراهيم وطه شرف 19 ، 287 ، 288 ط 2 مكتبة النهضة المصرية 1963 .

(10) المرجع السابق ص 58 .

(11) العرب ـ تاريخ موجز فيليب حتى ص 223 دار القلم للملايين ط 4 ـ 1968 ، والاسلام هنـري ماسيـة ص 82 .

(12) الخطط المقريزية لاحمد بن علي المعروف بالمقريزي ص 167 .

(13) المؤنس في اخبار افريقية وتونس ص 68 لابن ابي دينار ، تحقيق محمد شمام ، المكتبة العتيقة بتونس 387 ، وانظر العرب والعروبة ج 3 الاستاذ عزة دروزة ص 410 ، 411 دار اليقظة العربية 1960 .

(14) الحاكم بأمر الله ، الاستاذ محمد عنان مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ط 2 سنة 1959 ص 167 .

(15) نظم الفاطمية ورسومهم في مصر ، دكتـور عبد المنعم ماجد ـ مكتبة الانجلو المصرية 1953 ، ص 167 .

(16) اتعاظ الحنفا ج 2 للمقريزي ، تحقيق الدكتور محمد حلمي احمد ص 14 (مقدمة) ، طبع المجلس الاعلى للشؤون الاسلاميـة .

(17) المرجـع السابـق ص 21 ، 23 .

(18) المرجع السابق ص 16 (مقدمة) والكتاب ص 74 ، 102 .

(19) انظر اتعاظ الحنفا ج 2 ص 77 (سنة 399).

(20) اتعاظ الحنفا ج 2 ص 102 .

سيرة معاصيه ومساوئه بالتفصيل (21) – كما لخصناها –

ويحكي لنا المؤرخ جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن تغري بردي المتوفى سنة 874 هـ في النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، والامام الحافظ جلال الدين السيوطي المتوفى سنة 911 هـ في كتابة تاريخ الخلفاء وغيرهما نماذج من سلوك هذا الخليفة ، تعكس هذا الاضطراب الذي ذكرناه آنفا ....

ففي سنة 395 هـ (1004 م) قتل الحاكم بمصر جماعة من الاعيان صبرا ، وقتل من العلماء والكتاب والأماثل ما لا يحصى ، وأمر بكتابة سب الصحابة كأبي بكر وعمر وعثمان وعائشة وطلحة وغيرهم على ابواب المساجد والشوارع ثم محا ذلك في سنة 397 هـ (1006 م) .

وفي سنة 396 هـ (1005 م) أمر الناس بمصر والحرمين اذا ذكر الحاكم ان يقوموا ويسجدوا في السوق وفي مواضع الاجتماع ...

وفي سنة 398 هـ (1007 م) هدم الحاكم بيعة قمامة التي بالمقدس وأمر بهدم جميع الكنائس التي بمصر ... وفي سنة 402 هـ (1011 م) نهى الحاكم عن بيع الرطب وحرمه وعن بيع العنب ، وأباد كثيرا من الكروم ، وفي سنة 404 هـ (1013 م) منع النساء من الخروج (22) .

ولئن كانت هذه الاضطرابات ترجع الى المزاج الشخصي للحاكم – الى حد كبير – فانها كانت عاملا مهما في تقويض دعائم الخلافة الفاطمية ، وفي تفكير بعض الدول التابعة لها في محاولة الخروج عليها .

ولم يستطع الخلفاء الفاطميون الذين جاءوا بعد الحاكم اعادة كيان الدولة الى المستوى الذي كانت عليه على عهد المعز لدين الله الفاطمي .

فان الظاهر (أبو الحسن علي بن الحاكم بأمر الله) الذي ، ولي أمر الخلافة الفاطمية بعد موت أبيه الحاكم ، لم يكن أكثر من صبي تشرف عليه عمته ست الملك (23) . طيلة خمس سنوات من حكمه ، واما سنواته الباقية ، فقد كانت حافلة بصراع بين المغاربة والاتراك (24) ، وبالفقر والغلاء (25) ، فضلا عن انشغاله بملاذه وتنزهه وسماع المغني (26) .

ولم تكن ايام المستنصر (ابو تميم معد بن الظاهر) الذي ولي الامور سنة 427 هـ (1053 م) افضل من ايام سابقيه كثيرا ، بيد ان فترة حكمه قد استمرت ستين سنة واربعة أشهر (427 – 487 هـ) فتتابعت بالتالي عليها الظروف المتبادلة ، وتقلبت احوال مصر بين الشدة والرخاء والضعف والقوة « غير ان مصر لم تتمتع طوال هذه المدة بالرخاء والطمأنينة غير فترة قصيرة (27) » .

وعندما كان المستنصر في سن التاسعة عشر (439 هـ) – أي في السنة الثانية عشرة من خلافته – زار ناصر خسرو مدينة مصر ، ووصف ما رآه من احوالها . وحكى عديدا من صور الثراء

---

(21) كنز الدرر ج 6 ، تحقيق صلاح الدين المنجد ، طبع القاهرة سنة 1961 ، صفحات 257 ، 258 ، 259 ، 260 .

(22) انظر النجوم الزاهرة ج 4 ص 176 وما بعدها نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب ، وانظر تاريخ الخلفاء للسيوطي ص 414 وما بعدها ، طبع مطبعة السعادة ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد 1952 . وانظر تاريخ مختصر الدول لابن العبري ص 180 وما بعدها ، وانظر الكامل لابن الاثير ج 9 ص 315 ، 316 ، 317 ، وانظر البداية والنهاية 9 / 411 ، وانظر تاريخ الدولة الفاطمية دكتور حسن ابراهيم صفحات 219 ، 220 ، 222 ، 223 ، 225 .

(23) انظر اتعاظ الحنفا 2 / 125 .

(24) المرجع السابق ص 77 أ.

(25) المرجع السابق صفحات : 164 ، 165 ، 169 ، 170 ، 171 ، 180 .

(26) المرجع السابق ص 182 .

(27) تاريخ الدولة الفاطمية في المغرب ومصر وسوريا وبلاد العرب ، دكتور حسن ابراهيم ص 169.

فيها (28) ، وذكر ان اهل مصر في غنى عظيم (...) يثقون بالسلطان فلا يخشون الجواسيس ولا الغمازين، معتمدين على ان السلطان لا يظلم احدا ولا يطمع في مال احد (29) » .

لكن لم تمض على زيارة خسرو لمصر اكثر من خمس سنوات ، حتى انقلبت حال مصر الى اسوا حال - ولاكثر من اربعين سنة من مدة خلافة المستنصر ، اضطربت احوال مصر بدرجة كبيرة .

في سنة 444 هـ « قصر مد النيل ، ولم يكن في المخازن السلطانية شيء من الغلال - فاشتدت المسغبة بمصر (30) » « وفي سنة 446 » نزع السعر ووقع البلاء ، (...) واشتد الامر على الناس (31) .

وقد كانت هذه السنة بداية ما عرف في تاريخ المستنصر بالشدة العظمى (246 - 454 هـ) التي « حدث فيها الغلاء الذي ما عهد بمثله منذ زمان يوسف عليه السلام ، ودام سبع سنين ، حتى اكل الناس بعضهم بعضا،حتى قيل : انه بيع رغيف واحد بخمسين دينارا ، وحتى ان المستنصر بقي يركب وحده ، وخواصه ليس لهم دواب يركبونها ، واذا مشوا سقطوا من الجوع (32) » . ولم تنته موجة الانهيار الاقتصادي بانتهاء الشدة العظمى ، بل استمرت بصورة ما الى سنة 466 هـ (33) مما اضطر المستنصر الى استدعاء بدر الجمالي ، والتخلي - ضمنيا - عن الحكم ، والاكتفاء بصورة الخلافة .

ويذكر المقريزي ان سبب ما حصل لمصر نقص النيل (34) ، واختلاف الكلمة ومحاربة الاجناد بعضهم مع بعض (35) .

والحقيقة ان ما حدث لمصر ايام المستنصر كان حصاد عوامل كثيرة ، منها سياسة الحكام الفاطميين منذ الحاكم ، ومنها الصراع الفكري الذي دار في البلاد بين الفاطميين الذين حاولوا فرض مذهبهم ، والناس الذين ارغموا على التظاهر بما لا يعتقدونه ، ومنها الصراع الذي بدا كعملية طبيعية بين الفاطميين والعباسيين في بغداد بالاضافة الى الاسباب التي ذكرها المقريزي والتي تمثل ابرز العوامل المباشرة في الانهيار .

وقد ظلت السلطة الفعلية ضائعة من ايدي الخلفاء الفاطميين ، وظلوا يتتابعون كالدمى في ايدي الوزراء العظام الذين كان اولهم امير الجيوش بدر الجمالي الارمني المتوفى سنة 487 هـ ، وزير مصر للمستنصر بل صاحب امرها وعقدها وحلها (36) حتى جاء صلاح الدين الايوبي فلم يلق اية مقاومة حقيقية في القضاء على هذه الخلافة المتداعية سنة 567 هـ (1171 م) .

واذا كانت هذه هي الصورة الخلافة الفاطمية خلال الحقبة التي نؤرخ لها ، فان الخلافة العباسية لم تكن اسعد حالا من رصيفتها ، بل كانت اكثر سوءا وانحلالا .

لقد تسلط البويهيون على خلفاء الدولة العباسية ، بحيث انتزعوا منهم ادنى وظائف الحكم

---

(28) سفر نامة ، ترجمة الدكتور يحيى الخشاب ط ا مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ص 62، 63 ، 64 .
(29) المرجع السابق ص 62 .
(30) اتعاظ الحنفا 2 / 224 .
(31) المرجع السابق ص 226 .
(32) انظر اتعاظ الحنفا 2 / 279 وما بعدها ، 296 وما بعدها ، وانظر اغاثة الامة بكشف الغمة للمقريزي طبعة سنة 1940 م القاهرة ص 24 ، وانظر النجوم الزاهرة لابن تغرى بردى نسخة مصورة من طبعة دار الكتب 5 / ص 2 .
(33) انظر اتعاظ الحنفا ص 279 و296 و 307 .
(34) اغاثة الامة ص 18 .
(35) اتعاظ الحنفا 2 / 299 ، والنجوم الزاهرة 5/ 17 .
(36) الكامل لابن الاثير طبعة دار صادر بيروت ج 10 ص 589 والنجوم الزاهرة 5 / 141 .

« وضعف أمر الخلافة جدا حتى لم يبق للخليفة امر ولا نهي ولا وزير ايضا ، وانما الدولة ومورد المملكة ومصدرها راجع الى معز الدولة البويهي (37) » والى خلفائه البويهيين من بعده . ولقد خلع البويهيون الخليفة المستكفي بعد تسلمهم الحكم وقد سلوا عينيه ، وأودعوه السجن (38) وقد أصبح هذا نهجهم مع الخلفاء طيلة عهدهم الذي سيطروا فيه على الخلافة العباسية .

ان الخليفة الثالث والعشرين من سلسلة خلفاء بني العباس (المطيع لله أبا العباس الفضل بن المقتدر) الذي ولي الخلافة سنة 334 هجرية (39) وبقي فيها حتى خلع نفسه سنة 363 هـ (983 م) ، هذا الخليفة يصف القلقشندي توليته بانها تمت ، وقد ازداد امر الخلافة ادبارا ، ولم يبق للخلافة امر نافذ . وتسلم نواب معز الدولة البويهي العراق باسره ، ولم يبق في يد الخليفة غير ما اقطعه عز الدولة مما يقوم ببعض حاجته (40) ، واما الخليفة الرابع والعشرون من خلفاء بني العباس الطائع لله ، ابو بكر عبد الكريم بن المطيع (363 – 381 هـ) (973 – 991) الذي ظل في منصب الخلافة قرابة ثمانية عشر عاما . . . هذا الخليفة يتحدث عنه القلقشندي فيذكر انه بدوره لم يكن في ولايته ما يستدل به على حاله (41) .

وتنتهي مرحلة خلافة الطائع هذا بنهاية محزنة تعكس القيمة الحقيقية لهذا المنصب الخطير في هذا العهد من عهود الاضطراب والفوضى ، فان الامر في الحقيقة على عهد الطائع كان بيد ركن الدولة ابن بويه واولاده بفارس ، وكان ابن أخيه « بختيار » – حاكم واسط – يمثل الحاكم الفعلي في العراق ، لكن عضد الدولة بن ركن الدولة انكر على ابن عمه هذه المكانة ، وصرفه بالقوة عن مكانته . . . . لكن هذا التصرف لم يرض ركن الدولة ابن بويه فارسل يهدد ابنه الذي اضطر الى اعادة « بختيار » الى مكانته . وبقي الامر كذلك حتى مات ركن الدولة البويهي ، وخلفه ابنه عضد الدولة على بلاد فارس ، كما ان ركن الدولة كان قد عقد لابنه فخر الدولة على همذان ولابنه مؤيد الدولة على اصفهان واعمالها – هكذا ، وكأنه هو الخليفة الفعلي – ، على أن ابنه عضد الدولة قد عاوده حقده القديم على ابن عمه « بختيار » الملقب بعز الدولة ، فتمكن من قتله سنة 367 هـ (977 م) ، وعمره ست وثلاثون سنة (42) ، واستقر عضد الدولة في تدبير أمور الخلافة ببغداد الى ان مات سنة 373 (983 م) ، وولي الامر بعده ابنه صمصام الدولة « ابو كاليجار » الذي كان نصيبه السمل ، فتولى الامر ابن اخر لعضد الدولة يدعى شرف الدولة الى ان توفي فاستقر في الامارة اخوه ابو نصر بهاء الدولة – وكالعادة – خلع عليه الطائع وقلده السلطنة .

لكن بهاء الدولة طمع في اموال الخليفة الطائع لله ، فسلط عليه بعض الديلم الذين ارغموه على خلع نفسه سنة 381 هـ (43) .

ولم يختلف الامر في عهد المقتدر ابن العباس الذي ولاه البويهيون بعد الطائع ، وعلى الدرب نفسه سارت الامور على عهد ابي جعفر عبد الله المعروف « بالقائم » الذي ولي بعد المقتدر سنة 422 هـ (1031 م) وبقي رمزا باهتا للخلافة الى سنة 467 هـ (1074 م) على الرغم من انه كان « ورعا » زاهدا عالما قوي اليقين بالله كثير الصبر ، له عناية بالادب

---

(37) انظر البداية والنهاية لابن كثير ، الطبعة الاولى (مكتبة المعارف 1966 ج 11 ص 12 2).
(38) البداية والنهاية 11 /212 .
(39) الكامل لابن الاثير 8 / 451 والبداية والنهاية ج 11 ص 212 .
(40) الكامل 8 / 452 ومآثر الانافة في معالم الخلافة للقلقشندي (تحقيق عبد الستار الفراج ج 1 ص 303 ، وزارة الارشاد بالكويت 1964 .
(41) مآثر الانافة 1 / 311 .
(42) وفيات الاعيان لابن خلكان 1 / 242 تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد مكتبة النهضة المصرية 1948 .
(43) انظر الكامل 9 / 79 ، 80 – انظر مآثر الانافة ج 1 ص 312 وما بعدها ، انظر البداية والنهاية لابن كثير ج 11 / 308 ، وانظر كنز الدرر ج 6 ص 228 للدواداري (تحقيق صلاح الدين المنجد ، طبع القاهرة 1961 .

ومعرفة حسنة بالكتابة ، مؤثرا للعدل والانصاف وقضاء الحوائج ، لا يرى المنع من شيء طلب منه (44)

ولم تلبث دولة البويهيين التى عاشت قرنان من الزمن ان تخللت نتيجة الصراع الداخلي على السلطة بين ابناء عضد الدولة البويهي . وحينئذ قدر على الخلفاء العباسيين الضعاف ان يقعوا تحت سيطرة الاتراك السلاجقة الذين بداوا يقومون بنفس الدور الذي كان يقوم به البويهيون ، وكان ذلك قرابة منتصف القرن الخامس الهجري (447 هـ ــ 1055 م) (45) .

ه ❊ ه

هؤلاء الخلفاء العباسيون الضعاف الذين يعيشون عيشة قلقة فى ظل عناصر متصارعة طموحة ، واولئك الخلفاء الفاطميون الضعاف الذين يعيشون فى ظل « وزراء عظام » يشكلون بدورهم عناصر متصارعة طموحة ، .... هؤلاء واولئك كان يدور باسمهم صراع آخر عقائدي يشكل بدوره سمة من سمات العصر ، وواحدا من عوامل القضاء عليهما معا ، ولا تكاد تنظر فى حوادث سنة من سنوات هذه الحقبة الا وتجد ان فيها « كانت فتنة بين اهل السنة والرافضة » (46) وابن تغرى بردي يظهر دهشته حين يعرض حوادث سنة 442 هـ (1050 م) فيذكر انه « كان من العجائب انه وقع الصلح بين اهل السنة والرافضة (47) » لكنه يعود فى السنة التالية 443 هـ (1051 م) فيذكر ان فيها « عادت الفتنة بين اهل السنة والرافضة (48) » .

وبينما كانت الدعوة الشيعية تقابل بحرب عنيفة فى المغرب العربي الذي كان مقرها الاول قبل سنة 361 هـ (971 م) ، وبينما كانت مصر والشام والحجاز تواجه الحرب الدعائية المختلفة الاساليب التي يشنها الحجاز الفاطمي ، بينما هذا ، كان البويهيون ذوو النزعة الشيعية والتبعية للمذهب الزيدي الشيعي يعبثون بخلفاء العباسيين السنيين فى بغداد (49) .

وهكذا فعلى امتداد الارض الاسلامية الواقعة تحت حكم هاتين الخلافتين ، كان الصراع السني الشيعي ــ وبداخل كل منه مجموعة صراعات مذهبية اخرى ــ يلعب دورا خطيرا فى تدمير الحياة السياسية والاجتماعية ، وكاد يودي بخلافة العباسيين المريضة فى بغداد ، قبل موتها باكثر من قرنين من الزمان ، لولا ظهور الاتراك السلاجقة وقائدهم طغرل بك سنة 447 هـ (1055 م) ... هؤلاء الذين اعتبروا ــ بحق ــ المعجزة التي انقذت خلافة العالم الاسلامى الكبرى ــ الى حين ــ من سقوط محقق .

اضف الى هذين اللونين من الصراع لونا آخر تقليديا هو الصراع بين الاجناس المختلفة التي وسعها الاسلام بعد خروجه من الجزيرة العربية ، فهناك العرب والبربر والترك والفرس ، وكل عنصر من هذه العناصر يكون بداخله كذلك عناصر متصارعة، تتنازع على السلطة او العقيدة « فلم يكن هناك امتزاج كاف بين الفرس الايرانيين والترك الطورانيين ، والبربر الحاميين ، وبين العرب الساميين ، لتتكون منهم امة متجانسة موحدة ، بل ظلت هذه العناصر المختلفة بلا رابطة متينة تحكم الوثاق بينها (50) .

واما الجناح الآخر (الاندلسي) فلم يكن حاله احسن حالا ، وهو ما سنذكره باذن الله فى الحلقة التالية .

الكويت : عبد الحليم عويس

---

(44) الكامل لابن الاثير ج 10 ص 95 ، وانظر تاريخ الخلفاء للسيوطي ص 417 .

(45) البداية والنهاية 12 / 66 .

(46) النجوم الزاهرة ج 5 ص 47 ، وانظر البداية والنهاية 12 / 31 ، 134 .

(47) النجوم الزاهرة ج 5 ص 49 ، وانظر فى ذلك دار المكنون مخطوط بمكتبة الكويت المركزية ص 162 والبداية والنهاية 61/12 .

(48) النجوم الزاهرة ج 5 ص 50 ، وانظر الكامل 575/9 ، والبداية والنهاية 12 / 62 .

(49) فكر معز الدولة البويهي غير مرة فى تغيير الخلافة العباسية الى خلافة علوية ... لكن المخلصين له منعوه من ذلك وقد كان يأمر بكتابة لعن معاوية ويزيد وعثمان على ابواب المساجد . انظر فى ذلك الكامل لابن الاثير 8 / 452 ، 542 والبداية والنهاية ج 11 ص 212 ، وقد خلع معز الدولة الخليفة المستكفي بنفس الطريقة التي خلع بها الطائع فيما بعد (الكامل 8 / 450) .

(50) العرب تاريخ موجز فيليب حتي ص 202 .

هل يمكن الإعتقاد بالقرآن؟

للأستاذ عبد الله كنون

— 6 —

القرءان ضد السلم والصداقة بين الشعوب :

هذا بالترجمة الحرفية هو عنوان الفصل السادس عند مؤلف آخر زمن ، ولا أقول : آخر القرن العشرين ، فهذا قرن يوصف بأنه عصر العلم والنور والمعرفة ، ولكن هذا المؤلف يعيش في غياهب الظلام وكأنه جاء بعد حرب عالمية طاحنة شنتها **الدول النووية المحبة جدا للسلام** ، فانطمست معالم الحضارة ، وخربت مراكز الثقافة ولم يبق هناك قرءان ولا برهان ، يستدل به على حقائق الاشياء وخفيات الامور . فلو أنه انسان يعيش في مستوى عصره ، وكان على جانب من الاطلاع يليق بما يشغله من منصب ديبلوماسي لدولة عظيمة مثل الاتحاد السوفياتي لما تفوه بهذا الكلام الساقط الذي تعود معرته عليه وعلى الدولة التي يمثلها تمثيلا لا يشرفها .

فليعلم ان القرءان دعوة عالمية للسلام لم تعرف الانسانية قبلها ولا بعدها دعوة مثلها ، وحسب ما وصلت اليه الامم المتحدة الان ، انها تحاول تطبيق ما دعا اليه القرءان منذ اربعة عشر قرنا ، لاقرار السلام ومنع الحروب فى الآية الكريمة التي تقول : « وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فاصلحوا بينهما فان بغت احداهما على الاخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء الى امر الله ، فان فاءت فاصلحوا بينهما بالعدل واقسطوا ان الله يحب المقسطين » فنحن نرى أن القرءان يوطد اركان السلم حتى بالحرب ان اقتضى الحال ، وذلك ما لم تصل اليه الامم المتحدة بعد ، فهي تختلف فى هذه النقطة وتدع الشعوب تتناجز ، والقوي ياكل الضعيف ، وبذلك لم تتمكن قط من اقرار السلام العالمي ، ولم تستطيع منع العدوان من الدول المنتمية اليها ولو بالوسائل السلمية كالمقاطعة والطرد بل القتال والحرب .

ودعا القرآن اتباعه الى السلم دعوة عامة غير مقيدة بشرط فقال : « يا ايها الذين آمنوا ادخلوا فى السلم كافة ، ولا تتبعوا خطوات الشيطان » فجعل الحرب من عمل الشيطان . ومعلوم ان المسلمين بعد البعثة النبوية اقاموا فى مكة ثلاثة عشر عاما يعانون ما لا يحتمل من اضطهاد المشركين لهم وتعذيب المستضعفين منهم حتى هاجروا الى الحبشة هجرتين اثنتين ، ثم هاجر من بقي منهم الى المدينة وهاجر اليها كذلك النبي نفسه ، ومع هذا لم يقاوموا ولم يقابلوا العدوان بمثله ، وكانوا يتشوقون لذلك والنبي (ص) يصبرهم ويقول لهم لم يوذن لي فى القتال ، حتى نزلت عليه هذه الآية القرءانية الكريمة : « اذن للذين يقاتلون بانهم ظلموا ، وان الله على نصرهم لقدير ، الذين اخرجوا من ديارهم بغير حق الا أن يقولوا : ربنا الله ، ولولا دفاع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا ، ولينصرن الله من ينصره ان الله لقوي عزيز ، الذين ان مكناهم فى الارض

اقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ؛ ولله عاقبة الامور » .

فانظر كيف جاء الاذن للمسلمين بالقتال لاجل دفع الظلم ، وهذا امر تقره جميع الشرائع وتأخذ به كل الشعوب ؛ ومنها الاتحاد السوفياتي الذي شارك في الحرب العالمية الثانية اولا بجنب النازيين وثانيا بجنب الحلفاء وضحى حسب قولهم بعشرين مليونا من ابنائه ؛ وهو عدد يكاد لا يبلغه ما جنده المسلمون في جميع حروبهم على مدى التاريخ ؛ ومما لاحظناه مرارا في كتاباتنا ان المسلمين كانوا دائما يشترون السلاح من الاجانب وخاصة الافرنج ، حتى في اوج حضارتهم وعنفوان قوتهم ؛ وما ذلك الا لانهم لم يكونوا ابدا دعاة حرب ولا سماسرة سلاح ، كما هي الان وقبل الان الدول التي تتشدق بالدعوة الى السلم وصداقة الشعوب .

وانظر ايضا كيف جعلت الآية القرآنية غاية الحرب هي حماية الحريات العامة ؛ ومنها حرية الاعتقاد والامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وهذا ما لا ملاحظة له في حروب الدول العظمى اليوم التي لا غاية لها الا بسط سيطرتها على الشعوب الضعيفة واستغلال ثرواتها الطبيعية لفائدة ابنائها المترفين .

ثم ان القرآن بعد ذلك جعل السلام هو المؤشر لاستمرار الحرب او ايقافها حيث قال : « وان جنحوا للسلم فاجنح لها » وهذا على سبيل العموم كما جاء في الآية الاخرى « فان اعتزلوكم فلم يقاتلوكم والقوا اليكم السلم فما جعل الله لكم عليهم سبيلا » اي انه لم يشترط للكف عن القتال قبول العدو لدعوته بدليل الآية الصريحة في الموضوع وهي : « ولا تقولوا لمن القى اليكم السلم لست مؤمنا تبتغون عرض الحياة الدنيا » .

فليقارن مؤلف كتاب : « هل يمكن الاعتقاد بالقرآن » هذا بحرب الاكتساح التي شنها الاتحاد السوفياتي اخيرا في عهد تفتحه وتسامحه على تشيكوسلوفاكيا وهي حليفته واحدى الدول التي تدور في فلكه ؛ لما آنس من بعض قادتها محاولة الخروج من الحجر وفك قيود الاستتباع ، وليقل لنا من هو الذي ضد السلم وصداقة الشعوب ؟ .

وهنا تخطر في بالنا حادثة (هيس) رسول السلام الالماني الذي اعتقل في بريطانيا وحوكم ؛ وقد بلغ الان من الكبر عتيا ؛ وما يزال الحلفاء دعاة السلم وحماته يمانعون في اطلاق سراحه ؛ فنقارنها بما سبق ذكره وبقوله تعالى لنبيه في مثل حالته : « وقيله يا رب ان هؤلاء قوم لا يؤمنون ، فاصفح عنهم وقل سلام فسوف يعلمون » وما درج عليه المسلمون تطبيقا لهذه الآية وغيرها مما لم نذكره من المن على الاسارى كما فعل صلاح الدين الايوبي في اسارى القدس من الصليبيين ويعقوب المنصور الموحدي في اسارى وقعة الارك من الاسبان وهم عشرات الالوف ، ثم نسأل الديبلوماسي السوفياتي المتعصب عن رأيه بعد هذا كله في القرآن وقضية السلم والصداقة بين الشعوب !

على اننا في النقطة الاخيرة نحب ان نذكره بالآية الجامعة التي محت كل الفوارق بين الاجناس والالوان ؛ وحثت على التعارف والتواصل بين الامم والشعوب بما لم يجيء به اي كتاب ديني غير القرآن ، وهي قوله تعالى : « يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا » وتعززها بآية اخرى وهي قوله عز من قائل : « لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم ان تبروهم وتقسطوا اليهم ان الله يحب المقسطين ؛ انما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين واخرجوكم من دياركم وظاهروا على اخراجكم ان تولوهم » ولفت مع ذلك نظره الى التعبير اولا بالبرة والقسط وذلك في حالة المواصلة ؛ وثانيا بعدم التوالي فقط اي اتخاذهم اولياء ، وذلك في حالة النهي عنها ؛ فاي سمو ابلغ من هذا في التواد والتقارب وصداقة الشعوب بقطع النظر عن كل اعتبار للمخالفة ؟ .

ولا ننهي الكلام في هذا الموضوع من غير اشارة الى ان تحية المسلمين هي السلام وعنهم اخذها « الرفاق » الذين ينعون على القرآن مضادته للسلام، فيا للوقاحة ! .

اذا تقرر هذا بطل كل ما هول به المؤلف في هذا الفصل من مثل قوله : « ان ادعاء المسلمين ان الدين ينشر السلام في الارض وان جميع الناس اخوة غير صحيح » وقوله : « انك تقرأ في السورة الثانية من القرآن ان من يؤمن بالله ويجاهد المشركين يكون في رحمة الله ؛ وذلك يعني ان جميع المسلمين يجب عليهم ان يحاربوا الوثنيين والكاثوليكيين والبوذيين الخ . » فقد رأينا ان ما نفى عنه الصحة

هو الصحيح ، وان ما بناه على الآية التي المع اليها ولم يبينها ، ولعله يريد قوله تعالى : « ان الذين آمنوا والذين هاجروا وجاهدوا في سبيل الله اولئك يرجون رحمة الله » هو من تقوله على القرءان بالكذب والبهتان . فالمسلمون عليهم ان يدعوا الى الله والى الدين القويم كما يدعو غيرهم من المبشرين مثلا الى النصرانية ، والشيوعيين الى الماركسية ، ولكن ليس عليهم أن يقاتلوا من لم يستجب لهم كما يفعل الشيوعيون ، ثم مراحل للدعوة وفروق بين الكتابيين ومنهم الكاثوليكيون الذين ذكرهم وبين غيرهم . فهو يهرف بما لا يعرف ، ويتكلم بالهوى الذي يعمي ويصم عن معرفة الحقيقة .

ويتساءل الكاتب اذا كان الناس اخوة والاله واحدا . فلم يأذن بالحرب بين الاخوة ؟ ويتخلص من ذلك الى انكار وجود الاله والقطع بأن الدين كيفما كان ما هو الا خرافة منافية للعقل ، الغاية منها خدمة المصالح الخاصة لطائفة معينة من الناس .

والجواب عن سؤاله هذا بناء على ما تقدم ان الاه لم يأذن بحرب الاخوة بعضهم لبعض شهوة وحبا في الحرب ، وانما يأذن بالحرب لمنع الظلم والجور ، لان الاخوة الانسانية وان كانت امرا واقعا ، فهي محتاجة للصداقة والتواصل . وقد قيل لاحد الحكماء : ايهما احب اليك ؟ اخوك ام صديقك ؟ فقال : وماذا اصنع باخي اذا لم يكن صديقي ؟ وعلى هذا فاذا جار الاخ على اخيه وظلمه ومنعه حقوقه الطبيعية ومنها حرية الاعتقاد والدعوة الى الخير المتمثلة في الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، واجرى اذا ضرب على يده واهانه واستعمره وعامله بشريعة الغاب والميز العنصري فان الحرب هي التي تقوم المنآد وتصلح الفساد ولا يرجع الامر الى نصابه بين الاخوة الا بها . . . واذا كان الدين بل وجود الله عز وجل يتعرض للانكار في نظر الكاتب بمجرد قيام الحرب بين ملة واخرى فما معنى بقاء الشيوعية ووجودها بعد الحروب الساحقة التي اججتها في كوريا والفيتنام وكمبودجيا والهند الصينية على المنوم ضد (اختها) الراسمالية ؟ وليقس ما لم يقل!

ويقول هذا الكاتب ، في السورة الخامسة من القرءان نجد نداء مباشرا للمؤمنين « اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم » فما هو الفرق بين هذه الجملة الوحشية من القرءان ، ونداء الجلادين النازيين اقتلوا الروسي — يقول كورينتج — اينما يوجد ! » والفرق هو ان نداء القرءان للمومنين كان بناء على ما اسلفه المشركون لهم من سوء المعاملة والاعتداء عليهم واخراجهم من ديارهم واموالهم . ونداء كورينتج وعصابته كان لخيانة الروس لهم وانضمامهم بعد ما كانوا يحاربون في صفهم الى صف اعدائهم ، وليست ثم ادنى شبهة للمقارنة بين حرب يراد بها نصرة المظلوم واحقاق الحق ونشر لواء الحرية بين البشر ، وهي حرب الاسلام وبين حرب ماحقة عانت منها الانسانية جمعاء الويلات والمصائب ، لمجرد التحكم واقتسام العالم بين دول المحور والحلفاء .

وبعد ان يستطرد المؤلف على عادته في التكرار الكلام على الحرب في الاسلام ، ويسميها هذه المرة بالغزو مستهزءا بما وعد به القرءان اتباعه من جزاء على الاستشهاد في هذه الحرب يقول : « ان كارل ماركس وفريديريك انجلز اشتكيا مما فعلته الشريعة الاسلامية استنادا الى تعاليم القرءان من تقسيم العالم وجغرافيته الى قسمين : دار الحرب ودار الاسلام . فوضعت غير المسلمين خارج القانون وبذلك خلقت جوا من العداوة الدائمة بين المسلمين وغيرهم » .

وهذا الكلام في اساسه غير صحيح ويدل على ان قادة المذهب الشيوعي كانوا ناقصي معرفة بالاسلام وشريعته ، فهم يعارضونه عن جهل وعدم تبصر ، والحقيقة ان التقسيم المشار اليه انما هو بين البلاد الاسلامية والبلاد التي تكون معها في حرب، ما دامت حالة الحرب قائمة ، فاذا ابرم صلح وعقدت معاهدة بين الطرفين فلا تقسيم ولا عداوة ، وهو على كل حال بين بلد وآخر لا على نطاق العالم . ثم ان ذلك هو ما تاخذ به الشيوعية نفسها . اليست تقسم العالم الى معسكرين شيوعي وامبريالسي ؟ والناس معها حين يقولون المعسكر الشرقي والمعسكر الغربي . وهناك حلف وارسو ، يقابل الحلف الاطلسي ، كل منهما بالمرصاد للآخر ، وكل منهما قائم في حالة السلم لا في حالة الحرب فقط ، وعلى نطاق عالمي لا بلداني ، كما هو حكم الشريعة الاسلامية . والمهزلة في الامر هو قيام جدار فاصل بين برلين الغربية وبرلين الشرقية وحراس مدججون بالسلاح كم صرعوا من برآء حاولوا اجتياز السور لصلة الرحم بينهم وبين اقاربهم او لقضاء بعض الاغراض فسقطوا موتى ضحية القوانين الجائرة التي

سنها اتباع وعملاء المعسكرين ! ... فما فعلته الشريعة اسلامية في حالة خاصة : هي حالة الحرب؛ هو ما فعله هؤلاء في حالتي السلم والحرب معا . فما لكم تشاركوننا في الفعل وتعرضوننا بالعجب ؟ ! ...

والحاكم في هذا الصدد على جميع ما تقدم هو قول لينين في كتاب ما العمل ونصه بالحرف : « اما ايديولوجية بورجوازية واما ايديولوجية اشتراكية ، وليس بينهما وسط . لان البشرية لم تصنع ايديولوجية ثالثة ! ! ! اضف الى ذلك انه في مجتمع التناقضات الطبقية لا يمكن ان توجد اية ايديولوجية خارج الطبقات او فوق الطبقات ؛ ولذلك فان كل انتقاص من الايديولوجية الاشتراكية وكل ابتعاد عنها هو في حد ذاته بمثابة تمكين الايديولوجية البورجوازية وتوطيدها » ان هذا تقسيم حقيقي للعالم وجغرافيته لا يبقى معه ذكر للتقسيم الاسلامي الذي اشتكى منه ماركس وانجلز ؛ وانا لنجد اثره في الوطن الواحد حيث يتراشق المواطنون بالتهم ويعطي بعضهم العداء للبعض الآخر !

ويزعم الكاتب ان هناك امثالا وحكما شائعة بين التتار والشعوب الاسلامية على العموم تبث روح التفرقة والعداوة بين الامم مثل قولهم اذا كنت توجد بين اجانب فخذ بيدك فلسا ، وهي من وضع علماء الاسلام وحملة القرءان . وبها تمكنت الامبريالية العالمية سنة 1944 من تقسيم الاخوة المتصالحين في شبه القارة الهندية الى دولتين : باكستان والهند ... وقبل ان نكر على زعمه بالنقض نسأله من اين له ان علماء الاسلام وحفظة القرءان هم الذين وضعوا هذه الامثال والحكم ؟ والمعهود ان الادب الشعبي في كل الامم ومنه الامثال والحكم ؛ انما يستمد وجوده من تجارب الافراد وممارساتهم اليومية . وهو موجود وحتى عند الشعوب الذين ليس لهم دين ولا كتاب .

اما عن تقسيم الهند ونشوء دولة باكستان فاننا لا ندخل معه في اي جدال بشأنه وانما نرد عليه بما فعله الاتحاد السوفياتي ونضربه بحجاره . نعم اذا كان تقسيم شبه القارة الهندية الى دولتين باكستان والهند عملا سيئا وامرا منتقدا فلماذا قامت الهند بمساعدة الاتحاد السوفياتي وتدخله السافر بتقسيم باكستان وفصل بنغلاديش عنها وتكوين دولتين من الدولة الواحدة التي تتفق في جميع المشخصات والاحوال ؟ اليس هذا عملا اسوء مما فعلته الامبريالية العالمية سنة 1944 ؛ بدليل انه لم يسوغها ولم تبد اي معارضة له ؛ وتواطأت هي والقائمين به بسكوتها عنه وكان لسان حالها يقول : لم آمر بها ولم تسؤني ؟ !

اننا نعرف الاسباب التي دفعت بالهند ومن ورائها الاتحاد السوفياتي الى تقسيم باكستان وهي تتلخص في عداوة الاسلام لا غير ؛ ناهيك بعمل تتفق عليه الشيوعية والامبريالية ؛ فانه لا يكون ابدا في صالح الاسلام ؛ ولكن المقام لادانة التقسيم فقط لذلك نقصر كلامنا عليه .

ويختم المؤلف بالكلام على ثورة اكتوبر وما فعلته من معجزات في توحيد شعوب الاتحاد السوفياتي والقوميات والطوائف الدينية العديدة المتساكنة فيه . التي طالما استغلها القياصرة والرؤساء الدينيون وملاك الاراضي . وفي هذا المجال له ان يصول ويجول كما يشاء وليس لنا ان ننكر عليه شيئا مما يقوله ؛ وانما نلاحظ انه كان من تحري الحقيقة ان يعبر بما يفيد علة هذا التوحيد وهو اذابة القوميات والطائفيات بكل الوسائل بالرغم من جميع الاحتجاجات التي قامت بها تلك الشعوب فكان جزاؤها القمع الستاليني الذي خلف القمع القيصري وربما اربى عليه في الشدة والقسوة ... والعبرة بالخواتم وسيتمخض الصريح عن الرغوة ان عاجلا او آجلا . ولله في خلقه شؤون .

طنجة : عبد الله كنون



خلال هذه السنة الجامعية تقدم الاستاذ السيد الحسين وكاك خريج دار الحديث الحسنية برسالة جامعية تحمل عنوان « دور الحديث في الاسلام »

وقد اختارت هذه الرسالة العمل في الاطار الاسلامي العام ، وحاولت بما قامت به من بحوث ناضجة ان تجمع مؤسسات الحديث في العالم الاسلامي في عقد يربط مشرقه بمغربه غير متصدرة للتعمق في الاقليميات ، ولا للبحوث الخاصة في الجزئيات .

واستغرق تحضير هذه الرسالة التي اشرف عليها الاستاذ مولاي مصطفى العلوي مدير دار الحديث الحسنية سبع سنوات استطاع الاستاذ الحسين وكاك خلالها ان يبذل في سبيلها جهودا متواصلة ، ويحصل على احدى وخمسين دارا للحديث ، اربع منها يحمل اسم دور القرآن والحديث ، والباقي يحمل اسم دور الحديث ، وقد خصص الاستاذ وكاك بعض الفصول للحديث عن الزوايا الحديثية العشر المشهورة في مختلف مدن المغرب وقراه بالاضافة الى بعض العائلات المغربية الحديثية ، والى جانب هذه المدارس والزوايا هناك عائلات حديثية تواكبها في نشاطها العلمي والحديثي مثل عائلة ابن سودة والعراقي وكنون في فاس ، وعائلة الامير عبد القادر الجزائري بالجزائر ، وعائلة الشيخ ماء العينين بالساقية الحمراء والتي لا يضاهيها في جهادها الا العائلة السنوسية بالقطر الليبي ، وعائلة احمد بابا بتنبكتو ، والعائلة العلوية ، والكتانية ، وشرفاء آل شمس الدين المعروفين بالشماسدة ، واسرة آل محمد سالم في شنقيط وآل ابن الاعمش بتندوف ، وعائلة ابن الصديق بطنجة ، وغيرها من العائلات التي نشرت العلم والحديث بين الرجال والنساء وخاصة في النواحي الصحراوية الشاسعة الاطراف ...

ويسرنا ان نتحف قراءنا بمقدمة الرسالة التي تقدم بها الاستاذ وكاك الى اعضاء لجنة المناقشة :

ان فكرة دور الحديث ، فكرة اصيلة في الاسلام عرج الى اشماليا السلف الصالح منذ القرون الاولى ، حينما كانت الفرق والنحل تهدد الجماعة الاسلامية بالتمزيق والتشتيت فتيشوا بها وحدها ، وآثاروا بها نخوتها ، وركزوا بها قوتها ، ونظموها في آثار القرآن والسنة ، ومكنوها بفضل تعاليمها السامية من الانتصار على التفرقة والهوى ، أولا ، والقضاء على الصليبيين وجميع اعداء الاسلام ثانيا .

وقبل ظهور فكرة دور الحديث اصيب العالم الاسلامي بمرض الانفكاك والتشتت ، وانفرط عقد الوحدة بين المسلمين ، وتمزقوا سياسيا تمزقا لم يسبق له مثيل . وقد شجع على هذا التمزق اهانة الاتراك لمركز الخلافة العباسية في بغداد ، وما اتسم به حكمهم من ظلم وقساوة ، الشيء الذي جعل الولاة يستقلون عن الخلافة في امارات منتشرة ، فاصبحت فاس وأصبهان وغيرهما تحت سيطرة بني بويه ،

وكرمان في يد محمد بن الياس ، والموصل وديار بني ربيعة وديار بكر ومضر تحت حكم بني حمدان ، ومصر والشام تحت سلطة الاخشيديين ، والمغرب وافريقية تحت حكم الفاطميين ، والاندلس تحت سلطان الامويين وخراسان تحت سلطان السمانيين والاهواز وواسط والبصرة في يد البريديين والبمامة والبحرين تحت نظر القرامطة ، وطبرستان وجرجان تحت قبضة الديلم بحيث لم يبق الخلافة العباسية الا بغداد .

وتبعا لهذا التفكك السياسي ، نشأ خلاف شديد بين اصحاب المذاهب ، وبين اتباع الفرق بعضهم مع بعض . ويظهر هذا بكيفية جلية ، بين الشافعية وبين الحنابلة حتى ان بعض المؤرخين حكى ان الحنابلة بنوا مسجدا ببغداد اضطروا امام شغب الشافعية ان يامروا العميان الذين يلازمونه ، بأن يضربوا كل شافعي سمعوه اومربهم في ذلك المسجد . كما ان الحنابلة تألبوا على المؤرخ الكبير ابن جرير الطبري، حتى ادى ذلك الى دفنه في منزله ليلا ، وبكيفية سرية لانه ألف كتابا ذكر فيه اختلاف الفقهاء ، مالك والشافعي وابي حنيفة، ولم يذكر خلاف الحنابلة، ومما زاد الطين بلة في نظرهم انه لما سئل عن السبب قال: انه محدث وليس بفقيه (1)

وقد اضرم هذا التشتت السياسي أيضا نار الحرب بين السنية والشيعية، وزاد في إذكائها ما قام به الفاطميون من نشاط شيعي في مصر والشام والمغرب وما بذله الحمدانيون من جهود لنصرة التشيع في ديار بكر وربيعة ومضر ، وما قدمه البويهيون في العراق لاهل الشيعة من دعم وسند حتى قال بعض المؤرخين : « من اراد الشهادة فليدخل دار البطيخ في الكوفة ، وليقل (ارحم الله عثمان)

وذكر اليماني المكي (2) نقلا عن الحافظ ابن عساكر ان القاضي ابا بكر الباقلاني وجد الانتساب الى الاعتزال فاشيا منتشرا ، واهل السنة مستترين ، فقاوم البدع ودحض حجج المبتدعين بالبراهين القاطعة، ورفع منار السنة عاليا، وجدد هذا الدين على راس المائة الرابعة وقد حاول الفاطميون في تونس حمل السكان على اتباع نحلتهم الاسماعلية، فانشأوا مدنيين هناك للقضاء على مركز القيروان السني ،

ولكن السكان التونسيين المتشبثين بمذاهب السنة وبآراء اهل المدينة بالخصوص اعرضوا عن المدينتين المذكورتين ، وقاطعوا كل من يقصدهما ويلجأ اليهما اعلانا منهم على تعلقهم المتين بأذيال السنة ورفض كل ما سواها من النحل والنزعات (3) وحينما غلا الرفض وفار في مصر والشام وافريقية وفي كل مكان، واستأسد الصليبيون امام تمزق الجماعة الاسلامية على النمط المذكور فكر المصلحون الذين لا يخلو منهم زمان ولا مكان في أحسن الوسائل التي ترد الامة الى رشدها ووحدتها ، فكانت تلك الوسيلة هي انشاء دور الحديث.

وقد وقع اختياري على موضوع (دور الحديث في الاسلام) عنوانا لهذه الرسالة للاسباب التالية :

1 ـ لما لها من اصالة تاريخية وعلاقة وثيقة ، بالحضارة الاسلامية ، وأثر فعال في حياة المسلمين ونظامهم .

2 ـ ولانها المعاهد العاملة لابراز المحجة البيضاء والملتزمة بالسير على المنهاج الاسلامي لتحقيق اهداف الرسالة التي دعا اليها محمد بن عبد الله صلوات الله وسلامه عليه في دار السنة الاولى المدينة المنورة للقضاء على الشرك ، ومظاهر التخلف ، وتحرير الانسان من كابوس الخرافات والاوهام ، وسيطرة الشعوذة والاساطير .

3 ـ ولانها المؤسسات التي احتضنت كل المعاني السامية ، والآداب النظيفة والاخلاق الكريمة لدار السنة الاولى التي منها تكون الاطار العام للدولة الاسلامية ، وتخرجت الجماعة الاولى من المسلمين ، وانبعث هذا التراث الضخم من العلوم ، والفنون الاسلامية ، السائدة في أطراف المعمور .

4 ـ ولانها المدارس التي يقدسها المسلمون أكثر من غيرها ، ويكبرون تعاليم شيوخها الصالحين ويقبلون عليها بكليتهم ، ويحسبون عليها من ممتلكاتهم وينفقون على مصالحها من أموالهم ويخضعون لكل ما يصدر عنها من توجيهات حكاما كانوا او محكومين .

5 ـ ولانها المعاقل التي انتجت ابطالا مومنين ، وأنقذت العالم الاسلامي من نزاعات الفرق وأخطار

---

1) احمد أمين ظهر الاسلام ج 2 ص 1

2) مرآة الجنان ج 3 ص 8

3) مجلة الاقلام المجلد الخامس ص 3

النحل ، وعرفته بواجبه المقدس في الجهاد ، وبرسالته الاسلامية في النضال ، ووحدته للصمود امام الصليبيين وجميع الاعداء المتربصين .

6 — ولانها المنارات الهادية التي يجب ان تعلو اليوم ، وتنتشر في العالم الاسلامي من أقصاه الى أقصاه لتوحده من جديد، وتهيئه للوقوف امام الثالوث الزاحف : الصهيونية والصليبية والشيوعية .

ومن اجل هذا ، ولطرافة البحث عنها ، عزمت على العمل لنظم دورها المنتشرة على بساط العالم الاسلامي في عقد يتحلى به جيد هذا العصر ايمانا مني بأن افضل عمل ، يهدى للشباب المسلم اليوم ، هو هذا العقد الثمين ، من نجوم أصالته وتراثه ، وهذا الاكليل الفاخر من منارات حضارته ، ومعاهد عقيدته.

والعمل في هذه الميادين الاسلامية الواسعة ، وان كان صعبا بعيد المنال ، يقر به توجيه شيوخنا الراسخين ، ويستسهل اقتحامه تأثير العقيدة ، وثبات العزيمة ، ويخفف عبئه طمع في الجزاء الاوفى من الله وحبيبه الى النفس ثقتها التامة ، في ان الذين يعملون لانارة السبيل امام عبادة الله ، ينير الله لهم اكوانه ويفتح لهم ابوابه ، ويهديهم الى اكتشاف خزائنه ، وييسر لهم الكرع من مناهل عرفانه .

واذا قلت انه طريف ، فلان طرافته بهذا المعنى الشامل لم يسبق له مثيل فيما اعتقد ولم اعثر على أحد من المتقدمين تصدى له بهذه الكيفية ، على كثرة ما كتبوا عن الحديث ورجاله وما الفوا من كتب الجرح والتعديل ، والانساب ومعاجم المحدثين ومشيخات الحفاظ والرواة ، وتراجمهم وطبقاتهم ، ومجلدات الوفيات ، والتواريخ والسير والاخبار ، الشيء الذي جعلني احاول القيام بهذا العمل المتواضع ، تحدوني الرغبة الصادقة في ان اعمل لملء بعض هذا الفراغ وان ادلي بدلوي في جمع ما يمكن جمعه عن عدد المؤسسات الحديثية التي احيت الآمال ، واعدت للمجتمع الاسلامي كتائب من رجالات العلم والفضل ، وقدمت للفكر الانساني ثروة طائلة من المعارف والفنون، وما زالت تشيد بها مختلف المكتبات العلمية في انحاء العالم .

واذا قلت انه صعب ، فلانه يتطلب من الجهود المضنية ، والرحلات المتعبة والاسفار الشاقة ، في سبيل الحصول على المظان ، ولقاء الرجال المختصين والوقوف على البقية الباقية من آثار بعض دور الحديث في بعض الاقطار ، والبحث عن آثار المندثرات منها في الاقطار الاخرى ضعف ما بذله المحدثون الاوائل من جهود وتضحيات ، في سبيل لقاء الشيوخ الكبار ، والرواية عنهم ، والاحراز منهم على الاجازات المؤهلة، والاسانيد العالية اينما وجد هؤلاء الشيوخ في انحاء العالم الاسلامي الشاسع الاطراف .

واذا قلت انه بعيد المنال ، فلانه يتطلب نفس الشروط المشترطة ، والاستعدادات المطلوبة في كل من يرغب في الانخراط في سلك المحدثين ، والمجتمعة فيما ذكره الامام البخاري لابي العباس الوليد بن ابراهيم بن زيد الهمداني ، حينما استشاره في أمر اقدامه على اخذ الحديث وانحياشه لطائفة المحدثين من نكران الذات ، وتجوال في الآفاق ، وتسلح بالصبر ومثابرة على العمل ، وقدرة تامة على الاحاطة بجميع الرباعيات المطلوبة لمزاولة الحديث (4) .

على انني رغم ادراكي لما يتطلبه هذا الموضوع من جهود مضنية — قررت ان لا اتأخر عن الاشتغال به وان لا اقتنع من الغنيمة بالاياب ، كما تأخر ابو العباس المذكور عن الاشتغال بالحديث ، بعدما أدرك ادراكا تاما ما ترمز اليه نصيحة الامام البخاري اياه، من عمل دائب وشاق ، كما قررت ان اقبل عليه جهد المستطاع معتمدا على الله الذي يذلل الصعاب وينير الطريق امام المصاحبين امثالي في مثل هذه الميادين الواسعة التي تتطلب الخبرة التامة ، والدربة الكافية ، والاحاطة الشاملة ، وفوق جهدك لا تلام ، كما يقولون .

وتنفيذا لما عزمت عليه ، صرت أرتاد الخزائن والمكتبات ، منطلقا من بيتين اثنين (5) كنا ننشدهما دائما بدار الحديث الحسنية لورود دار اخرى للحديث فيهما ، عازما على البحث عنها ، ومكانها ومنشئها ، وشيوخها ، ظنا مني انها تطلعني وتساعدني على اكتشاف ما اصبو اليه من اخواتها السابقات ، وما احن اليه من مثيلاتها اللاحقات .

---

4) القسطلاني ارشاد الساري ج 1 ص 18

5) البيتان لتقي الدين السبكي : انشاهما وينشدهما ، في دار الحديث الاشرفية وهما :

وفي دار الحديث لطيف معنى ... على بسط لها اصبو وآوي

عسى اني امس بحر وجهي ... مكانا مسه قدم النواوي

وكم كان سروري عظيما حينما اطلعني ذلك البيتان على قصور بديعة ، ودلتني تلك الدار الواحدة على دور عديدة ، وتعرفت بواسطة شيخ واحد ، ومحدث واحد على عالم زاخر بالشيوخ والمحدثين .

وكل هذا بفضل توجيهات اساتذتي الكرام امثال السيد محمد التطواني والسيد مصطفى الغربي والسيد عبد الله كنون والمرحومين السيد علال الفاسي والسيد الفاضل ابن عاشور والسيد ابراهيم الكتاني، والسيد العابد الفاسي ومولاي مصطفى العلوي الذين نبهوني الى ضرورة البدء بالبحث عن معاهد الشام ، ومطالعة الكتب التي من شانها ان تفتح الباب وتسهل المرام مثل :

1 ـ تاريخ ابن عساكر

2 ـ والدارس من المدارس للنعيمي

3 ـ والخطط لكرد علي

4 ـ والانس الجليل في تاريخ القدس والخليل لابن الحنبلي

5 ـ والروضتين في تاريخ الدولتين للمقدسي

6 ـ وتاريخ القدس لعارف باشا

7 ـ وزبدة الحلب من تاريخ حلب لابن العديم

8 ـ ومنادمة الاطلال لابن بدران

9 ـ واهل العلم والحكم في فلسطين للخالدي

وغير ذلك من المراجع العامة والمفيدة .

وقد شجعني محصولي من هذه الجولة الاولى بالشام على القيام بجولة اخرى في مصر والعراق ، مستعينا بالمراجع التالية :

1 ـ الخطط والسلوك والمواعظ والاعتبار للمقريزي .

2 ـ النجوم الزاهرة لابن تغرى بردى

3 ـ الخطط لعلي مبارك باشا

4 ـ الموصل في العهد الاتابكي لسعيد الديوه

5 ـ تاريخ علوم بغداد للسلامي

6 ـ تاريخ علوم المستنصر لناجي معروف .

7 ـ اعيان الشيعة لمحسن امين .

8 ـ تاريخ دولة المماليك للسير وليم موير.

فاكتشفت بذلك دورا ومدارس اخرى للحديث مما أغراني الى مواصلة البحث عن اخواتها في البلدان الاسلامية المجاورة .

وهكذا اهتممت مرة اخرى بالحجاز واليمن وتركيا وباكستان والهند واندونيسيا وغيرها من الاقطار الاسلامية في المشرق لاستفدت ما يمكن استفادته من المظان والمراجع التالية :

1 ـ الاعلام باعلام بيت الله الحرام للنهروالي

2 ـ التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة للسخاوي .

3 ـ فرجة الهموم والحزن في تاريخ اليمن للواسعي .

4 ـ الشقائق النعمانية في علماء الدولة العثمانية لاحمد زادة

5 ـ العقد المنظوم في ذكر افاضل الروم لعلي افندي .

6 ـ بلدان الخلافة الشرقية لسترانج .

7 ـ تاريخ الاسلام في الهند لعبد المنعم النمر.

8 ـ كتاب اخاء اربعين سنة لشكيب ارسلان .

9 ـ تاريخ الجامعات الاسلامية لغنيمة

10 ـ مراكز المسلمين التعليمية والثقافية في الهند للندوي .

11 ـ المدارس الشرابية لناجي معروف

12 ـ البدر الطالع للشوكاني

وغيرها من المظان التي شجعتني على مواصلة العمل للبحث عن المزيد وقد دعاني ما عثرت عليه في البلاد التركية من دور الحديث الى البحث في الاقطار الخاضعة لنفوذها أيام الخلافة العثمانية فمررت في بحثي مرور الكرام على (يوغوسلافيا) وجنوب (ايطاليا) و (صقلية) قاصدا بلاد المغرب الاسلامي ، ومعرجا على بلاد الاندلس (الفردوس المفقود) التي كان لها في عهدها الاسلامي دور كبير في خدمة الحديث الشريف ونشر العلم والحضارة بين الناس اجمعين .

ولتحقيق غرضي استعنت بالمراجع التالية :

1 ـ الاجزاء المطبوعة من كتاب الذيل والتكملة لابن عبد الملك المراكشي

2 ـ الاجزاء المطبوعة من كتاب التمهيد لابن عبد البر

3 ـ الاجزاء المطبوعة من كتاب المدارك للقاضي عياض .

4 ـ التعريف لابن خلدون
5 ـ نيل الابتهاج لاحمد بابا السوداني
6 ـ نفح الطيب للمقري
7 ـ نزهة الحادي للافراني
8 ـ الفوائد الجمة للتمنارتي
9 ـ تاريخ الامم الاسلامية للخضري

10 ـ المؤنس في اخبار افريقية وتونس لابن ابي دينار القيرواني

11 ـ البستان في ذكر الاولياء والعلماء بتلمسان لابن مريم التلمساني

12 ـ عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء ببجاية للغبريني

13 ـ المعجب للمراكشي
14 ـ مناهل الصفا للفشتالي
15 ـ الدرر المرصعة باخبار صلحاء درعة للمكي بن موسى

16 ـ عناية اولي المجد بذكر آل الفاسي ابن الجد للمولى سليمان .

17 ـ الاستقصاء وطلعة المشتري للناصري
18 ـ الاحياء والانتعاش لعبد الله العياشي

19 ـ المرقى في اخبار سيدي محمد الشرقي العروسي

20 ـ معجم الشيوخ لعبد الحفيظ الفاسي

21 ـ المعسول وخلال جزولة وسوس العالمة لشيخنا المرحوم سيدي المختار السوسي

22 ـ النبوغ المغربي للعلامة سيدي عبد الله كنون

23 ـ اتحاف اعلام الناس لابن زيدان

24 ـ العلوم والفنون في عهد الموحدين لمحمد المنوني

25 ـ الزاوية الدلائية لمحمد حجي

وغير ذلك من الكتب والمجلات التي اطلعتني على كثير من مدارس وزوايا الحديث بالمغرب

وبعدما رتبت نتائج هذه الجولة المباركة تبين لي ضرورة سد بعض الثغرات ، فتوسعت في البحث شيئا ما ، ورجعت أتصفح كتب التراجم والطبقات والرحلات للمؤلفين الاتي ذكرهم :

1 ـ ابن بطوطة
2 ـ العبدري
3 ـ الذهبي
4 ـ ابن السبكي
5 ـ ابن كثير
6 ـ ابن العماد الحنبلي
7 ـ ابن خلكان
8 ـ ابن حجر
9 ـ ابن رجب
10 ـ السخاوي
11 ـ الصفدي
12 ـ النجم الغزي
13 ـ الكتاني
14 ـ الزركلي

وغيرهم متبعا القرون من السادس الهجري الى الآن ، وباحثا عن دور الحديث ومؤسسيها وشيوخها الاماثل ، الشيء الذي جعلني ادرك ادراكا تاما ان الموضوع الذي قدر لي اختياره جدير بأن تكتب فيه رسائل ورسائل ، وان المشرق والمغرب الاسلاميين زاخران بدور ومؤسسات الحديث ، وان المغرب وان فاته الشكل ، فقد حافظ باسلوبه على الخوض في مختلف العصور ، وقد قسمت الموضوع الى ثلاثة أبواب ، عالجت في الباب الاول منها في فصلين اعتناء المسلمين بالحديث مبرزا الجهود التي بذلوها لصيانة الحديث وحفظه والاطوار التي مرت عليه قبل دوره.

وتحدثت في الباب الثاني في أربعة فصول عن دور الحديث واسباب نشأتها وأحوالها ومراكزها في المشرق ، مفصلا الكلام عنها في الشام ، ومصر والعراق ومشيرا لما لهذه الحركة من وجود في الحجاز وتركيا والهند وباكستان واندونيسيا وغيرها من أقطار الاسلام .

كما افردت الباب الثالث وفصوله الاربعة ايضا لدور الحديث في المغرب والجهود المبذولة من طرف علمائه وملوكه لنشر الحديث في مدنه وقراه ، وجعله دائما مكان اهتمام الطائفة الظاهرة على الحق والمعززة باذن الله الى قيام الساعة .

وقد حاولت جهد الطاقة ان ابرز من خلال هذا التقسيم امام القارىء الكريم ما عليه كل من المشرق والمغرب الاسلاميين من الاهتمام بالحديث وعلومه بدافع التنافس المعروف بينهما منذ القديم ، ورغبتهما المشتركة في ابراز الجماعة الاسلامية الموحدة والمهتدية بالوحي الالهي والسائرة في الطريق المستقيم ·

كما حاولت بالخصوص ان أبرز ما امتاز به المغرب الى جانب اهتمام ملوكه وامرائه واعيانه بالحديث ـ من مبادرات علمائه الافذاذ الذين اسسوا له زوايا ومدارس عديدة لاتقل اهمية عن دور الحديث المؤسسة في المشرق . ان لم تفقها في جوانب اخرى غير ميسرة لها مما جعله محافظا على طابعه الاصيل وشخصيته الاسلامية الموحدة ، وحضارته المتميزة قرونا وفي شكل يستغربه اليوم حتى اخواننا الشرقيون ·

واذا كان المغرب الاسلامي يشمل في تقسيمي هذا كلا من اقطار الاندلس وليبيا وتونس والجزائر والصحراء الافريقية المسلمة وغيرها من الاقطار التي استقر فيها الحكم الاسلامي او عرفته في بعض الفترات من تاريخها مثل صقلية وجنوب ايطاليا ، فان الذي يجب التركيز عليه هو الدور العظيم الذي قامت به القيروان والاندلس العالمتين منذ القديم في خدمة الحديث ونشره بين طلاب العلم من ابنائها والنازحين اليها من مختلف الاقطار ، فمساجدهما ونواديهما العلمية لا تقل اهمية عن مساجد بغداد والكوفة والبصرة ومصر وغيرها من المدن الاسلامية المعروفة بالعلم والعرفان ·

وبروحهما طبعت اقطار المغرب كلها في خدمتها للحديث ونشرها للسنة سواء في مساجدها الجامعة مثل جامع الزيتونة وجامع القرويين وغيرهما من المساجد المشهورة بالحديث والحافل تاريخها بجلائل الاعمال في هذا الميدان ·

وبفضلهما تخرج من المغاربة افذاذ العلماء والمحدثين الذين تتلمذ لهم كبار المحدثين في بلاد المشرق مثل ابن الخطاب عمر بن دحية واخيه ابي عمر عثمان ، وابن سراقة الشاطبي، وابن سيد الناس الاشبيلي وابن عبد الملك القصري وابي مروان الباجي وابي البركات الكمال المكناسي ، وتقي الدين الفاسي وابن شقرا السلاوي وابن خلدون وغيرهم .

ويكفي المغرب الاسلامي فخرا ان يكون ابن عساكر مؤلف تاريخ دمشق واول شيخ لاول دار للحديث في المشرق ممن اخذ عن الحافظ الكبير سعد الخير بن محمد بن سهل بن سعد الانصاري الاندلسي

ولتحقيق رسالتهما عمل جميع المحدثين في اقطار المغرب الكبير على اختلاف أعصارهم ووسائلهم حتى ظهر هناك محدثون نبغاء في القرون الاخيرة امثال ابي العباس المقري ، وابي محمد عبد الله بن طاهر العلوي وعبد الكريم الفقون القسنطيني ، وابي مهدي عيسى الثعالبي ، ويحيى الشاوي ، وابي عبد الله بن ناصر الدرعي ، وابي سالم العياشي ، وابن سليمان الروداني ، وابن الرابط الدلائي وعبد الملك التجموعتي ، وغيرهم من الذين ربطوا المشرق بالمغرب وخلدوا لبلادهم الذكر الجميل والثناء العاطر ·

وعلى منهاج القيروان والاندلس سار جميع المحدثين والمصلحين من أبناء المغرب الاقصى مقتفين اثر سلفهم الصالح ، فعمروا المساجد والمدارس والزوايا بحلق الطلبة لدارسة كتاب الله عز وجل وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى اصبح كل مسجد وكل زاوية في بوادي المغرب وحواضره بمثابة دار للحديث

وقد توجت تلك الجولات بالاشارة الى ما ابداه أمير المؤمنين الحسن الثاني نصره الله من عطف كريم على هذه الشخصية المغربية واتخذه من تدبير حكيم للحفاظ على هذه الاصالة العريقة ، وعلى التراث الخالد حينما قرر الاستمرار في هذا الاعتناء الموروث والسير في هذا الدرب المحمود ، فانشا دار الحديث الحسنية بالرباط معبرا بذلك عن تقديره للمنهاج النبوي ، ورغبته الصادقة في بعث تلك الحركة الاسلامية المتمثلة في دور الحديث ومدارسه وزواياه في المشرق والمغرب وراجيا ان يعيد التاريخ نفسه ويخرج منها المحدثون الملتزمون ، والعلماء المصلحون فتنتعش بذلك الافكار والآمال الاسلامية من جديد ، وتنطلق اقلام البناء والتآزر والتناصر في العالم الاسلامي حتى يستعيد مجده ، ويبني وحدته ، ويعرف طريقه التي لا يزيغ عنها الا هالك ·

هذا ولاتحاف القارىء الكريم بمزيد من أخبار هذه الدور حاولت القيام بزيارة لبعض الاقطار العربية والاسلامية التي احتضنتها لاستطلاع الكثير من احوالها ومشاهدة آثارها ؛ والاستفادة من بعض المراجع المخطوطة والمطبوعة التي لم يتيسر لي هنا الاطلاع عليها ، والوقوف على اماكنها ، والبحث على المندثرات

عنها ، الا ان الظروف لم تساعدني رغم ما حدا ويحدوني من رغبة صادقة لتحقيق هذا الحلم الذي سيصبح حقيقة في يوم من الايام بحول الله .

وحينما لم يساعدني الدهر على انجاز تلك المحاولة ، عدلت عنها مؤقتا وقررت الاتصال بالعلماء والشخصيات الاسلامية في كل مكان عن طريق الكتابة فوجهت اليهم العديد من الرسائل حاملة رجائي ورغبتي في أن يتفضلوا بتزويدي بما عرفوه وقرأوه عن دور الحديث التي لم أجد في مكتبات هذا البلد ــ حسبما بذلت من جهد ــ ما أضيفه الى ما جمعت من أخبارها الطريفة ونظمت من دورها البديعة ، الا انه مع الاسف الشديد لم يكاتبني منهم الا السيدة الفاضلة الدكتورة عائشة عبد الرحمن التي تفضلت مشكورة وليت رغبتي في نقل بعض المعلومات عن دار الحديث النورية في بعض الاعداد من مجلة المقتطف المصرية ، والا الدكتور المحسن والسيد عبد الله بن عبد القادر بلفقيه مدير دار الحديث بأندونيسيا الذي تفضل بدوره مشكورا وزودني بتقرير ضاف عن دار الحديث الفقهية التي يشرف عليها اليوم بمدينة مالانج بجاوى الشرقية باندونيسيا ومصحوب بدعوة كريمة للحضور في الاحتفالات التي ستقام بمناسبة الذكرى الثانية عشرة لمؤسس الدار المذكورة المرحوم السيد عبد الله بلفقيه .

وأمام هذه اللامبالاة التي أظهرها اولئك السادة نحو رسائلي المضمونة الوصول ، والتي لم يرجع لي منها الا اثنتان احداهما من اندونيسيا والثانية من افريقية حاولت محاولة اخرى فكتبت اليهم بواسطة سفاراتهم الموجودة بالرباط وبعد انتظار طويل أعدت الكتابة اليهم مرة ثالثة ، ولكن باسم الجامعات الاسلامية ورجالاتها فأجابني هذه المرة احدهم من استانبول معتذرا ومخبرا اياي بأن المعني بالامر هنا قد توفي قبل سنتين رحمه الله ، وأن بعض اساتذة معهدنا المختصين في الشئون التي تهمكم يعمل الآن في جامعة (فرانكفورت) بالمانيا ، فاتصلوا به يفدكم في موضوعكم وقد بذلت كل جهدي في الاتصال به في المانيا فلم يقدر ، فهرعت الى بعض الشخصيات التي تعيش في الجو من كثرة أسفارها لتساعدني وتمكنني من بعض المراجع الاجنبية المختصة والمكتوبة باللغة الالمانية او التركية فوعدت خيرا ولكنها لم تفعله ؛ وبعدما اتصلت مباشرة مع بعض الشخصيات العلمية الوافدة الى المغرب بمناسبة مؤتمر الجامعات الاسلامية المنعقد أخيرا في فاس والدروس الرمضانية التي تعقد بحضرة جلالة الملك طلبت مرة اخرى من بعض الوفود التي تبعثها وزارة عموم الاوقاف من حين لآخر الى بعض البلدان الاسلامية ان تتصل نيابة عني ببعض الشخصيات العلمية في يوغوسلافيا ، ففعلت واتصل بعض اعضائها بالشيخ حسين جوزو الذي وعد خيرا ولكنه لم ينجز شيئا ، ثم تدخلت بكيفية لبقة لدى كل من وزراء الاوقاف والتعليم الاصلي والثقافة السابقين ليساعدوني على اتمام هذا العمل بكيفية احسن وأحسن فاعتذروا اعتذارات ميدانية والى جانب هذا حاولت الاستفادة من برنامج اليونيسكو الثقافي فاتصلت بالمشرفين عليه بالمغرب فطلبوا مني اعداد ملف شخصي ليرفع للادارة العامة بباريز ففعلت الا أنه أخيرا رفض بدعوى أن مثل هذه الابحاث لم تخصص له المنح بعد ، الشيء الذي جعلني أقنع من الغنيمة بالاياب مؤقتا ، جاعلا كل عذري للقراء الكرام انني بحثت فلم اجده ، هذا ولما أعيتني الحيلة مع فريق من الناس حاولت الاستعانة بفريق آخر وراسلت عددا من رؤساء المصالح بالداخل والخارج مثل بعض مديري الآثار بالبلاد العربية ، وبعض العمال والقواد في بعض النواحي المغربية ، طالبا منهم تزويدي ببعض الصور لبعض الدور والمدارس والزوايا الحديثية ، فكان الجواب هذه المرة ايجابيا من صديق استاذنا الكبير السيد عمر بهاء الدين الاميري والسيد عبد القادر الريحاوي ، والدكتور عفيف بهنسي ، المدير العام للاثار والمتاحف بسوريا الشقيقة اللذين زوداني بصور عن كل من دار الحديث النورية والاشرفية والظاهرية بدمشق وصادق الحسني مدير الاثار العام ببغداد الذي زودني بدوره بصور عن دار الحديث المستنصرية كما زودني كل من عامل اقليم ورزازات بصور عن الزاوية الناصرية بتامكروت وزاوية سيدي محمد بن يعقوب بسكتانة .

وزودني رئيس دائرة تارودانت بصور اخرى عن زاوية سيدي عبد الله بن سعيد المنانى بجبل درن .

وكما زودني كل من رئيس دائرة ام اثنانوت بصور عن مدرسة مزوضة وقائد شيشاوة بصور عن المدرسة الحديثية أيضا ببوعنفير بأولاد ابي السباع في الطريق الرابطة بين الصويرة ومراكش .

وكذلك فعل رئيس دائرة ابي الجعد اذ زودني بصور عن زاوية سيدي محمد الشرقي ، كما زودني كل من السيد رئيس دائرة تزنيت وقائد ملحقة

تافراوت بسوس بصور عن زاوية تيمكيدشت الواقعة بجبال الاطلس الصغير .

أما الزاوية العياشية ، والزاوية الفاسية ، والزاوية الدلائية ، والزاوية الكتانية ، فما زلت انتظر جواب الرسائل التى رفعتها الى من يعنيهم الامر فى الموضوع ، وبعد فهذه هى الدور والمدارس الحديثية التى استطعت الحصول عليها فى بعض الاقطار من العالم الاسلامى المترامى الاطراف ، وهذه هى المراكز التى اكتشفتها مما تصفحته وطالعته من المراجع والمظان ، ويعلم الله اننى لاقيت عبوق القربة من جمعها وعرضها على انظار القارىء الكريم بهذه الكيفية المتواضعة التى لا تعد الا محاولة اولى فى جمع هذه المؤسسات التى لعبت دورا مهما فى تاريخ الاسلام .

وكما يبدو من هذه الرسالة المتواضعة فانها فى الغالب احدى النتائج التى حققها المذهب السنى الذى سهر على نشره العلماء الشافعيون والحنابلة داخل اطار العقيدة الاشعرية التى اخذ بها الملوك المتحمسون لانشائها ، والساهرون على تاسيسها مثل نور الدين محمد بن زنكى وصلاح الدين الايوبى ، والاشرف والكامل وغيرهم من العلماء والامراء الذين تحمسوا لها واذاعوها فى بلادهم أمثال المهدى بن تومرت وأصحابه الموحدين الذين نشروها فى البلاد المغربية واستغلوا لذلك كل الوسائل رغبة منهم فى ربط المغرب بالمشرق اولا ، وتوحيد الامة الاسلامية ثانيا .

وهى نوع خاص من المدارس الاسلامية التى ابتدأ امرها فى نيسابور وانتقل نظامها من المدرسة النظامية ببغداد ، وازدهر شأنها بدار الحديث النورية بدمشق ، والتى بفضلها وقع الاقبال على تاسيسها بعد فى العراق والشام ومصر من طرف العلماء والاغنياء والملوك الزنكيين والايوبيين واتباعهم من أمراء المماليك والاتراك .

وقد حاولت حسب الامكان ان اربط المشرق فى البحث عن هذه المؤسسات الحديثية وان اظهر المساهمة الكبرى التى شارك بها الافذاذ من المغاربة الذين لم يتخلفوا قط عن العمل فى مختلف الميادين الاسلامية ، والاتصالات المتبادلة بينهم وبين اخوانهم المشارقة ، والرحلات التى قاموا بها فى سبيل الاحراز على الاسانيد العالية والحفاظ على فنون الرواية والدراية ، واخذ الحديث وعلومه من افواه رجالاته الاعلام .

ويعلم الله أننى بذلت الجهد والطاقة فى سبيل ان اجمع من هذه الدور والمدارس والزوايا اكثر مما جمعت ، وان أتوسع فى ابراز بعض مظاهرها اكثر مما فعلت ، الا ان وسائلى الضعيفة من جهة ، وقلة المراجع وانعدام بعضها من جهة ثانية ، واستحالة استفادتى من بعض المراجع الاجنبية من جهة ثالثة ، وغياب المساعدين والمعينين من جهة رابعة، جعلنى استسمح القراء الكرام ، مكتفيا بهذا القدر الضئيل ، راجيا ان تتاح لى فرصة اخرى لاستكمال ما تبقى منها ، واكتشاف ما عجزت عنه الان من اخبارها ، فى جولتى الثانية ان شاء الله ، ودراستى المقبلة لدور القرآن والحديث بحول الله .

ولعلنى بهذه العجالة المتواضعة ، قد أثرت انتباه الشباب المسلم الغيور الى مواضيع علمية خصبة ، تستحق البحث الواسع ، لتصبح بحول الله كل دار من هذه الدور التى ذكرتها وكل مدرسة وزاوية من مدارس وزوايا الحديث فى المشرق والمغرب التى اجملت الكلام عنها موضوع رسالة خاصة تبحث شؤونها ، وتظهر جهودها ، وتزيل الستار عما حققته من نتائج وانتجته من أبطال، وحمته من تراث واحيته من علم وسنة ، ونشرته من دين وحضارة .

وان مما تمتاز به هذه الرسالة المتواضعة عندى انها اختارت العمل فى الاطار الاسلامى العام وحاولت بما قامت به من بحوث مضنية ان تجمع مؤسسات الحديث فى العالم الاسلامى فى عقد يربط مشرقه بمغربه ، غير متصدرة للتعمق فى الاقليميات ، ولا للبحوث الخاصة فى الجزئيات . وبعد ما بذلته من جهود متواصلة طيلة سبع سنوات استطعت ان احصل على احدى وخمسين دارا للحديث ، اربع منها يحمل اسم دور القرآن والحديث ، والباقى يحمل اسم دور الحديث وهى موزعة كما يلى :

34 أربع وثلاثون فى الشام
6 ست فى العراق
3 ثلاث فى مصر
4 فى تركيا
2 اثنتان فى مكة
2 اثنتان فى الهند
1 واحدة فى اندونيسيا
1 واحدة فى المغرب

كما حصلت على عشرين مدرسة اخرى من المدارس المهتمة بالحديث فى كل من مصر والحجاز والمغرب موزعة كما يلى :

واحدة فى الحجاز
6 ست فى مصر
13 ثلاث عشرة فى المغرب

وفيما يخص المغرب فقد خصصت بعض الفصول للحديث عن الزوايا الحديثية العشر المشهورة في مختلف مدنه وقراه ، بالاضافة الى بعض العائلات المغربية الحديثية المذكورة بكيفية مجملة ؛ اما ما عثرت على ذكره من عشر دور للحديث في بغداد ، فلم أتمكن من توضيحه توضيحا يجذب الانتباه ويشوق الاسماع ويوفي بالمراد الا انني انتهز هذه الفرصة الثمينة لاثير انتباه وخاصة منهم اليوغسلافيين الى العمل في سبيل البحث عن تلك الدور الحديثية ، وابرازها لقراء الضاد احياء لتراثنا الاصيل ، وبعثا لحضارة الاجداد هناك ، فيضيفون الى الرسائل التي ستناقش هنا في هذه الدار الاسلامية وفي القريب العاجل بحول الله رسالة تحمل اسم دور الحديث في بلغراد .

وقد ساعدني على اكتشاف ما ذكرت من دور ومدارس وزوايا الحديث في المشرق والمغرب ما اعتمدت عليه من مظان متعددة ومتنوعة ومختلفة ، وما راجعته من مراجع تقدر بمائة وواحد وثمانين مرجعا ، منها المخطوط والمطبوع ، ومنها المجلات والجرائد .

كما تمتاز هذه الرسالة المتواضعة ، بما كتب لها من اشراف ثلاثة من العلماء الكبار على التوالي .

بحيث اشرف عليها أولا العلامة البحاثة السيد العابد الفاسي فحال المرض بينه وبين اتمام العمل وأشرف عليها ثانيا العلامة المرحوم سيدي علال الفاسي الذي التحق بالرفيق الاعلى تاركا اياها في مكتبه ، تغمده الله برحمته وأسكنه فسيح جناته .

ثم أشرف عليها ثالثا شيخ دار الحديث الحسنية الذي يرعاها الآن ، بما عهد فيه من تقدير العاملين وتشجيع المنتجين ..

وانتهز فرصة تقديمها للتقييم لاشكر الجهود السخية التي أتحفني بها اولئك السادة المشرفون على اعدادها راجيا من الله العلي القدير للاول منهم الشفاء العاجل والثاني الرحمة الشاملة والرضوان الاكبر ، وللثالث الصحة والعافية والتوفيق والنجاح في المبادرات التي يتخذها باستمرار لصالح دار الحديث الحسنية التي تلعب اليوم في المغرب نفس الدور الذي لعبته أخواتها دور الحديث في المشرق من نشر الحديث الشريف وتركيز الوعي الاسلامي في النفوس.

ومما يثير الانتباه ، أن نرى الظروف التي جعلت نور الدين محمود بن زنكي ومن سبقه وتأخر عنه من المصلحين المجاهدين في المشرق ، يهرعون الى انشاء دور الحديث لتتوحد الامة الاسلامية في دينها الصحيح هي نفس الظروف التي جعلت امير المومنين الحسن الثاني في المغرب يهرع الى انشاء هذه الدار الحديثية لتعمل على ربط الامة بمنابع دينها الاصيلة ، وتركيز العقيدة الاسلامية الصحيحة في نفوس ابنائها حتى لا تجرفهم التيارات المتعارضة ؛ ولا تطيح بهم الافكار المناوئة ، والايديولوجيات المعاصرة .

كما نرى ايضا أن ما حببه الله الى المنشئين لدور الحديث في الشرق من الجهاد ، وتطهير الوطن الاسلامي من الدخلاء والمغيرين مثل نور الدين محمود بن زنكي وصلاح الدين الايوبي والملكان الاشرف والكامل، ومظفر الدين كوكبوري وغيرهم من المجاهدين الذين حاربوا الصليبيين والتتريين وقاوموا اعداء الاسلام في عدد كثير من المعارك المشهورة في التاريخ حببه كذلك لامير المومنين الحسن الثاني الذي أبى الا أن يربط الشرق بالغرب في ميدان الجهاد ايضا ، ويساهم بعد اللقاءات والمؤتمرات العربية والاسلامية التضامنية ـ بجنوده الشجعان في معارك الشرق الاسلامي بسيناء والجولان ، ويقاوم الصهيونية الظالمة في فلسطين ، ويطرد الاسبان وغيرهم من المستعمرين والغاصبين من ارض المغرب الطاهرة والمحبوبة .

الرباط : الحسين وكاك

ذيل وتكملة لموضوع صحيح البخاري في الدراسات المغربية

للأستاذ محمد المنوني

نشرت مجلة « دعوة الحق » في عددها الأخير ، دراسة عن الجامع الصحيح للامام البخاري بالعنوان المشار له : العدد الاول من السنة 7 ؛ ص 56 – 79 .

ولحسن الحظ وقفت – بعد هذا – على افادات جديدة في الموضوع ذاته ، فأثرت استدراكها بهذه التتمة ، ليأتي عرضها حسب النقط التالية :

1 – في ص 61 – 62 من الدراسة التي نعلق عليها ؛ وردت فقرة من « برنامج الرعيني » عن « اصول صحيح البخاري » التي كانت تستحضر بمجلس ابي الحسن الشاري عند قراءته لنفس الكتاب بجامع سبتة .

ونضيف هنا فقرة من كتاب « افادة النصيح » المنشور حديثا ، (1) قصدا لمقارنتها بالمنقول عن الرعيني ؛ وهكذا قال ابن رشيد يبرز في « افادته » ذكر ابي الحسن الشاري بين شيوخ سنده للبخاري ، ويقول عنه في هذا الصدد :

« . . . حدث عنه جماعة من الجلة ، منهم شيخنا ابو فارس عبد العزيز بن ابراهيم : سمع عليه جميع الجامع الصحيح لامام الحديث ابي عبد الله البخاري ، بقراءة الكاتب الحافل : كاتب الخلافة ابي الحسن الرعيني – رحمه الله – الا يسيرا منه . . . وكان السماع في الاصل العتيق الذي يعز نظيره ؛ وهو اصل الراوية المحدث الضابط المتقن ابي بكر ابن خير الذي بخط ابيه رحمهما الله ؛ ومعاناة ابي بكر بالاصل العتيق : اصل ابي عبد الله محمد بن احمد بن عيسى بن منظور القيسي الذي عليه اعتماد الاندلسيين ؛ واتقنه الضابط ابو بكر ابن خير اتقانا لا مزيد عليه ؛ وقابله بالاصل المذكور مرات .

وفي هذا الاصل نفسه كان سماعنا على الشيخ ابي فارس ؛ وفيه كانت القراءة ، والشيخ ممسك اصله الذي بخط ابيه ، وكان متقنا .

وكانت قراءة الكاتب ابي الحسن الرعيني في اصل نفسه ، الذي هو اصل ابي الوليد بن الدباغ ؛ وبخطه وقراءته مرة وسماعه مرتين على ابي علي الصدفي .

قال الشيخ ابو الحسن الشاري رحمه الله : وفي مجلس السماع حفيدي : يحيى بن ابي عبد الله محمد بن محمد البطرني، وهو ممسك الاصل المحبس بمدرسة سبتة : اصل ابي القاسم احمد ابن ورد ، الذي كتب له من اصل ابي القاسم المهلب ابن ابي صفرة ؛ وهو رواية القابسي وقراءة ابن ورد على ابي القاسم اصبغ بن محمد بن محمد بن اصبغ الازدي ؛ وتناوله من يد ابي علي الغساني ؛

---

1) بتحقيق الدكتور الشيخ محمد الحبيب ابن الخوجة ، (الدار التونسية للنشر) ، والفقرة المشار لها وردت عند ص 109 – 110 .

ومن يد ابي محمد ابن عتاب ، وقابله باصوليهما على ما يجب .

قال ابن وزد : ومن كتاب ابي محمد ابن عتاب اتقنت رواية الأصيلي ، فان أباه ابا عبد الله ابن عتاب كتبها من أصل الاصيلي الذي بخطه وقابلها به ، ثم قابله ابن ورد باصل ابي الحسن طاهر بن مفوز عام احد وخمسمائة (2) ... » .

* * *

2 — والى هنا تنتهي فقرة « افادة النصيح » ؛ لنتابع التعليق على الدراسة المعنية بالأمر ، ويصل بنا المطاف الى موضوع « الأصول الباقية بالمغرب من الجامع الصحيح » ، وبالضبط عند ذكر « رواية الاصيلي » ؛ حيث وردت اشارة الى قطعتين باقيتين من هذا الطريق ص 64 .

ونستدرك بهذه التكملة قطعة ثالثة من الرواية الاصيلية في خزانة وزان تحت رقم 155 ، وهي عبارة عن الخمس الاخير من صحيح البخاري ؛ في مجلد مكتوب بخط اندلسي عتيق ؛ عدى الصفحة الأولى منه فقد عوضت بخط مغربي جديد ، وجاء في ءاخر الكتاب ذكر تاريخ الفراغ من انتساخه : في عقب شوال عام 505 هـ ، وبعد هذا وردت صيغة سماع امكنت قراءة جلها كمايلي :

« حدثني الفقيه المشاور ابو القاسم الحسن بن عمر بن الحسن الهوزني (3) رضي الله عنه ... قال : حدثني ابي (4) ؛ عن الفقيه صاحب الصلاة باشبيلية : ابي اسحاق ابراهيم ... الله بن ابي قابوس (5) ... بكر يحيى بن عبد الله بن محمد الجمحي (6) ... ابو محمد عبد الله بن ابراهيم الاصيلي ؛ قرأت على ابي احمد ... يوسف (7) ، وعلى ابي زيد محمد بن أحمد بن محمد المروزي سنة ثلاث وخمسين ... حدثكم محمد بن يوسف بن بشر (8) الفربري سنة ثمان ... رضي الله عنهم اجمعين .

* * *

3 ـ ومن نسخة الاصيلي ننتقل الى رواية ابن منظور ؛ وقد نوهت الدراسة التي نتتبعها بنسخة عتربنية التجزئة من هذا الطريق ص 65 .

ونضيف ـ الآن ـ قطعة منظورية جديدة ابرزتها مناسبة قريبة ، وهي عبارة عن مجلد واحد يشتمل على الربع الأول من صحيح البخاري في حجم 200 / 150 تقريبا ، ويتجزأ الى خمسة أجزاء :

الاول : يقف على كتاب الغسل .

الثاني : يقف على كتاب مواقيت الصلاة .

الثالث : يقف على كتاب الجمعة .

الرابع : يقف على باب فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة .

الخامس : وهو الأخير من هذا المجلد

الأول : يقف على باب التلبية .

---

(2) تحتفظ خزانة القرويين بالسفر السابع من الجامع الصحيح بخط ابن مفوز هذا ، رقم 94/80 .
(3) ترجمته عند ابن بشكوال في « الصلة » ، عزت العطار ، ع 318 .
(4) ترجمته بالمصدر نفسه ، ع 863 .
(5) اسمه كاملا : ابراهيم بن عبد الله بن عباس بن عبد الله بن النعمان بن ابي قابوس ، حسب ترجمته من نفس المصدر ع 199 .
(6) يكنى بابي بكر كما بترجمته من المصدر المتكور الذكر ، ع 1464 .
(7) هو ابو احمد الجرجاني : الشيخ الثاني في رواية الأصيلي للجامع الصحيح ، واسمه ـ كاملا ـ أبو احمد محمد بن محمد بن يوسف الجرجاني ؛ انظر ـ مثلا ـ شذرات الذهب ج 3 ص 82 .
(8) نسبه الى جده الأعلى ، حيث ان سلسلة آبائه : محمد بن يوسف بن مطر بن صالح بن بشر ، كما سنرى ـ وشيكا ـ عند سند ابن منظور للجامع الصحيح .

بخط مغربي مليح ملون مجدول ، خال من تاريخ النسخ واسم الناسخ ، غير انه يبدو ان يكون من طراز خطاطة المائة الهجرية الثالثة عشر . وقد صدرت هذه النسخة – بعد الترجمة الاولى – بصيغة سماع نصها :

« حدثنا الفقيه ابو عبد الله محمد بن احمد بن منظور القيسي رضي الله عنه .

قال : اخبرنا الشيخ ابو ذر عبد بن احمد بن محمد الهروي ، قراءة عليه في المسجد الحرام عند باب الندوة بمكة سنة احدى وثلاثين واربع مائة وانا اسمع ، وقريء – مرة ثانية – وانا اسمع والشيخ ابو ذر ينظر في اصله وانا اصلح في كتابي ، في المسجد الحرام عند باب الندوة في شوال من سنة احدى وثلاثين واربع مائة .

قال : اخبرنا ابو محمد عبد الله بن احمد بن حموية السرخسي بهراة ، سنة ثلاث وسبعين وثلاثمائة ، وابو اسحاق ابراهيم بن احمد بن ابراهيم المستملي ببلخ ، سنة اربع وسبعين وثلاثمائة ، وابو الهيثم محمد بن المكي بن محمد بن زراع الكشميهني بها ، قرات عليه سنة تسع وثمانين وثلاثمائة .

قالوا : اخبرنا ابو عبد الله محمد بن يوسف بن مطر بن صالح بن بشر الفربري بفربر ، قال حدثنا ابو عبد الله محمد بن اسماعيل بن ابراهيم البخاري الجعفي » .

يوجد هذا المجلد في حوزة العالم المحتشم محمد بن العاطي ابن الحاج السلمي المرداسي القاضي الأستاذ بالقرويين .

* * *

4 – وتعليقا على الرواية اليونينية الواردة بنفس الدراسة ابتداء من ص 75 ، نسجل هنا أن المغرب عرف هذا الطريق من المائة الهجرية التاسعة ، قبل أن تصل النسخة اليونينية الى الزاوية الناصرية بمبادرة امامها ابي العباس احمد بن الشيخ عبد الله امحمد بن ناصر .

وقد ساق سندها ابن غازي في « فهرسه » عند ترجمة استاذه محمد الصغير التيجي : عن ابي عبد الله بن ابي سعيد السلوي ، عن الشمني ، وقال هذا الاخير عند عرض اسانيده الى صحيح البخاري :

« ... واخبرنا به – ايضا – ابو العباس السويداوي سماعا ، اخبرنا ابو بكر بن قاسم بن ابي بكر الرحبي ، اخبرنا الحافظ ابو الحسين على بن محمد اليونيني ... » .

ثم ساق سند ابن غازي هذا : محمد بن محمد بن سليمان الروداني حسب الفقرة التالية : « ... واما طريق اليونينية فعن العلامة ابن غازي عن ابي عبد الله الصغير ، عن ابي عبد الله السلوي ، عن ابي شامل الشمني ، عن ابي العباس السويداوي ، عن ابي بكر قاسم بن ابي بكر الرحبي ، عن ابي الحسن على بن محمد اليونيني ... » .

والآن نذيل هذه التكملة بملاحظتين ختاميتين :

الاولى : ورد عند ص 72 ذكر نسخة الحريشي من الجامع الصحيح مسمى بمحمد بن علي ، والصواب في تسميته : محمد بن احمد .

الثانية : سقط من طبعة الدراسة المعنية بهذا التذييل ، فقرة تصديرية تستاذن مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق في اعادة نشر هذا الموضوع ، بعدما كان قد صدر في نفس المجلة بالجزء الثالث من المجلد التاسع والاربعين .

الرباط   **محمد المنوني**

---

(9) « صلة الخلف بموصول السلف » ، مخطوطة خ . ع ، د 5 ، ص 14 – 15 ، وقد ورد بها تسمية الراوي عن اليونيني بابي بكر قاسم ، بعدما رأينا ابن غازي في فهرسه يسميه ابا بكر بن قاسم بزيادة ابن ، حسب نسخ من هذا الفهرس ومنها التي بخطه : خ . م . ز 3444 ، وهو الاسم الذي وردت به ترجمة الرحبي من الدرر الكامنة ج 1 ص 455 .

المسلمون والماركسيون

للاستاذ عبد الواحد الناصر

رغم ضخامة وسائل الماركسيين وامكانياتهم المادية ، ورغم بريق شعاراتهم وبراعة دعاياتهم وسخاء ممويليهم ، لم يستطيعوا الاندماج بالشعوب الاسلامية ، ولم يستطيعوا التخلص من الرواسب الاسلامية ، ويعيشون على الاستيراد المستمر للافكار والحلول والمواقف الجاهزة .

ه ✻ ه

التمزق الميت :

فالرواسب الاسلامية ، تضيف الى تمزق الماركسيين بين الفكر والممارسة ، تمزقا آخر لا يقل اهمية ، يتمثل فى ايمان بعضهم بثورية الاسلام ، وايمان بعضهم الآخر بانه افيون الشعوب كباقي الاديان .

ولا يعني هذا ان البلاد غير الاسلامية ، لا يعرف فيها الماركسيون مثل هذا التمزق ، فهو ظاهرة لم يخل منها اي مجتمع ، ولم تخل منها المجتمعات المسيحية بصفة خاصة ، ولكن ليس بنفس الدرجة وبنفس الحدة . فاذا كان الاختيار المطروح فى المجتمعات المسيحية ، ينحصر فى اتجاهين للعمل ، لا يرى أحدهما مانعا من الايمان بالله على طريقته الخاصة ، ويرى الآخر عدم امكانية هذا التعايش بين الايمان الديني والماركسية ، فان الاختيار المطروح على صعيد المجتمعات المنتسبة للاسلام ، يتعدى هذا النطاق الضيق ، لوجود اتجاهات متعددة ومتناقضة فى مواقفها من الاسلام. ومع ذلك ، يمكن التميز بين اتجاهين رئيسيين ؛ يرى احدهما أن الاسلام اشتراكي او ذو نزعة اشتراكية ويضفي الصفة الثورية على هذا أو ذاك من القادة المسلمين الاوائل ، ويصنفه ثانيهما بين اكثر الوسائل تاثيرا التي استغلتها الاقطاعية فى تركيز نظمها وتثبيت دعائمها .

لكن الاتجاهين ، عن الوجهة الاسلامية ، رغم تباين موقفيهما من الاسلام من حيث المبدأ ، تجمع بينهما خاصية واحدة ، هي الاسراف اللفظي عند معالجة الموضوعات الاسلامية ، والتشويه الفكري للمعتقدات والحقائق الاسلامية . لكن هذا التباين له أثر كبير فى زيادة التناقض بين الفكر الماركسي والممارسة الماركسية ، ويعمق بصورة واضحة الهوة بين المواقف النظرية والحلول العملية لكل مجموعة ماركسية على حدة ، كما تجعل كل واحدة منها تدعي انها وحدها التي تقدم الوصفة المعصومة التي تتضمن الدواء السحري لجميع المشاكل التي تعاني منها البلاد الاسلامية ، وتصف لذلك مفاهيم المجموعات الاخرى ، بانها صبيانية ، ومغلوطة ، ولا تنتسب الى الاصول الصافية المتمثلة فى افكار ماركس وانجلز وتطبيقات لينين .

لكن النتيجة الاهم لهذا التمزق ، هي ان الماركسية يكتنفها غموض كثيف في البلاد الاسلامية، ينحرف بها عن الطابع الايدلوجي العام المميز للحركات الفكرية والمنظمات السياسية الماركسية في البلدان غير الاسلامية . ولا شك في ان هذا الشذوذ يرجع الى الجذور العميقة للديانة الاسلامية في عقول المثقفين والجهلاء على السواء ، ويرجع الى الرواسب الاسلامية ، التي لم يستطع التخلص منها الا افراد قلائل ، تصفهم اغلبية الناس بتفاهة الافكار وبخدمة الاستعمار الفكري الجديد ، وبالطابع الشيوعي الذي يكرهه المسلمون عن وعي وعن غير وعي .

٥*٥

الاندماج المستحيل :

وكل هذه الاسباب مجتمعة ، جعلت الماركسيين يعيشون على هامش القاعدة الشعبية الاسلامية ، ويبادرون ، كتعويض عن هذا الفشل ، الى التركيز في المرحلة الراهنة على اكتساب الاطارات المثقفة. ومع ذلك فان الخلافات العميقة الموجودة بين الماركسيين ، تقلل من اهمية انتصاراتهم في الاوساط الجامعية بصفة خاصة ، لا سيما وان غالبية المثقفين ، ينظرون الى الشيوعيين على انهم اشخاص يوجهون من الخارج ، ويتحملون مسؤوليات موكولة لهم من أوساط اجنبية معادية للاسلام والمسلمين .

وليس هذا من قبيل المبالغة ، فالواقع يشهد بأن الماركسيين في البلاد الاسلامية ، لا يعيشون في بيئة شيوعية مشابهة لما تيسر لغيرهم من الماركسيين ، وهم ليسوا بالكثرة التي يتخيلها البعض ، لان الاسرة الشيوعية ان صح التعبير ، والبيئة الذهنية الماركسية ، شرطان لا يتوفران بالدرجة المطلوبة ، بل نادرا ما يتحققان ، ونادرا ما يجتمعان ، ثم ان الماركسي لا ينجو من الاشكال والغموض والتمزق ، ولو توفر الشرطان المذكوران، وهذا ما يجعله مترددا في الانتساب الى مذهب معين ، وما يجعله متقلبا بين الالتزام الى جانب حركة ماركسية او أخرى .

وهذه الملاحظات ، تبين ان الماركسية تعمل في مناخ غير مناسب ، لا يمكنها ان تنجح فيه ، الا عن طريق تهديم بقايا العقلية الاسلامية ، وتحطيم رواسب النظم الاسلامية . وهذا أمر لا يقبله المسلم العادي ، بل ولا يقبله بعض انصار الماركسية انفسهم في البلاد الاسلامية ، الا اذا كانوا مسحورين ومخدوعين بعدم وجود اي تناقض بين الاسلام والشيوعية .

وهذا يعني من ناحية اخرى ان الانتصارات التي حققتها الماركسية لحد الان في دار الاسلام ، لا يمكن وصفها بالنصر الكامل والساحق ، رغم مما يشيعه بعض المعتوهين والماجورين حول المسيرة الماركسية المظفرة . فالواقع يكذب هذه الاشاعة ، لان التمزق الذي تعانيه الماركسية في البلاد الاسلامية ، لا يرجع فقط الى اختلاف اساليب العمل الماركسي ، وتشعب الاتجاهات الماركسية وتعددها ، ولكن يرجع ، وبنفس الدرجة ! الى الرواسب الاسلامية التي لا زالت مهيمنة على الفرد والمجتمع في هذه البلاد والتي لا زالت تطبع الحياة اليومية فيها ، وتمنع اية ردة شاملة .

ومما يؤكد هذه الحقيقة ، ان الاحزاب والحركات الماركسية في الدول غير الاسلامية ، غير مطمئنة لهذه الاشاعة . فعلامات عدم الرضى لا تقتصر على اسياد الكرمللين الذين ينفقون بسخاء للحصول على نتائج مرضية ، بل يتعداه الى الاصنام البشرية التي لم تجرفها الثورة الثقافية في الصين ، والى باقي الاحزاب الشيوعية الاخرى . وهذه الاحزاب والحركات الماركسية محقة في عدم اطمئنانها ، فالماركسيون في البلاد الاسلامية لم يستطيعوا الحصول على الاعتراف لماركسيتهم بأنها المعبر الامين عن اماني الشعوب الاسلامية المسحوقة، فهذه المشاعر تكاد لا تتعدى الماركسيين انفسهم ، وهم يشكلون نسبة ضئيلة من اي مجتمع يدين بالاسلام .

ومن هنا فان الخطر الوحيد الذي تشكله الماركسية الان في البلاد الاسلامية ، هو خطر استيلاء المجموعات الماركسية على الحكم . اما اندماجها بالشعب ، وحلولها محل الاسلام ، فهو امر بعيد المنال ، مهما توفرت الوسائل والامكانيات ، ومهما تصاعد القمع والارهاب . وهذا ما يمكن ملاحظته بوضوح في البلاد الاسلامية التي تحكمها الماركسية بقوة الحديد والنار . فالاستعمار الروسي فشل في استئصال الاسلام من البلاد الاسلامية التي خضعت

لنير حكمه الشيوعي منذ خمسين سنة تقريبا ، رغم ضخامة الوسائل والامكانيات ، ورغم الاعدامات والابادات . والثورة الثقافية في الصين ليست ببعيدة ، فقد كان من شعاراتها القضاء على المخلفات الرجعية في عقول المسلمين الصينيين ، مما يدل على ان المسلمين الصينيين لم يندمجوا مع الماركسية الصينية اندماجا مرضيا . ولا نريد الاكثار من هذه الامثلة ، التي تبين عجز الحكم الشيوعي عن الحلول محل الاسلام رغم طول مدته ، فاغلب الشعوب الاسلامية لا تخضع الان للحكم الشيوعي .

٥ ❊ ٥

الاستيراد المستمر :

وقد يعترض البعض بان فشل الحكم الماركسي في استئصال الاسلام ، لا يدحض باي حال ما يشاع عن المسيرة الماركسية المظفرة للماركسية في البلاد الاسلامية . ولن نرد على هذا الاعتراض بتعداد الاخفاقات التي مني بها الماركسيون في عدد من البلاد الاسلامية ، ولكن سنجيب عليه من وجهة اكثر دقة وتحديدا ، وهي ان الماركسيين يعيشون على الاستيراد المستمر للافكار والحلول والمواقف الجاهزة .

فالماركسيون الان في البلاد الاسلامية ، لهم اساتذة غير محليين ، وياخذون مواقفهم ونظرياتهم عن هؤلاء الاساتذة الاجانب ، بل ان كثيرا منهم لا يحدد مواقفه بعد الاطلاع على النشرات المجانية التي تصدرها مصالح الاستعلامات الشيوعية . ولم يعد خافيا الان ان المجموعات الماركسية في البلاد الاسلامية توفد بعثاتها الى المؤتمرات والمهرجانات الثقافية للاحزاب الماركسية المتقدمة ، حتى تكون على اتصال مستمر بها ، وحتى تستفيد من تجاربها . كما لم يعد خافيا امر البعثات الشيوعية التي تفد سرا وعلانية بقصد تثقيف اعضائها ، ونصحهم بالمواقف التي يجب ان يتخذوها ، وبالنظريات والحلول التي يجب ان يدافعوا عنها .

ومما يزيد في عمق هذه الوصاية المشؤومة ، ان المصادر والمراجع الماركسية المعتمدة ، وجهت عنايتها الى المجتمعات الاوربية بصفة خاصة ، والى المجتمعات غير الاسلامية بصفة عامة ، ولم تدرس مجتمعات العالم الاسلامي في ماضيها وحاضرها . بل ان الدراسات الماركسية في هذا الميدان ، لا تتعدى بضع دراسات مغرضة ، او نشرات صحفية يتلقى القائمون عليها مساعدات سخية . ولهذا فان مستوردي الماركسية لا يتعدوا صنفين من الناس : العلماء المأجورون او الانصار الذين لا يعرفون عن الاسلام شيئا . وهذين الصنفين ، لا يضمنان الماركسية اى مستقبل زاهر ، رغم الانتصارات الجزئية التي يتم تحقيقها بين الفينة والاخرى ، بل ان التطورات التي يشهدها العالم الاسلامي ، تبين منذ الان ، ان تصاعد المد الاسلامي لن يترك للماركسية أي دور مهم في تقرير مصيره .

وتبدو اجنبية الماركسية في البلاد التي تتكلم اللغة العربية ، اكثر بشاعة ، لان الماركسيين، او المتأثرين بالفكرة الماركسية في هذه البلاد ، عندما يثورون على الوصاية الغربية ، انما يتجهون فعليا الى الماركسيين الاوربيين بصفة خاصة ، لكي يتلقوا منهم النظريات والآراء والمواقف ، وليستلهموا منهم الحلول الآجلة والعاجلة لمشاكلهم . بل ان الكثيرين منهم يرون ان الماركسيين الغربيين يمكنهم وحدهم ان يرشدوهم الى المستقبل الافضل ، ولا يتوانون عن مطالبهم بالتوجيهات الضرورية لتهيئته . وهذا تسليم بالسمو النظري لماركسيي اوربا الغربية ، ولا يعني باي حال ، ان نظريات هؤلاء الماركسيين الاوربيين منزهة عن الخطا والانحراف في راي الماركسيين الآخرين .

وخلاصة القول ، ان الماركسية في البلاد الاسلامية ، تخضع للوصاية الخارجية ، ولا ادل على هذا من ان الاعمال الفكرية الماركسية الجيدة ، هي من انتاج ماركسيين غير منتسبين للبلاد الاسلامية . وهذا هو سبب اغراق المكتبات بالكتب الماركسية المترجمة . لكن الملاحظ هو ان الاعمال الفكرية الماركسية المترجمة ، ليست في الواقع الا تعبيرا عن تناقضات الماركسيين ، واختلافهم في طريقة فهم الماركسية وتطبيقها . وهذا يعني ان البذار الماركسي لا ينتظر منه موسم حصاد ممتاز ، لانه يبذر في تربة غير خصبة ، تلفظه باستمرار .

الرباط : عبد الواحد الناصر

الحسبة في الإسلام

للأستاذ محمد المنتصر الريسوني

ليست شريعة الاسلام كالشرائع الأخرى السماوية انتهى عملها بفترة معينة من الزمن ، بل انها آخر منهج الهي للبشر كافة،يلبي للانسان كل متطلباته في حياته وأخراه ، على رغم انف الملحدين الذين يتجاهلون هذه الحقيقة الناصعة ، منساقين في ذلك مع فطرتهم التي ران عليها زيف المستور ذات البراقة التي شقيت بها امتنا اليوم ، وتعاني من جرائها الامرين ، والتي بدا فشلها وانتكاسها يظهر في الآفاق حتى في منبتها الاصلي .

ونظرا لكون الاسلام دين ودولة ، شرع قوانين عديدة للحياة الانسانية متناغمة والفطرة البشرية في ارتفاعها وانحدارها ، ومن جملة هذه القوانين قانون (الحسبة) الذي يكفل للمجتمع حياة الرخاء والأمن بعيدا عن الغش والتزوير .

اذا بحثنا سيكون عن الحسبة في الاسلام ، وسيقول البعض : ان هذا الحديث مكرور ، عالجته كثير من المصادر قديما وحديثا ، فاي جديد فيه ؟ .

اجيب بان أكذوبة قد اختلقها مستشرق يدعى (جوستاف جرنتبام) في كتابه (الاسلام في العصر الوسيط) (1) فزعم بان نظام الحسبة مستمد من كتاب (والي المدينة) البيزنطي ، يعني انه ليس اسلاميا ، وانما هو منقول عن الغير ، لذلك سنخطو الى القاء نظرة عجلى على هذا النظام ووضع النقط على الحروف — كما يقولون — لبيان زيف من يدعون انهم يعالجون قضايا الاسلام بروح منصفة ، وبدافع من نشدان الحق ، والدراسة النزيهة ، وبالمقارنة ستبدو الحقائق بارزة لا يشوبها بهتان وزيغ .

الحسبة في اللغة : من حسب حسبا وحسبانا بالضم وحسبانا وحسبة وحسابة بكسرهن عدة والمعدود محسوب ... والحسبة بالكسر الاجر والتدبير واسم من الاحتساب ، وهو حسن التدبير كالاحتساب (2)

وقد تصدى لهذه المادة ابن مالك رحمه الله في كتاب (الاعلام بمثلث الكلام) مفصلا معانيها ، فقال :

حسب (3) للعد وللظن حسب (4)
وحسب (5) افهم منه صار ذا حسب

فهو حسيب اي كريم المنتسب
بحسب آباء ذوي انتخاب

---

(1) الدكتور عبد الهادي الشال ، الاسلام والمجتمع الفاضل ـ سلسلة البحوث الاسلامية ص 241 ـ ذو الحجة 1392

(2) انظر الفيروزبادي القاموس ص 54 ـ 55 مؤسسة فن الطباعة

(3) بفتح العين .

(4) بكسر العين

(5) بضم العين

ومـرة مـــن الحسـاب حسبـــة
والاجر والتدبير ايضـا حسبـة (6)

وفي الاصطلاح : هي من الخطط الدينية التـي تقوم على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، واداريا : تطلق على حسابات الدولة ، وجهاز المحاسبـة والموازين ومراقبة المكاييل ، ثم اختصت بمعنـى شرطة الأسواق والآداب .

والحسبة في اصلها نظام اسلامي بحت نصت عليه آيات قرآنية قاطعة ، من ذلك قوله تعالـى (ولتكن منكم أمة يدعـون الـى الخيـر ويأمـرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون) (7) وقوله تعالى (والمؤمنون والمؤمنات بعضهـم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكـر ويقيمون الصلاة (8)) .

كما نصت عليه افعال رسول الله صلى الله عليه وسلم مر على صبرة اطعام فادخل يـده فيها فتولت بنفسه هذه الوظيفة ، وروى مسلم بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم مر على صبرة طعام فادخل يده فيها فنالـت اصابعه بللا فقال : (ما هذا يا صاحب الطعـام ؟) قال (اصابته السماء يا رسول الله) قال (افلا جعلته فوق الطعام كي يراه الناس ؟ من غش فليس مني (9) .

وقـد اشرك رسول الله صلى الله عليه وسلم صحابته في هـذا الأمر فعين سعيد بن العاص على سوق مكة حتى يتسنى بذلك ان تسير الحياة علـى طريقة اسلامية سليمة ويلتزم من تسول له نفسـه الغش الاخلاق الفاضلة والسلوك القويم .

وعلى هذا النهج سار الخلفاء الراشدون ، فكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقوم بوظيفة المحتسب بنفسه ، فيجول في الأسواق مراقبـا الموازيـن ، وسير العمل فيها ، كما هو معروف عنه ، وقـد روي انه ضرب جمالا فقال له (حملت جملـك مـا لا يطيق) وبجانب قيامه بهذه المهمة فقد عين على سوق المدينة عبد الله بن عتبـة ، وكلف ببعض اسـواق المدينة امرأة انصارية تسمـى الشفـاء بنـت عبـد الله (10) .

وقـد اشترط الفقهاء ان يكـون المحتسـب عالما بالشريعة ، صلبا في الحق ، عارفا بمعالجـة المشاكـل حتى يستطيع ان يقوم بالمهمة على خيـر وجه ، وهذا النظام بطبيعة الحال تكيف حسـب تطورات الأزمان ، وتغيرت اساليبه بتغير العصور ، ولكنه لم يخرج أبدا عـن التصور الشرعـي فـي جوهـــره .

وقام الخلفـاء الأمويـون والعباسيون بمهمـة المحتسب رعاية للصالح العام ، وكانوا ينيبون عنهـم القضاة وعمال الشرطة وهكذا نجد تداخلا واضحا في الاختصاصات ، ولما جاء عصر المهدي العباسي أسس ديوانا خاصا لمحاربة الزنادقـة الذيـن يعملون على تخريب المجتمع الاسلامي .

فبرز نظـام الحسبة للفصـل فـي مشاكـل اجتماعية ، والقائم بها يعين من طرف الخليفة او وزيره او القاضي ، وهكذا انتشر نظام الحسبة في رقعـة العالم الاسلامي في بغداد ، ومصـر ، ودمشـق ، والمغرب ، والاندلس .

ثم أمسى في عهد الفاطميين المحتسب يعيـن منه نوابا يجولون في الأسواق ، متفقديـن القـدور واللحوم والطبخ ويجبرون اصحاب المراكب على عدم حمل ما لا يجب حمله من البضائـع ، ويراقبـون السقائين لضمان نظافة القرب وهلم جرا .

وكان يتولى في الاندلس الحسبة موظف يدعـى المحتسب أو صاحب السوق لانه يشرف على كـل ما يتعلق بالسوق من قريب او بعيد ، ويصور المقري ذلك بقوله : (واما خطة الاحتساب فانهـا عندهـم

---

(6) انظر ص 45 من الكتاب المذكور . تحقيــق الشيخ احمد بن الاميـن الشنقيطـي ـ ط ـ 1 ـ 1329 ـ مصر .

(7) سورة آل عمران الآية 104 .

(8) سورة التوبة الآية 71 .

(9) مسلم ج 1 ص 99 حديـث 102 ـ ط 1 ـ تحقيق فؤاد عبد الباقي .

(10) انظر المجيلدي احمد سعيد التيسير في احكام التسعير تحقيق موسى لقبال ـ ص 42 ـ الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ـ الجزائر ، وقد ذكر ان من شروط المحتسب الذكورة اما تولية عمر لهذه المرأة فهو شاذ والحكم للغالب ص 45 .

موضوعة في اهل العلم والفطن ، وكان صاحبها قاضي والعادة فيه ان يمشي بنفسه راكبا على الاسوق واعوانه معه وميزان الذي يزن به الخبز في يد احد الاعوان لان الخبز عندهم معلوم الاوزان الخ) (11) .

واما في المغرب فقد استمرت الحسبة الى وقت متاخرة جدا ؛ ولا زلت اذكر من كان يتولى اخيرا هذه الوظيفة في تطوان ، وكان عمله لا يتجاوز السوق ، ثم اضطلعت بمهمة الحسبة في مغربنا مصالح حكومية فاستغنى بذلك عن عمن ندعوه محتسبا .

واذا عدنا الى المصادر التي تحدثت عن الحسبة فاننا لا نجدها تخرج في تعريفها وتحديدها عن المفهوم الاسلامي الاصيل فهذا ابن خلدون يقول في المقدمة (اما الحسبة فهي وظيفة دينية من باب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر الذي هو فرض على القائم بامور المسلمين يعين بذلك من يراه اهلا له فيتعين فرضه عليه ، ويتخذ الاعوان ويحمل الناس على المصالح العامة في المدينة مثل المنع من المضايقة في الطرقات ، ومنع الحماليين واهل السفن من الاكثار في الحمل ؛ والحكم على اهل المباني المتداعية للسقوط بهدمها ، وازالة ما يتوقع من ضررها على السابلة الخ) (12) .

ونجد ذلك عند الماوردي في الاحكام السلطانية وابن تيمية في كتاب (الحسبة في الاسلام) والشزري في كتاب (نهاية الرتبة في طلب الحسبة) وغير هذا كثير .

هذه هي الحسبة في الاسلام بايجاز ، فماذا قال المستشرق (جوستاف) (13) في كتابه (الاسلام في العصر الوسيط) ؟ انه عقد مقارنة بين الحسبة في الاسلام وكتاب (والي المدينة) البيزنطي وحاول بالطريقة المعروفة عند المستشرقين ان يشوه اصالة هذه النظام . ولكن ادعاءه لا يقوم على اساس من الموضوعية والانصاف ؛ ذلك ان كتاب (والي المدينة) الف في القرن العاشر الميلادي والحسبة عندنا مستمدة من الكتاب والسنة ، وما قام به الخلفاء الراشدون وبهذا يكون هذا النظام اسبق من الكتاب المذكور بقرنين

والسائد في كتاب (والي المدينة) الحديث عن اصحاب الجواهر وبائعي الملابس الحريرية ، وغيرها من المسائل التي تتعلق بالطبقة الارستقراطية ؛ في حين الحسبة تعتني بكل الطبقات .

وينص كتاب « والي المدينة » على قوانين تقيد الطبقة الاجنبية واليهود والرقيق ؛ اما حسبتنا فلا تفضل طبقة على طبقة فالكل سواء امام قانونها ، وامام قانون الاسلام كما هو معروف لدى الجميع .

من هنا تظهر الفروق واضحة بينة ، ويبدو الافتراء بادي المعالم ، وليس ببعيد ان تكون مواد من (كتاب والي المدينة) وقد اخذت من نظام حسبتنا ، وخاصة ونحن نعلم ان الانجيل لا يتدخل في امور الدولة بتاتا وان مبدا الدعوة المسيحية هو (دع ما لقيصر لقيصر وما لله لله) لذلك ارجح هذا الراي ، غير اننا لا ننفي وجود ما يشبه الحسبة في الامم القديمة التي كان لها نظم خاصة في الرقابة على الاسواق كالاغريق مثلا ، وكيف ما كان الحال فالفارق واضح جدا بين ماهو سماوي وما هو ارضي .

ولا اريد ان انهي الحديث دون الالماع الى كتاب لطيف صدر حديثا للاستاذ موسى لقبال تحت عنوان (الحسبة المذهبية في بلاد المغرب العربي ؛ نشاتها وتطورها) وقد وردت فيه هذه الفقرة (وقد تطورت هذه الوظيفة مع الاحتفاظ بها في العصور التالية حتى وجدها العرب المسلمون في الاماكن التي وصل اليها نفوذهم في المشرق والمغرب فابقوا عليه لاهميتها ، ونالها التطوير حتى اصبحت نظاما اسلاميا لا يحتفظ الا باثارة ضعيفة من الماضي) (14) .

---

(11) النفح ج 1 — ص 218 تحقيق الدكتور احسان عباس — دار صادر 1388 .
(12) ص 404 — دار الكتاب اللبناني — 1956 .
(13) جوستاف فون جرنبوم ولد سنة 1909 وهونمسوي الأصل له انتاج كثير من بينه الكتاب المذكور الذي ترجمه الاستاذ عبد العزيز توفيق بعنوان (حضارة الاسلام) .
(14) ص 22 — الشركة الوطنية للنشر والتوزيع — الجزائر .

يفهم من هذا الكلام ان المسلمين لم يصدروا في قيامهم بالحسبة عن ذاتهم التى صاغها منهج الله ، وانما تأثروا بما وجدوه في البلدان الاعجمية فابقوا عليها لاهميتها ؛ وطوروه ليصبح اسلاميا كما لو كان ذلك جديدا عليهم ولم ينص عليه الكتاب والسنة ، ولست اتهم الأستاذ بدسيسة بدليل انه ذكر بعد ذلك ان الرسول عليه الصلاة والسلام اول من مارس مهمات الحسبة ، وكان من الأجدر ان يقول : ان المسلمين ابقوا على هذا النظام لانهم الفوه موافقا فى ملامحه العامة لحسبتهم وبذلك تكون الصياغة بمأن من الشكوك او التأويل .

وليس بدعا ان تتفق بعض الأحكام الاسلامية مع بعض الأحكام في البلدان الأخرى ـ اذا لم تكن مقتبسة منها كما رجحنا فيما سبق ـ ان كانت من باب البداهة التى تحتم هذا الاتفاق مع الفارق المتبدى فى ان حسبتنا من الامور الدينية التى يتحقق بها سعادة المجتمع البشرى ، باعتبار ان المنهج الالهي الاسلامي هو الذي يوجه الحياة الانسانية ، ويخطط لها فى كل فرع من فروعها ، وكل مجال من مجالاتها ، لا الحياة هي التي تفرض ارادتها عليه .

تطوان : محمد المنتصر الريسوني



فلسفة الذكر . . .

للأستاذ محمد حمزة

«ومن أحسن قولا ممن دعا الى الله وعمل صالحا وقال انني من المسلمين» .

الذكر ذكران :

الاول : ويراد به هيئة فى النفس يمكن للانسان ان يحفظ ما يقتنيه من المعرفة ، وهو كالحفظ ، الا ان الحفظ يقال اعتبارا باحرازه ، والذكر يقال اعتبارا باستحضاره . ومن هذا القبيل ما اصطلح عليه علماء **النفس باسم الذاكرة التى هى قوة لحفظ صور من** المحسوسات ، والعمل على خلق صور أخرى جديدة منها : فهى قوة تحفظ صور المعانى المجردة عندما يدركها العقل ، ولا يقف عملها عند الحفظ فحسب ، بل ان عوامل النضج الادراكى ، وتجارب الحياة **المستمرة الدائبة ، تخلق من المعانى المختزنة معانى** جديدة مولدة . ولا يمكن ذلك الا باثارتها عن طريق الشعور والادراك اللذين يشكلان المنافذ بين الذات والعالم الخارجى ، فبالمنافذ تلك وبواسطتها تنقل صور المحسوسات والمعقولات الى الذاكرة ، وذلك هو عملية التذكر **والاستذكار** .

الثانى : واليه ينصرف هذا البحث المتواضع ـ وهو ما يجرى على اللسان والقلب ، باستحضار الصفات الالهية ، من تسبيح الله تعالى وتنزيهه وحمده والثناء عليه ؛ ووصفه بصفات الكمال ونعوت الجمال **والجلال ، وكل قول ذكر** (1) والقول جارحته اللسان ومستودعه القلب والجنان :

ان الكلام لفى الفؤاد وانما
جعل اللسان على الفؤاد دليلا (2)

---

(1) قد يرد لفظ «ذكر» بمعنى عاب كما فى قوله **تعالى** : «واذا رآك الذين كفروا ان يتخذونك الا هزوا أهذا الذى يذكر آلهتكم وهم بذكر الرحمن هم كافرون»الانبياء : 36 ـ أى أهذا الذى يعيب آلهتكم ويذكرها بالسوء . وكما فى قوله سبحانه حكاية عن ابراهيم واصنام قومه التى جعلها جذاذا : «قالوا سمعنا فتى يذكرهم يقال له ابراهيم» الانبياء 60 ـ أى يعيبهم ويسبهم . ومن ذلك قول عنترة يخاطب امرأة له من بجيلة كانت تلومه فى فرس كان يؤثره على خيله ويطعمه ألبان ابله :

لا تذكرى مهرى وما أطعمته   فيكون جلدك مثل جلد الاجرب

أى لا تعيبى مهرى .

وامرأة ذكرة ومذكرة ومتذكرة : متشبهة بالذكور وقال بعضهم : «اياكم وكل ذكرة مذكرة شوهاء فوهاء ، تبطل الحق بالبكاء ، لا تأكل من قلة ، ولا تعتذر من علة ان أقبلت أعصفت وان أدبرت أغبرت» .

(2) ينسب البيت للاخطل وقبله :

لا يعجبنك من خطيب خطبة   حتى يكون مع الكلام اصيلا

ومن الذكر باللسان قوله تعالى : «لقد أنزلنا اليكم كتابا فيه ذكركم ، أفلا تعقلون(3)» ، ففي هذا الكتاب حديثكم ، والعمل بما فيه حياتكم من أمر دينكم ودنياكم ، وأحكام شرعكم ، ومكارم اخلاقكم ، ومحاسن أعمالكم ، وما تصيرون اليه من ثواب وعقاب. وقوله سبحانه : «وانه لذكر لك ولقومك(4)» لانه بيان للرسول وضياء لامته فيما بهم اليه حاجة .

ومن الذكر عن النسيان وعدم الاستشعار قوله تعالى حكاية عن موسى وفتاه : «فلما بلغا مجمع بينهما نسيا حوتهما فاتخذ سبيله في البحر سربا فلما جاوزا قال لفتاه آتنا غداءنا لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا قال أرأيت اذ أوينا الى الصخرة فاني نسيت الحوت وما أنسانيه الا الشيطان أن أذكره واتخذ سبيله في البحر عجبا(5)» . وقد جمد الماء حتى صار كالسرب(6) ، وبقي موضع سلوك الحوت فارغا ، ومشى موسى عليه متبعا للحوت حتى أفضى به الطريق الى جزيرة في البحر ، وفيها وجد الخضر . وانما كان النسيان من الفتى لان موسى قال له : « لا اكلفك الا أن تخبرني بحيث يفارقك الحوت» فبينما هو في ظل صخرة ، في مكان ثريان(7) اذ تضرب(8) الحوت وموسى نائم ، فقال فتاه لا اوقظه ، وما عتم الحوت أن دخل البحر ، فأمسك الله عنه جرية البحر حتى كان أثره في حجر ، او أن جرية الماء صارت عليه مثل الطاق . فلما استيقظ نسي فتاه أن يخبره بأمر الحوت ، فانطلقا بقية يومهما وليلتهما ، حتى اذا كان من الغد قال موسى لفتاه بأن يأتي بالغداء بعد سفرهما الطويل الشاق ، ولم يشعر موسى بالجوع والاعياء ، ولم يجد التعب والمشقة الى أن جاوزا المكان الذي أمره الله به ، فقال له فتاه بعد أن تذكر ما نسي : «أرأيت اذ اوينا الى الصخرة فاني نسيت الحوت» . فالنسيان حل محل الذكر في قلب فتى موسى ، أو في قلبيهما معا. ذلك لان نزوع الانسان الى ذكر الاحساسات المختلفة، والصور المتباينة والمعاني المتعددة ، لايكون بمنزلة واحدة ، ولا يثبت على مقام فريد . فان كثيرا منها يمحى ولا يظهر الا بعد وقت قد يطول وقد يقصر ، ويرجع ذلك الى اختلاط شيء بأشياء سبق حفظها أو معرفتها ، وقد يؤول الى تداخل تلك الاشياء بعضها في بعض ، فيعطل واحد منها بعضها أو جلها . وينجم ذلك عن شغل شاغل أو هم منتاب ، أو سرور مفرط ، وكثيرا ما يحدث أن ينهض المرء من فراشه ويجلس الى مكتبه يعمل ويؤلف ، ثم يعود الى النوم ثانية حتى اذا أفاق لم يذكر مما فعله شيئا !

ومن الذكر باللسان والقلب قوله سبحانه : «فاذا قضيتم مناسككم فاذكروا الله كذكركم آباءكم أو أشد ذكرا(9)» فان ذكر الله يكون باللسان أو بالقلب أو بهما معا . أما ذكر الاباء فلا يكون الا بالاول فخرا في الاحساب ، أو طعنا في الانساب ، أو تعاظما بمناقب الاجداد .

كانت العرب في الجاهلية اذا أفرغوا من حجهم وقفوا بين المسجد بمنى وبين الجبل ، فيذكرون مفاخر آبائهم ومآثرهم وفضائلهم ويعددون محاسنهم ومناقبهم ، وما كان لهم من بسالة وحسن بلاء في الحروب ، وما اتصفوا به من كرم وسخاء ونحر نعم ، حتى ان الواحد منهم ليقول : اللهم ان ابي كان عظيم القبة عظيم الجفنة كثير المال ، رحب الفناء ، يقري الضيف ، وكان كذا وكذا ، يذكر مفاخره ولا يذكر غير أبيه . وكانوا يتناشدون الاشعار في ذلك ، ويتكلمون بالمنظوم والمنثور من الكلام الفصيح ، وغرضهم الشهرة والسمعة والرفعة بذكر مناقب سلفهم وآبائهم . فلما من الله عليهم بالاسلام امرهم ان يكون ذكرهم لله لا لآبائهم ، لانه سبحانه هو الذي أحسن اليهم والى آبائهم . وعليهم أن يتركوا حمية الجاهلية ، ويتخلوا عن المفاخرة والمباهاة . وذلك باستغاثتهم بالله واللحن(10) اليه كما يفعل الصبيان عندنا يستغيثون بآبائهم ويلحنون اليهم لضعفهم ووهن بنيتهم وقلة قدرتهم . ورغب اليهم أن يعظموه ، ويذبوا عن حياضه

---

(3) سورة الانبياء ، الآية 10.

(4) سورة الزخرف ، الآية 44 .

(5) سورة الكهف ، الآيات 61ـ63 .

(6) السرب : المسلك

(7) ثريان : يقال مكان ثريان وأرض ثريا اذا كان في ترابها بلل وندى .

(8) تضرب ، بتشديد الراء مفتوحة : اضطرب وتحرك .

(9) سورة البقرة ، الآية 200 .

(10) لحن اليه : قصده ونواه ومال اليه.

ويدفعوا من أراد الاشراك في دينه وشعائره، كما يفعل الانسان ساعة يغضب من شأن أبيه ، أو يحط من قيمته ، بحمايته ودفع السوء من القول أو الفعل عنه. وكثيرا ما يغضب الناس عندما تشتم آباؤهم ، ويستغضبون يكادون يتفرطون او يتميزون غيظا فيزبدون ويرعدون ، ولو فعلوا ذلك في حق الله لكان أولى ، ولو غضبوا لله حين يعصى وتنتهك محارمه لكانوا حقيقين برضوانه ، جديرين بعفوه والنعامه .

وقد امر سبحانه بالدعاء والتلبية عند المشعر الحرام ، وكرر الامر تأكيدا لشكر نعمه التي لا تقع تحت حد ولا يحيط بها احصاء ، فهو يسبغ نعمه على الناس ظاهرة وباطنة ، ويجددها لهم دوما :

اذا جدد الله لي نعمة
شكرت ولم يرني جاحدا

ولم يزل الله بالعائدات
على من يجود بها عائدا(11)

والشكر يكون بذكر المنعم ، وهو من المقامات العالية ، وأعلى من الصبر والخوف والزهد ، وكل أولئك ليس مقصودا لنفسه ، فالصبر يراد منه قهر الهوى ، والخوف سوط يسوق الخائف الى المقامات المقصودة المحمودة ، والزهد ضرب من العلائق الشاغلة عن الله . وأما الشكر فمقصود في نفسه ، ولذلك لا ينقطع في الجنة ، وليس فيها توبة ولا خوف ولا صبر ، اما الشكر فدائم فيها . قال تعالى : «وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين(12)» .

وبالذكر فسروا قول الله سبحانه : «فمنهم ظالم لنفسه ، ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات باذن الله(13)» . قال ذو النون المصري : الظالم الذاكر لله بلسانه فقط ، والمقتصد الذاكر بقلبه ، والسابق الذي لا ينساه . وقال ابن عطاء الله : الظالم الذي يحب الله من أجل الدنيا ، والمقتصد الذي يحبه من أجل العقبى ، والسابق الذي سقط مراده بمراد الحق . وقيل الظالم : الذي يعبد الله خوفا من النار ، والمقتصد الذي يعبد الله طمعا في الجنة ، والسابق الذي يعبد الله لوجهه لا لسبب . «والمريد الناصح الى الله تعالى لا ينبغي أن يلتفت الى الجنة ورياضها ، بل ينبغي ان يجعل همه هما واحدا ، وذكره ذكرا واحدا حتى يدرك درجة الفناء والاستغراق(14) فلذلك قال الله عزوجل : «ولذكر الله أكبر (15)» .

والقلب من عالم الامر ، وأعني بالقلب اللطيفة الذاكرة العارفة التي هي مهبط الانوار الالهية دون القلب الظاهر ، فان ذلك من عوالم الخلق، فلا يفهم من هذا اشارة الى قدم الروح وحدوث القالب ، بل هما جميعا حادثان ، وانما أعني بالخلق ما تقع عليه المساحة والتقدير ، وهي الاجسام وصفاتها ، وأعني بعالم الامر ما لا يتطرق اليه التقدير ، والعالم الجسماني ليس له وجود حقيقي ، بل هو ذلك العالم كالظل من الاجسام ، وليس لظل الانسان حقيقة الانسان ، وليس لشخص حقيقة الوجود بل هو ظل الحقيقة . والكل من صنع الله تعالى : «ولله يسجد من في السموات والارض طوعا وكرها وظلالهم بالغدو والآصال(16)» . وسجود عالم الامر طوع لله ، وسجود الظلال كره ، وانما مبدأ ثمرة لباب الذكر اللساني ثم ذكر القلب تكلفا ، ثم ذكر القلب طبعا ، ثم استيلاء المذكور وانمحاء الذكر . وهذا سر قوله عليه السلام : «من أحب أن يرتع في رياض الجنة فليكثر ذكر الله عزو جل(17)» .وأول الاحوال معصية ثم توبة ثم استقامة .

وينقل بعض المفسرين ان الظالم هو التالي للقرآن ولا يعمل به ، والمقتصد هو التالي للقرآن ويعمل به ، والسابق هو القارئ للقرآن العامل به.

---

(11) البيتان لعلي بن الجهم .

(12) سورة يونس ، الآية 10 .

(13) سورة فاطر ، الآية 32 .

(14) كتاب الاربعين في أصول الدين لابي حامدالغزالي ص 55-56.

(15) من الآية 45 من سورة العنكبوت، والاية بتمامها هي : «اتل ما أوحي اليك من الكتاب وأقم الصلاة ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكرالله أكبر والله يعلم ما تصنعون» .

(16) سورة الرعد ، الآية 15 .

(17) كتاب الاربعين في أصول الدين لابي حامدالغزالي ص 63.

والعالم به. والقرآن نفسه ذكر ، وبالذكر سماه تعالى في محكم آياته . يقول سبحانه «اانزل عليه الذكر من بيننا بل هم في شك من ذكرى بل لما يذوقوا عذاب». فقد رأى المشركون نكرا في نزول القرآن على محمد النبي اليتيم العائل. «وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم» وشكوا شكا مريبا في كونه موحى به من الله . وغرهم طول الامهال « وغرهم في دينهم ما كانوا يفترون (20)» .

ومن كون القرءان ذكرا قوله تعالى : «انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون (21)». فالله سبحانه يحفظ ذكره وقرءانه من أن يزاد فيه أو ينتقص ، أو يدخله تحريف أو تدليس أو افتعال ، فهو كلام الله الذي «لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، تنزيل من حكيم حميد(22)» . وقد دحض الله حجج الكفار الواهية واستهزائهم بنبيه الذي قالوا فيه : «يا ايها الذي نزل الذكر انك لمجنون (23)». وأكد سبحانه أنه هو المنزل على القطع والجزم والحتم ، دون ريب او اي ظل من ظلال الشك ، وهو الذي نزله محفوظا من شياطين الانس والجن أن تضيف اليه باطلا او ان تحيد منه حقا . فالله يحفظ القرءان في كل وقت وآن من كل تبديل او تغيير ، بخلاف الكتب المتقدمة ، فانه لم يتول حفظها بنفسه ، بل وكل أمرها الى الاحبار وفوض الى الربانيين ، فاختلفوا فيما بينهم : «انا انزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا والربانيون والاحبار بما استحفظوا من كتاب الله وكانوا عليه شهداء فلا تخشوا الناس واخشون ولا تشتروا بآياتي ثمنا قليلا ، ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الكافرون(24)» .

فبغي من الاحبار وبظلم من الربانيين وقع التحريف فيما استحفظوا من كتاب الله. أما القرءان فلم يكله الا لعنايته وحفظه هو سبحانه ، ودل بحفظه أنه منزل من عنده آية آية ، اذ لو وكل حفظه الى البشر لتطرق اليه الخلل واعتوره الزلل ، كما يتطرق الى أي كلام سواه .

كان للمامون ــ وهو امير ــ مجلس نظر، فدخل في جملة الناس رجل يهودي حسن الثوب حسن الوجه طيب الرائحة ، فتكلم فاحسن الكلام والعبارة ، فلما أن تقوض المجلس دعاه المامون فقال له : إسرائيلي ؟ قال نعم. قال له : أسلم حتى أفعل بك وأصنع ، ووعده ، فقال ديني ودين آبائي ! وانصرف. فلما كان بعد سنة جاء مسلما، فتكلم على الفقه فاحسن الكلام ، فلما تقوض المجلس دعاه المامون وقال : ألست صاحبنا بالامس ؟ قال له : بلى . قال فما كان سبب اسلامك ؟ قال :انصرفت من حضرتك فأحببت أن أمتحن هذه الاديان ، وأنت مع ما تراني حسن الخط ، فعمدت الى التوراة فكتبت ثلاث نسخ فزدت فيها ونقصت ، وأدخلتها الكنيسة فاشتريت مني ، وعمدت الى الانجيل فكتبت ثلاث نسخ فزدت فيها ونقصت ، وأدخلتها البيعة فاشتريت مني . وعمدت الى القرءان فعملت ثلاث نسخ زدت فيها ونقصت ، وأدخلتها الوراقين فتصفحوها ، فلما أن وجدوا فيها الزيادة والنقصان رموا بها فلم يشتروها ، فعلمت أن هذا كتاب محفوظ . فكان سبب اسلامي (25) ، قال يحيى ابن أكثم : فحججت تلك السنة فلقيت سفيان بن عيينة فذكرت له الخبر فقال لي : مصداق هذا في كتاب الله عز وجل . قلت في أي موضع ؟ قال : في قول الله تبارك وتعالى في التوراة والانجيل : «بما استحفظوا من كتاب الله» . فجعل حفظه اليهم فضاع وقال عز وجل : «انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون» فحفظه الله عز وجل علينا فلم يضع(26) .

فكتاب الله الخالد محفوظ مصون و «لو كان القرآن في اهاب ما مسته النار(27)» ، ومن افضل

---

(18) سورة ص الآية 8

(19) سورة الزخرف ، الآية 31 .

(20) سورة آل عمران ، الآية 24 .

(21) سورة الحجر ، الآية 9

(22) سورة فصلت ، الآية 42.

(23) سورة الحجر ، الآية 6.

(24) سورة المائدة ، الآية 44 .

(25) الجامع لاحكام القرءان للقرطبي ج 10 ص 5 ــ 6 .

(26) المصدر السابق ، ص 6

(27) حديث نبوي ذكره الغزالي في كتاب الاربعين ص 52 .

ذكر الله ذكره بكلامه الذي هو أحسن كل قيل وأنقع ترتيل ، فلا يعرضن مومن عن تلاوته والعمل بما فيه، ومن كان معرضا عنه فان عيشه يضنك وحالته تظلم، ويعمى عن جهات الخير ، لا يهتدى لشيء منها كالاعمى الذي لا حيلة له فيما لا يراه : «ومن أعرض عن ذكرى فان له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى ، قال رب لم حشرتنى أعمى وقد كنت بصيرا ، قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى ، وكذلك نجزي من أسرف ولم يومن بآيات ربه ولعذاب الآخرة أشد وأبقى (28)» . وقال بعضهم : « لايعرض أحد عن ذكر ربه الا اظلم عليه وقته وتشوش عليه رزقه، وكان في عيشة ضنك» .

فالقرءان القرءان ، فانه أرجح ما وزن ، وخير ما خزن ، وعزيمة الايمان ، وفاتحة الاحسان ، ومرضاة الرحمن ومدحرة الشيطان ، وهو النور الساطع والضياء اللامع ، والامر الصادع ، وربيع القلوب ، وشفاء الصدور ، وناطق لا يعيا لسانه ، وبيت لاتهدم أركانه وعز لا تهزم أعوانه ، به يستروح المومن برد الايمان واليقين مع سنحات الرضوان تهب عليه وهو يتلو آياته .

«واعلم ان القرءان كالشمس ، وفيضان أسرار المعارف منه على القلب كفيضان أنوار الشمس على الارض، وسريان أنوار الخوف والخشية والهيبة وسائر الاحوال منه على الصدر كسريان حرارة الشمس فى باطن الارض تابعا لاشراق الانوار ، فان الخشية أثر نور المعرفة : «انما يخشى الله من عباده العلماء(29)» فانتشار الحركات والتغيرات الى الجوارح من البكاء والعرق والاقشعرار والارتعاد منبعث من آثار الخشية وسائر الاحوال كحركة أجزاء الارض بتصاعد الابخرة والادخنة منها بتصعيد حرارة الشمس . فالحركة تبع الحرارة ، والحرارة تبع النور ، والنور تبع وقوع المحاذاة بين الارض والشمس . فاجتهد بأن تحاذى بوجه قلبك شطر شمس القرءان ، وتستضيء بأنواره (30) و «من آتاه الله القرءان فقام به «اناء الليل واناء النهار ، وعمل بما فيه ومات على الطاعة ، بعثه الله يوم القيامة مع السفرة(31) الكرام والاحكام(32)» و «ما اجتمع قوم فى بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم الا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة ، وذكرهم الله فيمن عنده(33)» . «وان أصفر البيوت من الخير البيت الصفر من كتاب الله ، ومن أعطى ثلث القرءان فقد أعطى ثلث النبوة ، ومن أعطى ثلثي القرآن فقد أعطى ثلثي النبوة ، ومن قرأ القرءان كله فقد أعطى النبوة كلها غير أنه لا يوحى اليه ، ويقال له يوم القيامة : اقرأ وارق فيقرأ آية ويصعد درجة حتى ينجز ما معه من القرءان ، ثم يقال له اقبض فيقبض ، ثم يقال له أتدرى ما فى يديك فاذا فى يده اليمنى الخلد وفى اليسرى النعيم (34)» .

والقلب اذا اطمان الى الحق وسكن اليه قصد المنزل الاعلى ، وتوجه اليه ، وسلك سبيله نحوه غير مبال بنوازع الهوى ، ولا مكترث بأوضار الشهوات ، ولا عابيء بأدران الغفلات ، ومن أجل ذلك كان قدر الذكر عظيما ، وقسط الاجر منه موفورا ، ومكانته خطيرة فى حياة الانسان والذكر الصحيح لا يتحقق الا بالقلب الذي به صلاح النفس والبدن ، واذا تحرك اللسان وحده بالذكر فذلك غير كاف ما لم يواطئه القلب ، «والقلب يصدأ ويظلم ، وانما صقاله وتنويره بالذكر(35)» «والذي ينتقل بالمرء من الشك الى اليقين ، ومن الحيرة والتردد الى الطمانينة والسكينة «ألا بذكر الله تطمئن القلوب(36)» .

عن عبدالواحد بن زيد انه قال : كنت فى مركب فطرحتنا الريح على جزيرة فخرجنا الى الجزيرة ، فرأينا شخصا يعبد صنما ، فقلنا له : تعبد هذا

---

(28) سورة طه ، الآيات 124ـ127 .

(29) سورة فاطر ، الآية 28.

(30) كتاب الاربعين فى اصول الدين لابى حامد الغزالى ص 59.

(31) السفرة : الملائكة ، والاحكام : الانبياء.

(32) الجامع لاحكام القرآن للقرطبي ج 1 ص 7

(33) عن حديث نبوى، المصدر السابق ج 1 ص 8

(34) حديث نبوى ، المصدر السابق ج 1 ص 8

(35) حديث نبوى ، ذكره الشبرخيتى فى الفتوحات الوهبية ص 127 .

(36) سورة الرعد ، الآية 28 .

الصنم وفينا من يصنع مثله ؟ فقال أنتم من تعبدون ؟ فقلنا نعبد الها في السماء عرشه ، وفي الارض بطشه وفي البحر سبيله. قال من أعلمكم به؟ قلنا ارسل الينا رسولا ، قال : ما فعل الرسول؟ قلنا قبضه الملك اليه قال : فهل ترك عندكم من علامة ؟ قلنا نعم : كتاب الملك . قال : هل عندكم منه شيء؟ فشرعنا نقرأ عليه سورة الرحمن فما زال يبكي حتى ختمت ، ثم قال : ما ينبغي أن يعصى صاحب هذا الكلام ، ثم عرضنا عليه الاسلام فأسلم . وحملناه معنا في السفينة ، فلما جن الليل وصلينا العشاء أخذنا مضاجعنا للنوم، فقال لنا: هذا الاله الذي دللتموني عليه ينام ؟ قلنا بل هو حي قيوم لا ينام . قال بئس العبيد أنتم ! تنامون ومولاكم لا ينام ؟ فلما وصلنا البر وأردنا الانصراف جمعنا له شيئا من الدراهم ، فقال ما هذا ؟ قلنا نستعين به على نفسك . فقال : دللتموني على طريق ما أراكم سلكتموها ، أنا كنت أعبد غيره فلم يضيعني ، أفيضيعني الان بعد ما عرفته . فلما كان بعد ثلاثة أيام قيل لي أنه في النزع ، فجئت اليه وقلت له : هل من حاجة ؟ فقال : قد قضى حوائجي الذي أخرجني من الجزيرة ، ونمت عنده فرأيت جارية في روضة خضراء وهي تقول : عجلوا به فقد طال شوقي اليه ، فاستيقظت وقد مات ، فدفنته ونمت تلك الليلة فرأيته في المنام ، وعلى رأسه تاج ، وبين يديه الحور العين(37) وهو يقرأ : «والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار(38)» .

فانظر الى آثار نعمة الله على هذا العبد الوثني الذي ختم الله له بالسعادة وقيض له من قرأ عليه شيئا من ذكر الله وتلا عليه سورة الرحمن التي هي عروس القرءان(39) ، فاقشعر منها جلده ، وسكن قلبه الى ذكر ربه ووعاه وأصغى اليه بجميع جوارحه ، فكان أرضا طيبة آتت أكلها في الحين ، فقد أحب الله وأغرم بكلامه العظيم ، ذلك أن ذكر الله عقد من عقود الايمان الذي لا يتم الا به ، لان العبد كلما اكثر من ذكر المحبوب تضاعف حبه له ، وتزايد شوقه واستولى على جميع قلبه ، واذا أعرض عن ذكره وأخطاره وأخطار محاسنه بقلبه ، نقص حبه من قلبه فانشغل عنه وصح فيه قول الله سبحانه : «فأعرض عمن تولى عن ذكرنا ولم يرد الا الحياة الدنيا(40)» لانه لا شيء ألذ لعين المحب من رؤية محبوبه ، ولا أقر لقلبه من ذكره واخطار محاسنه ، فاذا قوي هذا في قلبه جرى لسانه بمدحه والثناء عليه ، ويزداد ذلك او ينقص حسب زيادة الحب ونقصانه في القلب ، والحس شاهد بذلك قال الشاعر :

عجبت لمن يقول ذكرت حبي
وهل أنسى فأذكر ما نسيت !؟

وأما من ضل عن ذكر الله فأولئك هم الذين تعبوا وما ساروا ، وشكوا طول الطريق وهم في الحيرة قد دروا ، وأخرجهم ليل نفوسهم عن السبيل فجدوا ولكن الى الوراء ، وكلما مشوا شبرا رجعوا ميلا . أولئك الذين استحبوا العمى على الهدى حسدا من عند أنفسهم .

والذكر جلاء القلوب ، تسمع به بعد الوقرة ، وتبصر به بعد العشوة، وتنقاد به بعد المعاندة ، يحط الخطايا ويرحض الذنوب ويرفع الدرجات ، وينبت الايمان كما ينبت الماء البقل ، ويحدث الانس ويزيل الوحشة ، وهو أيسر العبادات ومن افضلها . ولا حد له لسهولته على العبد ولعظم الاجر فيه . قال ابن عباس : «لم يعذر أحد في ترك ذكر الله الا من غلب على عقله» . وروى أبو سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم: «أكثروا من الذكر حتى يقولوا مجنون(41)» والذكر الكثير ما جرى على الاخلاص من القلب ، والقليل ما يقع على حكم النفاق عن اللسان . وبالذكر تزول القسوة وبه تستجلب النعم ، وتستدفع النقم ، وقد كان الحسن البصري كثير الذكر لله حتى قيل فيه: «كان اذا اقبل فكأنه أقبل من دفن حميمه ، واذا جلس فكأنه أمر بضرب عنقه، واذا ذكرت النار فكأنما لم

---

(37) الفتوحات الوهبية للشبرخيتي ص 128 .

(38) سورة الرعد ، الآيتان 23ـ24 .

(39) روى أن قيس بن عاصم المنقري ، قال للنبي صلى الله عليه وسلم : اتل على مما انزل عليك فقرأ عليه سورة الرحمن فقال : أعدها . فأعادها ثلاثا فقال : والله ان له لطلاوة ، وان عليه لحلاوة ، وأسفله لمغدق وأعلاه مثمر ، وما يقول هذا بشر وانا اشهد أن لا اله الا الله وانك رسول الله .

(40) سورة النجم ، الآية 29.

(41) الجامع لاحكام القرءان للقرطبي ج 14 ص197

تخلق الا له». وما ضرب عبد بعقوبة اعظم من قساوة القلب. والذكر يبيدها ، وما غضب الله على قوم الا نزع الرحمة من قلوبهم ولا تلين الا بذكر الله تعالى واستحضاره في الحركات والسكنات .

كان اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم اذا اجتمعوا امروا واحدا منهم ان يقرأ ، والباقون يستمعون ، وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول لابي موسى الاشعري : «ذكرنا ربنا» فيقرأ وهم يستمعون. وقال عليه السلام لابن مسعود : «اقرأ علي القرءان» فقال : اقرأ عليك وعليك أنزل ؟! فقال : «اني احب أن أسمعه من غيري» . فقرأت عليه سورة النساء حتى انتهيت الى هذه الاية : «فكيف اذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا(42) . قال : «حسبك» . فاذا عيناه تذرفان من الدموع(43).

ومثل هذا السماع هو سماع النبيين واتباعهم ، كما ذكر الله ذلك في القرءان : «أولئك الذين أنعم الله عليهم من النبيين من ذرية آدم وممن حملنا مع نوح ومن ذرية ابراهيم واسرائيل وممن هدينا واجتبينا اذا تتلى عليهم آيات الرحمن خروا سجدا وبكيا(44)». والنبيب من عاش عاقلا تقيا ، وجالس عالما بصيرا «وخير الجلساء من ذكركم بالله رؤيته ، وزادكم في علمكم منطقه ، وذكركم بالاخرة عمله (45)» . و «ان لله تبارك وتعالى ملائكة سيارة فضلا(46) يتبعون (47) مجالس الذكر . فاذا وجدوا مجلسا فيه ذكر قعدوا معهم. وحف (48) بعضهم بعضا بأجنحتهم حتى يملأوا ما بينهم وبين السماء الدنيا ، فاذا تفرقوا عرجوا وصعدوا الى السماء . قال فيسألهم الله عز وجل وهو أعلم بهم : من أين جئتم ؟ فيقولون : جئنا من عند عباد لك في الارض ، يسبحونك ويكبرونك ويهللونك ويحمدونك ويسألونك . قال : وماذا يسألوني ؟ قالوا يسألونك جنتك ، قال : وهل رأوا جنتي ؟ قالوا : لا اي رب ! قال : فكيف لو رأو جنتي ؟ قالوا : ويستجيرونك(48) قال : ومم يستجيرونني ؟ قالوا : من نارك يارب ! قال : وهل رأوا ناري ؟ قالوا : لا قال فكيف لو رأوا ناري ؟ قالوا : ويستغفرونك ، قال فيقول : قد غفرت لهم . فأعطيتهم ما سألوا وأجرتهم مما استجاروا ، قال فيقولون: رب ! فيهم فلان عبد خطاء(49) . انما مر فجلس معهم . قال فيقول وله غفرت هم القوم لا يشقى بهم جليسهم(50)»

وذكر الله يكون بطاعته ، ومن ذكره بالطاعة ، ذكره بالثواب . قال سعيد بن جبير : «الذكر طاعة الله ، فمن لم يطعه لم يذكره ، وان أكثر التسبيح والتهليل وقراءة القرءان» . وروى عن النبي قوله : «من أطاع الله فقد ذكر الله ، وان أقل صلاته وصومه وصنيعه للخير ، ومن عصى الله فقد نسي الله ، وان أكثر صلاته وصومه وصنيعه للخير» . فمن نسي الله نسي أوامره وخالف الى ما نهى عنه ، وأصبحت الشعائر عنده مجرد تقاليد ينشؤ فيها ويعيد ، دون ادراك عميق لمعانيها ولا فهم صحيح لمراميها . وما من عبد يذكر الله الا ذكره ، لا يذكره مؤمن الا ذكره برحمته ، ولا يذكره كافر الا ذكره بعذابه ، فالايمان شرط لازم للذكر الحق ، والكافر حتى لو ذكر الله فانما يفعل ذلك ابتغاء عرض زائل ، أو مغنم مؤقت او دنيا يصيبها . ومن ذكر الله صدقا فانه ينسى في جنبه كل شيء ويحفظ عليه كل شيء ، ويكون له عوضا عن كل شيء . وما عمل آدمي عملا أنجى له من ذكر الله . قال أعرابي لرسول الله صلى الله عليه وسلم : «ان شرائع الاسلام قد كثرت علي فانبئني

---

(42) سورة النساء ، الآية 41 .

(43) الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان لابن تيمية ص 145 .

(44) سورة مريم ، الآية 58 .

(45) حديث نبوي ، ذكره الحارث المحاسبي في رسالة المسترشدين ص 59 .

(46) معناه انهم ملائكة زائدون على الحفظة وغيرهم من المرتبين مع الخلائق . فهؤلاء السيارة لا وظيفة لهم ، وانما مقصودهم حلق الذكر .

(47) حف : حث على الحضور والاستماع .

(48) يستجيرون من النار : يطلبون الامان منها.

(49) خطاء : كثير الخطايا .

(50) صحيح مسلم ج 4 ص 2070 بتحقيق محمدفؤاد عبد الباقي .

منها بشيء اتشبث به ، قال لا يزال لسانك رطبا من ذكر الله» .

وللذكر بداية وهي توجه صادق ، وله توسط وهو نور طارق ، وله نهاية وهي حال خارق ، وله اصل وهو الصفا ، وله فرع وهو الوفا ، وله شرط وهو الحضور ، وله بساط وهو العمل الصالح ، وله خاصية وهو الفتح المبين ، وهو ترياق المذنبين ، وأنيس المنقطعين ، وكنز المتوكلين وغذاء الموقنين ، وحلية الراضين ، ومبدأ العارفين وشراب المحبين . واذا اراد الله أن يوالي عبدا فتح له باب الذكر ، فاذا استلذ باب الذكر فتح عليه باب القرب ، ثم رفعه الى مجالس الانس ثم اجلسه على كرسي التوحيد ، ثم رفع عنه الحجاب وأدخله دار الفردانية ، وكشف له عن الجلال والعظمة فيحفظه الله ويبرأ عن دعوات نفسه . سئل الواسطي عن الذكر فقال : «الخروج عن ميدان الغفلة الى فضاء المشاهدة ، على غلبة الخوف وشدة المحبة» . والذاكر يحتاج الى ثلاثة أنوار : نور الهداية ، ونور الكفاية ، ونور العناية ، فمن من الله عليه بنور الهداية فهو معصوم عن الشرك ، ومن من الله عليه بنور الكفاية فهو معصوم من الكبائر والفواحش ، ومن من الله عليه بنور العناية فهو محفوظ من الخطرات الفاسدة والحركات التي لاهل الغفلات . «وذاكر الله في الغافلين مثل الذي يقاتل عن الفارين ، وذاكر الله في الغافلين كمثل الشجرة الخضراء في وسط الشجر الذي تحات من الضريب ، وذاكر الله في الغافلين يعرفه الله مقعده من الجنة ، وذاكر الله في الغافلين يغفر الله له بعدد كل فصيح وأعجمي (51) .

وللناس في المقصد بالذكر مقامان : فمقصد العامة اكتساب الاجور ، ومقصد الخاصة القرب والحضور ، وما بين المقامين بون بعيد ، فكم بين من يأخذ اجره وهو من وراء حجاب ، وبين من يقرب حتى يكون من خواص الاحباب . والذكر انواع كثيرة منها التهليل وثمرته التوحيد ، أعني التوحيد الخاص أما التوحيد العام فحاصل لكل مومن ، ومنها التكبير وثمرته التعظيم والاجلال لذي الجلال ، ومنها الحمد والاسماء التي معناها الاحسان والرحمة كالرحمن والرحيم والكريم والغفار وثمرتها ثلاث مقامات ، وهي الشكر ، وقوة الرجاء ، والمحبة . فان المحسن محبوب لا محالة ، ومنها الحوقلة (52) والحسبة (53) وثمرتها التوكل على الله والتفويض لامر الله والثقة بالله. ومنها الاسماء التي معناها الاطلاع والادراك كالعليم والسميع والبصير والقريب ، وثمرتها المراقبة ومنها الصلاة على النبي ؛ وثمرتها شدة المحبة فيه والمحافظة على اتباع سنته. ومنها الاستغفار ، وثمرته الاستقامة على التقوى والمحافظة على شروط التوبة مع انكار القلب بسبب الذنوب المتقدمة .

هذا وللذكر قوانين تراعى ومعايير تلاحظ ، وآداب ينبغي أن تلزم الذاكر ، وهو ما يرشد اليه قول الله سبحانه : «واذكر ربك في نفسك تضرعا وخيفة ودون الجهر من القول بالغدو والاصال ولا تكن من الغافلين(54)» . فهو ينهى عن رفع العقيرة عند الذكر الى حد الافراط. وقد سمع رسول الله جماعة من من الناس رفعوا أصواتهم بالدعاء في بعض الاسفار فقال : «ياايها الناس ، اربعوا(55) على انفسكم ، فانكم لا تدعون أصم ولا غائبا ، ان الذي تدعونه سميع قريب ، أقرب الى احدكم من عنق راحلته» .
وقال عليه السلام : «الجاهر بالقرآن كالجاهر بالصدقة والمسر بالقرآن كالمسر بالصدقة» . ونحن نعلم أن الصدقة مرغوب فيها في كل حال ، الا أن ما كان منها سرا كان أكثر قبولا عند الله .

ويروى أن أبا بكر رضي الله عنه كان يسر قراءته ، وكان عمر يجهر بها ، فقيل لهما في ذلك ، فقال ابو بكر : «أنا أناجي ربي وهو يعلم حاجتي اليه» وقال عمر رضي الله عنه: «انا أطرد الشيطان وأوقظ الوسنان» . فلما نزل قول الله سبحانه : «ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها وابتغ بين ذلك سبيلا(56)» ، قيل لابي بكر ارفع قليلا وقيل لعمر اخفض قليلا ، وخير الامور الوسط .

(51) حديث نبوي أورده محمد أبو الهدى الصيادي في كتابه ضوء الشمس نقلا عن الحلية لابي نعيم .
(52) الحوقلة : هي قولك «لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم» وهو من الكلام المنحوت .
(53) الحسبة : هي قولك « حسبي الله ونعم الوكيل» وهو من الكلام المنحوت أيضا .
(54) سورة الاعراف، الآية 205 .
(55) اربعوا على انفسكم : توقفوا من رفع أصواتكم .
(56) سورة الاسراء ، الآية 110 .

وما خرج من القلب دخل اليه ، وخير الذكر ما نبع من أعماق النفس وصدر عن صميم الفؤاد ، ومن ذكر الله واستغفره وقلبه مصر على معصيته فاستغفاره ذلك يحتاج الى استغفار ، وصغيرته لاحقة بالكبائر . وذكر الله تعالى باللسان ، سرا وجهرا بانفراد أو جماعة مشروع بشروطه وآدابه ، ولكن الذكر الذى يقوم به بعض الناس ، بحركات موزونة مرتبة ، وترنيمات متصنعة مطربة ، وقفز ووثب ونط وجذب ، وانحناء للامام ورفع والتفات عنيف ودفع ، فالفطر السليمة تنبو عنه ، والقلب الخاشع يتبرأ منه لو خشع قلب هذا لخشعت جوارحه .

قال التنيسى : كنا عند مالك ، واصحابه حوله فقال رجل من أهل نصيبين : عندنا قوم يقال لهم الصوفية يأكلون كثيرا ، ثم يأخذون فى القصائد ، ثم يقومون فيرقصون ؟ فقال مالك : أصبيان هم ؟ قال : لا . قال : أمجانين هم؟ قال لا . هم قوم مشايخ وغير ذلك ، عقلاء ، فقال مالك : ما سمعت أن احدا من أهل الاسلام يفعل هذا ! فقال الرجل : بل يأكلون ثم يقومون ويرقصون دوائب ، ويلطم بعضهم رأسه ، وبعضهم وجهه ، فضحك مالك ثم قام فدخل منزله ، فقال اصحاب مالك للرجل : لقد كنت ياهذا مشؤوما على صاحبنا ، لقد جالسناه نيفا وثلاثين سنة ، مما رأيناه ضحك الا فى هذا اليوم (57) !

وان ما ابتدعته الصوفية فى حلق الذكر فمن قبيل ما لا يختلف فى تحريمه ، لكن النفوس الشهوانية غلبت على كثير ممن ينتسب الى الخير حتى لقد ظهرت من كثير منهم فعلات المجانين والصبيان ، حتى رقصوا بحركات متطابقة ، وتقطيعات متلاحقة ، وانتهى التواقح بقوم منهم الى أن جعلوها من باب القرب وصالح الاعمال ، وان ذلك يثمر سنى الاحوال، وهذا على التحقيق من آثار الزندقة ، وقول اهل المخرقة(58)». وكل هذا يعتبر غير وارد لان المقصود من الذكر تزكية النفس ، وايقاظ الضمير واحياؤه ، وتطهير القلب وشفاؤه من مرضه ورينه وتبديد ظلمات ليل الشكوك والاوهام منه .

ومن نظر الى شرف المذكور وعلو قدره ، وسموه واتصافه بجميع الكمالات وتنزهه عن كافة النقيصات ، ومن ذاق سعة رحمته وعظيم حلمه وجوده وكرمه ، وان جميع النعم واردة منه صادرة عنه على الحقيقة عرف ذكر البارى تعالى واطمأن به واليه ، وعلم فيه كل خير : «أنا عند ظن عبدى وأنا معه حين يذكرنى ، فان ذكرنى فى نفسه ذكرته فى نفسى ، وان ذكرنى فى ملأ ذكرته فى ملأ خير منه، وان اقترب الى شبرا تقربت اليه ذراعا ، وان اقترب الى ذراعا اقتربت اليه باعا ، وان اتانى يمشى أتيته هرولة».

الرباط : محمد حمزة

---

(57) من تعليقات الشيخ عبد الفتاح أبى غدة على رسالة المسترشدين للحارث المحاسبى ، ص 67 نقلا عن ترتيب المدارك للقاضى عياض .

(58) المصدر السابق ، ص 66 نقلا عن فتح البارى لابن حجر .

(59) صحيح مسلم ج 4 ص 2068 بتحقيق محمد فؤاد عبد الباقى .

مؤسسات التعريب ومنجزاتها

العقبات الحقيقية والمصطنعة في طريق التعريب

للدكتور ممدوح حقي

قضيت خلال هذا الصيف قرابة شهرين في القاهرة ، مشاركا في ندوة علمية دعت اليها المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، للنظر في المعاجم العلمية الستة التي وضعها مكتب تنسيق التعريب في الرباط ، وهي : الكيمياء ، الفيزياء ، الرياضيات ، الجيولوجيا ، الحيوان ، النبات . وقد عكف على دراسة كل معجم علماء متخصصون من البلاد العربية ، جلهم من كبار اساتذة الجامعات ، أعادوا النظر فيما اتفق عليه بمؤتمر الجزائر من مصطلحات ، وحققوها والقوا عليها النظرة الاخيرة قبل ان تدفعها الى المطبعة لتخرج ـ باذن الله تعالى ـ معجما علميا متكاملا للتعليم العام في البلاد العربية .

ولقد افدت من هذه التجربة كثيرا ، كما افدت قبلها من مؤتمر الجزائر الذي انعقد في ديسمبر من العام الاسبق (1973) للنظر في توحيد المصطلحات العلمية ؛ هذا بالاضافة الى خبرة طويلة في الترجمة والتعريب ، آخرها بضع سنوات دسمة في المكتب الدائم لتنسيق التعريب بالرباط بصفتي خبيرا ومشاركا في وضع المعاجم العلمية والانسانية ، وحصلت في آخر المطاف على آراء اخواني العلماء المتخصصين بندوة القاهرة ومؤتمر الجزائر وما دارت حوله مناقشاتنا وادركت موضع الداء الحقيقي ، وسانشر حصيلة ذلك كله أمامكم بمنتهى الايجاز ، لتروا رأيكم وتقرروا بعد ذلك أمرا وتضعوا خطة حكيمة نتفق على تنفيذها في الوطن العربي بأجمعه ، وتوحد جهودنا في الترجمة على أصول ثابتة نخدم بها الفكر العربي خدمة خالصة لا عوج فيها ولا أمتا .

نحن نشك في أن الغرب قد تقدم علينا خلال العصر الحاضر تقدما واضحا ، وأن علينا ـ اذا أردنا الدخول في حومة الحضارة الحديثة ـ أن نتتبع خطاه ونمشي على آثاره ونفيد من تجاربه ونستخدم مخترعاته ومكتشفاته وأن نستغل الزمن المتسارع بكل دقيقة من دقائقه لئلا تتسع الشقة بيننا وبينه مع الايام ، فلا نستطيع اللحاق به بعد ذلك أبدا . وأن نكف عن التبجح بالماضي ، فقولنا : كنا وكنا ، لايفيدنا شيئا. نعم كان لنا ماض مجيد ، وكانت لغتنا لغة الحضارة خلال القرون الوسطى ، لم تعجز عن ترجمة ما لم يكن لها به علم من قبل ، وآثار علمائنا شاهدة بذلك يكفي ان نذكر منهم : آل بختيشوع وابن ماسويه وحنين بن اسحاق والكندي والفارابي وعيسى بن يحيى وثابت بن قرة والرازي وابن سينا وجابر بن حيان والزهراوي وابن جزلة وابن النفيس وابن زهر وابن رشد وابن الطفيل وابن حزم ـ وسواهم كثيرا جدا مما لا يمكن احصاؤه ولكن هل يكفي التفاخر بهم وبماضينا اللامع ونحن نعيش في ظلام وتفكك وتأخر؟ هل يكفي قولنا : بأن اللغة التي لم تعجز عن الترجمة والاقتباس والخلق والابداع في القرون الوسطى، لن تعجز اليوم عن ملاحقة العلوم ؟! هذا القول قد فاته الزمن . والتفاخر وحده لا يجدي ، بل يجب العمل كما عمل أجدادنا الكرام . والعمل الفردي في هذا العصر ناقص مبتور ،فلا بد من التضافر ، لابد من التآزر ، لابد من توحيد المساعي لتتساوق خطواتنا مجتمعين .

ان عصرنا هذا عصر العلوم والتقنيات ، عصر الآلة والذرة والالكترون ، فيجب أن تتجه هذا الاتجاه لننسجم مع التطور المعاصر ولا نشذ عنه . كـان اكتشاف البخار ثورة فكرية جبارة غيرت كثيرا من المفاهيم . وحرفت طرق التجارة عن مساراتها وخلقت طورا صناعيا جديدا لم نستطع اللحاق به في إبانـه فاهتبل الغرب هذه الفرصة وسيطر على العالم واستغل بلادنا وخيراتنا سنين طويلة ، وما كدنـا نستيقـظ لنتخلص من براثنه حتى ظهر عصر الكهرباء ، ولحق به عصر الالكترون ، ومازال الكثيرون منا يعيشـون بأفكار القرن التاسع عشر ويعدون أنفسهم متقدمين. وما زال كثير من حملة الشهادات العليا يجترون ما تعلموا في معاهدهم ولا يتتبعون التطور المتسارع ، فكأنهم جمدوا في مواقعهم لا يحيرون حركة . الزمن يتطاير بهم وهم لا يشعرون ! بينما أرى على الجانب الآخر أجيالا جديدة تحترق لاكتساب العلم الجديـد وتتمنى لو تقحمت الزمن وأحرقت المراحل للوصول الى اهدافها ، ولكنها لا تعـرف الطريق الصحيـح ، فهي تتخبط تخبط الاعشى ، يضرب هنا ويضـرب هناك لعله يصيب هدفا وقليلا ما يصيب .

لقد طلع علينا العصر الحاضر بكل هيله وهيلمانه ونحن لا نزال نرزح تحت وطـأة استعمـار وحشي غاشم ، وكأننا طفل امام عملاق. غير ان هذا الوضـع لم يبعثنا على اليـأس والقنـوط ، بل دفعنا نحـو اكتساب أي شيء وبأي طريـق وعلى أي وسيلـة . ولنعد قليلا الى الوراء ، ولنقف عند مشارف القـرن التاسع عشر ، ولنلق بنظرة عجلى على الامة العربية آنذاك ثم نسير ، فماذا نرى ؟ الامبراطورية العثمانية تسيطر على الشرق الادنى كله وعلى جزء كبير مـن شرقي اوروبا ، وتقود هذا العالم المتسع باسم الخلافة الاسلامية . وتقف أوروبا الى الجانب الآخر تـدس على هذه الامبراطورية المسلمة وتحاربها سرا وجهرا وتحاول تحطيمها بكل وسيلـة، ولا بد هنـا مـن الاعتراف بان العثمـانيين لم يفعلـوا شيئـا لتقـدم امبراطوريتهم او استنقاذهـا ، بـل تقوقعـوا حـول أنفسهم وتركوا الدنيا حولهم تدور كما تهوى، أوروبا تتـقـدم علميـا واقتصـاديا وعسـكـريـا ، وهـم جامدون يراوحون في اماكنهم على ما كان اجدادهم ؛ وجاءهـم نابليـون من اقصـى الغـرب فهـز امبراطوريتهم هزا عنيفا ، وبمكن انتصاره للمبـدأ السياسي السائد في المحافل السياسية الاوروبية الذي يشبه هذه الامبراطورية بالرجل المريض ، ووقفت كل الدول العصرية تنتظر موته لتتقاسم ارثه .

وعزعم محمد علي باشا مـن بعـده مرة ثانية ، ودخل ابراهيم باشا بجيوشه الى لب بلادهم ، وتوقف عند كوتاهية يشرف على عاصمتهم . ولولا اختلاف الدول الاوروبية يومذاك على تقسيم الامبراطوريـة العثمانية فيما بينهم ، ولولا ضغطهم على ابراهيـم باشا وارغامه على التراجع ، لكان هو الوارث الوحيد لها . ولبنى الامبراطوريـة العثمانيـة المزعزعـة ، امبراطورية عربية . وكانت الحرب العالميـة الأولـى ثالثة الاثافي ــ وقد مهدت لها حروب البلقان وليبيـا من قبل ــ وصحونا عام 1918 فاذا الدنيا غير الدنيا واذا البادشاه العظيم قزم محبوس في قصر يلدز ، واذا البلاد العربية مجزأة مقصصة ، يحكم الانكليـز العراق والاردن وفلسطين ومصر وعدن ، ويسيطرون على سواحل الجزيرة العربية كلهـا سيطـرة مغلفة بمعاهدات مع مشائخها وامرائها ، اقل ما يقال فيها: انها ضحك على الذقون . ويحكم الافرنسيون سوريا ولبنان وتونس والجزائر والمغرب . وتحكم ايطاليـا ليبيا . وتحكم اسبانيا مراكز ستراتيجية مهمة فـي المغرب مثل مليليا وسبتة والصحراء المغربية والساقية الحمراء ، وتحكم طنجة هيئة دولية من كل هؤلاء ، لكل دولة في ادارتها نصيـب خاص ، واذا وعـود لورانس هباء ، ومكماهون كذاب ، وعصبة الامم لعبة في أيدي كبار المجرمين والغدارين ، والعرب يقطعون اصابعهم ندما على وقوفهم الى جانب الحلفاء الخونة (بريطانيا وفرنسا وأمريكا) .

لكن هل وقف العرب مكتوفي الايدي أمام هذه الفاجعة ؟ هل استسلموا الى اليأس والبكاء حسـرة وعجزا ! ؟

كلا ، فقد نفروا الى العمـل في كل حومة ، وقاموا بثورات دموية رائعة كانت مثالا في البطولـة تسطر بحروف من ذهب ، وناوروا مناورات سياسية بارعة جدا نجحوا في بعضها وأخفقوا في كثير لقوة أعدائهم وتكالبهم عليهم ، واتجهوا نحو التعلم يعبون منه عبا سريعا لينقذوا شعبهم من الجهالة الطويلة التي ران عليهم ظلامها طوال العهود العثمانية ، وطفـق القادرون ينقلون الى اللغة العربيـة ما لقنوه فـي الغرب ، يجاهدون على كل جبهة لا يكلون ولا يملون حتى انحسرت الحرب العالمية الثانية عن استـقـلال البلاد العربية متتابعة متتالية ، وها نحن الآن ــ بحمد

الله ـ مستقلون في كل قطر ، فهل وصلنا الى ما نبتغيه ، وحططنا على الهدف الذي سرنا نحوه عصورا؟

عفوكم ايها السادة ، كان لابد من هذا التمهيد التاريخي لنعرف أين نحن ؟ وماذا علينا أن نعمل ؟ وكيف نخطط لكي لا نضل السبيل . وأنا لم آتكم بجديد ، وانما قربت الامر من ذاكرتكم تطبيقا لقول الله تعالى : «وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين» .

لنعد الى عهد ابراهيم باشا ، فقد تنبه الى ضعف الامبراطورية العثمانية وتهالكها ، ووطن نفسه ليكون وريثها ، وعرف أن عصره عصر علم وتخطيط لا عصر كلام وتخليط ، ان الدجل السياسي لا يبني دولة . فعليه أن يعمل ، فكيف عمل ؟

انه هو الذي استحث والده الزوجي محمد علي باشا على ارسال البعوث الى اوروبا للدرس والتعلم، وليكونوا نواة للدولة الناشئة . وهو الذي رسم خطة التعريب التي سار عليها خلفاؤه من بعده ، فلما احتل الانكليز مصر عرقلوها ثم منعوها . ولو رجعنا الى عهد التعريب الخديوي لرأينا مؤلفات عربية بعلوم عصرية كالطب والصيدلة والنبات والفلك والجيولوجيا والفيزيا والكيميا والميكانيك والهندسة والهيدروليك والعلوم العسكرية وسواها .

فلماذا لا نجد الان مثل هذه الهبة وعلى المستوى الذي نريد ؟ مع انا جئنا بعدهم بقرن او يزيد !

لعلنا لو استقصينا الاسباب وحاولنا حصرها، لما وجدناها خارجة عما يلي :

1 ـ قناعة بعضنا بعجز اللغة العربية عن مساوقة العلوم العصرية ، واعتقادهم بأنها لغة لم تخلق الا للشعر والادب والغناء .

2 ـ عجز بعض البلاد العربية عن تعريب التعليم والادارة حتى اليوم بسبب تفشي اللغة الاجنبية التي كانت حكومتها مسيطرة عليهم .

3 ـ واذا عربت بعض البلاد التعليم الابتدائي والثانوي ، فما زال التعليم الجامعي فيها بلغة اجنبية .

4 ـ ارتباط المصالح المتبادلة ما بين بعض المتنفذين والدولة الاجنبية ارتباطا ماديا وثقافيا ، فقد نشأوا في ظلها وتعلموا بلغتها ، وهم يجهلون اللغة العربية او يكادون .

5 ـ العمل الخارجي الخبيث ، والمخطط تخطيطا شيطانيا لاقناعنا بأن سير العلوم الذي يكاد لا يصدق العقل مدى تسارعه ، لا يترك للغة العربية الجامدة مجالا لمجابهة التطور العالمي حتى ولا امكانية ملاحقته .

والجواب على كل ذلك سهل ميسور . فلغتنا ليست لغة شعر وأدب وحسب ، بل هي لغة علوم كذلك . والادلة عليها كثيرة موفورة نقتصر منها على ما يلي :

1 ـ حينما اضطر العرب الى الترجمة لمجابهة حضارة لم يكونوا يعرفون عنها شيئا ، لانت لهم اللغة وأعطتهم ما يشتهون فترجموا وعربوا الفلسفة والفيزيقا والارطماطيقا والماطماطيقا والجيومطريا وعلم الهيئة والطب ... ، ولم يقفوا عند حد .

2 ـ وفي بدء عهد الدولة الخديوية في مصر ، ساروا على الخطة نفسها ، وأسعفتهم اللغة بكل ما يريدون . وعندنا من آثارهم في العلوم المختلفة والطب والصيدلة والميكانيك والهيدروليك وسواها ، ما نقف امامه بكل احترام .

3 ـ وفي فترة استقلال سوريا عام 1918 وهي فترة لم تزد على عامين ، عربت الادارة كما عرب التعليم من أدنى درجاته حتى نهاية التحصيل العالي والجامعي ، ولم يتراجع السوريون عن تعريبهم حتى اليوم ، ولقد حضرت في العام الماضي درسا بالالكترون في الجامعة السورية بدمشق القاه استاذ شاب عرض فيه مصطلحات العلم مترجمة الى اللغة العربية ، مما أدهش زميلي مدير مكتب تنسيق التعريب ـ وكان رفيقي في هذه الزيارة ـ وزاده يقينا بقدرة لغتنا وليونتها.

4 ـ الاعمال العلمية التي قمنا بها في مكتب تنسيق التعريب اذ وضعنا معاجم علمية كثيرة، منها التي عرضت في مؤتمر الجزائر وندوة القاهرة، فوحدت وأقرت صيغتها النهائية ، وستكون بين أيديكم بعد بضعة شهور . ومنها معاجم في البترول والحقوق والادارة والاقتصاد والجرائد والهيدروليك وسواها ، وجميع مصطلحاتها باللغة العربية ترجمة او تعريبا لما في اللغة الانكليزية واللغة الفرنسية معا ، وجميع معاجمنا ثلاثية اللغات ولنا الامل أن نرفعها الى خمس لغات حين تضيف عليها الروسية والالمانية

5 ـ الاعمال العلمية التي قام بها أساتذة الجامعات في سوريا والعراق ومصر ، وسجلت في مؤلفات

قيمة جدا ، هي موضع تقدير العلماء العرب والاجانب على حد سواء .

٥ ـ آلاف المصطلحات العلمية التي وضعتها المجامع اللغوية والعلمية في القاهرة ودمشق وبغداد ، ومجلاتها القيمة شاهدة بذلك ، بل ان في بعضها تحقيقات علمية جديدة تصحح كثيرا من المفاهيم السائدة في الغرب .

وأما قول بعضهم بأن العلوم العصرية يدخل عليها في كل يوم نحو خمسين مصطلح جديد ، وبأن التطور يخلق كل يوم علما لا تعرفه اللغة العربية ، فالجواب عليه : باننا استطعنا في مكتبنا ـ على ضعفه وفقره ـ أن نجابه هذا الوضع ، ونجحنا فيه الى حد بعيد جدا، ولو فسح لنا في العمل كما نشاء ، ورفعت من طريقنا العقبات أزيحت المثبطات لادينا خدمات أكبر ، ولساعدنا بمجهودنا المتواضع المجامع اللغوية التي لم تقصر هي كذلك في الترجمة والتعريب ، ولولا الروتين الدائر ، وحكمة الشيوخ المتأنية ، ومحاولة تحرى أكبر ما يمكن من دقة ، لماشت جميعها تسارع العصر الحاضر .

* * *

وقد كنا وما زلنا ننقل عن الغرب ترجمة وتعريبا بصورة شخصية فردية يشعر أحدنا بالحاجة الى الترجمة فيقوم بواجبه وحده مستهديا بهدى ضميره وقد يقع أن يترجم المصطلح العلمي عالم عربي آخر أو استاذ في جامعة ، فينشأ للمصطلح العلمي الواحد ترجمتان أو أكثر . وتنشأ مع هذه الفوضى لهجات علمية جديدة تشبه ما نحن فيه واقعون من اللهجات العامية المتباينة . ومن هنا كانت الدعوة الملحة التي يقوم بها مكتب تنسيق التعريب في الوطن العربي لتوحيد هذه المصطلحات، وبسببها اقيم مؤتمر الجزائر ومن اجلها استدعيت الندوة العلمية هذا الصيف. وقد أخذت المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم خدمة هذه الفكرة على عاتقها ، وستدعو الى مؤتمرات كل عامين ، لتوحيد ما يجمعه مكتب تنسيق التعريب ونستطيع أن نطمئن بعد الان ، الى أن المصطلح العلمي قد أخذ سمته وعرف طريقه ، وسيكون للامة العربية كلها مصطلح موحد مقابل المصطلح الاجنبي .

لقد أكدت على المصطلح العلمي كثيرا وأصلت ما سواه ، فما شأن التراجم يا ترى ؟ وهل اذا كان عصرنا عصر علم وتقنيات ، يجب أن ينصب اهتمامنا عليها وحدها ، وأن نهمل ما عداها ؟

كلا ، فالادب والفن شأنهما هين جدا اذا قيسا بالعلم ولقد اكثرنا من ترجمة الروايات والقصص والمسرحيات ونثرنا على العالم العربي كميات هائلة جدا من آثار ادباء العالم الكبار من كل لغة ، بل بلغنا فيها حد التخمة ، ودخل علينا بسبب ذلك كثير من الكتب التافهة واللاأخلاقية والمؤذية . ونحن لا نستطيع ، أن نغل أقلام الكتاب والصحفيين والمنشئين والقصاصين والشعراء ونحصر حق الترجمة بهيئة معينة ـ حكومية او غير حكومية ـ كما تفعل بعض الدول التي تلغي حرية الفكر، ولاندعو الى ذلك، ولكنا نستطيع ان نجابه المشكلة بأسلوب آخر ، يفسح المجال للمنافسة ويمنح الحرية للجميع بلا حدود ، وهو أن نؤسس هيئة عليا للترجمة في كل قطر عربي ونربط بينها بصلات وثيقة ونطلق يدها في اختيار ما يجب أن يترجم فيما بينها، لكي لا تتعدد ترجمات الكتاب الواحد ، وتقوم هي بالترجمة او تكلف من ترى فيه القدرة على القيام بهذا العمل ، وتنشر أعمالها مطبوعة طبعا انيقا متقنا، وتعرضه في السوق رخيصا ، يجتذب القراء نحوها فيميلون الى الاصلح ويهملون ما عداه .

ولو رجعنا الى تاريخنا القريب لوجدنا شبيها بهذه الفكرة التي املتها الحاجة الى الذوق الرفيع والايمان بقيمة ما يجب أن يقدم الى القارىء العربي من زاد فكري سليم .

ففي زمن محمد علي كانت هناك هيئة عليا للترجمة ، ولعل الطهطاوي أول من ساهم في تقويتها وتدعيمها ، ثم ضعفت بعده وتضاءلت بعد احتلال الانكليز مصر ، ثم انمحت نهائيا .

وتأسست في مصر بعد الحرب الكونية الاولى لجنة غير حكومية اطلقت على نفسها اسم « لجنة التأليف والترجمة والنشر » ، من أشهر أعضائها : طه حسين واحمد امين وأحمد زكي وعبد الوهاب عزام واحمد حسن الزيات واسماعيل مظهر ، ونشرت انتاجها الادبي والعلمي فحازت ثقة القارىء العربي بدقتها واتقانها وحسن تخيرها للموضوعات المترجمة والمؤلفة .

وتأسست في سوريا حوالي عام 1934 عصبة الادب ، تحمل الفكرة نفسها ، من اعضائها عمر ابو ريشة ، وسامي الكيالي واورخان ميسر وممدوح حقي ونشرت من آثارها كتاب الكشاف وديوان أبي ريشة والغريزة الجنسية ، ثم ادركها ما ادرك لجنة التأليف والترجمة المصرية .

وقامت في دمشق وقبيل الحرب الثانية جماعة التحصيل العالي ونشرت مبادئها وهي لا تخرج عن مبادىء عصبة الادب كثيرا ، فقضت عليها قوانيـــن الحرب سريعا ولم تنجز عملا ذا قيمة .

وقام بعض الشبان الجامعيين في مصر بتاليف لجنة لترجمة الموسوعة الاسلامية ، وهـا قد مضـــى عليها نحو اربعين عاما ولم تترجم نصفها ، بينما أعيد طبعها في أوروبا للمرة الثانية منقحة مزيدة موضحة .

وظهرت في العراق محاولة شبيهة بها دعا اليها الشاعر الرصافي ، لكنها لم تنجح ، وجدد الدكتور داود الجلبي الدعوة ، فاخفق .

واقيمت في الاردن لجنـة حكوميـة للتعريـب والترجمة والنشر ، وما زالت نشيطة تعمل وصلتهـا بمكتبنا وثيقة جدا .

وكذلك فعلـت الحكومـة السوريـة ، وأكثـر منشوراتها علمية قيمة ومثلها سلكت حكومة الكويت لكن أكثر منشوراتها أدبية .

ولم يظهر في الجزيرة العربية كلها ، ولا فـي الشمال العربي الافريقي حتى اليوم ما يشبه هـــذه الهيئات ، كل ما هنالك اعمال فردية او حكومية تنشر اعمالها من دون تخطيط ثم تضمحل .

واراني أقف احترامـا واجـلالا لعمل المجامع اللغوية الثلاثة : مجمع القاهرة ومجمع دمشق ومجمع بغداد ، وللجامعات العربية وبخاصـة منهـا جامعـة دمشق التي باشرت تدريسها بعيد الحرب الكونيـة الاولى باللغة العربية ، وما زالت مستمرة على ذلك حتى اليوم ، وترك كبار أساتذتها آثارا علمية جديرة بالتقدير ، نذكر منهم : القنواتي والخياط وخـاطـر والكواكبي والقباني وحسني سبح ، وهو الان رئيس المجمع العلمي العربي في دمشق ، ومع أنه قد بلـغ من العمر ما ينبغي لمثله أن يستريح فيه ، لكنه مـا زال دائبا على التاليف والترجمة ، وآخر اثر له : نقد وتصحيح لمعجم كليرفيل الطبي الفرنسي .

واذا كنا نقدر المجامع اللغوية والجامعات العربية اجمالا ، فيجب ان لا ننسى عمـل المؤتمرات العلمية المتمادية منذ نحو ثلث قرن ، كالمؤتمـرات الطبيـة والصيدلية والهندسية والقانونية والاقتصادية والماليـة وسواها . تتناوب اجتماعاتها في مختلف العواصـــم العربية ويشبه كل عام عددا منها تسجل اعماله في ضبوطها ، ويفيد منها العلماء والمتخصصون بعد ذلك . ونحن في مكتبنا أفدنا من نتائج هـذه المؤتمـرات ، وصححنا كثيرا من المفاهيم والترجمـات على ضـوء بحوثها ومناقشاتها وتقاريرها وتوصياتها .

وتمخضت الحرب العالمية الثانية عن أحـداث جسام ، حزت العالم العربي حزا عنيفا ، ودست في جنبه خنجرا مسموما هو ما يطلقون عليه اسم اسرائيل وتبلبلت الافكار وولدت احزاب متعددة تحمل مبادىء متباينة تتفاوت ما بين أقصى اليمين الى أقصى اليسار وظهرت في الشرق الادنى على اثر ذلك، كتب يسارية بعضها معتدل وبعضها متطرف ، وترجمت جميع آثار ماركس وهيغل ولينين وماو ، تؤيدها وتساعد علـى نشرها دولة شرقية كبيرة .

وظهر مقابلها في لبنان وفي مصر كتب يمينية عليها مسحة أدبية ما بين قصص ومسرحيات وتاريخ شخصيات وشعر ، تؤيدها وتنشرها هيئة موكلة عن حكومة غربية كبيرة كذلك .

وتصارعت الآراء وتشوش الفكر العربي وتحير الجيل الناشيء كيف يقرأ ؟ ولمـن يقرأ ؟ وتنبهـت جامعة الدول العربية الى هذا الوضع الشاذ ، فانشات فيها مكتبا أسمته : «الادارة الثقافية» وكلفته بدرس النشاط الفكري العربـي وتوجيهـه توجيها عروبيـا حسنا ما أمكن .

وما زالت الفكرة تتطور تطورا مستمرا حتـــى خلقت المنظمة العربية للتربيـة والثقافـة والعلوم ، وضمت اليها : الادارة الثقافية ، ومكتـب تنسيـق التعريب ، وجهـاز محو الاميـة ، ومعهـد الابحـاث والدراسات العربية ، وأخـذت تعقـد الاجتماع تلـو الاجتماع لبحث موضوعات فكرية وعروبيـة شتى ، وتضع تقاريرها وتقدم توصياتها .

ولما عقدت حلقة الترجمة في الكويت أواخر العام الفائت ، نوقشت الترجمة مناقشة صـريحـة جدا ، وتقدم كثير من ممثلي الحكومات العربية بآراء قيمة . ولكنها جميعا لم تنظر الى ترجمة المصطلحات العلمية ، التي هي أساس التطور المعاصر ، وكأنها تركت الامر لمكتب تنسيق التعريب المتخصص الوحيد في الوطن العربي بهذا الموضوع . والمكتب وحده لا يستطيـع عمل شيء إذا لم يقف العلماء العرب الى جانبه بمدونه بالعون والمساعدة التي نتطلبها تتلخص فيما يلي :

1 ــ أن تتكون في كل قطر عربي لجنة مــن العلماء والاساتذة الجامعيين يتابعون التطور العلمي ويمدوننا بما استحدث من مصطلحــات جديدة بــاي لغة ، وبما يقترحون لها من ترجمة ملائمة .

2 ــ ونحن نتلقى من كل قطر ما يبعث بــه ، وننسقه مع ما يأتي من الاقطار الاخرى ، ونضع فيه مشروع معجم ننشره على العلماء لنتلقى آراءهم فيه نقدا واصلاحا ونسجل ذلك كله ، وننقح مشروعنــا بالقدر المستطاع ، ثم نعقد ندوة من كبار المتخصصين من كل قطر لدراسته ، حتى اذا اشبعوه بحثا وتحقيقا وتصحيحا ، أعدنا تنسيقه من جديد ، وعرضناه على المؤتمر العربي الكبير ليكتسب شرعيته ،

3 ــ وبعد موافقة المؤتمر عليه ، يصبح معجما شرعيا ، نطبعه طبعا أنيقا صحيحا ونقدمه الى العالم العربي لتطبيق مصطلحاته الموحدة في جميع الاقطــار على الســواء .

لكن هل انتهت مهمتنا عند هذا الحد ؟ كــلا ، لان العلوم في تطور مستمر ، ويدخل عليها في كل يوم نحو خمسين مصطلحا ، فعلينا متابعة هذا التطور وملاحقة ما يستجد يوميا وتسجيله واعــادة البحــث فيه وتوحيد ترجمته باستمرار وادخاله في المعجــم الجديد بالطريقة نفسها التي صنع بها المعجم المتقدم.

تلك هي احدى الصعاب التي تعانيها ترجمــة المصطلحات العلمية ، وهي عقبة يسهل تجاوزها بالداب والايمان . وهناك عقبات أخرى كثيرة نسرد بعضها فيما يلي :

1 ــ لاشك أن كثيرا من العلوم المعاصرة لم يكن العرب يعرفون عنها شيئا ، بل حتى الامم المتمدنــة الحديثة لم تكن تعرفها قبل ولادتها ، ومع كل علم مصطلحات جديدة ، فكيف نضع لها مقابلاتها ، وليس في معاجمنا لها شبيــه ؟ مــن أين نأتــي بالراديــو والتلفزيون والهيغرومتــر والبارومتــر والجيوفــيزيــا والجيوموفولوجيا والبتروغراف والستراتيغراف ، وما ماثلها ، وهي تعد بمئات الآلاف ، ولم يكن احد في الكون يعرفها قبل خلقها في العصر الحاضر ، وأحرى الا يعرفها العرب والا توجد في معاجمنا حتما .

هناك طريقتان رئيسيتان نتبعهمــا دائما فــي صياغة المعاجم ، احداهما الترجمة والثانية التعريب. فاذا لم نوفق بالترجمة الصحيحة الى مصطلــح مــن كلمة واحدة ، وضعنا اثنتين ، اما بطريقة الاضافــة كقولنا لكلمة anemophilous هوائي التلقيــح ، او بطريق الوصف كقولنا لكلمة anomalos stem ساق شاذة . وحين نعجز عن الترجمــة الصحيحــة نعربه تعريبا ، وهو أن نقربه من وزن صرفي معروف فيقول للتلفزيون مثلا «تلفازه على وزن فعلال، ولكلمة machine مكينة على وزن فعيلة ، ونشتق منهــا بعد ذلك ما نشاء فنقول : تلفز يتلفــز تلفــزة متلفز متلفز ، ، الخ . واذا عسر علينــا وضعــه د ي وزن صرفي عربي أخذناه كما هو فقلنا : رادار Radar وكروماتيد chromatid وكيوتن ، ، ثم نشتق منها ما يمكن ، فنقول مثلا من كيوتن : كوتن يكوتن مكوتن مكوتن cutinised واذا لم يسعفنا الاشتقاق ، عدنا الى الترجمة الجملية .

2 ــ وقليلا ما نلجا الى النحت فنقول : برمائي مثلا قياسا على ما قاله العرب: عبشمي من عبد شمس وحضرمي من حضرموت ، وعبد لي من عبــد الله ، وحمدل من الحمد لله ، ، ولكنــا نخشــى ان نفتــح الباب على مصراعيه فتدخل علينا تراكيب مستقلــة نحن في غنى عن اختصارها بهذا النحت المستهجن ، ولا يدفعنا اليها الا حب التقليد والمحاكاة .

3 ــ وتتهد أمامنا صعوبات جديدة هي المترادفات فاللغة العربية من أغنى لغات العالم بالمترادف ــ وان كنا لا نؤمن بالمترادف المطلق على اطلاقه ــ لكن كثرة هذا الترادف ، ان أغنى لغة الادب والشعر ، فقــد يخلق في العلوم فوضى وبسبب بلبلة ، ان أهم شيء في العلم هو دقة التعبير ، بحيث اذا لفظنا المصطلح لا ينصرف الى سواه ، ولو بالتشبيه ، والمترادف لا دقة علمية فيه ، فكيف نقول في الالفاظ التالية مثلا:

calamidous : غلافي أم غمدي ؟

: نقص صبغي أم قصر صبغي؟
chromosome déficiency

curved : منحن أم مقوس أم ملتــو أم معوج ؟

dormant stage : طور السكون ام طور السبات أم النعاس أم النوم أم الرقاد ؟

energy liberation : تحرير الطاقة ام اطلاق الطاقة

early flower : زهــرة مبكــار أم بكــور أم معجال أم عجول أم متبادرة أم بادرة ؟

paléobotany : علم الحفريــات النباتيــة أم الاحافير أم المتحجرات أم علم الاحاثة ؟

herbivor : نباتي أم عاشب ؟

fragile - : هش أم قصف أم كسور أم عطوب ام هشوم ؟ وماذا نعطي لكلمتي :
cassant - écrasable

fragment : كسرة أم فتيتة أم قطعــة أم جزء أم شظية ؟

hibernation : سبات شتوي أم خمود أم رقاد أم سبات أم نوم ؟

ومثل ذلك كثير جدا وانما مثلت بهذا العدد القليل لتقريب الفكرة ، على أننا قد نفيد أحيانا من بعض المترادفات ، وبخاصة اذا كانت تشير الى وصف معين ، فنحددها تحديدا استعماليا جديدا يضعها في مكانها من التعامل العلمي ، وبهذا نحاول التفريق بين : السيولة والميوعة ، اللدونة والليونة والمرونة ، السد والسد ، الافراز والابراز والاخراج ، العمومي والعام ، الخ ، ومثل هذا عدد وفير ، لكن من هو صاحب الحق الشرعي في وضع ذلك كله وتحديده ؟

4 — ومشكلة الوحدات والمقاييس والرموز والارقام الحسابية والجبرية لم تحل بعد .

كان اجدادنا يعرفون القمحة والدرهم للوزن الخفيف الثمين كالذهب والفضة والحجارة الكريمة . ويعرفون الاوقية والرطل والقنطار للوزن الثقيل ، ويعرفون الذراع والباع والمرحلة والميل للاطوال والمسافات ، ويعرفون القصبة والفدان للمساحات ، ويعرفون الصاع والمد والقرارة للكيل ، لكن كل هذه الوحدات والمقاييس غير دقيقة ، فما وزن القمحة مثلا ، وما عرض الشعرة ، وكم هي الاوقية والرطل ؟ وما طول الذراع والميل ؟ وما الفرق بين الذراع الهاشمي والذراع العادي ؟ الخ .

كان كل بلد يستخدم مقياسا خاصا به ، فالرطل في مصر مثلا صغير جدا اذا قيس برطل الشام الذي يزن 800 درهم أو رطل حلب الذي يزن 1000 درهم . وتنسحب هذه الفوضى على كل مقاييسنا القديمة ، فلما حل المقياس المتري محلها وانتشر في البلاد العربية المتقدمة ، تقاربت المفاهيم ، لكن ما زالت هناك وحدات ومقاييس أخرى سواها ، ان لم تبلغ الآلاف فهي حتما بضع مئات ، كيف نحل مشكلتها ؟ كوحدات للوقت والزمن والسرعة والشدة والشغل والعزم والتردد والمقاومة والكثافة وطول الموجة والانحراف والاحتكاك واللزوجة والصوت والاضاءة والالكترون والكهرباء ، فهذه كلها كيف نترجمها ؟

5 — ومشكلة الرموز الكيماوية والرياضية والفيزيائية والكهربائية والالكترونية وما شابهها كيف نجد طريقا لحلها .

6 — واذا انتهينا من مشاكل الترجمة والتعريب نجد أنفسنا في موقف آخر تجابهنا فيه المطبعة بالحرف المشكول والحرف العاري والحرف الراكب والحرف المسطح ، ومشاكل طباعية كثيرة بحثتها الندوة التي عقدتها المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم اواخر 1971 وانتهت منها الى توصيات نرجو لها حسن التطبيق لان الحرف هو الوسيلة التي تتشكل بها الكلمات للتفاهم بين الناس ، فاذا كانت هناك صعاب طباعية قائمة : تلكأ الحديث المتبادل ما بين العالم والمتعلم ، وتباطأ التفاهم وعسرت الاستفادة والافادة وخدمة الفكر .

7 — يقولون : ان في اللغات الاوروبية سوابق ثابتة على الكلمة ، ولواحق تساعد على التصريف وتقليب المعاني ، وليس في العربية ما يشبهها ، ولذلك لا يمكن أن تكون وسيلة سهلة للعلم . ونسي هؤلاء الشعوبيون أو تناسوا أن لكل لغة عبقريتها الخاصة في الصياغة والتصريف وابتداع الصور المختلفة للمعاني المتباينة ، واذا لم يكن للعربية هذه السوابق واللواحق فلديها مئات الاساليب الاشتقاقية مما يفتقر اليه سواها . وما قول هؤلاء الشعوبيين باللغات التي كانت ميتة فاحياها أهلها في برهة عقدين من السنين أو ثلاثة ، وهي الآن تتعامل اداريا وتدرس كل العلوم بلغتها القومية كالفيتنامية والكورية والعبرانية . فهل تكون العربية أقل منها ؟ واذا كانت هيئة الامم قد اعترفت بالعربية لغة خامسة في التعامل الدولي ، أفنكون أقل حماسة للغتنا من الغريب ؟

8 — تلك هي أهم مشاكل الترجمة تناولتها من الداخل ، وأخرت عن عمد المشكلة الخارجية الكبرى لاركز عليها .

نحن نعمل ونجد ونترجم ونضع المعاجم ونوزعها على العالم العربي بقصد استخدامها والافادة منها ، فاذا بقي التعليم بلغة أجنبية ، وبقيت الادارات تمارس اتصالاتها وأنظمتها بلغة غير لغة الشعب ، فما هي الفائدة من كل هذا العمل؟ ولماذا اجتمعنا نحن هنا ؟ الاجل ان ننظر في ترجمة شكسبير ودانته وغوته ولودفيغ وريلكه وبيليكو ولامارتين وكافكا؟ دعوا الادب يسير في طريقه وحده فهو كفيل بالنهوض على قدميه من دون هذا التدخل ، ولنركز على الترجمة العلمية لننقل ما وصل اليه الغرب من علوم بها طغى علينا وحطمنا واستعمرنا . تعالوا نستعمل سلاحه نفسه لكي نعرف كيف ندافع عن أنفسنا ونحمي كياننا

وتنطلق مع الحضارة الحديثة بكل كيانها . الشعوب الزراعية دائما فى الدرجة الثانية، والشعوب الصناعية دائما فى الدرجة الاولى ، ان الشعب الذى لا يعرف كيف يدير الآلة ويسخر الكهرباء ويطوع الالكترون ، ويقف عاجزا أمام التقدم الحضارى ويستعير مظاهر المدنية استعارة . شعب مقضى عليه بالجمود والتاخر

ولا يعيبنا أن ناخذ العلم عن سوانا مهما كان شانه ، نستفيد من الصديق والعدو الى مبتكرات العلم فى اقاصى الارض ، أولم ياخذ الغرب عنا علومه وفلسفته حينما هم بالنهوض ؟ هم انفسهم قالوا بأن حضارتهم الحديثة مدينة للعرب . اسمعوا أقوال علمائهم :

قال جورج سارتون مؤلف «تاريخ العالم» : كان العرب أعظم معلمين فى العالم ، زادوا على العلوم التي نقلوها عن غيرهم ، ولولا عملهم لتاخر سير المدنية قرونا عديدة» .

وقال نيكلسون : «ما المكتشفات اليوم بمحسوبة شيئا مذكورا ازاء ما نحن مدينون به للعرب الرواد الذين كانوا مشعلا وضاء ابان القرون الوسطى المظلمة فى اوروباء» .

وقال أكثر مؤرخى العلم من الاجانب : « ان الحضارة الانسانية مدينة لعلماء العرب فى كل فرع من فروع المعرفة ، وانه كان لابد من ظهور ابن الهيثم والبيرونى والكندى وامثالهم لكى يتسنى ظهور جاليلو وكيلر وكوبرنيق . وأنه لولا اعمال العرب ، لاضطر علماء النهضة الاوروبية لنبدء من حيث بدأ هؤلاء ، ولتاخر سير المدنية عدة قرون» .

وكذلك قال كليردونو وسيديو وولز وتيو برجر وكلارك مؤرخ الطب العربى وجرمان وبرترام وهومبولد وبيير باخمان وغوستاف لوبون ، وكثير غيرهم

قال عبد الحليم المنتصر رئيس اتحاد الجمعيات العلمية فى العالم العربى ، تعليقا على ذلك : اذكير انى شاهدت فى سقف مكتبة الكونكرس الامريكية ، منقوشا بماء الذهب : «ان مصر هى الينبوع الاول للحضارات جميعا ، وان العصر العربى الاسلامى هو الينبوع الاول للعلوم الطبيعية» فشعرت بالزهو ان أكون سليل هاتين الحضارتين ووريث هاتين الثقافتين.

وانا نفسى جمعت من المعجم الفرنسى وحده بضعة آلاف كلمة عربية ، أخذوا بعضها من اللغة الفصحى كالانبيق والغول والالقباء والابجدية والبرقوق والتكويم والطبيب ودار الصناعة ، واخذوا بعضه الآخر من العامية السائدة كالافندي والآغا والعيش وكلمة بزاف المغربية (وهي بمعنى كثير). وتصرفوا ببعض الاسماء المشهورة تصرفا ليس فيه ذوق فقالوا: افيسين لابن سينا ، وافروس لابن رشد ، وصلادان لصلاح الدين ، وابدل لعبد الله ، بينما حافظ العرب قديما على النطق الاصيل فى الترجمة فقالوا: ارطماطيقا وفيزيقا وجيومطريقا .

ونحن فى هذا العصر نقول : بتروغرافيا وستراتيغرافيا وخوزه ولونا . واذا لم يكن لبعض الحروف الاجنبية مقابل عربى مثل .E.G.P قانا نقربها بقدر الامكان من حرف شبيه ، ولهذا عدل عن البصابات الى البزابيت مثلا . وقد وضع المجمع اللغوى بعض القواعد لذلك ، نرجو أن تنتشر وتطبق. ولغتنا كريمة معطاءة تساعدنا على الترجمة الدقيقة ، والشعب الذى لا يستخدم لغته القومية فى التعليم وفى الادارة شعب مستعبد ثقافيا لسواه ، وشهامتنا العربية تأبى لنا مذلة الجهل ، وديننا يامرنا بالعلم وبالعمل: «هل يستوى الذين يعلمون والذين لايعلمون» «والارض يرثها عباد الله الصالحون لاعمارها والحياة فيها . «وقل اعملوا فسيرى الله عملكم» .

الرباط : ممدوح حقي

رحلة مع المفكر العربي

ساطع الحصري

بين تطور التعليم . وصيانة الثروة الأثرية الاسلامية

للدكتور ناجي معروف

عقد المؤرخ العراقي المعروف الاستاذ الدكتور ناجي معروف استاذ الحضارة العربية بجامعة بغداد وعضو المجمع العلمي العراقي ، وعضو مجمع اللغة العربية في دمشق المقال التالي لـ « دعوة الحق » وضمنه ذكرياته عن الرحلة الطويلة العانية التي قطعها المربي العربي والمفكر الكبير الاستاذ ساطع الحصري في بناء التعليم العربي والحفاظ على الثروة الاثارية العربية الاسلامية .

وكان الاستاذ الحصري قد كلف في اوائل الثلاثينات عندما كان يرأس دائرة الاثار ، الاستاذ معروف برئاسة أول بعثة آثار عراقية للتنقيب عن الآثار العباسية في سامراء حيث احاطت النقاب يومها عن جوانب هامة في التاريخ الاسلامي مضافا الى اول خطوة اتخذت يومذاك لصيانة واحد من اقدم الجوامع الاسلامية ومئذنته الملوية الشهيرة .

الدكتور معروف الذي شغل مدة طويلة منصب عميد كلية الاداب العراقية نشر حتى الآن اكثر من 30 كتابا في التاريخ الاسلامي مع عدد كبير من المقالات والبحوث . ونادى قبل عدة سنوات باعادة رفات الخليفة العباسي هرون الرشيد الى بغداد ، واعادة جامع قرطبة الى المسلمين .

وهذا هو المقال الاول في سلسلة من المقالات والدراسات التي خص (دعوة الحق) بهـــا .

توفي استاذنا العلامة ساطع الحصري يوم الاثنين الثالث والعشرين من كانون الاول سنـــة 1968 م ، وصلي عليه في جامع الإمام ابي حنيفة ، ودفن فـــي مقبرة الامام الاعظم بعد صلاة العصر فـي الساعـــة الثالثة والنصف . وكان قد ناهز التسعين من العمر . وقبره على بضع عشرات من الامتار مـــن ضريحي الشاعريـــن الكبيرين جميـل الزهـاوي ومعـروف الرصافي . وعلى مقربة من ضريح الاديب المرحـــوم احمد عزة الاعظمي ، وضريح الصوفي الزاهـد ابـــي بكـر الشبلي الشهير .

انا اذا ما ذكرنا للعربي الاستاذ ساطع الحصري فانما نذكر عددا من جلائل الاعمال التي لها اهميتها في تاريخ القومية العربية وفي تاريخ العراق المعاصر ، وفي تاريخ الامة العربية الحديث .

فاذا ذكرناه ذكرنا وزارة المعارف العراقيـــة ، وتبوءه ادارة المعارف العامـة فيهـــا ، ثـــم ادارة التدريسات العامة ، والعمل العظيم الـذي قام بـــه خلال ذلك ، وهـو تعريب التعليم في العراق بعـد ان كان باللغة التركية .

واذا ذكرناه ذكرنا آثار العراق وخدماته القيمة لتراثنا الحضاري فقد تولى مديرية الآثار القديمة ، وعني بكنوز العراق الاثرية ، والتنقيب عنها ، وحال دون تهريبها الى بلاد الغرب ، وانشأ لها المتاحف ، وسعى الى صيانة الآثار الماثلة منها ليطلع اهل العراق وسائر العرب والاجانب على الحضارة القديمة، وعلى الحضارة العربية التي ازدهرت فيه عبر العصور .

واذا ذكرنا الاستاذ ساطع الحصري ذكرنا بكل فخر واعتزاز جهوده الجبارة في بناء الوحدة العربية على اسس علمية ثابتة ؛ ومساعيه الحميدة في نشرها بين ابناء الامة العربية كافة ، حتى كون مدرسة قومية عربية يعتبر بحق عميدها الاول ، ورائدها السابق .

ولئن عرف المثقفون والمربون والاساتذة والعلماء في العراق والبلاد العربية فضل الاستاذ ساطع الحصري فلأنهم تتلمذوا عليه ، او زاملوه او تأثروا بآرائه في التربية والتعليم والقومية ، او درسوا مؤلفاته غير ان فريقا من الشباب المثقف الذي لم يتسنى لهم التعرف على شخصيته ولم يقرءوا عليه ولم يعرفوا الا بعض اخباره واعماله يتطلعون الى معرفة الشيء الكثير عن هذه الشخصية الفذة التي قدمت لامتنا وبلادنا مختلف الخدمات الجليلة .

ولقد اخبرني صديق شاب هو من الاطباء المعروفين ببغداد انه ما كان يعلم ان الاستاذ ساطع الحصري قد شغل مديرية الآثار القديمة وانه اظهر همة عالية في الحفاظ على آثار العراق والقيام بالتنقيب عن الآثار الاسلامية فيه لأول مرة لو لم يسمع ذلك مني في الندوة التلفزيونية التي عقدناها مع بعض الزملاء مساء يوم السبت الاول من شباط (فبراير 1 - 2 - 1969 بمناسبة مرور اربعين يوما على وفاته ولذلك ارى ان تنشر عنه دراسات تمثل جوانب حياته العديدة ، وفي الوقت نفسه اود لو يتخذ طلابنا في الدراسات العليا « من سيرته واعماله ومؤلفاته موضوعات لاطروحاتهم في القومية والتاريخ الحديث ، كما اهيب بالحكومة ان تعمل على انشاء مكتبة قومية يطلق عليها اسمه لتكون مصدرا لكل ما يكتب في « القومية العربية » وان تعمل على وضع نصب تذكاري له في احدى الساحات ، وان تشيد له تربة تليق به تقديرا لفضله وتخليدا لمآثره وتجعلها متحفا لآثاره ومؤلفاته ، وقديما كانت الترب تجمع اصناف المؤلفات العلمية والادبية . ومما يساعد على ذلك ان قبره على يسار الطريق المؤدي الى الجسر القديم في الاعظمية في ارض قالوا انها « ارض بكر » تقع بين سدرة ونخلة وليس بين القبر والطريق غير سياج مقبرة الاعظمية فما هو الا ان تعمد الحكومة الى بناء الضريح وتفتح له بابا من السياج المذكور ان لم تشأ ان تخصص له مكانا آخر .

ان من ابرز جهود الاستاذ ساطع الحصري التي عرفناها عندما كنا طلابه في دار المعلمين العالية حتى سنة 1922 ماكان يكتبه في مجلته المعروفة بمجلة « التربية والتعليم » وفي الحولية التي كان يصدرها باسم « الحولية الخلدونية » وفي محاضراته التي كان يلقيها في دار المعلمين العالية منذ ان اسسها في سنة 1923 م الى ان الغيت في سنة 1932 م حيث كان يحاضر في التربية ؛ واصول التدريس ، وعلم النفس ، وفلسفة العلوم ، وعلم الاجتماع . واما دأبه ومثابرته على الكتابة والتأليف الى اليوم الذي توفي فيه فمن الامور التي تدعو الى الدهشة والاستغراب . حس مرهف ، وذهن صاف ، وجسم لا يعرف الملل ولا التعب في التدريس وجمع المعلومات والاحصائيات . وكان يتابع الحركة الثقافية في العراق حتى عندما كان بعيدا عن العراق فقد كتب لي عدة مرات يطلب الاحصائيات عن كلية الشريعة ، وعن كلية الآداب ، وسائر كليات جامعة بغداد وبخاصة عن نسبة الزيادة في عدد الطلاب والطالبات ، والمدرسين والمدرسات ، وملاكات الهيئة التدريسية من الوطنيين والعرب والاجانب ؛ وحملة الشهادات العالية .

ويمكننا ان نعتبر الاستاذ ساطع الحصري بحق مؤسس المعارف في العراق واليه وحده يرجع الفضل في تعريب التعليم في العراق بأسره وفي نشر التعليم النظري والعملي فيه كما انه هو الذي وضع التعليم على اسس ثابتة في مراحله المختلفة ؛ وهو الذي التفت بوجه خاص الى التعليم الثانوي في العراق . ولعل اعظم ما ينسب الى الاستاذ ساطع الحصري انه خلص وزارة المعارف في العراق من مداخلات البريطانيين يومئذ وذلك بنشر آرائه في التربية ؛ وفي مقاومة الاستعمار ، وتوجيه الطلبة وجهة قومية فيما كان ينشره ويكتبه . ولذلك يعتبر استاذنا

الاول في القومية العربية ، بل كان يعني بالقومية حتى في اغلفة الدفاتر المدرسية التي جعلها مزخرفة بزخارف عربية ، وصور فيها كثيرا من صور الريازة تمثل الفن المعماري العربي في مختلف البلاد العربية والاسلامية . وكان يهدف من عمله هذا القضاء على الدفاتر التي كانت مصورة بصور اجنبية كما كان يهدف من وراء ذلك الى تنمية الذوق العربي بين طلاب المدارس وتعريفهم بآثارهم العربية في العالمين العربي والاسلامي .

وكان لا يألو جهدا في تتبع الحركات القومية في التاريخ وفي تأييد الآراء الصائبة التي يسمعها او يقرأها لعلماء العرب أو في الرد عليهم لا سيما على اولئك الذين كانوا يغمزون العرب او يطعنون في تراثهم بنسبته الى الفرس او اليونان والرومان.. الخ

وكان رحمه الله شديدا على دعاة الاقليمية وعلى محبذي اللهجة العامية ، ودعاة الفرعونية بمصر والفينيقية ببلاد الشام وغيرها من المبادىء التي كانت تفت في عضد الوحدة العربية ولما كنت احد تلاميذه في دار المعلمين العالية واول طالب اقترح ارساله الى باريس لدراسة الفن الاسلامي والتاريخ العربي واشتغلت معه في مديرية الآثار القديمة فاني اذكر له مواقف رائعة في جميع الحقول التي نوهت بها من ذلك :

1 – موقفه من الحرف العربي ومن المحاولات التي كانت ترمي الى الاخذ بالحروف اللاتينية وترك الحروف العربية اسوة بما فعله الاتراك وكان ذلك في حدود سنة 1931 اي في عهد قريب جدا من تبديل الاتراك لحروفهم العربية فقد انكر المرحوم ساطع الحصري بشدة على من كان يرى الراي بالنسبة للعرب وعد هذا العمل جنونا بل جريمة كبرى ، ومما قاله لنا يومئذ في احدى محاضراته في دار المعلمين العالية : لئن عمد الاتراك الى ترك الحروف العربية واستبدلوها بغيرها واتخذوا الحروف اللاتينية بدلا منها فلان الاتراك لا يملكون لانفسهم خطا ولا حرفا اما نحن العرب فان الخط العربي الجميل هو خطنا الذي ورثناه عن آبائنا ولم نقتبسه من احد وعلينا ان نعتني به ونحافظ عليه . وقال : ان تغيير الحرف العربي يفصل بيننا وبين تراثنا الزاخر بمآت الالوف من المخطوطات والمطبوعات ، ويباعد بين العرب والأمم الاسلامية التي مازالت تكتب بالخط العربي وتحافظ عليه وليس في ذلك ادنى مصلحة للعرب .

وعلاوة على ذلك فان الامة العربية لا تزال مشتتة في عدد من الاقطار المتباعدة لا تجمعها وحدة ولا يضمها اطار سياسي واحد فما يقرره قطر عربي قد لا يعترف به قطر عربي آخر وبذلك تنقسم البلاد العربية الى اقسام قد لا تلتقي ابدا

وكانت هذه الآراء من جملة دفاعه عن الخط العربي او الحرف العربي في المناقشات العلمية والمساجلات الكلامية التي جرت مرة بينه وبين نخبة من كرام الاساتذة والادباء الذين قلبوا هذا الامر على وجوهه المختلفة في ندوة خاصة بهم عقدت في بيت استاذنا المرحوم احمد حسن الزيات سنة 1931 م فخرجوا مجمعين على نتيجة واحدة هي الابقاء على الحرف العربي للاسباب المنوه بها ولانه بحد ذاته تراث عربي اصيل ، وخط جميل تجب المحافظة عليه . وكانت الندوة تضم بعض اساتذتنا في دار المعلمين العالية وهم : يومئذ الاستاذ

ساطع الحصري

طه الهاشمي

طه الراوي

ناجي الاصيل

احمد حسن الزيات

مضافا اليهم : معروف الرصافي

وعبد العزيز الثعالبي

وقد انتقلوا جميعا الى رحمة الله تعالى .

2 – موقفه من دعاة الاقليمية والفرعونية : وقد رد عليهم في مختلف كتبه ومقالاته في جميع الفرص التي اتيحت له . ومما اذكره في هذا الصدد رده على المرحوم الدكتور طه حسين واثباته عروبة مصر والمصريين ذلك انني التقيت بالدكتور طه حسين في 1 – 1 – 1938 على ظهر الباخرة « ماريت باشا » في البحر المتوسط وكنت يومئذ في طريقي الى السوربون بباريس لاكمال دراستي العالية . وكان على ظهر الباخرة فريق من شباب العراق وشباب العرب من مختلف البلاد العربية فتحلقنا حوله حلقة كبيرة وكانت بينه وبيني مناقشات ادبية ، ومجادلات في

التقطت الصورة خلال احتفالات الذكرى الالفية لبغداد والكندي عام 1961 ، ويبدو فيها من اليمين الى اليسار :
عجاج نويهض صاحب حاضر العالم الاسلامي ، وساطع الحصري والدكتور ناجي معروف فالاستاذ جميل بيهم ؛ وفي الجهة المقابلة صبيح الغافقي صاحب جريدة الحارس والمراسل السابق لقسم الاعلام في جامعة الدول العربية .

الاستاذ ساطع الحصري ، وكريمته السيدة سلوى ثم الدكتور ناجي معروف ، ويظهر في الصورة عالم اللغة اللبناني الشيخ نديم الجسر مفتي طرابلس

القومية العربية ، وعروبة مصر وسورية والعراق وبلاد المغرب وشمالي افريقية ، وتحدثنا طويلا عن الحركة الثقافية ببغداد بعد سقوط الدولة العباسية كما تحدثنا في القضايا القومية لا سيما فيما يراد بكلمة عربي ، وشرقي ، وعروبة مصر . وكان الدكتور طه حسين يحاول ان يقنعنا بان مصر فرعونية وان كل شيء فيها مصري وان علاقتها بالامة العربية علاقة لغوية فقط ولما كانت المناقشة بيني وبين الدكتور طه حسين شيقة جدا وعلى مستوى عال من الأدب فقد انبرى احد الطلاب السوريين (من اسرة الكزبري) وكان يومئذ قوميا متحمسا الى تدوين المناقشة التي جرت بيني وبين الدكتور طه حسين فيما يتعلق بالناحية القومية وقد نشر هذا الحديث في احدى المجلات اللبنانية وهي مجلة (المكشوف) البيروتية وقد اطلع الاستاذ المرحوم ساطع الحصري على ذلك فنشر مقالا فند باسلوبه الخاص آراء الدكتور طه حسين في الفرعونية واثبت له فيه عروبة مصر . وفي اوائل سنة 1939 م عندما زار الاستاذ ساطع الحصري فرانسة واسبانية سالني عن ذلك اللقاء وما دار فيه من مناقشات فزودته بتفصيلات كثيرة عن تلك المناقشة . ولقيت الآراء التي نشرها الاستاذ ساطع الحصري عن هذا الموضوع صدى في الاوساط القومية وقد نشرها في كتابه « اراء واحاديث في الوطنية والقومية (1) » كما عملت انها ترجمت الى اللغة الانكليزية وجعلت مقدمة لاحد الكتب المؤلفة في هذا الشان .

3 — مآثره القومية : فقد كان ينشر الكثير من البحوث التي لها علاقة بامجاد العرب ، وبحوثهم العلمية من ذلك : البحوث التي نشرها عن « الحساب عند العرب » وعن « قرطبة وجامعها » بمناسبة مرور الف سنة على قيام الخلافة فيها ، ثم « الاعياد والايام القومية » « ومشاهير العلماء العرب » كالرئيس ابي علي بن سينا وابي القاسم الزهراوي الجراح .. ولعل من اهم الامور التي كان ينبه اليها هي الامور التي اطلع عليها بنفسه من ذلك مانشره عن « قبر امرئ القيس ملك كنده » وشاعر العرب العظيم في الجاهلية . وكان قبره موجودا في قلعة انقرة في جبل يطلق عليه العرب اسم « عسيب » ويطلق عليه الاتراك « عرب مزاري » اي المزار العربي وكان القبر معروفا حتى سنة 1935 م ويظهر ان كمال اتا تورك حاول ان يعفي على قبره تمشيا مع سياسته التي كانت ترمي الى القضاء على كل ماهو عربي .

4 — عنايته بالآثار العراقية والعربية : ذلك ان مديرية الآثار القديمة كانت من المجالات الحيوية المهمة التي ظهرت فيها عبقرية الاستاذ ساطع الحصري فقد شغل هذه المديرية نحو سبعة اعوام من سنة 1934 م حتى سنة 1941 م وكان اول مدير عربي فيها بعد ان سبقه كل من « مس بل » و « كوك » وهما من الانكليز ثم « يوردن » الالماني فوجه عنايته الى الآثار العراقية والعربية واهتم بالتنقيب في المدن العربية التي انشاها العرب في العراق في العصور الاسلامية : الكوفة وواسط وسامراء وكانت اهم اعماله في هذه المديرية تعريبها والاستغناء عن الاجانب الذين كانوا يعملون فيها بالتدريج . وكان هذا العمل من اهم الاسباب التي ادت الى فصله من وظيفته واسقاط الجنسية العراقية عنه ، وابعاده عن العراق في اعقاب ثورة مايس سنة 1941 مباشرة كما كانت في الوقت نفسه سببا في فصلي واعتقالي ببغداد والفاو والعمارة ؛ وقد كنت يومئذ اشتغل معه ملاحظا فنيا ورئيسا لبعض هيئة التنقيب بعد عودتي من فرانسة في سامراء وواسط .

ومن اعماله الكبرى في مديرية الآثار :

1 — تكوين هياة عراقية للتنقيب عن الآثار يراسها موظفون عراقيون في سامراء وواسط والكوفة فيتوى وخرصابات وتعين مراقبين عراقيين لمراقبة البعثات الاجنبية التي تنقب في البلاد ليتدربوا على ايدي العلماء الآثاريين الاجانب الذين كانوا يقومون باعمال الحفر والتحري عن الآثار .

2 — وضع قاعدة لاقتسام الآثار التي يكتشفها المنقبون الاجانب بحيث لا تهضم حقوق العراق فقرر قسمة النسخ المكررة واحتفظ للعراق بكل النسخ غير المكررة بعد ان كانت تمنح بطريقة الاقتراع .

3 — سن قانونا جديدا في سنة 1936 م يراعي مصلحة العراق والناحية العلمية معا . وقد اعترف المؤتمر الدولي للحفريات الذي انعقد بالقاهرة سنة 1937 م بان قانون الآثار كان احسن القوانين الموضوعة في العالم .

---

1 — ص 109 — 130

4 ـ عمل على نشر كتب ورسائل عن سامراء والاخيضر والقصر العباسي ، وجسر حربي ، ومعارض القصر العباسي » وباب الغيبة » باسم المديرية وليس باسم الاشخاص الذين شاركوا في تأليفها .

5 ـ نشر دليلا عليها للمتحف العراقي ، وآخر لمتحف الآثار العربية في خان مرجان .

6 ـ اسس متحف الآثار العربية في خان امين الدين مرجان ، ومتحف الاسلحة في الباب الوسطاني ، ومتحف الازياء في الباب الشرقي ، ومتحف سامراء ، وآخر لبابل ، وكانت النية متجهة الى انشاء ، متحف في الموصل وآخر في البصرة بعد القيام بالتنقيب في البصرة القديمة وثالث في النجف تجمع فيه الكنوز الفنية الموجودة في العتبات المقدسة وقد مهد لذلك بتسجيل تلك النفائس وتصويرها

7 ـ والاستاذ ساطع الحصري هو الذي استحصل موافقة وزارة المالية لتخصيص الارض الكافية لانشاء المتحف العراقي عليها في جانب الكرخ . وقد تمكن ان يبنى فيها : المدخل الاشوري ويزينه بالثيران الاشوريه المجنحة . ويضع في المدخل البابلي نسخة من تمثال اسد بابل ، كما حصل على قطعة ارض كبيرة كانت مدرسة للصنائع في الباب الشرقي وكان يريد ان ينشيء عليها دارا فخمة للآثار العربية على الطراز العربي .

8 ـ اما اعمال الصيانة وتسجيل الآثار وتصويرها فقد وصلت على عهده الى رقم قياسي لم تصل اليه في اي عهد من العهود من ذلك 1 ـ صيانة معالم القصر العباسي في قلعة وزارة الدفاع وهو في رأينا « المدرسة الشرابية » التي انشاها مقدم الجيوش ابو الفضائل اقبال الشرابي في خلافة المستنصر بالله العباسي وقد اتخذ هذه البناية معرضا لبعض الآثار العراقية ولصور الريازة العربية . 2 ـ صيانة خان مرجان واعادته الى حالته الاصلية وخان مرجان يزدان بازوج قاعة تتمثل فيها الريازة العراقية ، وهو المثل الوحيد من نوعه ليس في العراق بل في البلاد العربية كافة . وقد اتخذ منه دارا للآثار العربية ببغداد .

3 ـ عمر منارة سوق الغزل لقيمتها التاريخية لانها في مكان منارة جامع الخليفة المعروف بجامع « القصر » اي قصر التاج بلاط الخلفاء

4 ـ خان الباب الوسطاني احد ابواب بغداد الشرقية واتخذ منه متحفا للاسلحة التي بذل جهدا كبيرا في جمعها

5 ـ صيانة جسر حربى قرب مدينة بلد في طريق سامراء وهو قنطرة كبيرة شيدت بالاجر على نهر دجيل المستنصري شيدها الخليفة المستنصر العباسي سنة 629 هـ

6 ـ صيانة المسجد الجامع بسامراء المعروف بجامع المعتصم بالله ابن الرشيد مع منارته الملوية

7 ـ صيانة جامع ابي دلف الذي يعرف باسم بانيه المتوكل على الله العباسي مع منارته الملوية بسامراء

8 ـ صيانة بيت الخليفة او باب العامة بسامراء وهو جزء من دار الخلافة بسامراء لاتزال اواونه الثلاثة قائمة

9 ـ صيانة ايوان دار القرآن المستنصرية ذي الزخارف الاجرية الرائعة وكان محلا لبيع الكاهي (نوع من الحلويات) ثم اصبح محلا لبيع الاحذية

10 ـ وحاول ان يخلص مدرسة الفقه المستنصرية التي كانت مخزنا للمشروبات الروحية والبضائع المختلفة بعد ان كانت اول جامعة في العالم . وقد تمكن من صيانة اسسها المحاذية لنهر دجلة وبروز بعض معالمها .

11 ـ اما اعمال التنقيب فكانت كثيرة كذلك منها 1 ـ التنقيب والحفر بمدينة واسط واظهار جامع الحجاج الثقفي الذي كانت مساحة عشرة الاف متر مربع واظهار بعض اقسام من دار الامارة التي كانت مساحتها اربعين الف متر مربع 2 ـ صيانة المنارتين اللتين على جانب باب واسط وهو الباب الذي نرى انه كان باب المدرسة الشرابية التي انشأها اقبال الشرابي بواسط كما بينا ذلك في كتابنا عن « مدارس واسط » 3 ـ الحفر والتنقيب في عدة اماكن مختلفة من سامراء ، كالحفريات التي اجريتها في الشارع الاعظم الذي يبلغ عرضه 100 متر . والحفر حول جامع ابي دلف ، والمسجد الجامع ، وفي بيت



يبدو في الصورة من اليمين احد المستشرقين ، ثم المرحوم الدكتور ناجي الاصيل رئيس المجمع العلمي العراقي ، فالاستاذ الحصري والدكتور ناجي معروف ، والاستاذ جميل بيهم ثم السيدة سلوى كريمة الاستاذ الحصري فاحد اعضاء الوفود العربية الى المؤتمر .

الخليفة . وفي قادسية سامراء ، والعثور على معامل الزجاج التي كانت فيها . 4 ـ الحفر والتنقيب في دار الامارة في الكوفة التي بنيت في عهد سعد بن ابي وقاص في خلافة عمر بن الخطاب . وكان رحمه الله مصمما على التنقيب ببغداد في محل المدينة المدورة وهي مدينة السلام التي بناها ابو جعفر المنصور في سنة 145 ـ 149 هـ وقد مهدنا لذلك بجولة نهرية بين اعلي الكاظمية والاعظمية واسفل بغداد . وكان معنا الدكتور يوردن الالماني المستشار الفني لمديرية الاثار يومئذ وقد اطلعنا في هذه الجولة على فوهة قناة يشاهدها الراكب من الزورق في شمالي مخزن الحبوب في العطيفية واجحج انها هي فوهة القناة التي جرها المنصور تحت الارض في عقود وثيقة من الآجر والنورة الى قصره المعروف بقصر الذهب او قصر باب الذهب وسط المدينة المدورة .

12 ـ ومن اجل اثار المرحوم ساطع الحصري مكتبة دار الاثار التي تعد اليوم اضخم مكتبة علمية في العراق لاحتوائها على اهم مصادر تاريخ العراق ، والحضارة العربية والاسلامية . وكان يسعى الى تكوين مكتبة اثرية في كل متحف يتم انشاؤه في مراكز المحافظات العراقية لتثقيف الطلبة والعلماء والاهالي والزوار من العرب والمسلمين والاجانب .

وبعد فهذه نماذج قليلة وامثلة موجزة من حياة الراحل الكريم استاذنا العربي ساطع الحصري ذكرتها على سبيل المثال لا الحصر بمناسبة ذكراه التي تتجدد في كل عام لعلي أكون قد وفيت ابا خلدون لبعض ماله علي من حقوق والله تعالى ارجو ان يسعه في رحمته ويسكنه فسيح جنته .

الدكتور ناجي معروف
استاذ الحضارة العربية بجامعة بغداد
عضو المجمع العلمي العراقي
عضو مجمع اللغة العربية بدمشق

حكاية المصطلحات الأدبية والكنى

للأستاذ محمد أحمد هنطش

تتردد في كتب الادب والتاريخ مصطلحات وكنى، لم يكن اطلاقها عفويا ولا محض مصادفة ، بل كان لاكثرها حكاية وسبب ، وسنحاول فيما نكتب ان نشير الى هذه الاسباب ، لعل فيها للقارىء الناشىء هداية ومعرفة ، فمثلا :

(ذات الخمار) هي هنيدة بنت صعصعة عمة الفرزدق ، كانت تقول :

من جاءت من نساء العرب باربعة يحل لها ان تضع خمارها عندهم ، فان أبي صعصعة ، وأخي غالب ، وخالي الاقرع بن حابس ، وزوجي الزبرقان بن بدر ، فسميت ذات الخمار .

وقال الزبير بن بكار ، كان هند بن ابي هالة ربيب النبي صلى الله عليه وسلم يرد عليها فيقول : ان اكرم الناس اربعة : ابي رسول الله ، وامي خديجة واختي فاطمة ، واخي القاسم ، فهؤلاء الاربعة لا اربعتها . (ذات النطاقين) اتى عبد الله ابن ابي بكر الغار ليلا بالسفرة ، ومعه اخته اسماء ، وما كان للسفرة شناق ، فشقت من نطاقها شقة فشنقتها بها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : قد أبدلك الله بنطاقك هذا نطاقين في الجنة ، وقيل كان لها نطاقان تحمل في أحدهما الزاد الى الغار ، وقيل كانت تظاهر بنطاقين لزيادة التستر ، فسميت ذات النطاقين .

(ذو النورين) : لقب عثمان رضي الله عنه ، لانه كان هو ورقية احسن زوجين في الاسلام، فالنور نور نفسه ونور رقية ، وقيل المراد بالنورين ، رقية وأم كلثوم ، وعن النزال بن سبرة ، سألت عليا عن عثمان رضي الله عنهما ، فقال : ذاك امرؤ يدعى في الملأ الاعلى ذا النورين ، كان ختن رسول الله صلى الله عليه وسلم على ابنتيه ، وقالوا ما تزوج بنتي نبي غير عثمان .

(ذو الشهادتين) : خزيمة بن ثابت الانصاري ، روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم استقضاه يهودي دينا ، فقال عليه السلام : أو لم اقضك ؟ فطلب البينة . فقال لاصحابه ، أيكم يشهد لي ؟ فقال خزيمة انا يارسول الله ، نحن نصدقك على الوحي من السماء فكيف لا نصدقك على انك قضيته ؟ فانفذ شهادته وسماه بذلك ، لانه صير شهادته بشهادة رجلين .

(ذو العينين) هو قتادة بن النعمان الانصاري ، اصيبت عينه يوم احد ، فسقطت على خده ، فردها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكانت احسن عينيه ، واصح من الاخرى ، وكانت تعتل الباقية ولا تعتل المردودة .

(ذو الدمعة): هو الحسين بن زيد بن علي ، كان كثير البكاء ، وكان يقول اذا قيل له في ذلك ، وهل تركت النار والسهمان لي مضحكا ؟ يريد السهمين اللذين أصابا زيد بن علي ويحيى بن زيد .

(ذو الثدية) حرقوص بن زهير ، باب الخوارج وكبيرهم ، الذي علمهم الضلال . وجد يوم النهروان بين القتلى . فقال علي رضي الله عنه : التوني بيده المخدجة (1) ، فاتي بها ، فامر بنصبها . وقال سمعت رسول الله يقول : يخرج قوم من أمتي يقرأون القرآن ليس قراءتكم الى قراءتهم شيئا ، ولا صلاتكم الى صلاتهم شيئا ، ولا صيامكم الى صيامهم شيئا ،

(1) المخدجة : الناقصة

يقرأون القرآن يحسبون أنه لهم وهو عليهم ، لايجاوز تراقيهم ، يمرقون من الاسلام كما يمرق السهم من الرمية ، وآية ذلك ان فيهم رجلا له عضد ، وليس له ذراع ، على عضده مثل حلمة الثدي ، عليه شعيرات بيض .

(ذو المشهرة) أبو دجانه الانصاري ، كانت له مشهرة يلبسها ويتخايل بين الصفين .

(ذو الرياستين) الفضل بن سهل لانه دبر أمر السيف والقلم ، وولي رياسة الجيوش والدواوين .

(المطيبون) بنو عبد مناف ، وبنو أسد بن عبد العزى ، وزهرة بن كلاب وتيم بن مرة ، والحارث بن فهر ، غمسوا أيديهم في خلوق ثم تحالفوا .

(الاحلاف) : بنو عبد الدار وبنو مخزوم وبنو جمح وبنو سهم وبنو عدى ، نحروا جزورا وغمسوا أيديهم في دمها ، فسموا لعقة الدم ، ولم يل الخلافة من الاحلاف الا واحدا ، هو عمر رضي الله عنه ، والباقون من المطيبين .

(الاحابيش) : هم الذين حالفوا قريشا من القبائل ، اجتمعوا بذنب (حبشي) جبل بمكة ، فتحالفوا بالله أنهم يد على من خالفهم ، ماسجى ليل ومارسا حبشي مكانه . وقيل هو من التحبيش وهو الاجتماع ، الواحد أحبوش .

(الحمس) حمس قريش وكنانه وخزاعه وعامر وثقيف ، لتحمسهم في دينهم ، يقال لهم الحمس ولغيرهم الحل ، تقول على هذا اجتمع الناس كلهم حمسهم وحلهم ، وفي الصحاح سميت قريش وكنانة حمسا ، لتشددهم في دينهم ، لانهم كانوا لايستظلون أيام منى ولا يدخلون البيوت من أبوابها ، ولا يسألون السمن ولا يلقطون الخلة . والاحمس المكان الصلب ، والحماسة الشجاعة

(الفجار) : خثعم لانهم لم يكونوا يحجون البيت في الجاهلية .

(العنابس): حرب وأبو سفيان وعمرو وأبو عمرو وبنو أمية لانهم شبهوا بالاسد .

في حرب الفجار .

(شيبة الحمد) عبد المطلب لقب بشيبة، لانه كانت في رأسه حين ولد ، قال حذافة ، قيل له عبد المطلب ، لان عمه المطلب مر به في سوق مكة مردفا له فجعلوا يقولون من هذا وراءك ؟ فيقول عبد لي .

(الكامل) سعد بن عبادة لانه كان يكتب ويحسن الرمي .

(يعسوب قريش) : عبد الرحمن بن عتاب بن أسيد ، شهيد الجمل فمر به علي مقتولا . فقال لهفي على يعسوب قريش .

(ليلة الهرير) : كان فيها اشد القتال بصفين .

(عام الحزن) : توفيت فيه خديجة رضي الله عنها وأبو طالب في عام سبت من الوحي فسمى النبي عليه السلام ذلك العام عام الحزن .

(بحر الصقر) قال البديع والله لقد صادفت من فمه صقرا ، ومن يده صخرا ، ومن أنامله سم الخياط ، لايرشح بقيراط .

(نتن الهدهد) : هو منتن البدن كالتيوس والحيات والظرابين ، قال ابن المعتز :

تشاغلت عنا ابا الطيب ... بغير شهى ولا طيب

يأتين من هدهد ميت ... اصيب فكفن في جورب

وقيل :

أثنى على بما علمت فانني
اثنى عليك بمثل ريح الجورب

(خمر بابل) : هو عند العرب أفضل الخمور قال الشاعر :

شربت خمسا من كروم بابل
فصرت من عقلي على مراحل

(حد الاحد) كان قدار بن سالف ومن تابعه من ثمود ، عقروا الناقة يوم الاربعاء فصبحهم العذاب يوم الاحد ، وفي الحديث : تعوذوا بالله من شر يوم الاحد

(ريق المزن) قال الشاعر :

ريق الحبيب بريق المزن والعنب
اذا قنى ثمرات اللهو والطرب

وقد سرقت من الايام صفوتها
فكيف اهرب منها وهي في طلبي

(أثافي الشر) : قال الاصمعي : كان جرير والفرزدق والاخطل من أثافي الشر ، تهاجوا اربعين سنة .

(قبر ابى رغال) هو الذى يرجمه الناس اذا أتوا مكة ، وكان وجهه صالح النبى على الصدقات فخالف واساء السيرة ، فوثبت عليه ثقيف فقتلته ، قال مسكين الدارمى :

وأرجم قبره فى كل عام
كرجم الناس قبر أبى رغال

(نجدة الخارجى) : قال الجاحظ قد علمنا ان استفاضة النجدة فى جميع أصناف الخوارج وتقدمهم فيها انما هو بسبب الديانة ، لانا نجد عبيدهم وامامهم ونساءهم يقاتلون كقتالهم ، تستوى حالاتهم فى النجدة مع اختلاف انسابهم وبلدانهم ، وفى هذا دليل على ان الذى سوى بينهم التدين .

(أكل الصوفى) يقال آكل من صوفى لانهم يدينون بكثرة الاكل ، ويختصون بعظم اللقم .

(عاهات الملوك) فالج ابن ابى دوءاد ، ولقوة معاوية ، وبخر عبد الملك ، وبرص أنس ابن مالك وجذام ابن قلابة ، وعمى حسان ، وصمم ابن سيرين.

وأما قولنا فى الكنى فمنها :

(أبو يحيى) : كنية ملك الموت ، قال ابن الرومى

وادعو له بالعمر طول حياته
ويضحك منى فى الكمين ابويحيى

(أبو البيضاء) كنية الحبشى ، قال الشاعر :

أبو غالب ضد اسمه واكتنائه
كما قد ترى الزنجى يدعى بعنبر

ويكنى أبا البيضاء واللون أسود
ولكنهم جاءوا بها للتطير

(أبو ظريف) كنية القرح ، قال الشاعر :

قالت غاضد لنا ازارا معلما
فأبو ظريف ما عليه ازار

(ابو ايوب) : الجمل ، (ابو الحجاج) قيل الحبشة ، واسمه محمود ، (أبو الحارث) الاسد (أبو الحصين) الثعلب ، (أبو اليقظان) الديك ، (أبو الواحة) الثوم ، (أبو الامن) الشبع ، (أم الكتاب) الفاتحة ، (أم القرى) مكة ، (أم النجوم) المجرة أو السماء ، قال تابط شرا :

يرى الوحشة الانس الانيس ويهتدى
بحيث اهتدت أم النجوم الشوابك

(أم عامر) الضبع ، (أم الخل) الخمر ، قال مرادس بن خداش :

رميت بأم الخيل حبة قلبه
فلم يستفق منها ثلاث ليال

(أم الندامة) العجلة ، (ابن يجدتها) الهاء عائدة على الارض ، أى العالم بها (ابن الغمد) السيف، (ابن الدهر) النهار (ابنة الجبل) الصدا ، يقولون فلان ابنة الجبل ، اى يجيب كل أحد ، (بنات الدهر) حوادثه ، قال الشاعر

نكحت بنات الدهر من غير خطبة
فما برحت حتى ملبن سواديا

(بنيات الليل) الاحلام والنساء، (بنات الصدور) ما تضمره من خير وشر (بنات اللهو) الاوتار، وكانت قريش تؤرخ ببناء الكعبة وعام الفيل وموت هشام وكانت بنوه تسمى ريحانة قريش ، لحظوة نسائها عند الرجال .

(حمالة الحطب) هى أم جميل بنت حرب أخت أبى سفيان ، قال الشاعر :

جمعت شتى وقد اديتها جملا
لانت أحسن من حمالة الحطب

(زوانى الهند) صار الزنا فى الهند لوفور البظر والبظراء أشد غلمة .

(بيت عاتكة) يضرب مثلا فيما تعرض عنه بوجهك ، وتقبل عليه بقلبك ، وهو من قول الاحوص:

يابيت عاتكة التى اتغزل
حذر العدا وبه الفؤاد موكل

انى لامنحك الصدود واننى
قسما اليك مع الصدود لاميل

(سوداء العروس) جارية سوداء تبرز امامها ، وتقف بازائها ليكون ذلك اظهر لمحاسنها .

(عبد العين) هو الذى يخدمك ما كنت تراه فاذا غبت زال ذلك ، قال الشاعر :

ومولى كعبد العين اما لقاؤه
فيرضى واما غيبه فظنين

القاهرة محمد احمد هنطش

من فرويد الى لاكان

دراسة للدكتور هينار

عرض وتحليل الاستاذ عبد الرحمن بنعبد الله

ان الدكتور هينار في غنى عن كل تعريف ، كما ان آثاره لا تحتاج الى التمهيد والتقرير ، في اوربا عموما وفي البلاد الفرنسية بوجه الخصوص فهو زعيم المدرسة التحليلية في هذا الموطن ، وهو رسول فرويد الى هذا البلد ، قضى حياته في التعريف به وباعماله حتى اختطفته يد المنون يوم السابع عشر من ابريل سنة 1969 عن سن تناهز الثالثة والثمانين .

والكتاب الذي نقدمه اليوم للقارىء الكريم هو آخر ما خلفه الراحل الكبير قبل ان يبارح دار الفناء الى دار البقاء . وقد كان يعتزم ، على سنه الطاعنة ، ان يكتب عن العلاقات الانسانية كتابا كان يريد به ان يقدم التحليل النفسي بوصفه رباطا ومكاشفة ، واتصالا وثيقا بين الفرد والاخصائي وبين الفرد وغيره من الافراد مهما تعددت المشارب والجنسيات ، فالحياة في باصرتيه وشيجة تتضح رؤيتها الشمولية في تفاعلات الافراد من خلال علاقاتهم ببعضهم .

واذا كان القدر لم يمهله ، فانه لم يهمله ايضا ، لان الكاتب كان رائدا للمدرسة التحليلية ينهض باعبائها ويتزعم مسيرتها في وطنه دون ان يغفل التيارات الجارفة التي اجتاحت عالم التحليل النفسي منذ ان تمرس بهذه الصناعة حتى وفاته ، فقد اصدر في كهولته مؤلفا اسماه : « خلق بدون اثم » Morale sans péché مما اثار ضغينة الكنيسة وسخطها في اوربا بكاملها . والحدث في حد ذاته قابل للتفسير والتحليل ، ذلك ان الكنيسة الكاثوليكية ، خاصة ، تفقد ذاتيتها وكيانها اذا عمت بين اشياعها ومناهضيها فكرة الخلق الذي يتنكر للاثم ولا يفتقد الحاجة الى الاعتراف والاقرار . ورغم ذلك كله فانه لم يعبأ بالضجة المصطنعة التي افتعلها رجال الدين في موطنه وفي غيره من بلدان العالم المسيحي ولم يكترث للقرار الذي اتخذته الكنيسة في حقه بابعاده عن حقل الدين وشؤونه ، بل كان يقابله بالدعابة واللطف والبشاشة لانه عبر ، في موضوعية وتجرد ، عن مقولة العلم في شأن التربية ومبادىء الاخلاق .

وقد مهد الاستاذ الجليل « موكلي » لآخر آثاره، عند احياء الذكرى السنوية الاولى لوفاته ، بتوطئة لانخالها قد بخست الكتاب ولا كتابه حقهما من التقدير والاجلال ، فقد كان على صلة وطيدة بالمؤلف ، يشاطره معظم ارائه في المفاهيم التي تمخضت عنها جهود العلماء في هذا المجال ايا كانت مواطنهم ومهما تعارضت آراؤهم ومنازعهم . فقد اقر الاستاذ « موكلي » على نسق العالم الراحل ، بان نظريات فرويد تحتاج الى المراجعة والتمحيص والتطعيم دون ان يكون في ذلك تنكر للجهد الذي بذله النابغة الكبير، لانه اللبنة التي توضع في صرح المعرفة قبل ان توضع على محك التجربة ولانه الافق الذي يتفتح على النور والامل ويتوسل طريق التجربة والاستدلال قبل ان يقول كلمته الفاصلة في ماهية الفرد والجماعات.

ومن افضال الدكتور هينار انه لم يقصر نشاطه الدائب على زعامة المدرسة التحليلية في بلاده ولم ينفق وقته الغالي في التعريف بمؤسس المدرسة وآثاره فحسب لقد تعداهما الى جلاء الميادين التي لعب فيها التحليل النفسي دوره الحاسم : اذ انه انطلق بها الى غاياتها التي كانت تهفو اليها ولم يتيسر لها تحقيقها الا بعد ان قويت بروافد هذه المدرسة . فالتحليل النفسي كما يؤكد العالم البلجيكي « بيير داكو » موقف انساني وفلسفة انسانية قبل ان يكون وسيلة من وسائل العلاج والاستشفاء . ويمكن القول انه قد حقق اهدافه وخدم اغراضه حين نبذ عنه طابع التزمت والانطواء واخذ باسباب المرونة والتفتح فكان غنما للعلوم الانسانية وغيرها من ميادين المعرفة (1) . وقد سلخ العلماء (بما فيهم صاحب الكتاب) سنوات طوالا من اعمارهم في اقرار حقيقة المنهج التحليلي ومقاصده وتبيان اصالة الفكر التحليلي وفعاليته فقاسوا الامرين ؛ وما زالوا على الدرب سائرين ؛ وقد اتسمت مرحلية المعركة التي خاضها العلماء لنشر مبادىء فرويد بالبطء وقوبلت باللامبالاة والعرقلة فاقتصرت في بادىء الامر على بعض المحافل الادبية والطبية لتجتذب فيما بعد ، كثير من العناء ، نفرا قليلا من اطباء العقل الذين تبنوها كمعطيات علمية تساير النشاط المهني الذي يمارسونه ولا تتعارض ونظريات الطب العقلي على صورته البدائية وفي تطوره البطيء وتطلعاته اللاحقة.

وتتجلى عبقرية الدكتور هينار في الرهان الذي فاز به عندما تصدى للتعريف بهذه المدرسة واستقطب صفوة ممتازة من العلماء الفرنسيين في بلاد قال عنها فرويد نفسه سنة 1927 في كتابه : « مساهمة في دراسة الحركة التحليلية (2) » : ان فرنسا آخر من آمن بالخصائص العلمانية للمدرسة التحليلية في بلاد الغرب كافة . وقد ظهرت اولى بوادر التعاطف في جنوب البلاد الفرنسية . ويعزو بعض العلماء في العصر الحاضر هذه الظاهرة الغريبة الى سوء فهم « الايديولوجية الفرودية » التي عرفت تحولات متواترة في توقانها الى اكتساب طابع الموضوعية ؛ لترقى الى مصاف العلوم البحتة دون التجرد من اغراضها الانسانية التي تتصل بالكائن البشري والمجتمع الانساني عامة . والواقع ان بعض رواد النقد الفلسفي ينظرون الى فرويد بوصفه علما ورائدا لا يقل شهرة وعصامية عن كبار المفكرين المحدثين كهيجل ونيتشه وماركس (3) . وفي اعتقاد لفيف آخر من العلماء ان ظاهرة اللامبالاة التي اختصت بها فرنسا دون غيرها من جيرانها ونظيراتها راجعة الى طبيعة الفكر الفرنسي الذي يلتزم مبادىء الوضوح والدقة في التفكير والتعبير عند تقييم كل مستجد من النظريات والآراء .

والحق ان تبادل الخبرة بين علم النفس عموما والعلوم الاخرى من انسانية وبحتة ؛ من المسلمات التي لا تقبل الجدل . فالكاتب يؤكد في تمهيده لكتابه ان التحليل النفسي ؛ وهو يعبر عن وفائه للاسس التي نادى بها مؤسس المدرسة ؛ لا يتقاعد عن اقتباس وتمثل المكاسب التي حققتها مختلف العلوم الاخرى . ويتبلور هذا التيار في الاستفادة من منجزات الانتروبولوجيا والظواهرية Phénoménologie وعلوم اللغة وغيرها . بل انه اخذ عن فن الخراطة ما يسر توضيح المفاهيم التحليلية . ويمكن القول ان التحليل النفسي يعتبر ميدانيا ؛ الشعبة العلمية الوحيدة التي رحبت بمختلف الاتجاهات والمنازع دون التخلي عن الموضوعية والواقعية العلمية المرنة التي تصنع منه دعامة وطيدة في بناء العلاقات الانسانية على اساس التكاشف والتعاطف والاتصال المتين كما اوردت ذلك « انافرويد » في مختلف آثارها (4) .

بيد ان الدكتور هينار لم يقف عند هذا الحد ؛ ذلك ان مؤلفه يستهدف القاء النور على كل الملابسات التي احاطت بمسيرة هذه المدرسة منذ ان قال

(1) راجع الكاتب في : مشكلة الاجرام على ضوء التحليل النفسي بالعدد الممتاز لمجلة البيان الكويتية ابريل 1970 ؛ صفحات 91 — 92 — 93 .

(2) S. Freud : Contribution à l'étude du mouvement psychanalytique (Essai de psychanalyse Payot 1948).

(3) De l'interprétation, essai sur Freud par P. Ricœur (Editions du Seuil)

(4) K. Horney : la névrose de notre temps (1937) et D. Lagache. La psychanalyse — Collection — Que sais-je ? N° 660, page 16.

عنها الفيلسوف برجسون : « ان القرن العشرين سيكون قرن اللاشعور » حتى ايامنا هذه حيث غزا التحليل النفسي جل مرافق الحياة فتعرض في بادىء الامر لهزات عنيفة على يد بعض اطباء العقل ذاتهم وانصاف المثقفين الذين اساءوا فهم اساليبه ومقاصده .

والحقيقة ان فكرة اللاشعور ظهرت في منتصف القرن التاسع عشر فلم تحفل بها الدوائر العلمية كثيرا ولم تنل من العناية الا النزر اليسير فقد كان اللاشعور في نظر العالمين « هارتمان » و « جانى » صفة توسم بها بعض ظواهر النشاط النفسي ، وجاء فرويد ليضيف اليه جديدا ويصنع منه علما ديناميكيا مستقلا يطبع حيزا موفورا من نشاط الحياة النفسية ويوجهها على ضوء معطيات الطفولة ومكاسب الشخصية مما اسدلت عليه الايام ستار البلى والنسيان . فألف في مطلع حياته جمعية دولية ما لبثت ان تعرضت للتصدع والشتات فتمخضت عنها في فرنسا جمعية ثانية لم تصمد ، رغم نشاطها المتوثب الخصب امام الوان الصراع المذهبي الذي كان يتوزع الامم الاوربية والامريكية . وتعرض كثير من العلماء ، على خلاعتهم ووفرة تجاربهم ، للقذف والازدراء بدعوى انهم حادوا عن الجادة وزيفوا مبادىء الرائد الكبير ولم يصونوا تراثه ولم يحتذوا نظرياته وآرائه ولا ساروا على خطته ومنهجه .

والمجالة التي نتولى كتابتها لقراء العربية المهتمين بشؤون التحليل النفسي عامة لا تهيئنا متسعا تقوى معه على الاضافة في عرض التطورات الهامة التي كادت ان تزلزل اركان هذه الشجرة الفتية في ميدان المعرفة ، التي تتناغم فيها الموضوعية والذاتية على وفاق . وحسبنا ان نشير الى ان الذهنية الفرنسية لا تهتم بالافكار المناهضة للرائد كما كان الشأن يوم استبدت بالاخصائيين نزوة الانفصال والفرقة بقدر ما تعنى اليوم بالطريقة التي يجب ترسمها في فهم الحدود التي تقف عندها وجهة النظر الفرودية (5) .

والى اصدقاء الفقيد واحبائه نقدم عبارات مواساتنا وعبارات تهنئتنا واعجابنا للجهد المنكرز الذي بذله باستمرار ولمدة خمسين سنة كاملة ، لتطبيق منهجية فرويد مما اهله لزعامة جمعية التحليل النفسي الفرنسية ما بين 1959 و 1960 . واذا كان الفقيد قد عاش مطلع حياته في عزلة وانطواء يكتنه مطاوي هذا العلم ويستقرىء مبادئه ويواجه حملات الاعراض والطعن الرخيص فقد استحق بعطائه الموفور وطيب عنصره ووجاهة ادلته ورصانة تفكيره ان يتبوا مكانه عضوا مؤسسا في أول جمعية للتحليل النفسي في فرنسا ، ليصبح غداة الحرب الكونية الاولى زعيما للمدرسة تشد له الرحال ويفتقد الاخصائيون اثاره فلا يجدون منها الا اقل من القليل .

لقد عاش الدكتور هينار تاريخ التحليل النفسي في وطنه وتصدى لتمثيله ، باتفاق مع رفقائه ، في كافة المحافل الرسمية . فقام بمهمة التقرير في مؤتمر اطباء النفس والعقل الفرنسيين بمدينة (بوزانسون) BESANSON سنة 1923 كما انه كان مقررا للمؤتمر الدولي لعلم النفس والعقل بباريس سنة 1950 ليترأس بعد ذلك مؤتمر بوردو الشهير سنة 1956 . والى شخص الفقيد يرجع الفضل في تطبيق التحليل النفسي على تنوع وتعارض الاوساط الاجتماعية ، خاصة في افريقيا الشمالية التي كان يكن لها حبا خالصا ولاهلها مودة سابقة . وكان يفتح صدره ويمد يده لكل الذين ابانوا عن حاجتهم الى غزارة معرفته وسعة اطلاعه وطول مراسه بهذه المهنة؛ فيغدق عليهم معونته ويشد ازرهم في مكابدة الحياة؛ بصرف النظر عن انتماءاتهم الدينية والسياسية . ومن بوادر التساهل في سليقة المؤلف انه لم يتوان قط عن تطبيق العلاج النفسي الذي يدعو الى تطويع وتمطيط النظرية التحليلية الاورثودكسية كلما دعت الضرورة الى ذلك . بل انه كان يسعى جهده لاذكاء جذوة الحوار المثمر البناء في مختلف المؤتمرات والجمعيات ويعتبر احتكاك الافكار وتصادمها افضل الوسائل لضمان نجاح الايديولوجية الفرودية في تطلعاتها الى الكمال .

ليس هدفنا من وراء هذا التقديم ابراز الهجمات التي تعرضت لها بعض الجمعيات أو النظريات ولا نحن نتصدى للدفاع عن كاتب معين او عقيدة معينة . فجل ما نرويه ان نؤرخ لفترة حاسمة من الفترات التي عاشها التحليل النفسي في بلاد ما فتئت تربطنا بها روابط الصداقة والمصلحة المتبادلة

(5) مقدمة الكتاب الذي نقدمه للقراء الكرام (ص 21) .

وقد شهدت هذه الفترة حدثا له اهميته ووزنه لا في فرنسا فحسب بل في كل اقطار المعمور : انه الخلاف الحاد الذي نشب بين الاستاذ « لاكان » وبين البعض من نظرائه في الجمعية الفرنسية ، وانتهت بانفصاله منها ، بما جمله يشيد مدرسة جديدة ويوطد لها الاسس والدعائم ويبحث لها عن الانصار والمشايعين.

وقد تساءل جمهور المثقفين ، في كثير من العجب ، عن المسوغات الخفية التي تكمن وراء الخلاف الذي دب في أوصال الحركة التحليلية في وقت كانت الانسانية ترى فيها انجع الطرق لتحقيق الوحدة البشرية عن طريق الحوار . وان صراعا من هذا القبيل ، بما اتسم به من شراسة وترجسية وعداء كما يقول صاحب الكتاب ، لمن شأنه ان يبتعد بأصحابه عن مبادىء الرائد الكبير .

وقد قسم الدكتور هينار كتابه الى خمسة فصول شفعها بخاتمة نأمل ان نوردها بشيء من الاسهاب لانها في اعتقادنا عصارة الفكر التحليلي في فرنسا التي ادارت ظهرها طويلا لمدرسة التحليل النفسي ، لتجتنب بعد ذلك من المفكرين افذاذا من امثال الدكتور هينار آمنوا بان الانسان ، مهما تباعدت الوانه واجناسه ولغاته واديانه ، في مسيس الحاجة الى اخيه الانسان .

يعالج المؤلف في الفصل الاول نشأة التحليل النفسي في بلاده قبيل الحرب الكونية الاولى ويسهب في تعداد العوامل التي ادت بها في البداية الى التعثر والتأرجح ، فيقول على الخصوص : أن الاخصائيين في فرنسا لم يكترثوا الا قليلا بهذه المدرسة لان الحرب المذكورة قلبت ، على يد الالمان ، كثيرا من الاوضاع الاجتماعية في امة كانت وما تزال تفاخر بأمجادها وحضارتها وتراثها ، علاوة على ان المفكرين الفرنسيين كانوا آنذاك يخلطون بين الفكر الالماني وبين الساسة الالمان . وغني عن البيان ان فرويد بحكم انتمائه الى النمسا ، كان يصدر عن اللغة الالمانية التي اجمع النقلة والتراجمة على ان النقل عنها امر جد عسير (6) .

ورغم ظواهر المقاومة والحذر الذي لقيته الفكرة التحليلية في فرنسا في مطالع القرن العشرين فقد وجدت هناك جماعات من العلماء انصرفت الى دراستها واكتناه حقيقتها وتقييم ابعادها وابراز امكاناتها على علوم الانسان ، على ندرة الموارد وقلة الاشياع والانصار ومكايد الخصوم والاعداء ، الامر الذي حفزها الى تأليف اول ودادية انبثقت عنها ، عقب الحرب الكونية الاولى ما يسمى اليوم بالجمعية الفرنسية للتحليل . ويجد القارىء في هذا الكتاب (ص 33) كشفا مفصلا بالاعمال التي قام بها اعضاء الجمعية في اطار الحملة الفرنسية للتحليل النفسي ومساهماتهم المشكورة في المؤتمرات الدولية التي عقدت حتى سنة 1965 .

والفصل الاول غني بالاحداث الحاسمة التي عاشتها الجمعية المذكورة . فقد تزعم الدكتور « ناخت NACHT » الذي قدمنا له كتابا حول المازوشية (7) حركة كان من نتائجها المباشرة اعتماد نظرة جديدة في استيعاب الفكر التحليلي ، فتألفت آنذاك وبصورة رسمية (سنة 1953) الجمعية الفرنسية للتحليل التي انتظمت ضمن ابرز اعضائها الدكتور (لاكاش) LAGACHE » بالسوربون(8) الذي كان يسعى جهده للتقريب بين علم النفس على صورته الديالكتية وبين التحليل النفسي الذي كان يتوخى غايات علاجية واهدافا انسانية يلتقي بعضها مع البعض الآخر دون كبير خلاف . واتسع نطاق العمل وامتد نشاط الجمعية فاشرفت على تنظيم لقاءات دولية كان اخطرها وابعدها اثرا في « ديرويايومون » بحضور الاستاذ ولهينس سنة 1958 . كما نظمت باتفاق مع الجمعية الهولندية وباشراف عميدها الدكتور « ويسترمان هولدستين » مناظرة تمت خلالها المقابلة بين نظريات التحليل في فرنسا ونظيراتها في هولندا . والذي يدعو الى الاعجاب ان جمعية التحليل النفسي الفرنسية قد منحت نفسا جديدا للمجموعات الدراسية التي تألفت في عاصمة فرنسا وفي غيرها من اقاليم هذه البلاد ، خاصة في استراسبورغ حيث كانت السيدة « بوتونيي » BOUTONIER استاذة الآداب في

(6) راجع : S. Freud : Introduction à la psychanalyse — Collection Payot — Paris.
(7) المازوشية لكاتب المقال ، مجلة البيان الكويتية ـ عدد ممتاز ـ ابريل 1972 (ص . 81) .
(8) D. Daniel Lagache La psychanalyse — Collection Que sais-je ? n° 660

جامعة هذه المدينة تواكب مسيرة المدرسة التحليلية المركزية وتقتبس عنها نظريات الرواد كالاستاذ « لاكان » الذى اثار انفصاله عن الجمعية نقعا كبيرا في اوساط الجمعية وفي غيرها من الاوساط الادبية. وفي اعتقاد الدكتور هينار ان خروج « لاكان » لم يكن من الاحداث التي يتقبلها الفكر في اوانها ويغفلها في غمرة التحولات التي تطرا على المؤسسة العلمية . ذلك ان الدكتور « لاكان » بارح الجمعية وهي تتخطى احدى الاطوار الحاسمة التي شهدت فيها اشعاعا عز نظيره ؛ فقد كانت تستقطب حينئذ اهتمام الانصار كما كانت مثار عناية الاوساط الثقافية وعامة القراء الذين يستهويهم التحليل النفسي . ومن الانصاف ان نقول ان موقف الاستاذ المعزول كان اقرب المواقف الى مبدا الرائد الكبير ؛ فيه وفاء وولاء واخلاص لمبادىء الجمعية التي كان ينتسب اليها ؛ مع الجنوح الى الانثروبولوجيا كعلم يستوي على نفس المبادىء التي اعتمدها التحليل النفسي ويلتقي معه في ميدان التجربة والتطبيق .

اما الفصل الثاني فقد افرده المؤلف لرسالة فرويد ؛ وقال بعد ان وصف النزعة الانفرادية التي عرفت عنها منذ وفاة صاحبها : اني اعتقد جازما بان العمل التحليلي غوص في اعماق الكائن البشري واستجلاء منهجي لكيانه وبحث دائب في صلاته الوطيدة والدائمة بالعالم وبالحقيقة . ويضيف : اني كثيرا ما انقل عن دانييل لاكاش قوله : ان الانسان مجموعة من الحقائق لا تتبدى رؤيتها الا في اطار الوشائج الانسانية التي تشد « الانسان » الى نظرائه واقرانه واندادة (9) .

واذا كان الكاتب قد عرض في مختلف آثاره لاصول الايديولوجية الفرودية وكشوفها (10) فانه خص هذا الفصل بدراسة اعمق عن اللاشعور وعقدة اوديب ؛ في محاولة لجلاء مفاهيم الرمزية الفرودية ومجالات تطبيقها .

اما الفصل الثالث فقد عقده للكلام عن « لاكان » وتعاليمه ؛ وقد المعنا سالفا الى ان انسحاب « لاكان» من الجمعية الرسمية للتحليل النفسي لم تكن تمليه نوازع الثورة وبادرات التجديد وان تاسيسه ؛ عن جدارة ؛ لجمعية فرويد البارسية كان ؛ على نقيض ما يتهمه به ذوو النظرة السطحية واصحاب الاتجاه الاورثذكسي على السواء ؛ تعبيرا عن التشبث المكين بمبادىء فرويد ؛ مع الرغبة في تطعيمها بما يفتحه تقدم العلوم الانسانية اليوم لجميع المفكرين من آفاق جديدة ؛ لا تتعارض طردا ولا عكسا مع الايديولوجية الفرودية . وبديهي ان تضاؤل الفوارق بين مختلف العلوم الانسانية واطراد الحاجة المتبادلة بينها من البواعث التي جعلت « لاكان » يعرب عن رغبته في التفتح ويؤكد ان الحوار لا ينفصل ؛ باي حال من الاحوال ؛ عن مبادىء الرائد الكبير الذي كان يؤمن بان الكلمة مفتاح كل سر وطريق كل نجاح ؛ وهكذا فقد اصبح الفكر التحليلي ؛ بفضل منهجية الاستاذ المجدد ؛ يرقى الى مصاف الآثار التي خلفها الفلاسفة من امثال هوسيرل وهيدجير وويلهنس واضرابهم ؛ والغريب ان « لاكان » الذى لم يحد قط عن خطة فرويد ؛ بل كان يناصرها ويدعو اليها بكل جهده ؛ قد اصطدم بروح التعنت والتحجر ؛ ولم يسمح له بالمخاطبة والحوار في عالم يقوم اساسا على المخاطبة والحوار .

وقد اورد الدكتور هينار في الفصل الرابع الذي اسماه « الوعي وتصحيح المفاهيم » جملة الاعمال التي انجزها « لاكان » **منذ استقلاله** عن الجمعية الرسمية فيقول : خلافا لما جاء في آثار الفيلسوف ريكور RICOEUR فان صديقنا المعزول قد وضع نصب عينيه توضيح بعض الجوانب من نظريات فرويد التي تدعو الى المراجعة والتمحيص وان نشاطه ؛ كمجدد ؛ انصب على سد الثغرات التي كان العلماء يستشعرونها في فرنسا لانهم تقبلوا نظريات الداعية الكبير كما جاءت في محاضراته وآثاره ولم يجشموا انفسهم مشقة النقد والتصحيح .

آمن العالم المعزول بضرورة توضيح الايديولوجية الفرودية ؛ ونادى بمبادىء الحوار ؛ وطبقه في مختلف أعماله فانسحب من الجمعية الرسمية غير آسف ؛ لانه تمثل نظريات فرويد على الوجه الذي تستقيم عليه ووجد من التلاميذ والانصار من يؤازره ويعضده ويسير على مسلكه ؛ وجاء الدكتور هينار في الفصل الخامس من هذا الكتاب (تقديس النصوص الفرودية ومشكلة الحوار) ليؤكد بان التحليل النفسي لم يكن

---

(9) راجع على الخصوص

L'œuvre de Freud et son importance dans le monde moderne, chapitre I par l'auteur du livre.

(10) راجع الدكتور دانييل « لاكاش » في كتابه المثبت بالمرجع رقم : (4) .

Dr Hesnard : L'œuvre de Freud et son importance dans le monde moderne — Editions — Payot — Paris.

فى يوم من الايام ؛ بحاجة الى اعادة النظر والتطعيم اكثر من ايامنا هذه ؛ مع احترام المبادىء الجوهرية للمؤسس الكبير ؛ وهو يرى ان الحوار يقوم بدور قيادي وان لا وجود للايديولوجية الفرودية ما لم يكن هناك حوار يمنحها وجودها ويستوعب فى آن واحد قواعدها وغاياتها ويوفر لها مزيدا من الفعالية والعطاء. فجذوة الحضارة فى نظره تخبو وتنطفىء شعلتها كلما تكالبت قوى الاثرة والاستبداد ودوافع التحجر والعلفيات على التعطيل والجحود لانها تفقد بذلك اهميتها وتبقى حبيسة الجهل والاخطاء .

ويشير المؤلف فى خاتمته الى ان تجربته الخاصة التي امتدت لفترة تجاوز الخمسين سنة قد علمته ان التحليل النفسي عمل ذو ابعاد انسانية فى غاية الاهمية تبدى فعاليته عند ممارسته بحكمة ودراية وبما يلزم من الحيطة والحذر . ذلك انه سلاح بشهره الكائن الانساني فى وجه الحياة بما تحمله اليه من قوة ومرارة وحرمان ويساعده على مواجهة مختلف البدوات الانسانية العارمة التي ليس بوسعه ان يكبحها والتي قال عنها فرويد نفسه : « اني اندد بقصور الانسان عن التحكم فى غرائزه البدائية » . كما ان التحليل يفتح للشخصية الانسانية ؛ فضلا عن جهود التصعيد والاستعلاء ؛ آفاق البناء فى المعيشة واسباب الارتباط بالآخرين لان السبيل الى الحرية يكمن اصلا فى محبة الغير ؛ وعلى هذا السدرب تتكشف له حقيقة وجوده الانساني كما وجدت وكما يجب ان تكون ؛ بعيدا عن اضاليل الخيال . فهو بهذا الوصف اداة تقوده الى معرفة ذاته ومعرفة الغير . ولا سبيل الى هذا العرفان الا عن طريق الحوار .

الرباط : عبد الرحمن بنعبد الله





للأستاذ عبد القادر زمامة

598 — الامالة فى لهجة جبال الزبيب

وجدت فى محاضرة ابى علي اليوسي هــــذه الملاحظة اللغوية الدقيقة ص 141 . ط. حجريـــة بفـــاس .

ومن جملة ما اتفق لي فى هذه السفرة الى جبال الزبيب وسفرات اخرى لزيارة الشيخ عبد الســـلام ابن مشيش رضي الله عنه . اني سمعت لغة لاهــل تلك الجبال يكسرون آخر الموقوف عليه . فتتبعتها استقراء . فوجدتها لها ضابطا . وقد رأيت غيرهم من اهل الآفاق يسمعون عنهم ذلك فيحكونه على غيـــر وجه . وينسبون اليهم ما لا يقولون . جهلا منهـــم بضوابطه . فانهم لا يكسرون الا الفتحة بعدها الف . اما الف مقصورة كالدنيا . اومــمدودة كالســمـــاء . والطلباء . والشرفاء . والاصلية كالماء . او المقلوبة عن هاء التأنيث فى مجرى الحـــرف . كالبقـــرة . والشجرة . والصفحة . فان العــــوام من غيرهـــم يقولون فى الوقف على هذه : البقرا . . . او الشجرا . . . بالف . . . وهؤلاء يكسرون فيقولون : البقري . . . والشجري . . . وتنقلب الالف ياء . . . وهـــذا كله فى الوقف . فان وصلوا نطقوا بالالف كغيرهم . وان لم يكن الفتح ولا الف كالشجر والبقر مرادا بــــه الجنس وقفوا بالسكون كغيرهم . . . واني لما تأملت ذلك من كلامهم وحققته فى اقرب مدة اتضح عندى معنى الاستقراء فى نحو هذا بالمشاهدة . وعلمــــت كيف كان أئمة العربية القدماء يستقرئون النحو واللغة من أفواه العرب ويضبطون لغة كل قبيلة فى ذلك . وتبين ان ذلك أمر صحيح بين . وللتنبيه على هـــذا حكيت هذه القصة . فلا يقل جاهل ما لنـــا ولهـــذه اللغة . . . ؟ فلتعرف او لا تعرف . . . هذا مـــع ان معرفة الشيء خير من جهله . فالجاهل بالشيء أعمى فيه . . وفى ظلمة عنه . والعالم بــه بصير بــه وفى نـــور فيـــه . وهل يستوى الاعمى والبصير . . ام هل تستوي الظلمات والنور . . ؟

599 — الخنـــاشـــــون :

وجدت فى الاجوبة الكبرى لابى السعود الفاسي ص 59 ج 2 ط. حجرية بفاس :

« ووقع ذلك غير ما مرة . حيث تقع الغفلة من المسلمين ويخلى الفحص من المترددين فيـــه والحاربين لهم وذلك لكثرة الجواسيس عندهـــم . والخناشين الذين ينقلون اليهم اخبار المسلميـــن . ويطلعونهم على عوراتهم ممن لم يزعه وازع الايمـــان والدين اعاذنا الله من ذلك . . ! »

600 — اهـــراق دواة :

وجدت بخط احد الاعلام الثقات ممن عاش صدر هذا القـــرن :

« ولما دخل العلامة سيدي العربي بن سيدي بنداود الشرقاوي خيمة ابي العباس بن موسى الحاجب حين كان ببلاد بني مغير سنة 1315 هـ . اهرق دواة بعض الكتاب . فارتجل :

ابا معشر الحظار غضوا جفونكم
فاني من الفعل القبيح قريب

هرقت دواة وهي كالكاس بينكم
وللارض من كاس الكرام نصيب

فأجاب سيدي عبد الواحد ابن المواز قاضي مراكش :

بل فعلك المحمود فى عين الورى
جميل وروض العلم منك خصيب

نرى ان اهراق المداد دلالة
على مدد قد فاض منك يطيب

601 — عطلة يوم الاحد فى قرطبة ... !

وجدت فى كتاب المقتبس لابن حيان نشر الدكتور محمود مكي بيروت 1973 م ص 138 :

« وكان اول من سن لكتاب السلطان واهل الخدمة تعطيل الخدمة يوم الاحد من الاسبوع والتخلف عن حضور قصره قومس ابن انتسيان كاتب الرسائل للامير محمد . وكان نصرانيا . دعا الى ذلك لتمسكه فيه . فتبعه جميع الكتاب طلب الاستراحة من تعبهم والنظر فى امورهم . فانتحوا ذلك ومضى الى اليوم عليه ... ! »

602 — ابن عبد ربه يصف زريابا ... :

وجدت فى كتاب (العقد) ص 30 ج 7 تحقيق محمد سعيد العريان :

« كان لابراهيم الموصلي عبد اسود يقال له زرياب . وكان مطبوعا على الغناء علمه ابراهيم . وكان ربما حضر به مجلس الرشيد يغني فيها . ثم انه انتقل الى القيروان الى بني الاغلب . فدخل على زيادة الله ابن الاغلب فغناه بأبيات عنترة الفوارس :

فان تكن امي غرابية
من ابناء حام بها عبتني

فاني لطيف ببيض الظبا
وسمر العوالي اذا جئتني

ولولا فرارك يوم الوغى
لقدتك فى الحرب او قدتني

فغضب زيادة الله ... ! فأمر بصفع قفاه واخراجه ... ! وقال له : ان وجدتك فى شيء من بلدي بعد ثلاثة ايام ضربت عنقك ... ! فجاز البحر الى الاندلس . فكان عند الامير عبد الرحمن بن الحكم ... »

603 — مع المبرد ... !

وجدت فى كتاب (العقد) ص 71 ج 7 تحقيق محمد سعيد العريان :

« الا ترى ان محمد بن يزيد النحوي على علمه باللغة ومعرفته باللسان . وضع كتابا سماه بالروضة، وقصد فيه الى اخبار الشعراء المحدثين فلم يختر لكل شاعر الا ابرد ما وجد له ... !! حتى انتهى الى الحسن بن هانيء وقلما يأتي له بيت ضعيف لرقة فطنته وسبوطة بنيته وعذوبة الفاظه . فاستخرج له من البرد ابياتا ما سمعناها ولا رويناها ولا ندري من اين وقع عليها ... !! وجل اشعاره فى الخمريات بديعة لا نظير لها فخطرفها كلها وتخطاها الى التي جانسته فى برده فما احسبه لحقه هذا الاسم « المبرد » الا لبرده وقد تخير لابي العتاهية اشعارا تقتل من بردها . وشنفها وقرطها بكلامه فقال : ومن شعر ابي العتاهية المستظرف عند الظرفاء المتخير عند الخلفاء قوله :

يا قرة العين كيف امسيت
واعزز علينا بما تشكيت .. !

وقوله :

آه من وجدي وكربي ... !
آه من لوعة حبي ... !

ما اشد الحب يا سبحـ
ـانك اللهم ربي ... ! »

604 — بين المقري وابن القاضي :

وجدت بخط ابي العباس المقري مؤلف النفح على ظهر مخطوطة ابراد اللآل لابن خاتمة : المكتبة الملكية عدد 1399 هذه الابيات التي استدعى بها ابو العباس ابن القاضي مؤلف الجذوة والدرة وغيرهما « تلميذه » المقري للحضور الى منزله :

يا سيدا ان زرت عبدا يومه
في داره فالامر غير بعيد

ان زرته ونقلت اقدام العلا
لمحله كانت له كالعيد

شرف بحضوركم لا منقضي
بحشون سادة بدار عبيد

فاجابه ابو العباس المقري :

القلب منه في جوى والتهاب
والجسم اضحى عرضة لانتهاب

وليل فكري مد لهم وما
ينيره الا ضياء « الشهاب »

605 — زرياب ياخذها ... !

وجدت من نظم عالم أهل الاندلس عبد الملك بن حبيب وكان معاصرا للحركة التي احدثها زرياب في الاندلس والحظوة التي حظي بها والدنيا التي اقبلت عليه لتفننه في الغناء والموسيقى ... ! هذه الابيات الثلاثة التي رواها الحافظ الحميدي في جذوة المقتبس ص 265 :

صلاح امري والذي ابتغي
سهل على الرحمن في قدرته

الف من الحمر واقلل بها
لعالم اوفى على بغيته

زرياب قد ياخذها دفعة ... !
وصنعتي اشرف من صنعته ..!

606 — القرانق ... !

وجدت في كتاب الصلة لابن بشكوال ج 1 ص 34 ط . مصر سنة 1955 م في ترجمة ابن وهب :

« .. فبينما نحن كذلك اذ جاءه قرانق من عند السلطان فناوله كتابه ففكه وقراه . ثم استمد مدة وكتب ... ثم طوى الكتاب وسجاه وناوله القرانق ... فسالناه وقلنا له :

— رايناك لم تستمد الا مدة واحدة ... ؟
فقال لنا :

— كتب الي يقول : ما خير الخير .. وما شر الشر ؟

فكتبت اليه :

— خير الخير الصبر .. ! وشر الشر شرب الخمر ... ! »

607 — لا يقتضي حتى يقيم الطالع . !

وجدت في كتاب (نبذ تاريخية من كتاب مفاخر البربر) ص 62 :

« ... كان بالاندلس قاض يقال له عباس بن ناصح . وكان شاعرا مفلقا منجما حاذقا . اقام سبع سنوات على القضاء لا يقضي حتى يقيم الطالع . فما اراه علم النجوم قضى به . فتقدم اليه رجلان ادعى احدهما على صاحبه انه سرق له ثورا من صفته كذا وكذا واحضر شاهدين . فدخل القاضي بيته ورفع الطالع ثم خرج فقال للطالب : ان غلامي قد مر من موضع كذا فراى ثورا من صفته كذا ضالا في قرية كذا في دار من صفتها كذا فتوجه الى هناك لعله ان يكون ثورك ولعل الرجل بريء واعتقل الشاهدين فتوجه صاحب الثور الى الموضع فاصاب ثوره كما وصفه له القاضي على ما ارته النجوم . فاخذ ثوره وانصرف الى القاضي وقال : هذا ثوري وجدته في الموضع .. !!

فاخرج القاضي الشاهدين فضربهما ... ! »

608 — الشبجيلة ... !

وجدت في كتاب تاريخ العلماء والرواة للعلم بالاندلس للحافظ ابن الفرضي ج 2 ص 145 ط . القاهرة 1954 م :

« قال ابن وضاح : وسالت زيد بن بشر . هل علمت ان ابن القاسم دعا على احد اهل الاندلس .. ؟

فقال : ما علمت انه دعا الا على التجيبة فانه قال : لاعرضته على ربي بالبكور والاسحار ... ! قال ابن وضاح : وكان دعاء ابن القاسم عليه بسبب ما مشى بينه وبين اشهب .. ! »

609 — حقت عليك ... !

وجدت في كتاب تاريخ العلماء والرواة العلم بالاندلس للحافظ ابن الفرضي ج 1 ص 319 :

« قال الرازي : دخل عبد العزيز بن موسى بن نصير المحراب بصلاة الفجر وابتدأ سورة الحاقة ، فعلاه من خلفه زياد بن عذرة البلوي بالسيف وهو يقول :

— قد حقت عليك يابن الكذا ... ! »

610 — من الشيق الى الشيق ... !

وجدت في مصورة كتاب المدخل الى تقويم اللسان وتعليم البيان لابي عبد الله محمد بن احمد ابن هشام اللخمي السبتي ورقة 39 :

« ويقولون امتلأ المكان من الجيق الى الجيق والصواب من الشيق الى الشيق .. ! والشيق الجانب ، اي من الجانب الى الجانب ... ! »

ومثل ذلك موجود في ابراد اللآل لابن خاتمة .

611 — بين ابن القطان وابن المناصف :

وجدت في مخطوطة كتاب « الذيل والتكملة » في الجزء الخاص بالغرباء عند ترجمة لابي الحسن ابن القطان :

« وقد عثرت به بغلته في وجهته الى ضيعته المذكورة وهو يساير ابا عبد الله ابن المناصف ،

فقال ابن المناصف :

ما بالها عثرت ، وما بها قلقة :
فاجابه مرتجلا ومداعبا :

لم تعثر البغلة الشقراء اذ عثرت
من ضعف ايد ولا من انها خرقة

لكنها خشيت من نور ما حملت
من العلوم فخرت تحته صعقة »

612 — وجوه اهل الجنة ... !
مقرونة بوجوه اهل النار ... !

وجدت في كتاب جذوة المقتبس الحافظ الحميدي ص 380 هذه الابيات منسوبة لابن الشيالي :

ما ان رأينا من طعام حاضر
نعتده لفجاءة الـزوار

كمجبنين من الطعام فيهما
شبه من الابرار والفجار

رؤوس وارغفة وجباه ضخمة
قد اخرجت من جاحم فوار

كوجوه اهل الجنة التقت لنا
مقرونة بوجوه اهل النار

613 — اليوسي يروي الملحون :

وجدت ابا علي اليوسي يروي في المحاضرات بعض قطع الملحون منها قول شيخ صادفه في قرية من قرى دكالة ص 47 :

انا الفرس المشوح
صابر على كل عاتبة
اللي تجرح ما يقول اح
تـ تلب من قطعت انا

ومنها في مدح العلم ص 48 :

العلم شمعة منيـرا
يتناولـه الاكيـاس
ما فوق منو ذخيـرا
يزول عن القلب الادناس

فاس : عبد القادر زمامة

نضال المغرب في الحقل الدولي في سبيل استرجاع أراضيه المغتصبة

للأستاذ محمد العربي الخطابي

ان الحديث عن أراضينا العزيزة التي نطمح الى تحريرها ، ونعمل على تخليصها من ذل الاستعمار ، حديث حبيب الى النفس قريب الى القلب والوجدان بما يثيره فينا من ذكريات حلوة ملهمة عن الشمل الذي كان ملتئما والاواصر التي كانت وشيجة متصلة روحا وقلبا وبدنا أيام كانت سبتة حاضرة بهية من حواضر وطننا العزيز ، ومليلية ثغرا من ثغورنا الحصينة ، والصحراء الجنوبية مرتعا من مراتع حضارتنا الاصيلة .

نعم . كانت سبتة – وما العهد ببعيد – حاضرة مغربية مشرقة . وكانت منبت اعلام أجلة من أفذاذ وطننا المسلم العربي ملأوا رحابها نورا وعلما وأدبا ، وجعلوا منها مدينة فسيحة الساحة خلابة الطلعة ، مريحة المقام ، زانها العمران البديع . وانتشرت فيها المساجد والاسواق والحمامات وانعقدت في مدارسها وجوامعها حلقات الدرس وأمها العلماء والادباء والطلاب من كل جهة ، وصفها جغرافيونا ومؤرخونا بأحسن ما توصف به المدن ، وصورها شعراؤنا وكتابنا في أشكال شعرية بديعة ، فقال عنها مالك ابن المرحل :

كأنها عود الغناء وقد ألقى في البحر على بطنه

والله لنحلق اليوم فوقها بالطائرة فنشاهد ذلك العود وهو ما يزال ملقى على بطنه في البحر ، الا أن أوتاره قد ارتخت من طول البين وشدة الحنين .

وقال شاعرنا أبو العباس العزفي عن لياليها ، ليل سبتة :

فيالك من ليلة بتها أنادم بدر دجاها البهيا

لقد وقف عقبة الفاتح على أبواب سبتة فلم تزل منذ حلوله الميمون تغدق على مغربنا رفدا من نوابغ الرجال أثروا ثقافتنا واسهموا بعلمهم وعبقريتهم في تقدم الحضارة البشرية أيما اسهام .

ويكفي سبتة فخرا أن يذكر من اعلامها الافذاذ رجال كالقاضي عياض بن موسى اليحصبي والعالم الاصولي عبد الرحمان المالري ، واللغوي النحوي الحسن بن طريف ، والشاعر عبد الله بن القابلة ، والعالم الصوفي ابي العباس الخزرجي السبتي دفين مراكش ، والمحدث الاديب عثمان ابن دحية واخيه اللغوي عمر ، والعلامة الجغرافي الادريسي ، والشيخ الحكيم ابي الحسن المستفر ، والرحالة ابن رشيد الفهري ، والعالم الاصولي قاسم ابن الشاط ، والاديب اللغوي محمد ابن هانيء اللخمي ، والاديب اللغوي القاضي ابي القاسم الشريف ، والطبيبة عائشة بنت أبي عبد الله الجبار ، والشاعر المبدع مالك بن المرحل والشاعر الاديب سليل بيت الرئاسة والعلم أبي العباس العزفي ، وغير هؤلاء من العلماء الميامين ، والمجاهدين الطاهرين والاولياء الصالحين .

وكما نذكر بالفخر سبتة ومقامها السياسي والعلمي والعمراني من بلادنا ، نذكر «روسادير» التي اقام بها أبناء عمومتنا الكنعانيين الذين أسسوا سبتة نذكر مليلية وموقعها الحصين ونذكر منها أهل الريف

الاشاوس الذين يحيطون بها مترقبين . ونذكر جهاد أجدادنا وما أبلوه من بلاء حسن في سبيل تحريرها فنتوق نفوسنا الى عتقها وتخليصها من قبضة الاستعمار . ولسنا ننسى صخورنا العالية في مياهنا بالبحر الابيض ، فهي للريف بمثابة العيون ولبقية الوطن بمنزلة الانامل .

وفي الجنوب تهفو القلوب الى صحرائنا ، مرتع صنهاجة ، وموطن لمتونة ، ومنطلق الدعوة الاسلامية التي رفع رايتها رجال من امثال عقبة ابن نافع وموسى ابن نصير ، وادريس بن عبد الله وعبد الله بن ياسين ويحيي بن ابراهيم ، ويوسف بن تاشفين ومحمد الفاضل وماء العينين . انها من حصون حضارتنا ومن مقومات وحدتنا ، نذكر رمالها وسواحلها ومسالكها التي كثيرا ما انطلقت منها قوافلنا المتجهة الى قلب افريقيا حاملة اليها نور الاسلام وثقافته . والى عهد قريب كانت مدينة (سمارة) حصنا من حصون العلم والمرابطة والجهاد فدمرها جند الاستعمار الفرنسي واباد كتبها واقلامها ومحابرها وهما منه بانه سيمحو بذلك آثار اجدادنا الدالة عليهم . ولكن هيهات لهم ذلك ، فان آثارنا ممزوجة برمالها وقلوبنا نابضة بذكرها ، وايدينا ممدودة ، نايد الى اشقائنا الرابطين فوق كثبانها في انتظار يوم التحرير والوحدة والتزاور وليس ذلك اليوم ببعيد ، ان شاء الله .

— ● —

لم يكن المغرب ، في اى عصر من تاريخه ، منعزلا بالمعنى السياسي والدبلوماسي للكلمة ، بل كان دائما شاهدا في محفل الدول ، يتبادل معها السفارات ، ويبرم المعاهدات ويتبادل وإياها المنافع والمصالح في شتى الميادين . وكان المغرب وهو في اوج قوته يدلي برأيه في الشئون الدولية بدافع من حرصه على رعاية شؤون المواطنين وحماية حدود البلاد وتحصين ثغورها والدفاع عن وحدتها .

كانت وحدة المغرب متجلية ، قبل الاسلام، في وحدة العنصر والسلالة والانفراد برقعة من الارض ذات تخوم معروفة ومعالم متميزة وذلك أيام كان المغاربة يسمون بلادهم بلاد الامازيغ ، وأطلق عليها الغزاة بلاد البربر أو موريتانيا او ما الى ذلك من الاسماء والنعوت ، وقد اثبت ما كان قائما بين مغاربة ما قبل الاسلام من وحدة في السلالة والثقافة والمعتقد الحفريات الاثرية ، والنقوش الصخرية التي اكتشفت حديثا في بعض جهات البلاد ، كما أثبتها المؤرخون العرب والاجانب .

وحينما جاء الفتح الاسلامي الكريم ، تكاملت بالدعوة الاسلامية والثقافة العربية مقومات المغرب وخصائصه ، وأطلق عليه الاسم الذي يحمله اليوم ، ولما استقل به حكم الاشراف الادارسة عن كرسي الخلافة في المشرق اصبح المغرب في العرف الدولي العام ، دولة ذات كيان واضح المعالم بكل ما يقتضيه ذلك من وجود أرض وطنية وشعب يمتاز بخصائصه الروحية والاجتماعية والثقافية والاقتصادية ، وقيام حكومة مركزية متوافرة السيادة والتنظيم . وما يزال هذا هو مفهوم الدولة في نظر القانون الدولي العام الى اليوم .

لذلك فان المغاربة ، الذين مارسوا سيادتهم على بلادهم اربعة عشر قرنا متتابعة ، اذا اعتبرنا ان المغرب لم يكتسب صفة الدولة بالمفهوم العصري للكلمة الا عند قيام الدولة الادريسية وان المغاربة لم يعترفوا قط بمشروعية الاحتلال الاجنبي لبعض ثغورنا وأراضينا . ومن هنا انطلقت الجهود والمساعي التي بذلها حكام المغرب في الميدان الدولي في احقاب شتى قبل الحماية وبعدها ، ومن اجل ذلك خاضت بلادنا الحروب، وامضت المهادنات، وابرمت المعاهدات وعقدت المحالفات ، يصيب في ذلك حكامها أحيانا ويخطئون اخرى ، سيما حينما تدفعهم الى الخطأ أو التفريط ظروف دولية معينة واعتبارات سياسية ودبلوماسية خاصة لا يخلو منها زمان .

لقد احتل البرتغاليون مدينة سبتة بعد مقاومة شديدة صمد فيها الجيش المغربي بامرة القائد صلاح وكان ذلك سنة 1415 ، أى قبيل سقوط غرناطة بنحو ثمانين عاما . وقد اقترن هذا الغزو باشتداد الحمية الصليبية التي كان من مظاهرها تنصيب محاكم التفتيش واعداد العدة لاحتلال مواقع في شمال افريقيا بتشجيع ودعم من صاحب الكرسي البابوي في روما .

وجدير بالذكر أن البرتغاليين حينما اخفقوا في محاولتهم احتلال طنجة سنة 1437 بعد ان ردتهم الحامية المغربية على أعقابهم خاسرين . وقع حكامهم عقدا مع المغرب تعهدوا فيه بالانسحاب من سبتة . وقد نقضوا عهدهم وفوتوا هذه المدينة للاسبان بموجب معاهدة لشبونة المبرمة بينهما سنة 1668 — على اثر انفصال البرتغال مرة أخرى عن اسبانيا التي حطت

أقدامها لأول مرة في سبتة سنة 1580 في عهد فيليب الثاني ملك اسبانيا والبرتغال .

فانظروا اذن ، كيف كان احتلال اسبانيا لمدينة سبتة المغربية قائما على معاهدة أبرمت بينها وبين البرتغال، وهي معاهدة تناقض ما التزم به البرتغاليون حين اندحارهم في طنجة من اخلاء مدينة سبتة .

أما مليلية فقد أغار عليها الدوق دي ميدينا دي سيدونيا سنة 1496 واحتلها بعد أن كان السلطان محمد الشيخ قد اتفق ـ تهاونا أو خيانة ـ مع امير تلمسان علما باخلاء المدينة من سكانها ، ولم ينفعه بعد ذلك توجيه كتائب من الفرسان الى مليلية لاجلاء الاسبان عنها .

اذن سبتة ومليلية وقعتا في قبضة الاسبان عن طريق الغزو العسكري ، كما استهدفت مدن مغربية أخرى ـ (طنجة ، أصيلا ، العرائش ، الصويرة ، الجديدة ، أكادير) لمحاولات مماثلة من جانب اسبانيا والبرتغال وانجلترا والنمسا ، الا ان الشعب المغربي المجاهدتمكن من أن يخرج منها المحتلين ، والمغاربة لم يقبلوا قط بقاء الاحتلال في ديارهم بذلوا الجهود لتحرير سبتة ومليلية في أحقاب متلاحقة من تاريخنا. ونذكر المحاولات التي بذلها السلطان مولاي اسماعيل العلوي والسلطان المصلح سيدي محمد بن عبد الله العلوي بمحاصرتهما الشديدة للثغور المحتلة وسعيهما الجاد لتخليصها من قبضة الاستعمار ، وجاهدت القبائل المجاورة لتحرير المدينتين المغربيتين سبتة ومليلية جهادا مستمرا، ولم يتوقف رجال قبيلة أنجرة الاشاوس عن الاغارة على سبتة الا بعيد حرب تطوان والمعاهدة المغربية الاسبانية التي أعقبتها (1860) وكان آخر حصار مغربي لمليلية سنة 1921 من طرف المجاهدين الريفيين بقيادة البطل المغوار محمد بن عبد الكريم الخطابي .

أما بالنسبة للجزر فقد احتل الاسبان جزيرة بادس الغمارية سنة 1508 احتلالا عسكريا ومهدت خيانة السلطان السعدي الغالب بالله لاحتلال جزيرة الحسيمة (أو جزيرة المجاهدين) ، ذلك أن هذا السلطان تنازل عن الصخرة للملك كارلوس الثاني مقابل أن يصد هذا الاخير الاتراك العثمانيين ويمنعهم من احتلال مواقع على الساحل المغربي .

أما جزر «الشفارين» فقد احتلها الاسبان احتلالا عسكريا سنة 1847 ، وهي جزر تواجه مصب نهر ملوية .

وبدأ الاسبانيون محاولاتهم لاحتلال الصحراء في القرن الخامس عشر الميلادي ، الا أن الامر لم يستتب لهم فيها الا سنة 1934 بعد مقاومة باسلة أبداها الشعب المغربي الذي حارب الاستعمار الاسباني وقاوم توغله ولا سيما منذ القرن التاسع عشر .

وقد دفع الاسبانيين الى احتلال الصحراء اعتبارات استراتيجية مع رغبة في التوسع واستغلال الثروة المائية والموارد الطبيعية الصحراوية كما شجعهم على ذلك ما أصاب المغرب في القرن الماضي من تضعضع داخلي تجلى في تفكك الاسطول البحري المغربي وضعف الجيش وانحلال قواده وانفاره ، كما كان من مظاهره انهيار الاقتصاد الوطني . وقد ظهر هذا الضعف جليا في موقعة ايسلي (سنة 1843) وموقعة تطوان (1859) في وقت تفاقمت فيه الاطماع التوسعية الاستعمارية التي كرستها دوليا معاهدة برلين (1884) وتتالت المعاهدات السرية والعلنية المشهورة التي ابرمت في غيبة المغرب بين فرنسا وانجلترا ، وبين اسبانيا وفرنسا ، وبين المانيا وهذه الاخيرة ، وذلك منذ بداية هذا القرن ، لاسيما في سنة 1904 ، ولا حاجة الى القول بأن هذه المعاهدات لا تلزم المغرب من وجهة نظر القانون الدولي ، فهي بذلك لا تحق حقا ولا تبطل باطلا .

وكانت آخر محاولة بذلها المغرب في الحقل الدولي ، قبل عهد الحماية ، للحفاظ على وحدة المغرب وتمام أراضيه الوطنية ، سنة 1906 في مؤتمر الجزيرة الذي انتهى بابرام عقد دولي ليس فيه من المحاسن سوى ما نص عليه من وجوب احترام سيادة السلطان ووحدة مملكته وتمام ولاياته .

وتعتبر معاهدة الحماية المفروضة على المغرب سنة 1912 ، انتهاكا فاضحا لعقد الجزيرة الخضراء الدولي ، وكل ما ترتب عن معاهدة الحماية ، اذن باطل مفسوخ ، وكل ما انبنى على وجودها من احتلال أو ضم أو الحاق لأي جزء من أجزاء المملكة فهو غير مشروع لان المعاهدة نفسها قامت على الاكراه والتعسف والخديعة .

بعد هذه النظرة الخاطفة على تاريخ الاستعمار الاسباني للاراضي التي نسعى الآن الى استرجاعها

انتقل الى الجهود التي بذلتها الحكومة المغربية في الحقل الدولي لاستعادة المدن والاقاليم المغتصبة وتصفية الاستعمار فيها .

اثيرت مسالة ايفني والصحراء المغربية لاول مرة أمام اللجنة الرابعة للجمعية العامة للامم المتحدة سنة 1961 ، والذي دفع المغرب الى لفت نظر الامم الى مسالة أراضيه المحتلة اعتباران رئيسيان :

اولهما : ان مساعي المغرب في سبيل فض النزاع عن طريق التفاوض لم تؤد الى نتيجة حاسمة.

ثانيهما : أن الجمعية العامة للامم المتحدة كانت قد صادقت في دورتها الخامسة والعشرين المنعقدة سنة 1960 على وثيقة دولية تحمل عنوان : «تصريح حول منح الاستقلال للدول والشعوب المستعمرة» الذي اصبح معروفا منذ ذلك التاريخ بالتصريح رقم 1514 .

ان هذه الوثيقة الهامة التي تحدد الموقف العام للامم المتحدة تجاه الاستعمار هي من صنع الاقطار غير المنحازة التي رسمت فيما بعد منهاجها السياسي والاقتصادي في مؤتمر بلغراد في سبتمبر 1961 .

ومما ينص عليه هذا التصريح :

«تتخذ التدابير الفورية في الاراضي الموضوعة تحت الوصاية والاراضي التي لا تتحكم في أمورها بنفسها ، وسائر الاراضي الاخرى التي لم تنل بعد استقلالها ، وذلك لتفويت كل السلطات الى شعوب هذه الاراضي ، دون ميز قائم على السلالة أو المعتقد أو لون البشرة» .

«كل محاولة لتمزيق الوحدة الوطنية أو الارضية لاحد الاقطار ــ جزئيا او كليا ــ تعتبر منافية لاهداف ميثاق الامم المتحدة ومبادئه» .

هذا بعض ما جاء في التصريح العالمي المذكور وقد قررت الجمعية العامة في السنة التالية لاعلانه احداث لجنة خاصة تعرف الان بلجنة الاربع والعشرين وقد عهد اليها بدراسة تطبيق التصريح المذكور ووضع توصيات في هذا الشان . وما تزال هذه اللجنة تواصل بانتظام اعمالها واجتماعاتها وتقدم تقاريرها السنوية الى الان ، ولن تنتهي مهمتها حتى ينتهي الاستعمار في كل مكان .

واذا كان المغرب ــ كما قلت ــ قد لفت نظر المنظمة الاممية الى قضية نزاعه مع اسبانيا ، فان حكومة صاحب الجلالة لم تفتأ تواصل الجهود والمساعي في الميدان الثنائي ، مراعية في ذلك روابط الصداقة وحسن الجوار بالاضافة الى أن المغرب، كان يتحاشى تدويل النزاع ، لاعتباره أن قضية اراضيه المحتلة هي في طبيعتها وواقعها قضية قائمة بينه ــ وهو صاحب الحق الوحيد ــ وبين اسبانيا التي تستعمر اراضيه وتدير شؤونها .

وتستند الحكومة المغربية موقفها هذا من الحق والواقع أولا ، ومن البيان المشترك الاسباني المغربي ثانيا ، وينص هذا البيان الموقع في السابع من ابريل سنة 1956 على أن الحكومة الاسبانية «تؤكد عزمها على احترام تمام ارض المملكة الذي تضمنه المعاهدات الدولية وتتعهد باتخاذ جميع التدابير الضرورية لجعل هذه الوحدة أمرا فعليا» .

ويلاحظ أن هذه الفقرة من البيان المشترك المغربي الاسباني تشابه لفظا ومعنى ما نص عليه البيان المشترك المغربي الفرنسي الموقع في باريس في الثاني من شهر مارس سنة 1956 .

وواضح ان الطرف المغربي كان يفهم من اقرار هذا المبدأ والتأكيد عليه شمول سيادة الملك على جميع الاراضي المغربية التي احتلتها فرنسا واسبانيا قبل فرض الحماية وبعدها .

وربما يتساءل بعضنا : الم يكن في وسع الوفد المغربي المتفاوض سنة 1956 أن يقنع الطرفين الفرنسي والاسباني بوجوب تعيين رقعة الارض المغربية التي تشملها سيادة السلطان وبيان حدودها واقاليمها ، وخاصة في الوقت الذي تم فيه تسليم السلطات للحكومة المغربية عقب التوقيع على البيانين المذكورين وما تبعهما من مفاوضات خاصة بتسليم السلطات وتحديد اطار العلاقات الجديدة ؟

لست أزعم أنني أستطيع الجواب عن هذا السؤال ، لان ذلك يتطلب بداهة الاطلاع على مضابط المفاوضات التي وقعت في باريس ومدريد وانا اعلم علم اليقين أن الوفد المغربي قد أثار أثناء مفاوضاته مع اسبانيا مسالة يفني والصحراء .

ويمكن أن يقال بصفة عامة ان المغرب قد آثر أن يستلم ما يمكن استلامه من أراضيه التي كانت تحت الحجر الاجنبي على أن يواصل مساعيه لاسترجاع

الاراضي الاخرى التي اتعلق لها الاستعمار أوضاعا سياسية وادارية خاصة . وهذا هو السبيل الذي سلكه المغرب بالفعل ، اذ أنه بالرغم من ان البيانين المشتركين لم ينصا ، صراحة ، على وضعية طنجة ، وطرفاية ويفني ، فان حكومة جلالة الملك توصلت الى حل النظام الدولي الخاص بطنجة في أكتوبر 1956 واسترجعت طرفاية سنة 1958 ويفني سنة 1969 دون أن تنسى مطالبها بخصوص الصحراء وسبتة ومليلية والجزر المغربية المحتلة سالكة في ذلك سياسة المراحل مع مراعاة الاعتبارات الدولية والروابط الثنائية .

ولما كان الحال فان الحكومة المغربية — التي بذلت منذ سنة 1956 مساعي كانت الغاية منها اقناع اسبانيا بانهاء احتلالها للاقاليم المغربية وبالتفاوض مع المغرب ، اضطرت الى عرض أمر هذه الاقاليم على منظمة الامم المتحدة والجامعة العربية ومنظمة الوحدة الافريقية وهيآت دولية واقليمية أخرى .

وسلكت الحكومة المغربية في ذلك توقيتا زمنيا ومنهاجا سياسيا قطعته على مراحل أربع :

بدأت **المرحلة الاولى** سنة 1961 باثارة قضية يفني والصحراء امام الجمعية العامة للامم المتحدة ، **وتميزت هذه المرحلة بصدور قرار عن لجنة تصفية** الاستعمار بتاريخ 16 أكتوبر 1964 أعربت فيه عن اسفها لتماطل الدولة المتصرفة في تحرير يفني والصحراء . كما صادقت الجمعية العامة في ديسمبر 1965 على قرار دعت فيه بالحاح الحكومة الاسبانية الى اتخاذ التدابير الفورية الضرورية قصد تحرير اراضي يفني والصحراء الاسبانية من السيطرة الاستعمارية ، والدخول ، للوصول الى هذه الغاية **في مفاوضات حول المشاكل الخاصة بسيادة الاقليمين** المذكورين» .

وواضح أن الحكومة الاسبانية لم تستجب لهذه الدعوة ، ولم تلب طلب المغرب الذي فاتحها في شأن التفاوض معه ، وذلك بواسطة اتصالات كتابية ودبلوماسية اجراها جلالة الملك الحسن الثاني وحكومته مع رئيس الدولة الاسبانية ومع المسئولين في حكومته ، وقد سافر العاهل المغربي الى اسبانيا بنفسه سنة 1970 حيث عرض على رئيسها مشكلة الاراضي المحتلة .

ونتيجة لذلك وأمام تظاهر الوفد الاسباني في نيويورك بالتمسك بمبدأ حق الشعوب المستعمرة في تقرير مصيرها بنفسها عمدت الحكومة المغربية الى تغيير أسلوب المطالبة باسترجاع الاراضي المغتصبة فكانت عنده هي بداية المرحلة الثانية وفيها وافق المغرب ، في ظروف دولية معينة على تنظيم استفتاء في الصحراء المحتلة يقرر بموجبه سكانها مصيرهم **بأنفسهم . وقد اوضح وزير خارجية المغرب** ، اذ ذاك ، أمام الجمعية العامة ، سنة 1966 ، شروط المغرب للموافقة على اجراء الاستفتاء . وهي :

1 — انسحاب جميع القوات الاسبانية من الساقية الحمراء ووادي الذهب ، على ان تبقى في الاقليمين قوات من الشرطة تعتبرها الامم المتحدة ضرورية لحفظ الامن العام .

2 — انسحاب الادارة الاسبانية من الاقليمين.

3 — عودة اللاجئين والمبعدين المنتمين الى الاقليمين .

4 — تحدد الامم المتحدة ظروف اجراء الاستفتاء .

وقد رفض الوفد الاسباني حينئذ ، مبدأ الاستفتاء من أساسه الا أن الجمعية العامة وافقت على قرار يحمل رقم 2229 ، جاء فيه بخصوص الصحراء التي تحتلها اسبانيا ما يلي :

— تدعو (الجمعية العامة) الدولة المتصرفة أن تضع في أقرب أجل ممكن ، وفقا لمطامح سكان الصحراء الاسبانية اصليين ، وبالتشاور مع الحكومتين المغربية والموريتانية ومع كل من يعنيه الامر من أطراف أخرى ، أن تضع الترتيبات لتنظيم استفتاء يقوم تحت اشراف منظمة الامم المتحدة ، وذلك من اجل السماح للسكان الاصليين للاقليم ان يمارسوا بحرية حق تقرير مصيرهم بانفسهم وللوصول الى هذه الغاية يتعين :

أ — ايجاد جو سياسي ملائم حتى يجرى الاستفتاء على قواعد حرة وديمقراطية وخالية من التحيز تؤدي من بين أمور أخرى الى عودة اللاجئين الى الاقليم .

ب — اتخاذ جميع التدابير الضرورية لكي يشترك في الاستفتاء سكان الاقليم الاصليون وحدهم.

ج — الامساك عن كل عمل من شأنه أن يؤخر مسيرة تصفية الاستعمار في الصحراء الاسبانية .

د ــ اعطاء التسهيلات اللازمة لبعثة الامم المتحدة كى تتمكن من المساهمة مساهمة نشيطة فى تنظيم الاستفتاء وسيره .

وقد طلبت الجمعية العامة فى هذا القرار من الامين العام للامم المتحدة ، أن يعين فورا بعثة خاصة تتوجه الى الصحراء الاسبانية لتوصى بما تراه من تدابير عملية فى شأن تطبيق قرارات الامم المتحدة ومشاركتها فى اعداد الاستفتاء ومراقبته .

ويلاحظ أن هذا القرار قد فصل ، خلافا للقرار السابق ، بين يفنى والصحراء ، فجعل منهما قضيتين متباينتين . فاذا كان القرار قد أوصى باجراء الاستفتاء فى الصحراء ، فانه بالقياس الى يفنى ، اكتفى بمطالبة اسبانيا بالتفاوض مع الحكومة المغربية فى مسألة تفويت السلطات .

والملاحظة الثانية هى أن الجزء المتعلق بالصحراء فى قرار الجمعية العامة المذكورة يشير الى **الحكومة الموريتانية** وكل طرف آخر يعنيه الامر ، وذلك نتيجة لالحاح الوفدين الموريطانى والجزائرى ، وقد أثارت هذه المسألة مناقشات طويلة وصعبة حين صياغة مشروع القرار الذى لم يشر فى شكله الاول **للحكومة المغربية** . وأذكر ــ وقد كنت فى ذلك الحين عضوا فى الوفد المغربى بنيويورك ان الوفد الذى كان يمثل الصحراء المحتلة عارض معارضة شديدة فى ذكر موريطانيا والجزائر فى صلب القرار ، باعتبار أن المغرب وحده هو صاحب الحق على الصحراء ، وكان هذا هو الراى الذى بقى الوفد المغربى متمسكا به الى النهاية .

ورب متسائل يقول : لماذا قبل المغرب سنة 1966 اجراء الاستفتاء فى أرض تعتبر جزءا لا يتجزأ من كيانه القومى ، وكيف تغاضى عن ذكر اسم موريتانيا وكل طرف معنى آخر فى صلب القرار ؟ وتعليل ذلك :

اولا : أن الحكومة المغربية ارادت ، بعد فشل جهود المفاوضات الثنائية ، أن تضع الحكومة الاسبانية بين السيف والجدار ، كما يقال ، وذلك لاخراج قضية تصفية الاستعمار فى الصحراء من الركود الذى أدت اليه مراوغات مدريد ومماطلات حكومتها .

ثانيا : أن المغرب كان ــ على ما يبدو ــ واثقا من نتيجة الاستفتاء التى لن تكون على كل حال لصالح الاستعمار الاسبانى ، سيما وأن قرار الجمعية العامة نص على وجوب اجراء الاستفتاء تحت اشراف الامم المتحدة وبعد عودة اللاجئين ، وكان معظمهم مقيما بالمغرب المحرر .

ثالثا : ان الظروف الدولية ، سيما على صعيد القارة الافريقية كانت تفرض على المغرب أن ينتهج خطة سياسية معينة تراعى الاوضاع الخاصة لبعض **الدول** الافريقية المستقلة اذ ذاك وكفاح شعوب افريقية اخرى فى سبيل استقلالها ، وبانتهاج هذه الخطة تمكن المغرب من تهدئة بعض الشكوك التى اثارتها حوله ظروف وخصومات لا محل لذكرها الآن .

رابعــا : ان العمل فى المجال الدولى يفترض بطبيعته نوعا من المرونة فى مواجهة المواقف المتضاربة التى لا يخلو منها اجتماع دولى .

ومهما يكن من أمر فا نإسبانيا رفضت ما أوصى به القرار سنة 1966 ، ثم غيرت موقفها فى الدورات اللاحقة للجمعية العامة التى كانت قراراتها تؤكد وتلح على اجراء الاستفتاء فى الصحراء ، وهكذا وافقت اسبانيا ، نظريا ومبدئيا على القرار الصادر سنة 1967 ، ولكنها لم تسمح قط بتطبيقه ولم تتح لبعثة الامم المتحدة الفرصة لاداء المهام التى اسندتها اليها الجمعية العامة .

ولم تلبث نوايا اسبانيا ان ظهرت جلية سنة 1973 على اثر نشر مذكرة لرئيس دولتها تتضمن جوابا عما سمته أجهزة الاعلام الاسبانية بنداء «الجمعية الصحراوية» التى هى فى الحقيقة هيئة مفتعلة ، القصد من اقامتها تزييف ارادة سكان الصحراء المغربية الذين شرد الحكم الاستعمارى الالف منهم لجأوا الى الاقاليم المغربية المحررة فرارا من البغى والاضطهاد او استنكارا لما تحوكه الادارة العسكرية الحاكمة من مؤامرات على حاضر الصحراء ومستقبلها .

ولذلك فان الوفد الاسبانى، الذى وافق على قرارات الجمعية العامة الصادرة منذ سنة 1967 رفض القرار الاممى الصادر سنة 1973 وهو نص لا يزيد عن تكرار ما ورد فى النصوص السابقة التى أقرتها الجمعية العامة حول تنظيم الاستفتاء تحت اشراف الامم المتحدة لتمكين سكان الصحراء من حق تقرير مصيرهم بانفسهم .

وقد اتضح بعد ذلك ان اسبانيا انما كانت تريد كسب الوقت لاعداد العدة لحبك مناورة جديدة تؤدى

الى قيام استعمار مقنع فى الصحراء ، وذلك باحداث وضع جديد يخول للجماعة المزعومة حق تنظيم استفتاء صورى فى الاقليم يؤدى الى بقاء السيطرة الاسبانية عليه .

وما ان أحيط سفير جلالة الملك فى مدريد بمعلومات تلقاها عن وزير الخارجية الاسبانى فى شأن «الاتجاه الجديد» حتى وجه صاحب الجلالة ملك المغرب رسالة الى الجنرال فرنكو بتاريخ 4 يوليو 1974 حذر فيها العاهل الكريم الحكومة الاسبانية من مغبة أى عمل انفرادى تقوم به اسبانيا فى أرض الصحراء ، مؤكدا تصميم المغرب على الحفاظ على حقوقه المشروعة والتصرف وفقا لما تمليه تطورات الموقف .

وقد صدع جلالة الملك بهذا الامر الى الامة المغربية فى الخطاب الذى القاه فى اليوم الثامن من شهر يوليو الماضى واعلن فيه خطورة الموقف فى الصحراء نتيجة لعزم اسبانيا على اقامة نظام استقلال داخلى مزيف تحتفظ فيه اسبانيا لنفسها بسلطات واسعة لا سيما فى ميدان الشؤون الخارجية والدفاع ؛ وأهاب جلالة الملك بالشعب أن يعبىء نفسه لاسترجاع الاراضى المغربية المغتصبة ، واحباط مناورات الاستعمار . وقد كان لهذا الخطاب التاريخى وقع ايجابى فى نفوس المغاربة جميعا ، كما كان له صدى واسع فى المحافل الدولية ، العربية والافريقية منها على الخصوص ، ولم يفت الحكومة المغربية أن تخطر منظمة الامم المتحدة والجامعة العربية ومنظمة الوحدة الافريقية بما تبيته الحكومة الاسبانية من نوايا تجاه الصحراء المغربية مع التأكيد على تمسك المغرب بجميع حقوقه المشروعة على أقاليمه المغتصبة .

ووجه عاهلنا مبعوثين من قبل جلالته الى عدد من أقطار العالم فى افريقيا وأوربا وأمريكا وءاسيا لشرح موقف المغرب من قضية أراضيه المغتصبة وشرح حقوقه التاريخية والسياسية والقانونية فى استرجاعها .

وقد كان جواب الحكومة الاسبانية على هذا الموقف الصريح الذى اتخذه المغرب تجاه مناورات مدريد بخصوص الصحراء المغربية ، أن وجه المندوب الاسبانى الدائم فى نيويورك مذكرة مفصلة الى الامين العام للامم المتحدة بتاريخ 10 يوليو 1974 ومما جاء فى هذه المذكرة :

— ان الحكومة الاسبانية قررت اقامة نظام بمشاركة سكان الصحراء تدريجيا فى تسيير شؤونهم

— ان وازرة الخارجية الاسبانية قد أبلغت فى اليومين الثانى والثالث من شهر يوليو 1974 سفراء الجزائر والمغرب وموريطانيا المعتمدين فى مدريد عزم اسبانيا على الاعلان مستقبلا عن نظام تأسيسى يرمى الى تحقيق حق تقرير المصير .

— ان الحكومة الاسبانية ستستمر فى اعداد سكان الصحراء حتى يسلكوا الطريق التى سوف تقودهم نحو مستقبلهم وتؤدى بهم، فى الوقت المنشود الى تقرير مصيرهم بأنفسهم .

واشارت المذكرة الاسبانية — وهذا من عجائب الامور — الى ما سمته بالحملة المدبرة التى يشنها المغرب لضم الصحراء .

فما هو هذا النظام الجديد الذى اعتزمت اسبانيا فرضه على سكان الصحراء ؟

ان هذا النظام كما يفهم من مذكرة أخرى سلمها المندوب الاسبانى الدائم فى نيويورك الى الامين العام للامم المتحدة فى شهر يوليو 1974 — يبنى على الاعتبارات والقواعد التى أوجزها فيما يلى :

— الصحراء منطقة تدير شؤونها اسبانيا باسم الشعب الصحراوى .

— تضمن اسبانيا للشعب الصحراوى حرية ممارسة حق تقرير مصيره بنفسه ، وتعترف بأنه وحده المالك لثرواته الطبيعية ، وبأن له وحده حق الاستمتاع بفوائدها .

— ينطبق وصف الصحراوى على السكان الاصليين وحدهم دون غيرهم .

— ان الشؤون الداخلية هى من اختصاص هيآت الاقليم . وتضمن الحكومة الاسبانية تمام أرض الصحراء ، وهى التى تمثل الاقليم فى الميدان الدولى، وتتولى شؤونه الدفاعية .

— ان للجمعية العامة الصحراوية صلاحية وضع قوانين الاقليم والموافقة عليها ، الا أن لرئيس الدولة الاسبانية حق التصديق على هذه القوانين .

— يتألف مجلس الحكومة من سبعة أعضاء ، أربعة منهم تنتخبهم الجمعية العامة للصحراء ، وأما الثلاثة الباقون فيعينهم الحاكم الاسبانى الذى يرأس

بنفسه مجلس الحكومة . واليه يرجع امر الدفاع عن الاقليم وعن الوصى على مؤسساته .

هذا هو النظام الذى اختارته الحكومة الاسبانية للصحراء وسكانها .

ولست فى حاجة الى القول بأن هذا الاتجاه الاستعمارى الجديد كان من شأنه أن ينتقل بقضية الصحراء المغربية المحتلة الى مرحلة جديدة تتجاوز أبعادها مرامى القرارات التى اصدرتها الجمعية العامة من سنة 1966 الى سنة 1973 .

وفى هذه المرحلة الثالثة من مراحل كفاح المغرب فى الحقل الدولى قرر جلالة ملك المغرب المطالبة بعودة الصحراء المحتلة الى حوزة الوطن المغربى دون اجراء استفتاء فيها ، ذلك لان تقرير المصير ، فى مفهوم حكومة مدريد ، انما يعنى تزييف ارادة سكان الصحراء بتواطؤ مع «جماعة» اصطنعها الاستعمار وجعلها تحت السلطة المباشرة للحاكم العام الاسبانى والسيطرة التامة للدولة الاسبانية . وذلك بعد أن هيأ الاستعمار الجو الملائم لهذا التزييف بتوطين آلاف المهاجرين الاسبان ومهد لهم سبل الاستقرار بالصحراء بعد ابعاد جميع العناصر الوطنية المناوئة لهذه السياسة حتى بلغ عدد اللاجئين والمضطهدين وضحايا القمع عشرات الآلاف .

وبعد أن اتضح أن اسبانيا ستمضى فى خطتها هذه ، وذلك حينما أعلنت حكومة مدريد أن «الاستفتاء» المرتقب قد ينظم فى الصحراء فى خلال السنة الجارية أعلن جلالة الملك الحسن الثانى فى ندوته الصحفية الهامة التى عقدها فى الرباط فى اليوم السابع عشر من شهر سبتمبر الماضى أعلن عزم المغرب على عرض القضية على انظار محكمة العدل الدولية .

وكانت هذه الخطوة الجديدة بمثابة ضربة قاضية اصابت خطط الحكومة الاسبانية فى الصميم ، سيما بعد أن تبنت الجمعية العامة للامم المتحدة فى دورتها الاخيرة قرارا هاما حول الاتجاه العام لسير قضية تحرير الصحراء ، وأفسد على اسبانيا برنامجها وسياستها الصحراوية الجديدة . وعادت القضية الى طريقها السوى ، واتضح للملأ الدولى حق المغرب فى استعادة أرضه الصحراوية المغتصبة .

وقد قررت الجمعية العامة ، بموجب قرارها الاخير الذى يحمل رقم 3292 وأن تطلب من محكمة العدل الدولية ، أن تعطى ، فى موعد قريب ، رأيها الاستشارى فى المسائل الآتية :

ـ هل كانت الصحراء الغربية (وادى الذهب والساقية الحمراء) فى وقت استعمارها من طرف اسبانيا ، أرضا لا مالك لها ؟ TERRANULLUS

فاذا كان الجواب عن هذا السؤال الاول بالنفى ـ فما هى الروابط القانونية التى كانت تربط هذا الاقليم بالمملكة المغربية وبالمجموع الموريطانى ؟

وطلب القرار من اسبانيا ومن المغرب وموريطانيا باعتبارهما طرفين معنيين بالامر ، أن تقدم لمحكمة العدل الدولية كل المعلومات والوثائق التى من شأنها أن توضح هذه المسألة .

كما طلب القرار من اسبانيا أن توقف الاستفتاء الذى كانت تفكر فى تنظيمه بالصحراء المغربية حتى تقول الجمعية العامة كلمتها عن السياسة التى يتعين اتباعها لحث مسيرة تصفية الاستعمار فى الاقليم .

هذا هو القرار الاممى الذى أحبط مناورة الحكومة الاسبانية فى الصحراء المغربية . وكانت الموافقة عليه توفيقا من الله من به على جلالة ملك المغرب وشعبه المناضل .

ونصل الآن الى المرحلة الرابعة من كفاح المغرب فى الحقل الدولى من استرجاع جميع أراضيه المغتصبة لقد بدأت هذه المرحلة بالاعلان الرسمى الصريح عن مطالبة المغرب بعودة **سبتة ومليلية وجزر النكور وبادس والشفارين** الى حوزة الوطن المغربى وذلك حينما اصدر صاحب الجلالة الملك تعليماته بالعمل على طرح قضية استرجاع ثغورنا وجزرنا المغتصبة على انظار لجنة تصفية الاستعمار بالامم المتحدة ، وذلك بعد أن عرض الوفد المغربى الذى حضر لجنة التنسيق الخاصة بتحرير افريقيا التى عقدت اجتماعاتها بدار السلام فى الشهر الماضى ، مسألة الاراضى الشمالية المغربية التى ما تزال رازحة تحت الاستعمار .

الآن قد وصلت الى نهاية هذا الحديث أود أن أسأل ، ما هى الحجج التى ستدلى بها اسبانيا امام محكمة العدل الدولية ومنظمة الامم المتحدة لتثبت حقها فى استعمار الصحراء وسبتة ومليلية والجزر المغربية ؟

ان اسبانيا تملك في الواقع حجتين اثنتين :

فالحجة الاولى تقوم على قاعدة الامر الواقع المدعم بالاحتلال العسكري والسيطرة الاستعمارية .

والثانية تستند الى معاهدات سرية وعلانية أبرمتها اسبانيا مع دول أجنبية أخرى ، وهي معاهدات لم تكن ترمي الا الى اقتسام مناطق النفوذ في عصر بلغ فيه الاستعمار الاوروبي أوج سلطانه وتسلطه .

اما حجج المغرب فانها تقوم أولا وقبل كل شيء على الواقع الجغرافي والتاريخي والسلالي ، كما تقوم على المعاهدات الدولية والثنائية العديدة التي أبرمها المغرب مع الدول الطامعة ، وذلك منذ القرن السابع عشر . وهذه المعاهدات كلها – بما في ذلك عقد الجزيرة الخضراء الدولي المبرم سنة 1906 ، والبيان المغربي الفرنسي المشترك والبيان المغربي الاسباني المشترك الموقعان سنة 1956 – تعترف كلها بسيادة السلطان ووحدة المغرب وتمام أرضه الوطنية .

وحجج المغرب قائمة أيضا على العديد من الوثائق والمستندات القانونية والسياسية والادارية من ظهائر التعيين ومراسلات ملكية ورسوم شرعية. فضلا عما أثبته الجغرافيون والمؤرخون والجوالون من براهين تدل على حق المغرب الصريح على الاراضي التي يطالب بها والتي ظلت سيادته مبسوطة عليها منذ دخول عقبة بن نافع الفهري وقيام الدولة الادريسية الشريفة

واذا كانت سياسة الاسبان التي قامت في القرن الخامس عشر على الغارة الصليبية وتطورت الى مجرد السعي في التوسع والاستغلال الاستعماري لموارد المغرب ومواقعه ، اذا كانت هذه السياسة قد دأبت على توطين العنصر الاجنبي في مدننا وأراضينا المغتصبة وعلى طرد السكان المغاربة منها ومحو معالم مدنيتنا وثقافتنا في البقاع التي احتلتها فان ذلك لن يقوم أبدا حجة على صحة التملك ، لقد استعمر الانجليز والهولنديون والفرنسيون والبرتغاليون أقطارا وشعوبا في آسيا وافريقيا وأمريكا وتوطنوا فيها قرونا من الزمن الا انهم اضطروا الى مغادرتها في عصر لم يعد فيه للاستعمار مكان .

واننا لنربأ بالشعب الاسباني الصديق ، وبرجاله الاحرار أن تبقى الدولة الاسبانية آخر من يحمل راية الاستعمار بين الامم ، بعد أن دالت دولته ، ونهض البرتغاليون – وهم جيران الاسبان وأشقاؤهم – الى تصفية الاستعمار في الاراضي التي كانوا يحتلونها.

ان المغاربة لم يكونوا قط من الذين يفرطون في شبر من بلادهم ، وسنظل بحول الله على هذا الدرب سائرين حتى نحرز كل أمصارنا ونصل ما انقطع بيننا وبين اخواننا وربوعنا .

وما النصر الا من عند الله، وهو يتولى الصالحين.

الرباط : محمد العربي الخطابي

والله ما لي الى ذلك سبيل !

جاء عتبة بن سعيد بن العاص الى عمر بن عبد العزيز ، وكان صديقا له وقال : «يا امير المومنين : ان سليمان قد أمر لي بعشرين الف دينار ، حتى انتهت الى ديوان الختم ولم يبق الا قبضها ! فتوفي على ذلك ، وأمير المومنين اولى باتمام الصنيع عندي ، وما بيني وبينه اعظم مما كان بيني وبين سليمان .

فقال عمر : عشرون الف دينار تغني اربعة آلاف بيت من المسلمين ، وأدفعها الى رجل واحد ! والله ما لي الى ذلك سبيل .

بحث ثقافي تاريخي حول :

الثقافة العربية المعاصرة في شمال المملكة المغربية

للدكتورة آمنة اللوه

— 6 —

... واتماما لما سبق واختصارا له : فان المنطقة الشمالية ظفرت في ظرف وجيز (نحو عشرين سنة) بمؤسسات تعليمية ومؤسسات ثقافية لعدد من فروع المعرفة .. تؤهل ابناء المنطقة للحصول على شهادات مغربية : ابتدائية وثانوية ؛ وبكالوريا ؛ ومهنية وشهادة عليا دينية ..

وصدرت تشريعات هنا وهناك بمعادلة هذه الشهادات مع الشهادات الاجنبية فارتفعت العراقيل في وجه انخراط الطلبة في الجامعات العربية والاسبانية وغيرها .. الامر الذي سهل فيما بعد الانخراط في كليات جامعة محمد الخامس والمعاهد العليا الوطنية .

البعثات :

وكانت اول بعثة ثقافية غادرت المنطقة ايام الحماية لاستكمال الدراسة في الخارج هي التي اوفدها الوطني الحاج عبد السلام بنونة ومن معه من ذوي الغيرة سنة 1930 الى مدرسة « النجاح » بنابلس بفلسطين العربية .. وكان من اعضائها اخوه الحاج محمد بنونة وابنه الحاج الطيب بنونة وغيرهم. ثم تلتها بعثة اخرى الى نفس المدينة كان من افرادها: الاستاذ محمد الخطيب ـ كما توجه بعضهم الى اقطار اخرى كمصر وتركيا واسبانيا .. وبطبيعة الحال توالت منهم الافواج الى فاس في الداخل لمن استطاع اليها سبيلا .

وفي سنة 1939 تأسس « بيت المغرب » بمصر كنتيجة للمساعي الحميدة التي بذلها الاستاذ الشيخ المكي الناصري في سبيل تهيئة بعثة طلابية؛ كثيرة العدد الى المعاهد المصرية فتوجهت اول بعثة من هذا النوع ضمت ما ينيف على اربعين طالبا ؛ وفي مقدمتهم مولاي المهدي نجل الخليفة السلطاني مولاي الحسن بن المهدي . والتحقوا بمختلف المعاهد والكليات المصرية .. وفي نفس الوقت توجهت بعثة اخرى الى الديار المصرية بعناية الاستاذ الكبير عبد الخالق الطريس .. هذا وقد رجع معظم افراد البعثتين بالنتيجة المرجوة ، وعينوا في مختلف معاهد المنطقة ؛ وما زال جلهم الى اليوم يسدون خدمات جلى للتعليم الثانوي والتعليم العالي .

وكذلك تأسس بيت آخر للمغرب في غرناطة سنة 1945 يؤوي طلبة المنطقة المتوجهين الى اسبانيا للدراسات العليا .. وخلقت منح مناسبة لاجل هذه الغاية .. فكان افواج الطلبة يتوجهون كل

سنة الى اسبانيا . وعند بداية الاستقلال توجهت منهم دفعة كثيرة العدد تجاوزت مائتي طالب ، حيث التحقوا بمختلف المعاهد العليا .. واختيرت منهم جماعة نحو المائة للتخصص في الاكاديميات العسكرية بنواحي اسبانيا .. وان معظمهم الان ضباط كبار في القوات الملكية المسلحة .. وغير ذلك من النتائج الطيبة التي عادت على المغرب من تلك الحركة رغم ضآلتها وقلة عناية السلطات الاسبانية بها ، اذ ان الفضل الاكبر فيها يعود الى المجهودات المبذولة من رجال الحركات الوطنية ، رغم العراقيل الاستعمارية المعترضة طريقهم .

ابحاث ودراسات :

وعلى اي حال ، فان ذلك المجهود الثقافي سواء منه الجانب الحر النشيط او الجانب الحكومي الضئيل كفيل بتكوين نخبة من المثقفين المبرزين فكان لا بد معه من مراكز ووسائل تعين على متابعة الدراسات والابحاث . فاسس لهذه الغاية معهدان :

— معهد « مولاي الحسن »

— والمعهد المسمى بمعهد « فرانكو »

فالاول — معهد مولاي الحسن — او المعهد الخليفي هو ايضا من ابتكارات الاستاذ المكي الناصري في حقل الثقافة ، فهو الذي فكر في غاياته وطريقة ايجاده واخراجه الى حيز الوجود .. حيث تقدم للسلطات المختصة باقتراح افرغ فيما بعد في مشروع ظهير صدر بتاريخ 8 فبراير 1937 فتاسس المعهد على احسن طراز ممكن متوفر على بناية لائقة ، ومزود بما يحتاجه من اثاث وادوات وبمكتبة غنية بالمراجع والمستندات ... وصدر ظهير آخر بتعيين الاستاذ الناصري مديرا له .

وقد افتتح هذا المعهد بكيفية رسمية في 12 دجنبر 1937 في محفل رسمي برياسة سمو الخليفة وحضور السلطات المحلية والاساتذة والاعيان .. وقرىء في حفل الافتتاح ظهير التاسيس المتضمن انه اسس ليكون مركزا لبعث وتطوير الثقافة الاسلامية ولربط الصلة بين الثقافتين العربية والاسبانية ولتكوين اساتذة باحثين ولنشر ذخائر الثقافة الاندلسية المغربية ولمبادلة ثقافات خارجية ولتنظيم رحلات علمية .. كما يتضمن ان للمعهد مجلسا مكونا من اشخاص ذوي ثقافة عالية ، وان لغته هي العربية . وحدد الموضوعات التي تدور حولها الدراسات والابحاث كما يلي :

1 — اللغة وادبها
2 — تاريخ المغرب
3 — الجغرافية وعلم السلالات بالمغرب
4 — التشريع الاسلامي والمؤسسات الاسلامية
5 — علم الاجتماع المغربي والفلكلور المغربي
6 — القانون العام للحماية والتشريعات — مقارنة
7 — النهضة الحديثة في العالم الاسلامي
8 — جغرافية وتاريخ الامم العربية
9 — علم الاثار وما قبل التاريخ في المغرب
10 — الفن المغربي
11 — الفلسفة الاسلامية — مقارنة
12 — الحضارة العربية — الاسبانية
13 — الترجمة والنشر
14 — التبادل الثقافي مع مراكز البحث والدراسات العربية باسبانيا والدول الاخرى .
15 — الرحلات العلمية .

واشار الظهير الى انه يمكن احداث جوائز خاصة بواسطة مباريات حول المواضيع الآنفة الذكر .

وفعلا ، فان جائزة « مولاى الحسن » احدثت في دجنبر 1947 لاحسن كتاب حول موضوع من الموضوعات المقررة . فكان من الذين احرزوا على هذه الجائزة — بالتوالي :

— الفقيه السيد محمد التطواني (سلا) سنة 1948 عن كتابه « لسان الدين ابن الخطيب » .

— الاستاذ عبد العزيز بن عبد الله (الرباط) عن كتابه: «الفلسفة والاخلاق عند ابن الخطيب»

— الاستاذ عبد العزيز بن عبد المجيد (من مصر) سنة 1951 عن كتابه « ابن الابار » .

— الاستاذ محمد عبد الرحيم غنيمة (من مصر) سنة 1952 عن كتابه : « تاريخ الجامعات الاسلامية » .

— الاستاذ الحاج محمد داود سنة 1953 عن كتابه : « تاريخ تطوان » .

وقد نشر المعهد سائر المؤلفات المجازة ، كما نشر الكثير من مؤلفات قديمة وحديثة . من ذلك :

— « ابن خلدون » للاستاذ محمد عبد الله عنان .

— « رحلة ابن جبير » و « رحلة ابن بطوطة » للدكتور محمد مصطفى زيادة .

— « أزهار الرياض في اخبار القاضي عياض » لاحمد المقري .

— « الحضارة الاسلامية في القرن الرابع عشر الهجري » لادم ميتز (ترجمة أبو ردة) .

— « لباب المحصل في اصول الدين » لابن خلدون

— « رسائل سعدية » تقديم لعبد الله كنون .

— سلسلة « مشاهير المغرب (25 عددا) » لعبد الله كنون .

الى غير ذلك من المؤلفات المنشورة .

وجدير بالذكر ان الاستاذ الناصري استقدم عندما تأسس المعهد جماعة من الاساتذة المصريين للعمل بالمعهد ، وان الاستاذ عبد الله كنون تولى بعد الاستاذ الناصري ادارة المعهد سنة 1948 ، وان المعهد عرف في عهد كنون نشاطا كبيرا في حركة التأليف والنشر .. وفيما بعد اصدر المعهد مجلة « تطوان » المشهورة بأبحاثها الضافية .. ثم اضيفت اليه مجلة « تمودة » التي كانت تصدر بالاسبانية .

المسمى معهد فرانكو :

وعلى هامش تأسيس « معهد مولاي الحسن » أسست السلطات الاسبانية — من باب المنافسة — معهدا آخر باسم « معهد فرانكو » . وكان من جملة اهدافه — زيادة على الغايات الاسبانية الصرفة — البحث عن المخطوطات العربية الموجودة بالمنطقة ، وقد اسندت مهمة قسمه العربي الى الاستاذ الفريد البستاني اللبناني .. فكان البستاني يتقرى القبائل والمداشر ، منقبا عن الكتب المخطوطة القديمة بمساعدة المراقبات وارباب السلطة فعثر على مخطوطات هامة تولى تحقيقها واخراجها وتقديمها للطبع منها :

— كتاب « الكليات » لابن رشد

— وكتاب « ملوك بني نصر ، وهجرة الاندلسيين الى المغرب » لمؤلف مجهول ، كما نشرت عدة مؤلفات مغربية قديمة وحديثة من ذلك :

— كتاب في الحديث للسلطان سيدي محمد بن عبد الله .

— وكتاب « منتخبات من شعر ابن زاكور » تقديم الاستاذ عبد الله كنون .

— وكتاب « تحفة القادم في شعراء الاندلس » لابن بسار .

— وكتاب « رحلة الوزير في افتكاك الاسير » لمحمد بن عبد الله الغزال .

— وكتاب « تاريخ المحاكم الاسلامية » للفقيه المرابط

— وكتاب « المدن والمؤسسات في المغرب الاسلامي » للبقي برونشفال .

كما نشر مؤلفات اخرى كثيرة ما بين اسبانية وعربية .. وقد احدثوا كذلك جائزة سموها « جائزة فرانكو » تعطى سنويا لاحسن باحث في الموضوعات التي يعلن عنها .

وفي نفس الوقت كانت هناك جهات اخرى أدت نشاطا ملحوظا في البحث والنشر يضيق المقام عن استقصائها وتتبعها .

الخزانة العامة :

والى جانب هذا كله نجد ان الخزانة العامة المعبر عنها بالمكتبة العامة ، كانت نواتها الاولى من كتب ومستندات متفرقة هنا وهناك ، ثم جمعت ورتبت واضيفت اليها كتب مجلوبة ، واخرى مهداة من الدولة ، ففتحت في وجه العموم سنة 1941 ثم اخذت في النمو والتكاثر الى ان صارت من اعظم الخزائن بفضل الاعتمادات المخصصة لها ، ولكونها اقتنت بالشراء عدة خزائن خاصة ، كخزانة ابن الصديق من طنجة والخزائن المختلفة عن كبار العلماء ، وكالوثائق الطريسية المختلفة عن الحاج محمد الطريس النائب السلطاني بطنجة ، والوثائق المخلفة عن الشريف سيدا الحسن بن محمد العلمي بشفشاون .. وغير ذلك من المجموعات . وان زيارة واحدة لهذه

الخزانة — وخاصة على وضعها الحالي — لتعطي صورة مدى غنائها واهميتها ؛ بالاضافة الى الخزائن الخاصة بكل مؤسسة كخزانة معهد « مولاي الحسن» وكخزانة المعهد الديني العالي ، وخزانة مركز الدراسات المغربية ، وخزائن البلديات في ارجاء المنطقة .

وكان مما استحدث واستحسن سنة 1940 بموجب ظهير ، تنظيم موسم للكتاب العربي يقام كل سنة في الساحات العمومية ويدعى « عيد الكتاب العربي » كتقليد حسن للمواسم الكتابية التي تجرى في اسبانيا .. تعرض فيه الكتب في الشوارع على المارة باسعار منخفضة بمشاركة جميع المكاتب التجارية والمراكز الثقافية المغربية والاسبانية وعادة يقام هذا الموسم الجميل في شهر ابريل ايام الربيع المزدهر المصادف لميلاد الكاتب الاسباني الشهير سرفانطيس ، ويقام معه معرض للكتاب تشارك فيه المكتبات العامة والخاصة والجامعات الاسبانية وغيرها .

ويجدر القول بأن المغرب القديم سبق الى الاحتفال بعيد الكتاب وذلك في عهد المنصور الذهبي السعدي حيث قرر أن يحتفل بكتاب البخاري يوم سابع شوال من كل سنة .. وهذا من ذاك !

وكانت هناك جائزتان ادبيتان احدثتا سنة 1953 ترصدان لاحسن انتاج ادبي « شعرا ونثرا » باحدى اللغتين العربية والاسبانية — « جائزة المغرب » للانتاج العربي ، وجائزة « MARRUECOS » للانتاج الاسباني .. وكان التباري اليهما يقع في فصل الربيع فتظهر بسببهما انتاج ادبي متنوع .

وكان من الذين حصلوا على جائزة المغرب الادبية :

— ابراهيم الالغي — موشحات
— احمد البقالي — قصة
— آمنة اللوه — قصة
— محمد الطنجاوي — قصيدة

الصحافة :

فاذا كانت طنجة هي التي ضربت الرقم القياسي في ميدان الصحافة في الفترة التي سبقت اعلان الحماية فان تطوان في فترة الحماية هي حائزة قصب السبق ولا سيما في الثلاثينات والاربعينات واغلبها بمبادرات فردية لاهداف وطنية او ثقافية او اخبارية .

وكانت تطوان والعرائش تتوفران على تجهيزات مطبعية كافية لنشر الصحف ولنشر الكتب بلغت نحو عشرين مطبعة ، واقدمها من ناحية الطبع العربي مطبعة جريدة « الاصلاح » المحدثة سنة 1917 . ومطبعة « المهدية » المحدثة سنة 1928 ؛ وقد اشتهرت هذه المطبعة بوفرة مطبوعاتها العربية .

وتاريخ المطابع والصحف طويل الذيل في هذه الفترة يضيق المقام عن التمادي فيه ، وان كان من الاجدر التنبيه على ان تطوان كان لها السبق في ظهور اول مطبعة بالمغرب ولكن بالحروف اللاتينية وذلك سنة 1860 حين احتلالها بالقوات الاسبانية ؛ وتأسيس المطبعة اللاتينية التي كانت تطبع بها جريدة « صدى تطوان » (ECO de Tetuán) بالاسبانية — ثم ان سبتة كان لها ايضا قصب السبق في ظهور اول جريدة مكتوبة بالعربية وذلك سنة 1883 بصدور جريدة « انيس سبتة » بالعربية كملحق لجريدة « صدى سبتة » (ECO de Ceuta) الاسبانية . كما اسلفنا .

وهذه اشهر الصحف العربية الصادرة بتطوان في هذه الفترة الاخيرة :

— جريدة « الاصلاح » سنة 1917 — اسبوعية ثقافية كانت تابعة للهيئة التعليمية المسماة « المجلس العلمي للتعليم المغربي » بتحرير اللبنانيين نعم الله الدحاح وحبيب سليمان .
— جريدة « شمال افريقيا » كانت تصدر باللغتين سنة 1918 ؛ وكان يحرر صحيفتها العربية السيد محمد العربي الخطيب .
— مجلة « النصر » سنة 1925 بتحرير اللبنانيين السالفين .
— مجلة « الاتحاد » سنة 1927 شهرية بتحرير اللبناني سعادة وغيره ، وكانت تصدر في مظهر جذاب وتطرق موضوعات هامة .
— مجلة « السلام » سنة 1933 مع ملحقها « السلام المصور » لمنشئها ومديرها الاستاذ محمد داود ؛ كانت تعتبر احسن مجلة وطنية

في وقتها .. وقد صدرت منها عشرة أعـداد ولم تستطع الصمود .

— جريدة « الحياة » سنة 1934 . اسبوعية سياسية لمنشئها الاستاذ عبد الخالق الطريس وكانت تعني بالقضية الوطنية فوقع عليها اقبال عظيم في عموم المغرب .

— مجلة « المغرب الجديد » سنة 1935 شهرية ادبية لمنشئها ومحررها الاستاذ المكي الناصري .. الا انها سرعان ما توقفت .

— جريدة « الاخبار » سنة 1936 — اسبوعية لصاحبها الاستاذ محمد داود .

— جريدة « الريف » سنة 1936 . اسبوعية لصاحبها الاستاذ التهامي الوزاني .

— جريدة « الوحدة المغربية » سنة 1937 . اسبوعية وطنية لمنشئها ومحررها الاستاذ المكي الناصري .

— جريدة « الحرية » سنة 1937 . يومية وطنية، لمنشئها الاستاذ عبد الخالق الطريس .

— جريدة « بريد الصباح » سنة 1939 . يومية اخبارية لصاحبها السيد محمد الوزاني .

— مجلة « الارشاد الديني » سنة 1939 ، شهرية دينية لصاحبها الفقيه محمد الطنجي .

— جريدة « الاخبار » سنة 1943 ، يومية اخبارية (شبه رسمية) مديرها عبد السلام العمري ومحررها الاستاذ الفريد البستاني وغيره .

— مجلة « الانوار » سنة 1946 ، نصف شهرية ، ادبية لصاحبها الاستاذ احمد مدينة .

— مجلة « الانيس » سنة 1946 ، شهرية ادبية لمنشئها محمد المراكشي ومحررها محمد الجحرة .

— مجلة « لسان الدين » سنة 1946 ، شهرية ارشادية محررها الدكتور تقي الدين الهلالي ثم الاستاذ عبد الله كنون .

— جريدة « الشباب » سنة 1946 ، اسبوعية لصاحبها محمد العربي الشويخ .

— جريدة « النهار » سنة 1947 ، يومية أخبارية باللغتين لصاحبها محمد ابو العيش بيصة .

— مجلة « المعرفة » سنة 1947 ، شهرية ثقافية لصاحبها الاستاذ حسن المصمودي .

— مجلة « المعتمد » سنة 1948 ، شهرية ادبية باللغتين تصدر بالعرائش لصاحبتها الانسة ترينا مركادير .

— جريدة « الدستور » سنة 1948 ، يومية اخبارية لصاحبها ابراهيم الوزاني .

— مجلة « المصباح » سنة 1951 ، شهرية ثقافية لصاحبها محمد النجار .

— جريدة « الامة » سنة 1952 ، يومية اخبارية وطنية رئيس تحريرها الاستاذ محمد الخطيب.

— جريدة « المغرب الحر » سنة 1952 . اسبوعية يديرها عبد السلام الطود .

— واخيرا مجلة « تطوان » سنة 1956 ، دورية ثقافية وثائقية تابعة لمعهد « مولاي الحسن » .

والكثير من هذه الصحف لم تستطع الصمود وتوقفت أو تمادت بضع سنوات ، الا انها في مجموعها سدت فراغا هائلا وقامت برسالتها العربية الثقافية .

ولوفرة الصحف وكثرة الصحفيين والمحررين اسست جمعية الصحافة والتحق بها المغاربة يحملون بطاقة صحفية تشهد لهم بتعاطي المهنة الصحفية ، وهم بعض أصحاب الجرائد المشار اليها سابقا باضافة الاستاذ المهدي بنونة الرئيس السابق لوكالة المغرب العربي وأحمد المكناسي رئيس اذاعة تطوان المعروفة براديو درسة وتقي الدين بوزيد وغيرهم .

المحاضرات :

ان هذا الشمال كان يتميز في الفترة التي نحن بصددها بكونه منفتحا الى الغرب والى الشرق معا ، فابواب طنجة مفتوحة لكل وارد ووافد ! . الا من استثنى .. وكذلك ابواب تطوان في غالب الاحوال .

والذي يعنينا هنا هو التفتح على الشرق العربي والسماح للشخصيات المثقفة البارزة ، والسياسية

والصحفية بزيارة المنطقة والاتصال بالاوساط المغربية واجراء الاستطلاعات والقاء المحاضرات وعقد الندوات . .

وكان من الشخصيات العربية التي زارت المنطقة وتركوا اثرا بالغا في الاوساط ، الاساتذة :

— شكيب ارسلان ، سنة 1930 مجتازا بطنجة على غفلة من سلطاتها وقد تحدث عن ذلك في عدة من كتبه .

— امين الريحاني (فيلسوف الفريكة) ، سنة 1939 وقد سجل نتيجة زيارته في كتابه القيم « المغرب الاقصى » .

— ووفد من صحفيي لبنان ومن صحفيي القاهرة.

— والدكتور ابراهيم سلامة ، عميد كلية آداب القاهرة .

— وحسن الباقوري ، وزير الاوقاف المصرية يومذاك .

— وسعيد رمضان ، الداعية الاسلامي .

— وعبد الخالق حسونة ، امين جامعة الدول العربية يومذاك .

— واحمد الشقيري ،

— وحسين مؤنس ،

وكذلك افراد البعثات التعليمية الذين اقاموا بتطوان سنين عديدة ، وهم من البعثة المصرية الاساتذة : محمد وهبي ، حسين الابياري ، يونس مهران ، حافظ المتولي ، عبد الجليل خليفة ، حسين امين ابراهيم (الرسام بيكار) ، ابراهيم عبد العزيز امين محمود ، محمد حمدي .

ومن البعثة اللبنانية الاساتذة : الشيخ عبد الله الدحداح ، حبيب سليمان ، الفريد البستاني ، موسى عبود ، نجيب ابو ملهم ، حسن عسيران ، انطوان البستاني . .

وكانت تطوان وجل مدن المنطقة تتوفر على نواد وقاعات تساعد على اللقاءات والتجمعات الادبية، منها : نادي « جمعية الطالب » ، وهو الاقدم ، اسس سنة 1932 ، ونادي « الوحدة المغربية » ، و « النادي التجاري » و « النادي الاسباني » و « النادي الاسرائيلي » وقاعة المعهد الرسمي او قاعة نيابة التربية والثقافة ، وقاعة المكتبة العامة .

وكان من جملة المحاضرين الكبار من الخارج الذين استمتعت بهم تطوان :

— الدكتور ابراهيم سلامه عميد كلية آداب القاهره

— حسن الباقوري وزير الاوقاف المصرية

— احمد الشقيري رئيس المنظمة الفلسطينية يومذاك

— الشاعر عبد العزيز اباظة

— المستشرق الفرنسي ليفي بروفنسال

— المستشرق الاسباني بلنثيا

— المستشرق الاسباني غرسيا غومث

— المستشرق الاسباني لويس سيكو دي لوثينا

بالاضافة الى سلسلة المحاضرات الثقافية التي كان ينظمها الاساتذة المغاربة في عدة مناسبات.

وكانت تعقد ندوات ادبية ومناظرات علمية من حين لآخر ، يحضرها العلماء والادباء ، تنشد فيها الاشعار ، وتطرح موضوعات المناقشة ، كما كانت تفعل الهيئة المعروفة « بعصبة الفكر المغربي » ، التي اسستها جماعة من كبار الاساتذة ، فكانت تعقد جلسات ممتعة في نادي « جمعية الطالب » وفي غيره .

كما كان هناك نشاط مسرحي ملحوظ يتمثل في فرق مدرسية واخرى وطنية تقدم عروضا شيقة في المناسبات .

شخصيات ثقافية :

ولعل من الواجب ، واعترافا مني بالجميل ، ان اخص بالذكر واختم هذا الموضوع بذكر بعض اولئك الرواد الاوائل الذين سبقوا الى العمل في الحقل الثقافي وغرسوا بذور النهضة الحالية في تلك الربوع

فاذكر من الرعيل الاول الاساتذة :

— السيد الحاج عبد السلام بنونة

— السيد الحاج احمد الرهوني

— السيد محمد المرنيسي

— السيد الحاج محمد داود

— السيد التهامي الوزاني

— السيد عبد الخالق الطريس

— السيد المكي الناصري

— السيد عبد الله كنون

واذكر من الرعيل الثاني الاساتذة :

— السيد امحمد بن عبد السلام ابن عبود

— السيد محمد بن علال الخطيب

— السيد امحمد بن علال عزيمان

— السيد محمد بن محمد الخطيب

— السيد محمد بن عبد السلام الفاسي

— السيد ابراهيم الالغي

— السيد محمد ابن تاويت

— السيد احمد ابن جلون

وآخرون يطول ذكرهم ..

الا انه يطيب لي التنويه بصفة خاصة باستاذنا الحاج محمد داود ناقلة عن امين الريحاني فى كتابه : « المغرب الاقصى » ما كتبه عن شخصية داود من الرواد الاوائل حيث قال :

« كما ان للتعليم فى لبنان اباه وامامه وهو صاحب « محيط المحيط » المعلم بطرس البستاني، وكما ان للعراق قطبه فى التعليم الحديث ونقنه فى فن التربية هو الاستاذ ساطع الحصري ، فان لهذه المنطقة من المغرب صنوا لمن ذكرت هو الاستاذ الحاج محمد داود مؤسس اول مدرسة اهلية (سنة 1925) ومنشىء اول مجلة عربية وطنية فى «المغرب الخليفي .. » انتهى كلام الريحاني .

وازيد ، مضيفة الى اعمال استاذنا داود الثقافية انه :

— حصل على جائزة ثقافية من سنة (1923) عن دراسة تاريخية حول شخصيات سبتة أيام الحكم الاسباني .

— وحصل فى نفس المدينة سنة 1928 على زهرة طبيعية وزهرة ذهبية فى حفل شعري على العادة الاسبانية فى تكريم الادباء ..

— وانه من جملة المؤسسين للمطبعة المهدية سنة 1928 .

— وانه عضو بارز فى سائر المجالس واللجن المهتمة بشؤون الثقافة والتعليم .

— وانه استاذ ماهر تخرج على يده جموع الطلبة والطالبات فى مختلف المعاهد العصرية والدينية .

— وانه اول مفتش عام عملي للتعليم الاسلامي بالمنطقة .

— وانه الف عدة كتب هامة اعظمها « تاريخ تطوان » فى ثمانية مجلدات بل عشرة (كما طرح اخيرا) وفيه من التحقيقات العلمية والاستقصاءات التاريخية ما لا يوجد فى غيره .

— وانه أسس مكتبة ضخمة فى بيته عامرة بالكتب النادرة والوثائق والمستندات ومجموعات صحفية وصور فتوغرافية .. ثم ابى الا ان يوقفها فى سبيل الله ويجعلها محبسة على طلبة العلم وعلى عموم المهتمين بالمعرفة بعد ان خصص لها جناحا قائما على مسجة ومرافق اخرى بجانب بيته .. وهب ذلك كله للعلم واهله جزاه الله خيرا .

والاستاذ داود الآن استاذ متفرغ منكب على الدراسة والبحث . ولا سيما عندما اسند اليه جلالة الملك الحسن الثاني حفظه الله مهمة الحفاظ على الخزانة الملكية بالرباط . اعان الله الاستاذ واطال حياته .

هذا ما عن لي ابرازه والتذكير به فى هذا البحث الوجيز رغم تسلسل هذه الحلقات .. وارجو ان اكون قد بلغت ما ارمي اليه من التذكير بتلك المؤسسات والمراكز والجهود الطلائعية التي كان لها الفضل الاكبر فى بعث الثقافة العربية الاصيلة فى هذا الجزء الشمالي من وطننا المغرب الحبيب .

الرباط : آمنة اللوه



تاليف: الاستاذ ليفي بروفنصال ــ 1922
تعريب: الاستاذ عبد القادر الخلادي - 1974

— 3 —

القسم الاول

الفصل الثاني : الفنون التاريخية

ــ أ ــ

تاريخ الدول والسلالات المالكة :

ان من الحقوق التي كان يخولها الملوك المسلمون لانفسهم هو ان تدون اعمالهم ومآثرهم في التواريخ الرسمية ، لانهم كانوا يرتاحون لقراءة ما يمجدهم ويخلد ذكرهم ، ولان ذلك من شانه ان يرفع منزلتهم ، لا في نظر شعوبهم فحسب ، ولكن في نظر الامم الاجنبية ايضا .

لقد كانوا يجزلون العطايا لمن يسجل محاسنهم ويحبر مفاخرهم ، وكان من الطبيعي ان يتزاحم الكتاب على ابواب قصور الحكام ليقدموا لهم نتاج قرائحهم رغبة في الحصول على الصلات او الوظائف المخزنية ، ومنهم من تزينهم المؤهلات المواتية والمواهب المناسبة ؛ ومن ينقصهم كل شيء الا الطمع والجشع

ليس لدينا معلومات تثبت انه كان بالبلاطات المغربية مؤرخون رسميون اختيروا لكفاءتهم ومزاياهم الفكرية . ان الملك السعدي احمد المنصور الذهبي هو الوحيد ، حسب ما نعرف ، الذي حرص على ان يكون من بين موظفي دواوينه مؤرخ رسمي ؛ بيد ان غيره من ملوك البلاد كانوا يكتفون بتشجيع من يتغنى بفضائلهم وتكريم من يشيد بمحامدهم .

ولا غرو ، انه كان بالمغرب كذلك كتاب تصدوا للقالبا لتسجيل مثالب الطاغين من ولاة الامور ، والتنديد بمساوىء المستبدين غير انه من المحقق انهم لم يفعلوا ذلك لتنوير العامة الاغمار ، ولكنهم فعلوه لاسترضاء الخاصة الناقمين على ذوي السلطة والمتربصين بهم دائرة السوء . .

ومهما يكن فان الباحث قلما يعثر على مثل تلك الاهاجي لان الملوك ، الذين كانوا عرضة لها ، لا بد ان يكونوا قد بذلوا كل ما في وسعهم لمحو اثرها خصوصا اذا لم يتمكنوا من القضاء على اصحابها .

وعليه فاذا كان من المتوقع ان نجد في المظان المغربية النوع الاول من التواريخ الخاصة بملوك

وامراء الدولتين : السعدية والعلوية ؛ فانه قد يكون من العبث ان ننتظر الوقوف على نماذج من النوع الثاني لانها اما فقدت بالمرة واما لم يبق منها الا النزر القليل .

ولا حاجة الى القول ان هذا القسم من المؤرخين المتمتعين برضى الحكام يجانبون النزاهة والصدق ، ولذا ينبغي ان نقرأ مؤلفاتهم بحذر شديد لانها مليئة بالتحريف ، وتكيل التملق بالمكيال الاوفى بحيث قد تجعل من اشد السلاطين فجورا وبطشا ، سلطانا مثاليا .

وبجانب هذا اللون من التواريخ ، توجد مؤلفات اخرى تتسم بالتحيز ، ولكن لم يكتف اصحابها بمدح الجالس على العرش ، وانما اوردوا بعض التفاصيل عن الاحداث الهامة التي وقعت في عهده مع مقدمة عن اسلافه ؛ واضافوا اليها بعض الاحصائيات التي لا تنكر قيمتها . ولذا ينبغي التمييز بين المؤرخين الذين يكلفهم السلطان رسميا بتحرير سجلات اعمالهم ، فيزودهم بالتوجيهات اللائقة ويغدق عليهم الصلات في مختلف المناسبات ، وبين امثالهم ممن يقدمون من تلقاء انفسهم على الكتابة ويهدون مؤلفاتهم للسلطان ، ذلك ان المؤرخين الرسميين ، ان صحت هذه التسمية ، يستطيعون عادة ، ولا نقول دائما ، ان يحصلوا على المعلومات فيتسنى لهم ان يدرجوا في تواليفهم قوائم كاملة لاسماء الموظفين السامين من وزراء وكتاب وقضاة ؛ واخبارا شافية عن الانتصارات والفتوحات ، وعدد العساكر ، وكذا تفاصيل عن التحصينات المقامة داخل البلاد وفي تخومها ؛ وعن اصلاحات المراسي التي تقصدها المراكب التجارية الاوربية ، ولا يغفلون ، بمناسبة كل حرب ، ان يذكروا اسماء الضباط وولاة الحصون ؛ وان يوردوا نصوص رسائل التهنئة التي وصلت ؛ والرسائل التي بعثت لمختلف الاقاليم او الى الدول الاجنبية ؛ وغالبا ما يشفعون كل ذلك بوصف استقبالات السفراء الاجانب الذين وصلوا الى البلاط ؛ واعدادات البعوث التي ارسلت الى بلاطات الخارج ، اذ يرى المؤرخون في كل ذلك اشادة بعظمة الاسرة المالكة وباهمية الحاشية ؛ وقد لا يفوتهم كذلك ان يذكروا نفقات الاسرة .

ونحن عادة نميل الى الثقة بالكتابات التي يدونها كاتبها عند ما تكون الاسرة الحاكمة في اوجها اي عندما يكون صادقا في وصف احوالها . واما اذا كانت تلك الاسرة منهارة مهددة بالفتن في الوقت الذي يكون فيه المؤرخ يدون اخبارها فاننا نميل الى الحذر منه والى اتهامه بالتحيز والتزوير ؛ لان التجارب المغربية اثبتت ان الملوك المحاطين برؤوس الفتنة ، المتوقعين حلول البوائق ، هم الذين يحسون بالحاجة الى اشاعة فضائلهم ونشر محاسنهم لاحباط مساعي مناوئيهم وادحاض ادعاءات مقاوميهم .

ومن جهة اخرى فانه يجب على المؤرخين الذين يقدمون تلقائيا على كتابة تاريخ سلطان او دولة ان يكونوا متحفظين في سرد الاخبار سيما اذا ما شرعوا في انجاز اعمالهم وسوق الهرج نافقة لان الملك الجالس على عرش غير ثابت القوائم كثيرا ما يرى في ثنايا الحقائق المسجلة طنزا او تلميحا لمواطن ضعف المملكة او يرى فيها حسد ثم الكاتب سما في دسم لا بد ان يجازي صاحبه بالضرب او السجن او القتل !

واذا ما كانت هذه المؤلفات لا تنطوي الا على الثناء والتمجيد فان رجال الفكر لا يلبثون ان ينظروا اليها بعين السخط ويعتبروها من سقط المتاع .

فهذه الكتب لا تحظى اذن ، في كلا الحالين ، لا برضى البلاط ولا برضى اهل العلم ، وقلما يحتفظ بها في المكتبات الخاصة او في مستودعات القصور المخزنية .

اننا لا نرى في ضياع الكتب التي نصفها بعدم التحيز ما يستوجب التأسف والتحسر لاننا ، حتى فرضنا ان البعض منها قد يكون محتويا لمعلومات مفيدة عما يجري في البلاطات من دسائس ومؤامرات، واحقائق مرة تتعلق بمقارات تاديبية ضد الشاقين لعصا الطاعة قد يكون المؤرخون الرسميون ستروها ما مضمنة لنوع آخر من التحيز السلبي الذي يهدف الى تجريد الدولة من كل مزية او محمدة تأييدا لناشري الاراجيف من الطامعين في الاستيلاء على ازمة الحكم .

وهنا يجدر بنا ان ننبه الى ان الكثير مما قلناه في شأن هذا النوع من التواريخ لا يخرج عن نطاق الافتراضات لانها مفقودة ولان الكتاب الذين سجلوا الاخطاء والعيوب والنقائص المنسوبة لاهل الحل والعقد قليلون جدا ؛ ومن هذه القلة الشريف المولى الحسن ابن السلطان سيدي محمد بن عبد الله ؛ (1757 / 1789 م.) الذي ؛ حسب ما يرويه كتاب

جديرون بالثقة ، الف كتابا مملوءا بالنقد واللوم المرير ولم يجد حرجا في تسجيل جميع ما شاهد من نقائص الاسرة الحاكمة التي ينتمي اليها ، ومنها اخطاء حكومة والده .

وثمة كاتب آخر ، سنتعرض له فيما بعد ، وهو ابو عبد الله محمد بن عبد السلام الضعيف الرباطي الذي « ارخى العنان لقلمه » في كتابه « تاريخ الدولة العلوية الى عهد المولى سليمان » فسجل فيه كل ما بدا له قبيحا ، ومن المؤسف اننا لم نعثر على كتابه رغم استقصائنا في البحث عنه (1) عسى ان نجد فيه معلومات تسد ما بكتب التاريخ المغربي الحديث من فجوات تعمد المؤرخون المحترفون اهمالها .

نعم فان هؤلاء المؤرخين كثيرا ما يعتمدون « نسيان » الحقائق أو « تحويرها » اذا ما رأوا أن الضرورة تدعو الى ذلك ، وهم من جهة أخرى ، متيقنون انه من السهل على القراء المتيقظين أن يكتشفوا ما قصد « كتمانه » وقد أعرب المؤرخ السعدي ، محمد الصغير الافراني ، في كتابه « نزهة الحادي » عما يحمل الكتاب على ذالك السلوك، ويستوجب التغاضي عن هذا النوع من التحفظ حيث قال : « ... وقد ضربنا صفحا هنا عن مطاعن رأينا الاعراض عنها أولى اذ من شرط المؤرخ الا يتتبع العورات ولا تهتك الاعراض » (2) ، وقال : « ... وتتبع ما وقع في ذلك يناقض غرضنا في هذا الكتاب من الاغضاء عن العورات والستر عن الفضائح وقد ألمعنا لك بما يكون دالا على ما وراء » (3) ؛ وقال في الفصل الاخير من كتابه : « ... ولقد تجنبنا التغالي في الذم في حق بعض من يستحقه منهم — (السعديين — سترا للاعراض ورعيا لجانب الخلافة » (4) . ويبدو ان الافراني قد تنصل بلباقة مما قد يوجهه له من انتقادات ولمزات القراء المغرضون ، عند ما ساق في كتابه رأي ابن السبكي في مهمة المؤرخ فأثبت ما يلي : « ... قال الشيخ تاج الدين ابن السبكي ، رحمه الله ، في طبقاته : ان المؤرخين على شفا جرف هار لانهم يستطيلون على اعراض الناس وربما وضعوا من الناس تعصبا أو جهلا او اعتمادا على نقل عمن لا يوثق به ، . قال : فعلى المؤرخ ان يتقي الله تعالى » (5) (*) .

يتأكد مما تقدم ان تدوين التاريخ السياسي يتطلب من المشتغلين به قسطا وافرا من الحذر والحيطة لتحاشي المزالق وتجنب المعاطب ، وان ما نقوله عن مؤرخي الدولتين السعدية والعلوية ، ينطبق بصفة عامة على كافة المؤرخين الاقدمين الذين اعتنوا ، سواء في المغرب او في المشرق ، بتدوين اخبار الملوك والامراء والسلاطين ، وبهذه المناسبة يمكن لنا ان نستخلص ان المؤرخين المغاربة حذوا حذو سابقيهم من ابناء قومهم ، وكذلك من المشارقة ومن الاندلسيين ، فنسجوا على منوالهم فيما يتعلق بمضمون التاريخ ومفهومه ، وتتجلى هذه الظاهرة في جميع المؤلفات التاريخية وحتى في الحوليات والاراجيز .

وفي الختام يجدر ان نلاحظ ان أصحاب المدونات التاريخية يقتصرون على الاهتمام بالسلطة الملكية وما يحيط بها فحسب ، وانهم يهملون عن قصد تاريخ البلاد الداخلي الشعبي الذي يدور حول زوايا المرابطين و « الطرق » الدينية ، وقد يكون ذلك اعتبارا للرعاية والاكرام الواجبين لذوي الحكم ، ومراعاة للصراع الخفي والصريح بين السلطة المركزية الملكية وبين الرؤساء الدينيين ذوي النفوذ الواسع لدى عامة الناس .

واذا كان مؤرخو الاسر الحاكمة اهملوا ذلك الجانب من التاريخ ، فاننا نجده في كتب أخرى خصصت لتراجم الاولياء والشرفاء والعلماء ؛ ولم يغفل المؤرخون الاوربيون عن الرجوع اليها لاستكمال المعلومات واستكشاف حقائق الاحوال .

---

(1) توجد منه عدة نسخ مخطوطة بالخزانة العامة (قسم المخطوطات) (المغرب) .
(2) ص 9 من النص العربي المطبوع .
(3) ص 158 من نفس المصدر .
(4) ص258 من نفس المصدر .
(5) ص 49 من نفس المصدر .
(*) يتجلى هنا ان في حكم الاستاذ ليفي بروفنصال على الافراني خاصة وعلى المؤرخين المغاربة عامة كثيرا من الحيف سيما وانه لم يأخذ من مقاطع النصوص الا ما يؤيد رأيه .

— ب —

كتب التراجم

تشغل تراجم العظماء ، في آداب العالم الاسلامي، شرقا وغربا مكانة سامية ، وقد بدأت العناية بها في عصر مبكر جدا ، وهي تمتاز بكثير من عناصر التحقيق ، وتشتمل على تراث واسع بحيث اننا نستطيع ان نقول انه لولا كتاب « وفيات الاعيان لابن خلكان » ، و « الديباج المذهب » لابن فرحون ، مثلا، لظلت زمر وافرة من امجاد الاسلام مجهولة مغمورة ؛ ولولا ما حفظته لنا يد الدهر من كتب التراجم والسير والطبقات التي جادت بها قرائح ادباء الاندلس (6) واقبل على دراستها علماء اوربيون لبقينا في غفلة عن جوانب ثرية من التاريخ السياسي والادبي الخاص بالدول الاسلامية التي تعاقبت في الجزيرة الاسبانية.

وبالمغرب ، رغم تقصير الادباء في الاهتمام بالدراسات التاريخية ، فاننا نرى عددا منهم سخروا اقلامهم لكتابة تراجم العلماء والصلحاء والمرابطين ؛ معتبرين « تراجم الكبار اجل من التاريخ » ؛ وطريقتهم في تدوين هذا النوع من الكتابات لا تختلف عما عرف بالشرق .

لا يخفى على احد انه ليس في اي بلد اسلامي آخر ما يعدل المغرب الاقصى في عدد الاولياء والصلحاء ، والشرفاء ، والمتشرفين ، المحاطين بالتبجيل والاحترام في الاوساط الحضرية والقروية، مهما اختلفت مستوياتهم الفكرية او المادية ، وتباينت مقوماتهم الروحية ، وتداخلت اغصان انسابهم الى شجرة الشرف النبوية .

ان الاهتمام بالتراجم في المغرب ادى حتما الى الاهتمام بالانساب لتمييز ذوي الشرف الصريح من اهل الدعاوي الزائفة .

ومن الملاحظ ان كتاب التراجم اقرب الى الصدق والاعتدال من الاخباريين ؛ لانهم لم يكونوا مدفوعين بحافز الحصول على هبات من الاسر الحاكمة او صلات من الشخصيات البارزة التي يؤرخون لها ، اللهم الا اذا كانوا من نفس الاسرة التي يصفون احوالها او من اقرباء المترجم له او من اصحابه .

ان الكتب المخصصة لتراجم الصلحاء والمبوبة حسب الاقاليم الجغرافية او حسب التسلسل الزمني لا تخلو من استطرادات تتعلق بجوانب من حياة البلاد الداخلية ، ونحن ، ان كنا نأخذ على مؤلفيها اعراضهم عن صلحاء البوادي من عرب وبربر، فاننا نستحسن اهمالهم للمعلومات التي تاتيهم من مصادر شعبية شفوية سيما في شان المناقب والكرامات لان جلها اقرب الى الاساطير منها الى الحقيقة ؛ كما نستحسن اقتصارهم على الصلحاء الذين لهم مقام كبير في الحياة الفكرية او الروحية او السياسية : المحاربين للبدع الشنيعة ، الآمرين بالمعروف ، الناهين عن المنكر .

ان قيمة هؤلاء الصلحاء الاجتماعية هي التي جعلت الكتاب يعتنون بتدوين مناقبهم ومواقفهم الرشيدة ؛ ومراعاة تلك القيمة هي التي جعلتهم لا يهتمون بتراجم الصالحات من النساء وان كانت اضرحة الكثير منهن مزارات تقصدها الجماهير الشعبية في مختلف المناسبات .

فكتب التراجم هي الوثائق المكتوبة الوحيدة التي يمكن ان تعثر فيها على معلومات تهم الطرق الدينية المنبثة في النواحي المغربية اذ يكاد يكون من قبيل المستحيل ان نجد من بين المترجم لهم في تلك الكتب صالحا مشهورا لا تربطه وشائج روحية او دموية بمؤسس احدى تلك الطوائف الطرقية ؛ او بأحد الدعاة لها ، كما انه غالبا ما تكون اسر شريفة هي المسيرة لطائفة من تلك الطوائف او المشرفة عليها اما بصفتها طوائف مستقلة قائمة الذات ، واما بصفتها متفرعة عن غيرها ؛ وتلك الكتب هي التي تتيح لنا ان نعرف اسباب تاسيس كل واحدة من تلك المنظمات الدينية ، والدور السياسي والاجتماعي الذي كان لها بالمغرب خلال اطوار تاريخها .

ومن المتوقع كذلك ان نجد في تلك التراجم الشخصية او الاسروية فوائد تاريخية مهمة . فاننا

(6) انظر الفهارس التي وضعها Pons Boigues في « Ensayo bibliografico sobré los historiadorés y géographes arabico — espanoles » L - 4

مثلا نجد في كتاب « مرآة المحاسن » المخصص لمناقب جد العائلة الفاسية ابي المحاسن يوسف الفاسي وصفا قيما لمعركة وادي المخازن ، ونجد في كتاب « البدور الضاوية » معلومات وجيزة ، ولكن طريفة عن دولة المرابطين الدلائيين التي تقلص ظلها ، وانسدل الستار عليها بعد فترة قصيرة من نشاتهـا .

ان اعلام البيوتات المغربية غالبا ما يكونون من اهل الصلاح والاستقامة ، ومن اهل العلم والدراية ، ولذا تعتبر الكتب المخصصة للتنويه بفضائلهم ومناقبهم وثائق مفيدة فيما يتعلق بالحياة الدينية وبالحياة الادبية . فاسرة الفاسيين مثلا ، التي اشرنا اليها اعلاه ، كانت ركنا من أركان الطريقة الشاذلية بالمغرب ، ومنبتا خصبا لعلماء اشتهروا بالتقوى والمعرفة بحيث ان احدهم ، وهو عبد الرحمن بن عبد القادر الفاسي ، لقب عن جدارة واستحقاق « سيوطي عصره » .

وخلاصة القول فان المتصفح النبيه لكتب التراجم لا بد ان يجد في ثناياها عناصر لا يستهان بها من مقومات تاريخ امبراطورية الشرفاء السياسي والديني والاجتماعي والادبي .

هذا ومن المراجع التي يمكن ان تضاف الى كتب التراجم وبطبيعة الحال الى كتب التاريخ ، الفهارس التي الفها اكابر العلماء ليعرفوا بشيوخهم وبالكتب التي قرؤوها او قرروها او علقوا عليها منذ شبابهم وذيلوها في بعض الاحيان باسماء الطلبة الذين تتلمذوا لهم ، وكذا الرحلات واوصاف ركب الحاج المغربي ، والاراجيز التاريخية والعلمية وحتى كتب النوازل كمعيار الونشريسي ، لان كل هذه المؤلفات المختصرة منها والمطولة ، لا تخلو من شذرات ولمحات تتفاوت قيمتها التاريخية ، ولكن لا يجمل بالباحث النزيه ان يهملها .

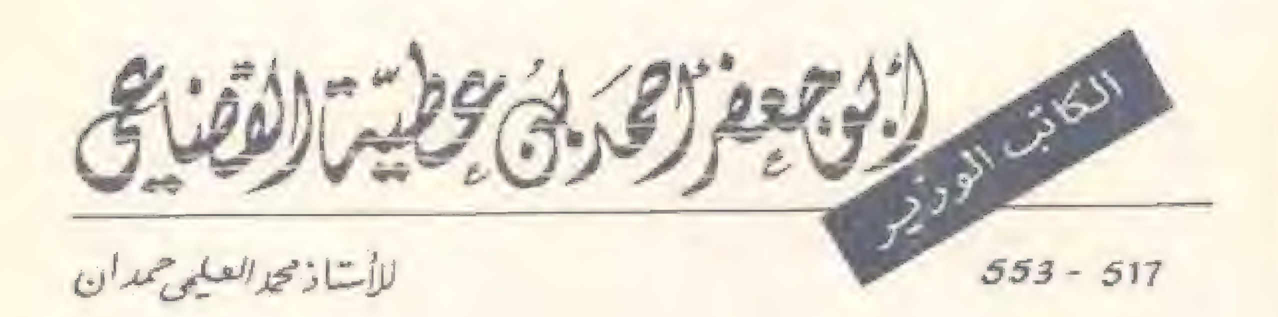
ومهما يكن لتلك المؤلفات من نقائص او من محاسن لا بد لمن يريد ان يستخرج منها معلومات تاريخية طريفة ودقيقة ان ينتقدها بتبصر وحكمة ويحللها بنزاهة وأمانة .

ان المؤلفات التاريخية المغربية التي وصلتنا ، حوليات كانت او تراجم ، لا تحتوي على اكثر من نتف مشتتة هنا وهناك ، كتلك التي يمكن العثور عليها في الوثائق المحفوظة بدور المستندات من غير ان يكون لها نفس القيمة .

الرباط : عبد القادر الخلادي

لم نجد بها فقيرا ..

قال يحي بن سعيد : بعثني عمر بن عبد العزيز ، على صدقات افريقية فاقتضيتها ، وطلبت فقراء نعطيها لهم ، فلم نجد بها فقيرا ، ولم نجد من يأخذها منهم ، فقد اغنى عمر بن عبد العزيز الناس ، قال : فاشتريت بها رقابا فاعتقتهم ..



553 - 517

للأستاذ محمد العلمي حمدان

وظيفة الكتابة من اهم الوظائف واجلها شأنا واعظمها خطرا في تاريخ الدول خاصة في الماضي حيث كان صاحب هذه المسؤولية يوازي عددا من المناصب في الحكومة الحالية كالديوان ورآسة الحكومة وغيرها من المصالح الداخلية والخارجية والشؤون الادارية .

من اجل ذلك اهتم بها الملوك والخلفاء ، وانتقوا لتولي مسؤولياتها شخوصا من خيرة العلماء ونوابغ الادباء ، وابعدهم نظرا وآمنهم على اسرار الدولة ، واحسنهم خطا واقدرهم بيانا حتى يضعوا مصالح الدولة بين أيد كفاة .

من اجل ذلك تجد عبد المومن في الدولة الموحدية يختار بالتتابع مجموعة من الكتاب يوليها مسؤولية كتابته ، من خيرة العناصر امثال الاخوين ابنا عطية وعبد الملك بن عياش وميمون الهواري وغيرهم (1) . وقد اشتهر أحد هؤلاء الكتبة برائق اسلوبه وروعة بيانه حتى اضاف له عبد المومن مهمة وزارته (2) لما لمسه فيه من حسن الأدب والمعاشرة والرزانة : هذا الكاتب هو الاديب الوزير ابو جعفر ابن عطية : فمن هو ابن عطية هذا ؟

من خلال : المعركة الكبرى التي وقعت سوس بين المرابطين المنهارين والموحدين المنتصرين سنة 542 (3) ، يطل علينا هذا الكاتب الاديب من صفوف جند الموحدين الرماة ليكتب لقائد جيوشهم ابي حفص عمر بن يحيى الهنتاتي (4) ، خبر الانتصار الرائع الذي أحرزه الجند على الثائر المهدي محمد بن هود الماسي (5) ، وكان من شدة اعجاب القائد بالرسالة ان احتفى بابي جعفر وكتب في شأنه لعبد المومن الذي ، اوصى بالعناية به واستصحابه مكرما .. (6) ، فاين كان قبل التحاقه بجيش الموحدين ؟

لقد كان أبو جعفر احد كتبة الاميرين المرابطيين : تاشفين واسحاق وربما لعلي قبلهما (7) الا ان آثاره

---

(1) نظم الجمان لابن القطان ص 173 ـ 175 . المن بالامامة لابن صاحب الصلاة ص 223 تحقيق الاستاذ عبد الهادي التازي ، الانيس المطرب بروض القرطاس ص 205 طبعة دار المنصور .
(2) المعجب لعبد الواحد المراكشي ص 198 .
(3) الدولة الموحدية بالمغرب الدكتور عبد الله علي علام ص 323 .
(4) 271 الاحاطة المجلد 1 ص 272 . اخبار المهدي بن تومرت لابي بكر بن علي الصنهاجي البيدق .
(5) الاحاطة في اخبار غرناطة لسان الدين بن الخطيب المجلد 1 ص 271 ـ 272 . الذكريات 5 .
(6) الاحاطة المجلد 1 ص 272 .
(7) الاحاطة المجلد 271 ـ الاستقصا ج 2 ص 131 ـ المعجب : ص 199 ـ نفح الطيب ج 7 ص 110 .

المتصلة بهؤلاء لا وجود لها ، كما لا وجود للاشعار التي كان ابن حبوس قد مدح بها هؤلاء المرابطين (8).

واذا نحن تجاوزنا عن الخوض في اصله الاندلسي ، فالذي لا خلاف فيه انه من مواليد مراكش واهلها بين سنة 517 و 527 على الخلاف ، من اسرة تعاطت لكتابة المرابطين بدءا من ابيه وانتهاء به وباخيه عقيل (9) ، لقد كان الموحدون في بداية امرهم في حاجة لتاطير دولتهم لهذا كانوا يرحبون بالمنحازين اليهم من اطر المرابطين والعارفين باسرار الدولة .

المهم ان عبد المومن ، وجد في ابي جعفر ما ترتاح له النفس من خفة الروح وحسن الادب ورزانة العقل ، فكان مساعده الاول ورفيقه في الحل والترحال - في السر والعلن ..

وقد اعتمد عبد المؤمن على وزيره وكاتبه في كثير من مهمات الدولة الجسام لما احسه فيه من حسن استعداد وتوفيق في المهمات وكفاءة ، ففوض اليه النظر في اموره كلها . ففي ثورة بني امغار بمراكش وقتلهم لعاملها عمر بن تفركين يكلفه عبد المومن — وكان بفاس — للذهاب الى عين المكان والنظر في الموضوع وتقديم تقرير عنه (10) ، وحين عين عبد المومن ابنه يعقوب على اشبيلية كلف ابا جعفر مسؤولية مساعدته وصحبته (11) كما كلف بمهمة ديلوماسية كسفير لعقد صلح الامان مع نصارى المرية (12) كما نجده مع والي اشبيلية يتاول الثائر بها على الوهبي .. (13)

هذه الرتبة التي وصلها ابو جعفر ، لم تفسد من اخلاقه او سلوكه القويم ، ولم تصب نفسه بالغرور الذي كثيرا ما يصيب من يتبوأون مثل رتبته ، فقد تحبب الى الناس باجمال السعي والاحسان ، فعمت صنائعه وفشا معروفه (14) وما محاولة التستر على المرابطين واصطناعه لعدد من هؤلاء الا دليل على قلب طيب وكبير لم ينس فيه ابو جعفر سابق الخدمة الذي جمعه بامرائهم المعظام عملا بالحديث : ارحموا عزيز قوم ذل .

لكم انتجت الوشايات من ماسي وازهقت من ارواح بريئة بدافع الحقد والحسد ، وتاريخ العباسيين مليء بمثل هذه النماذج ، وتاريخ الاندلس والمغرب لا يقل عنهم ، فمن منا لا يذكر ابن المقفع وابا مسلم الخراساني وابن الخطيب وامثالهم ونهاياتهم المفزعة المفجعة ، وما هم الا ضحايا الاصحاب الاعداء الذين كانت تجمعهم المآدب والمصالح وهو ما حدث لابي جعفر ايضا .

فحين خلا منه الجو اثر تكليفه بمهمة مصاحبة ابي يعقوب الى المرية سنة 551 ، وجد حساده السبيل الى التدبير عليه والسعي به حتى اوغروا صدر الخليفة عليه بتسقط عوراته ، واحصاء سقطاته (15) .. فها هو الشاعر ابن حبوس الذي عاش مشمولا برعاية ابي جعفر وفضله ، الشاعر الذي كثيرا ما التجا اليه واستنجد به على خصومه بعد ان مدحه بقوله :

وماذا الذي ينأى عليه وانه
لذو قدم أم النجوم تعالها

وزير العلا عندي من القول فضلة
رويتها في مدحكم وارتجالها

وما كنت اخشى مدة الدهر ان ارى
تصد بي الدنيا وانتم جبالها (16)

---

(8) الادب المغربي للاستاذين بنتاويت وعفيفي ص 175 .
(9) الاستقصا ج 2 ص 131 .
(10) القرطاس 195 — اخبار المهدي 78 — 79 . الاستقصا ج 2 ص 124 .
(11) الاحاطة 273 و 279 — نظم الجمان ص 140 .
(12) القرطاس ص 193 — 194 . الاستقصا ج 2 ص 122 . الاحاطة المجلد 1 ص 273 — 279 .
(13) الاستقصا ج 2 ص 131 .
(14) الاحاطة المجلد 1 ص 272 . النفح ج 7 ص 110 . الاستقصا ج 2 ص 131 .
(15) الاحاطة المجلد 1 ص 273 . النفح ج 7 ص 110 . الاستقصا ج 2 ص 132 .
(16) زاد المسافر وغرة محيا الادب السافر لابي بكر بن صفوان ص 3

ينسى فضله ، فما ان تدير الايام على الكاتب الوزير حتى يقلب له ظهر المجن ويسود صحيفتـه بقولـه :

اندلسي ليس من بربـر
يختلس الملك من البربر (17)

وهذا مروان بن عبد العزيز ينظم ابياتا يطرحها بمجلس عبد المومن تتهم ابا جعفـر بالتآمـر على الخليفة ، جاء فيها :

قل للامام اطال الله مدتـه
قولا تبين لذي لب حقائقـه

ان الزراجين قوم قد وترتهم
وطالب الثأر لم تؤمن بوائقه

وللوزير الى آرائهم ميـل
لذاك ما كثرت فيهم علائقـه

فبادر الحزم في اطفاء نارهم
فربما عاق عن امر عوائقـه

هم العدو ومن والاهم كهـم
فاحذر عدوك واحذر من يصادقه

الله يعلم اني ناصح لكـم
والحق ابلج لا تخفى طرائقه (18)

فلما وقف عبد المومن على هذه الابيات وغـر صدره على وزيره ، وكأن الظروف تأبى الا أن تنبئه بالمأساة التي تنتظره على لسان كاتبه ابي بكر بن نصر الاوسي الذي جاء يهنئه في مناسبة فقال :

ابا جعفر نلت الذي نال جعفر
ولا زلت بالعليـا تسـر وتحبر

عليك لنا فضل وبر وانعـم
ونحن علينا كل مدح يحبـر

وكان قد احس من عبد المومن التغيـر الذي ادى الى قتله فتغير وجهه خوف ان يناله ما نـال جعفرا البرمكي على يد الخليفة العباسي .

اضيف الى هذا ما شاع من افتياته امر القبض على صهره يحيى بن الصحراوية (19) الذي انتـواه عبد المومن وقد انتهى كل ذلك الى ابي جعفـر وهو بالاندلس فقلقه وعجل بالانصراف الى مراكش (20) ، وذلك مما يؤكد حسن نية وطهارة سريرته ، ولكنـه حجب عن الخليفة واقتيد الى المسجد في اليـوم التالي حاسر الراس ، واستشار عبد المومن القوم في الموضوع فاجاب كل بما اقتضاه رايه وهواه ، فامر بسجنه ولف معه أخاه ابا عقيل عطية (21) .

ما اقسى مثل هذه المواقـف على الابريـاء والنفوس العزيزة ، وما اقسى ان يضرب القدر بمثل هذا العنف ابرياء يدفع بهم الى الفناء بجرة قلم .

لقد وقع ابن عطية ضحية الجانـب الثانـي للوظيفة السياسية ، وما عليه وقد وقـع ، الا انـه يبحث عن وسائل للخروج منه تليق بمكانته .

واذ كان هو الخبير بفعل الادب والكلمـة في النفس المتذوقة كما هو حال اميره عبد المومن ، فقد لجأ الى هذا الفن يقدم عن طريقه شكاته ومأساتـه واعترافه بخطئه ، فقدما في سبيل الصفح عنه مـا قدمه لعبد المومن من خدمات ومتشفعا له بجميـل شعره ونثره مما دبجه يراعه وخطته انامله من رسائل كانت من الروعة والرقة ما خلد قصته وسوء حظـه وقوة بلاغته وبيانه .

فهل استطاع ادبه ان يؤثر على قرار عبد المومن فيمحو من نفسـه ما ملأها من سيء اقوال الوشـاة ؟ واذا كان الجواب سلبا فما سبب هذه القسوة مـن عبد المومن الاديب نحو كاتبه ووزيـره وصديقـه الاديب ؟ اليس هو الذي امتحن الشعراء بهجو ابـي

(17) زاد المسافر وغرة محيا الادب السافر لابي بكر بن صفوان ص 3 .
(18) الاحاطة المجلد 1 ص 274 — النفح ج 7 ص 110 .
(19) المعجـب ص 199 .
(20) احاطة المجلد 1 ص 274 — الاستقصا ج 2 ص 132 .
(21) الاحاطة المجلد 1 ص 274 — النفح ج 7 ص 111 .

جعفر ، فلما اسمعوه ما قالوا اعرض عنهم وقال : ذهب ابن عطية وذهب الادب . ! ؟ (22)

وقد توجه عبد المومن على اثر ذلك الى تربة المهدي فاستصحب ابا جعفر واخاه مكوبين في حال تعاف . وصدرت عن ابي جعفر في الرحلة من لطائف الادب نظما ونثرا في سبيل التوسل بتربة امامهم عجائب لم تجد مع نفوذ قدر الله فيه ؛ ولما انصرف من وجهته اعادهما معه قافلا الى مراكش . فلما حاذى تقررت انفذ الامر بقتلهما بالشعراء المتصلة بالحصن على مقربة من الملاحة هنالك ، فمضيا لسبيلهما (23) اوائل سنة 553 .

واذا كان البعض يجعل السبب في عدم اصدار العفو ناتج عن قصور في شعر ابي جعفر في ان يرتفع الى شعر ابن عمار حتى يحل فعله في نفسه عبد المومن (24) فالذي اراه ان الدولة اذاك كانت وهي في بداية امرها تخشى التساهل والتسامح مع أي كان لما في ذلك من خطر على كيان الدولة ؛ فكان للظرف التاريخي والسياسي الدقيق اثره في اخذ عبد المومن الامور بحزم ولو اودى في سبيل ذلك بعض الابرياء حتى لا تسول النفس لاحد ان يفكر فيما يسيء للدولة ، ولا ننس ما كان يفعله امام الموحدين المهدي بن تومرت يوم التمييز (25) بكل من شك في اخلاصه او عارض ما يراه المهدي الذي لا يصح ان يخطيء ، وعبد المومن تلميذه الذي لا ينسى ان يزور قبره بين الحين والآخر للترحم عليه ، فكيف ينسى سياسته التي ساهم بقسط وافر ؛ بصفته كبير صحابته في اقرارها ؟ !

وهكذا تأبى السياسة الا ان تحمل عبد المومن اوزار قتل اسرة ابن عطية الاب والابنين لما بدا عليهم من بوادر العطف والاخلاص للمرابطين ، ورغم ذلك لا يسلم ابن عطيةمن تهمة خيانة المرابطين والانحياز للموحدين عند بعض المؤرخين ؟ ! (26)

لقد تعرض ابو جعفر من طرف المؤرخين لكثير من النقد بسبب هذا الانعطاف نحو الموحدين الذي عد منه خيانة للمرابطين ، ولست ادري ماذا كان يريد منه هؤلاء الافاضل ان يفعل اكثر مما فعل ! ؟ وكأنهم لم يقنعوا بما دفعه ابوه ثمنا لاخلاصه للمرابطين (27) فارادوا منه ، وهو الفتى الطري العود ان يكرر ما فعله أبوه .

ان الخطأ او الصواب شيء نسبي لا يستطيع ان يقول فيه الانسان الكلمة الفصل وهو ينحاز لاحدى فئتين تنتميان لدين واحد كلاهما يدعي في نهجه الصواب .

ان محنة أبي جعفر كانت في حقيقتها بسبب اصطناعه للعديد من اللمتونيين وبسبب محاولته انقاذ صهره يحيى بن الصحراوية المذكور ، ونضيف الى ذلك تزوجه من بنت ابي بكر بن يوسف بن تاشفين .

انتاج ابن عطية :

ويتجلى انتاج ابن عطية فيما تركه من رسائل وأشعار رسمية في خدمة الموحدين او شخصية لاستعطاف الامير حتى يعفو عنه .

أ — رسائله : تمثل رسائل ابن عطية التي كتبها للموحدين ، انتاجه النثرى ، ورغم ما اصاب رسائل كتاب الموحدين من تلف ، فقد احتفظت المصادر بعدد منها نشرها المستشرق بروفانسال مجموعة تحت عنوان « مجموعة رسائل موحدية » تضم سبعة وثلاثين رسالة سنة 1941 ؛ وكان نصيب ابن عطية منها ست عشرة رسالة اضاف اليها المستعرب كولان رسالة اخرى وجدها في صبح الاعشى للقلقشندي .

وقبل الحديث عن مضمون هذه الرسائل والنهج الذي كتبت به والاسلوب الذي اعتمده صاحبها نأتي ببعض النماذج لها ، وقد اعتمدت في ذلك على بعض المصادر كنظم الجمان لابن القطان والاحاطة في اخبار

---

(22) الاحاطة المجلد I ص 274 — النفح ج 7 ص 111 .
(23) الاحاطة ص 275 — الاستقصا ج 2 ص 132 .
(24) النفح ج 7 ص 109 / 110 — الادب المغربي ص 179 — 180 . الذكريات عدد 5 .
(25) البيان المغرب ج 3 ص 82 — 83 . نظم الجمان لابن القطان ص 102 — 103 — 104 .
(26) الاحاطة المجلد I ص 277 .

غرناطة لابن الخطيب والانيس المطرب لابن ابي زرع ونفح الطيب المقري وذكريات مشاهير رجال المغرب لعبد الله كنون .. الخ .

فمن الرسائل التى دبجها يراع ابي جعفر بن عطية رسالته الاولى التي كتبها عن ابي حفص الهنتاتي بعد انتصاره على محمد بن هود الماسي ؛ والتي كانت سبب تبوله لمنصبه الرفيع عند عبد المومن وقد جاء فيها :

« كتابنا هذا من وادي ماسة بعد ما تجدد من امر الله الكريم ونصر الله تعالى المعهود المعلوم ؛ وما النصر الا من عند الله العزيز الحكيم ؛ فتح بهر الانوار اشراقا ؛ واحدق بنفوس المؤمنين احداقا ..

فتح تفتح ابواب السماء له .
وتبرز الارض فى اثوابها القشب »

ويستمر على هذا المنوال الى أن يبلغ الحديث به عن الماسي المدعي للهداية فيقول : « مصرع بحمد الله تعالى لحينه وبادرت اليه بوادر منونه ، واتته واخذات الخطيئات عن يساره ويمينه ... ودخل الموحدون الى البقية الكائنة فيه يتناولون قتالهم طعنا وضربا ويلقونهم بأمر الله تعالى هولا عظيما وكربا » (28) .

ورسالته الى الطلبة والاشياخ والعمال من الموحدين ببلاد العدوة والاندلس وهي بمثابة دستور للدولة الموحدية ؛ حيث ترسم سياسة عبد المومن بصفة عامة وتشتمل على كثير من النقد الموجه للولاة والقائمين بشؤون الحكم عامة والعلماء خاصة ؛ وجاء فيها بعد البسملة والصلاة « من امير المومنين ايده الله تعالى ونصره وامده بمعونته ؛ الى جميع الطلبة الذين بالاندلس ومن صحبهم من المشيخة والاعيان والكافة ... سلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته ؛ اما بعد ؛ فالحمد لله ... والرضا عن الامام المعصوم المهدي المعلوم ... وكتبنا هذا ... من الحضرة العلية بتملل ؛ حرسها الله تعالى فى سادس عشر من شهر ربيع الاول سنة ثلاث واربعين وخمسمائة ...

وكان مقصودنا من هذه الوجهة المباركة زيارة قبر المكرم المهدي رضي الله تعالى عنه لتجديد عهد به تقادم وشفاء شوق اليه لزم ولازم ..

وقد تم بحمد الله تعالى هذا الوطر واقتضى الاياب الى النظر فى المصالح والراى الجميل النظر .. وقد اتصل بنا – وفقكم الله تعالى – ان من لا يتقي الله تعالى ولا يخشاه ولا يراقبه فى كبيرة يغشاها وتقشاه ولا يومن بيوم الحساب فيما ادعاه من المنكر وافشاه ، يتسلطون باهوائهم على الاموال والابشار وينتشرون بالقتل باعراض الناس اقبح الانتشار ..» استدلالا باحاديث الرسول وآيات الكتاب المبين في كل موضوع من مواضيع الرسالة او نقطة من نقطه المتعددة حول المغارم أي الضرائب والمكوس التي تؤخذ من التجار والمسافرين ؛ وحول الطلاق قبل الاستبراء ؛ والخمر ومساوئها وشؤون البريد والامانة التى تقتضي مبلغه ؛ وقلة المبالاة في التفريق بين الحرام والحلال فيما يجب من الاموال وغيرها من النقط والموضوعات مختتما رسالته بقوله :

« فانظروا هذا – وفقكم الله تعالى – نظر اولي الالباب ؛ ولتبعوا جهدكم في رفع ذلك العمل المستراب ولتذهبوا الى اظهار امر الله سبحانه على موجب الكتاب ؛ والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته » (29) .

ومنها رسالة الى طلبة سبتة كتبها سنة 546 وتحمل فى طياتها تهديدا ضمنيا لاهل سبتة الذين ثاروا عليه قبل اربع سنوات يقول فيها :

« اما بعد . فالحمد لله مولى الرغائب ؛ ومسنى الآمال والمطالب ؛ وقابل توبة التائب ، نحمده بما يتعين من حمده الواجب ؛ ونصلي ... وكتبناه لكم – كتب الله لكم شكرا موالى معادا ؛ من حضرة مراكش – حرسها الله – وقد وصلنا بحمد الله على اتم احوال الظفر واليمن ؛ وعدنا اليها تحت ظل السلامة والامن ؛ بعد كمال الغزوة المباركة وتمامها ؛ واطفاء نار الفتنة ببرد الهدنة وسلامها ... ونال الغزاة فى هذه الحركة الميمونة من الاجور والمغنم

(27) الاستقصا ج 2 ص 131 .
(28) الاحاطة المجلد 1 ص 277 – النفح ج 7 ص 113 – 114 .
(29) نظم الجمان لابن القطان ص 150 .

الموقور ؛ والفضل الذي ينشر عليهم اجنحته يوم النشور ما لا يتمكن لاحد من البشر وصفه على حال ولا يتاتى لمخلوق لفته على استيفاء واكمال ..» (30)

ولعل آخر رسالة وصلتنا ؛ تلك التي كتبها وهو في سجنه يعترف فيها بذنبه ويستعطف فيها امامه وجاء فيها :

« تالله لو احاطت بي كل خطيئة ؛ ولم تنفك نفسي عن الخيرات بطيئة ، حتى سخرت بمن في الوجود وانفت لادم من السجود .. وابغضت كل قرشي ، واكرمت لاجل وحشي كل حبشي ؛ وقلت ان بيعة السقيفة لا توجب امامة الخليفة ... ثم اتيت حضرة المعصوم لائذا وبقبر الامام المهدي عائذا ؛ لأذن لمقالتي ان تسمع ؛ وتغفر لي هذه الخطيئات اجمع ، مع اني مقترفه وبالذنب معترف ؛

فعفوا امير المومنين فمن لنا
بحمل قلوب هدها الخفقان

والسلام على المقام الكريم ورحمة الله تعالى وبركاته » (31) .

هذه الرسائل الموحدية ، وصفها القلقشندي من حيث الشكل، ومن خلال ما تعرف اليه منها فقال: انها على اسلوبين : الاول ان تفتح المكاتبة بلفظ من فلان الى فلان . والثاني ان تفتح بلفظ اما بعد ، اما الاول فكان الرسم في المكاتبة ان يقال : من امير المومنين ؛ ويدعى له بما يليق به ؛ ثم يؤتي بالسلام ؛ ويوتي بالبعدية والتحميد والصلاة على النبي (ص) والترضية على اصحابه ثم على امامهم المهدي ، ثم ياتي بالمقصود ويختم بالسلام ؛ والخطاب فيه بنون الجمع عن الخليفة وبميم الجمع عن المكتوب اليه (32) في حين يرى الاستاذ الدكتور الجراري انها تبدا بعبارة ، من امير المومنين ؛ مع الدعاء له ... الى فلان والدعاء لهذا المخاطب ثم بعد ذلك تاتي البعدية ثم التحميد ثم الصلاة على الرسول والآل والاصحاب ، ثم ذكر المهدي والثناء عليه ؛ وبعد ذلك تبدأ الرسالة بدايتها الحقيقية ؛ وغالبا ما يذكر مكان الارسال ؛ وتنتهي الرسالة بالتاريخ ويقول : « اذا نحن نظرنا الى هذه الرسائل من حيث مضمونها نجدها تدور حول موضوع الدعوة ؛ فهي مرسلة الى الولاة والى بعض الاقاليم ؛ ومهما كانت جهة ارسالها فهي تتحدث عن الاوامر الموحدية وعن مبادىء المذهب واسس الدين كما يوضحها الموحدون » (33) .

اما من حيث الاسلوب ؛ فرغم اختلاف النقاد بين طغيان السجع والتكلف فيه او السهولة والوضوح فالمتفق عليه انه اسلوب سلس وقوي متسق ذو فقرات كل واحدة منها تختص بفكرة معينة رغم بعض السجع ، فابن الخطيب يقول : كان كاتبا بليغا سهل الماخذ منقاد القريحة سيال الطبع » (34) والناقد في راي الاستاذ عبد الله كنون « لا يجد ماخذا ياخذه على ابي جعفر في هذه القطع كلها ، لانها غاية في نصاعة الالفاظ وتمكنها من مواضعها التي وضعت فيها غاية في بلوغ المعنى المراد ، وتاديته الفرض المقصود الى المخاطب على اتم الوجوه ومن اقرب الطرق غاية في التاثير » ، ويقول « وهي بعد متكافئة في الجودة والحسن لفظا ومعنا ، لا تلمح في واحدة منها ضعفا ولا اسفافا » (35) .

ويقول د. علام متحدثا عن رسالة ابي جعفر الى الطلبة : « فيها تلمس مدى قوة اسلوب ابن عطية وحسن تصرفه في لغة سهلة متينة رغم التزامه السجع ؛ ومما يدل على سعة اطلاعه وقدرته الكتابية من آيات القرءان والحديث النبوي » (36) . ويقول في موضع آخر منبها الى اسباب هذا التوفيق : « فقد سرد العيوب واتبعها بالتهديد والوعيد في لغة سهلة متينة » (37) .

---

(30) الادب المغربي ص 175 .
(31) الاحاطة المجلد 1 ص 275 – القرطاس ص 197 – النفح ج 7 ص 111 .
(32) صبح الاعشى مجلد 6 ص 443 نقلا عن تاريخ المن بالامامة لابن صاحب الصلاة ص 58 – 59 .
(33) محاضرات للاستاذ الدكتور عباس الجراري.
(34) الاحاطة المجلد 1 ص 275 .
(35) الذكريات عدد 5 .
(36) الدولة الموحدية بالمغرب الدكتور عبد الله علي علام ص 327 .
(37) الدولة الموحدية بالمغرب الدكتور عبد الله علي علام ص 327 .

اما الدكتور الجراري فرغم أنه يرى « من حيث اسلوبها نلاحظ طغيان السجع عليها ، لا تكاد تقرأ جملة دون ان تجد سجعة او أكثر » ، فهو يقول في حديثه عن رسالة الفصول : « ومع الرسائل الموحدية لا تجد المحسنات تطغى كالاخرى بل تمتاز بالوضوح والسهولة واليسر في الغالب » (38) .

والاستاذ بنتاويت وحده الذي يرى ان نثر ابي جعفر يشبه الى حد بعيد اسلوب العصور المتاخرة في العهد العباسي فهو — في رايه — اسلوب الاطناب والزخرفة » (39) ، ويقول عنه في مكان آخر « وهو نموذج يطلعنا على ذلك التقليد الرتيب الذي كان يشبه الى حد بعيد في اسلوبه صنيع القاضي الفاضل » (40) وهي ملاحظات دقيقة الا انها لا تنطبق على كل رسائل ابي جعفر بل على بعض منها كرسالته الى اهل قسنطينة التي يخبرهم فيها بفتح بجاية ورسالته الى اهل سبتة في امر ولاية العهد لابنه محمد .. (41)

ويبني الاستاذ الدكتور الجراري على رايه السابق في اسلوب ابي جعفر قوله : « وهو في هذا يخالف اسلوب كتاب المرابطين والاندلسيين أمثال ابن القصيرة وابن القبطرونة التي تمتاز بالمحسنات والتكلف والاصطناع التي انعكست على اسلوب بعض المغاربة امثال القاضي عياض » (42) .

ولي بعد هذا اشارة تتعلق بالرسالة 23 التي تحدث عنها الاستاذ الدكتور الجراري (رسالة الفصول) واتخذها نموذجا لهذه الرسائل ، في حين يشك الاستاذ عبد الله كنون في كتابة ابي جعفر للرسالة (19) المكتوبة لاهل غرناطة والرسالة (23) المعروفة برسالة الفصول (النموذج) ودليله في ذلك ان الاولى مؤرخة بـ (20 قعدة 554 ، والثانية بـ 3 ربيع الاول 556 حين كان ابن عطية قد مر على وفاته اكثر من سنتين . (43) .

2 — شعره : لم يصلنا من شعر ابي جعفر بن عطية سوى بعض الابيات تتعلق بواقع مأساته ، وهي في استعطاف عبد المومن وتتجلى في هذه المقطوعة التي بعثها مع ابن له صغير حتى تفعل فعلها في نفسه جاء فيها :

عطفا علينا امير المومنين فقد
بان العزاء لفرط الهم والحزن
قد اغرقتنا ذنوب كلها لجج
وعطفة منكم انجى من السفن
وصادفتنا سهام كلها غرض
ورحمة منكم اوقى من الجنن
هيهات للخطب ان تسطو حوادثه
بمن اجارته رحماكم من المحن
من جاء عندكم يسعى على ثقة
بنصره لم يخف بطشا من الزمن
فالثوب يطهر عند الغسل من درن
والطرف ينهض بعد الركظ في سنن
انتم بذلتم حياة الخلق كلهم
من دون من عليهم لا ولا ثمن
ونحن من بعض من احيت مكارمكم
كلتا الحياتين من نفس ومن بدن
وصبية كفراخ الورق من صغر
لم يألفوا النوح في فرع ولا فنن
قد اوجدتهم اياد منك سابقة
والكل لولاك لم يوجد ولم يكن

وهي قطعة حملها ابو جعفر كل عبارات الاسى والالم التي كان يشعر بهما والظلمة الحالكة التي كان ينظر بها الى مقبل ايامه من خلال ما الصق به من تهم وهو ما يدل عليه قوله : بان العزاء لفرط الهم والحزن وقوله : قد أغرقتنا ذنوب كلها لجج .

ولكن امل الانسان لا حدود له ، من اجل ذلك لا يريد ان يقفل الباب على نفسه ، فيسترحم أميره بقوله :

(38) محاضرات السنة الثالثة كلية الادب سنة 70 الدكتور ج .
(39) الادب المغربي ص 177 .
(40) الادب المغربي ص 176 .
(41) القرطاس ص 194 .
(42) محاضرات القيت بكلية الآداب بفاس للاستاذ الدكتور عباس الجراري .
(43) المن بالامامة لابن صاحب الصلاة ص 136 .

هيهات للخطب ان تسطو حوادثه
بمن اجارته رحماكم من المحن

وليس الامر غريبا ولا بدعا :

فانتم بذلتم حياة الخلق كلهم
من دون من عليهم لا ولا ثمـــن

فكيف بمن شملته رعاية الامام الروحية والمادية :

ونحن من بعض من أحيت مكارمكم
كلتا الحياتين من نفس ومن بـــدن

وزيادة فى استثارة العطف والحنان ياتي بهذا البيت الرقيق فيقول :

وصبية كفراخ الورق من صغر
لم يالفوا النوح فى فرع ولا فنن

وقد قارن بعض مؤرخي الادب هذه المقطوعـــة بمقطوعة ابن عمار (44) التي خاطب بها المعتمد حين قبض عليه والتى يقول فيها :

سجاياك ان عافيت اندى واسمح
وعذرك ان عاقبت اولى واوضح

وان كان بين الخطتيـــن مزيـــة
فانت الى الاوفى من الله اجنح

ولكن حين يرى الاستاذ عبـــد الله كنـــون ان قصيدة ابي جعفر اشجى من ابيات ابن عمار واحكم صنعة (45) يرى (الادب المغربـــي) ان ليـــس فى مستطاع ابي جعفر ان يرتفع بشعره الى شعـــر ابن عمار ، مؤكدا ان شعره لا يختلف عن شعر القاضي عياض فى مستواه المتواضع (46) .

ورغم ان ما بين ايدينا من شعر ابي جعفـــر لا يسمح بتقييم شاعريته بشكل معتمد ؛ فبين ايدينـــا نص قيمته تاتي من قائلـــه ؛ فقد جاء فى المصادر كما سبق ان عبد المومن امتحن الشعراء بهجو ابن عطية فلما اسمعوه ما قالوا عرض عنهم وقال : ذهـــب ابن عطية وذهب الادب معه .

ونضيف الى هذا تلك البديهة التـــي صدرت عنه فى احدى جولاته مع الخليفة فى شوارع مراكش حين ارتجل عبد المومن قوله :

قد فؤادي من الشباك اذ نظرت

وطلب من وزيره ان يجيزه فقال :

حوراء ترنو الى العشاق بالمقل

فقال عبد المومن :

كانما لحظها فى قلب عاشقهـــا

فاجاز ابو جعفـــر :

سيف المؤيد عبد المومن بن علي

يقول المقري : ولاخفاء ان هذه طبقة عالية (47)

ونضيف الى كل هذا ما تبقى من شعر لـــه بين ايدينا ويتجلى فى بيتـــين آخرين انشدهما فى غمـــرة الياس الذي خامر نفسه من العفو الذا ينتظره بعد كل ما قدمه من شعر ونثر وفيهما تتجلى روعة الصدق وروعة الفن حيث ابو جعفر بين الحياة والمـــوت لا يدري ايهما ينتصر ؛ وبهذين البيتـــين تكتمل لنـــا الصورة التقريبـــة لشاعريته حين يقول :

انوح على نفسي ام انتظر الصفحا
قد آن ان تنســى الذنوب وان تمحى

فها انا فى ليل من السخط حائر
لا اهتدي حتى ارى للرضا صبحا

والظاهرة الواضحة فى كل شعره ونثره ؛ هي ثقافته الواسعة للتراث العربي القديـــم الجاهلـــي والعباسي والاندلسي ؛ وللتراث الاسلامي المتجلي فى القرءان الكريم والحديث النبوي .

فعبـــارة انجى من المحن فى البـــيت الثـــانى من مقطوعته اشارة بعيدة الى نوح وقومه وسفينتـــه التى نجا الله فيها مع من اتبعه .

---

(44) ابو بكر محمد بن عمار ذو الوزارتين ، شاعر معاصر لابن زيدون ؛ مات مقتولا سنة 1084 .
(45) ذكريات مشاهير رجال المغرب عدد 5 للاستاذ عبد الله كنون .
(46) الادب المغربي للاستاذين بنتاويت وعفيفي ص 177 .
(47) نفح الطيب احمد المقري ج 7 ص 113 – الانيس المطرب بروض القرطاس ص 204 .

وفي قولـــه :

وصبية كفراخ الورق من صغـر
نقلة بعيدة الى بيت الخطيئـــة

ماذا تقول لافراخ بـــذي مـــرخ
زغب الحواصـل لا ماء ولا شجر

الذي استعطف به عمر حين وضعه في الـسجن عقوبة له على هجو الزبرقان (48) . وفي نثره الكثير من هذه الاشارات من ذلك في رسالته الاعتذارية : تالله لو احاطت بي كل خطيئة ... ففيها اقتبـــاس واشارات لكثيـــر من القصص القـــرآني والتاريـــخ الاسلامي من ذلك قوله « وقلت ان الله تعالى لم يوح في الفلك لنوح وبويت لقدار ثمود نبلا .. » فقـــدار يقول الاستاذ عبد الله كنون اسم عاقر ناقة صالح (49) وفي قوله : وقبضت قبضة من اثر الرسول فنبذتها ، ترتيل لآية قرءانية لا تبديل فيها او تغييـــر . وفي قوله : اكرمته لاجل وحشي كل حبشي . اشارة بعيدة يقصد بها كما يرى الاستاذ كنون قصة حمزة على يد وحشي العبد الحبشي ... الى غيرها من الاشارات، كما يتفق كل من الادب المغربي (50) والذكريات (51) ان الرسالة جاءت على نفس الرسالة الجدية (52) لابن زيدون (53) التي استعطف بها ابن جهور من موضع اعتقالـــه .

وعلى اي ، اذا كانت المذهبيـة او الموضوعية في ابسط الاحوال هي الطابع المميز لرسائـــل ابي جعفر ، فان رسالته الاعتذارية تتوفر على ذاتية خفية تتجلـى في الفـــزع الذي كان مسيطرا عليه وسوء المصير الذي كان ينتظره ، وهو الخبير بقرارات عبد المومن في مثل هذه الاحوال ، ولكنه كان يحاول اخفاء هذا الفزع عن طريق الصنعة المتجليـــة في المبالغات والرموز التاريخية التي اغرق بها الرسالة.

واذا كان قد استطاع ان يخفي هذه الذاتية في الرسالة وفي القطعة الشعرية في بعض ابياتها بما قام به من محاولات التثقيف المتجليـة في التعميـــم : « وصادفتنا سهام كلها عرض » « اغرقتنا ذنـــوب » « الثوب يطهر عند الغســل » ، ربما لانـــه لم يرض ان ينهزم امام اعدائه بعد العز الماضي ، اذا استطـــاع ذلك ، فقد انهزم اخيرا وخوت مقاومته وهو ينفجـر ببيته السابقين وهو ينوح على نفسه اللذين كشفـــا فيه حقيقة الانسان ، وليس المثقف بالمنصب حين لم تجده الصنعة شيئا .

ولو اننا انتقلنا الى ظروف حياة ابي جعفـــر لوجدنا لها شبها كبيرا بظروف مجموعة من الكتـــاب والشعراء والوزراء في اخلاقهـــم وحيواتهـــم كابن المقفع وجعفر البرمكي الوزير العباسي وابن الخطيب مع ابن المقفع في انتقال كليهما بين دولتين احداهما تنهار واخرى تنبض : من الدولة الاموية الى العباسية عند احدهما ، ومن الدولة المرابطيـــة الى الموحدية عند الآخر ، وفي الحفاظ على الصداقة عند كليهما بين ابن المقفع وعبد الحميد الكاتب وبين ابـــي جعفـــر والامير المرابطي يحيى وفيما وصله كل منهمـــا في ديوان الكتابة واساليب النثر .

ومع ابن الخطيب في حياتهما الغنية بالسلطـــة والشعر والنثر والنهاية السيئة المحزنة .

ومع الوزير البرمكي في الدسائس التي تعرضنا لها والمنصب السياسي الذي تبواه كل منهمـــا في ظل دولـــة قويـــة .

لقد آل الى نفس المآل الذي آلوا اليه جميعا ، بعد العزة والشهرة السياسية والادبية التي عرفها كل واحد منهم « وتلك الايام نداولها بين الناس » صدق الله العظيـــم .

فـــاس : محمد العلمي حمدان

(48) جامع الزكاة من قومه في عهد عمر منذ ولاه الرسول (ص) وكان الحطيئة قد هجاه بقصيدة جاء فيهـــا : دع المكارم لا ترحل لبغيتها واقعد فانك انت الطاعم الكاسي
فاستعدى عليه عمر فحبســـه .

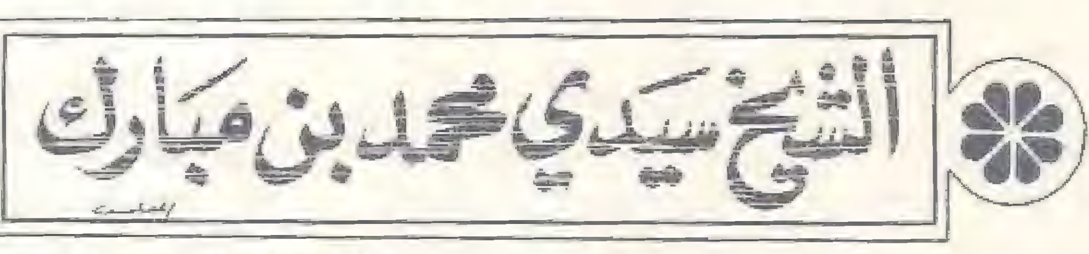
(49) ذكريات مشاهير رجال المغرب عدد 5 الاستاذ عبد الله كنـــون .

(50) الادب المغربي : للاستاذين بنتاويت وعفيفي ص 180 .

(51) الذكريـــات عـــدد 5 .

(52) الذكريـــات عـــدد 5

(53) « ابن زيدون » اعلام الفكر العربي . نديم مرعشلـــي .



للأستاذ محمد التاودي ابن سودة

« فقد كان المترجم له : إماما وقدوة : غيما يأمر به : من تحرير شواطىء المغرب ، وهي منقبة اخرى تضاف الى مناقبه العديدة : التي لا ينساها لـه المخلصـون » .

ان هذا الرجل ليعد من أكبر الاولياء المخلصين والزعماء الروحيين ، الذين كانوا يوجدون في فتـرة دقيقة مرت بأرض مغربنا العزيز ، واعني بها تلك الفترة التي تكالب فيها الاستعمار الاسباني والبرتغالي والانجليزي على التمهيد لالحاق هذه العدوة التي بقيت « وستبقى الى ان يرث الله الارض ومن عليها وهو خير الوارثين » الصخرة القوية التي تتحطم علـى ارضها كل المحاولات الاستعمارية ، وتنهار امامهـا كل الدسائس الرامية الى تنصير اصحاب هـاته الارض المتشبعة باسلامها ، ومبادىء ايمانها .

ولهذا نجد اهلها جادين فـي احباط خطـة الكنيسة الاوربية الهادفة الى تنصير أهل المغرب ، ومحو العقيدة الاسلامية من صدور معتنقيها : من اجل ذلك بدا الاستعمار الغاشم المتحالـف مـع رؤسـاء الكنيسة الاوربية بجميع فرقهـا : يخطـط ويمهـد للشروع في الاستيلاء على شواطىء المغرب العزيـز القريبة من عدوة الاندلس شمالا وجنوبا .

نعم شاءت الاقدار ان يكـون القـرن العاشـر الهجري السـادس عشر الميلادي ، محفوفا باخطـار عظيمة تهدد استقلالنا ، وتنذر بسوء المصير ، لا قدر الله ، وفي الوقت نفسه ، كان هذا العصر طافحا بعدد كبير من الاولياء والصالحين ، والمجاهدين المرابطيـن بالثغور المخوفة احتسابا بالله ، واشفاقا علـى عقيدتهم من المتربصين بها الدوائر ، وقد كان وجـود الاولياء في هذا العصر كثيرين وكان طافحا بهم زمانهم هذا الذي كانوا يقولون فيه : انه عصـر « صابـة الاولياء » وهم الذين عاهدوا الله ورسوله . علـى اصلاح نفوس تابعيهم ، وارشادهم لطريق الهـدى والصـلاح .

فوقفوا حياتهم وجهادهم من اجل الدفاع عـن الوطن والمقدسات الروحية ، التي بها حياة النفوس قبل حياة الاجسام ، نعم كان الجو الاوربي يتهيـأ لانزال ضربته القاسية بارض المغرب ، لانهم كانوا يرون انهم بعدما قضوا على العقيدة الاسلامية هنالك بأرض الاندلس السليبة : لا بد لهم من تتبع مدارها ومحو ذيولها بهذه العدوة ، ليطمئنوا على عقيدتهم ، فكانـوا يرون ان المغرب حقا هو الملجأ الاخير للفارين بدينهـم وعقيدتهم ، « ولما اكثرهم بعد الضربة الاخيرة التـي حلت بالمسلميـن هنالك » وهم المهاجرون المتشرون

بطول الارض وعرضها ، نعم انه هو الحصن الحصين للعقيدة الاسلامية بهذا الجناح المغربي .

فبعدما اقصت الجيوش الصليبية المسلمين من ارضهم وديارهم وممتلكاتهم ، تطلعت نفوس عبدة الصليب ، الى محو العقيدة الاسلامية ، من نفوس مسلمي عدوة المغرب ، هكذا سولت لهم نفوسهم ، وظنوا ان المغرب طعمة سائغة تبتلعه جيوشهم بين عشية او ضحاها ، فاخذت جيوشها تستولي على شواطئه لاستعمار الوطن كله ، « يريدون ان يطفئوا نور الله بافواههم ويابى الله الا ان يتم نوره ولو كره الكافرون » .

ولكن العناية الربانية ، والالطاف الخفية ، كانتا دائما تهيئ لقادة الاشاوس ،الابطال من المفكرين والملوك الاحرار ومن المرابطين اصحاب الزوايا الزعماء الروحيين الابرار والعلماء الغيورين الاطهار ، للوقوف في وجه كل هجوم اجنبي مرتقب ، وصد كل عدوان يظهر في الافق ، فكانت الجهود متضافرة ، متماسكة متساندة ، مقوية للصفوف ، ومتدفقة بحرارة الايمان ضد الغزو الاوربي وايقاف الزحف الصليبي الموجه الى هذه العدوة المحافظة على ايمانها ، والفاتحة صدرها للفارين المهاجرين من المحاكم التي نصبت في طول بلاد الاندلس السليبة وعرضها للقضاء الاخير على كل روح اسلامية بقيت متمكنة في قلوب محبيها .

فاذا كانت النفوس مستعدة للدفاع عن اقدس مقدساتها ، فان الله لا محالة ينصر من نصره ، وما وقعة وادي المخازن المشهورة التي التقى الجمعان فيها يوم الاثنين آخر جمادى الاولى عام 986 هجرية موافق 4 غشت سنة 1578 م والتي شارك فيها العلماء قادة الفكر في هذا الوطن ولقحها الاولياء بالروح الصوفية الزكية التي غرسها اربابها في نفوس مريديهم فحلت الهزيمة فيها بجيوش المعتدين شر انهزام ، انها ليست ببعيدة عنا في عصر صاحبنا سيدي محمد بن مبارك ، فهي التي تصور لنا اتم تصوير ما كان يتطلع اليه اعداء هذا الوطن العزيز ، ومن هؤلاء المومنين الصادقين ، والزعماء الروحيين الذين هياهم الله في هذا الظرف الدقيق صاحب ترجمتنا جد البيت المباركي فقد حباه الله شرف الكفاح ، زيادة على شرف الصلاح والتقوى ، كما ستقف على ذلك ايها القارئ الكريم في هاته النبذة من حياته ، مولده واوليته .

وهاته الشخصية هي شخصية ابي عبد الله سيدي محمد بن (1) مبارك التاستاوتي الزعري (2) القبيل الحراري (3) السبيل (4) وهو رضي الله عنه من قبيلة عرب بالمغرب يقال لها — زعير — تصغير بلغة التصغير والنسب اليها زعري على التكبير غير زعيري النسب مالكي المذهب .

مولده واوليته :

لم يعرف تاريخ ولادته بالضبط لان كل من ترجم له لم يتعرض لذكرها وكل ما ذكره المورخون لحياته انه ولد باوطاط (5) من وادي ملوية يبدان تلميذه الخاص ابا العباس احمد المعروف بابن محلي المخطوط كتابه حوله بالخزانة الملكية تحت الرقم 1000 قال : انه نيف على سبعين سنة وقد جزم بانه توفي عام

1) ضبطه بفتح الميم في اوله هو المشهور على الالسنة وان كنت لم اقف على من ضبطه بالفتح فكل من ارخ لحياته فانه لم يتعرض لضبط الميم في اسمه محمد لا بالفتح ولا بالضم فليحقق ذلك .

2) هذا النص التاريخي الذي ساقه ابو العباس احمد بن عبد الله ابن القاضي السجلماسي ملك مراكش المعروف بابن محلي يدل على ان قبيلة زعير كانت تقطن بتساوت بالحوز بيان .

3) الحرارة : فخذة الحرارة فخذة مشهورة بقبيلة زعير .

4) هذا البيان المتعلق باصله ومذهبه ماخوذ من كتاب الاصليت المخطوط بالمكتبة الملكية بالرباط تحت الرقم (1000) وان كان اصله من اوطاط ملوية كما سياتي فيما بعد من هاته الترجمة .

5) كونه ولد باوطاط وانتقل الى مكناسة ومنها الى زعير هو ماذكره ابو العباس احمد بن عبد القادر حفيده في تعليقه على باديته التي سنشير اليها فيما بعد .

1007 فتكون ولادته على هذا عام 937 هجرية ومن ملوية انتقل صحبة والده ابن عمران موسى — الذي توفى اعني الوالد — بارض عشابنة الى مكناسة الزيتون ثم انتقل الى بلاد — زعير — وانه كان استقر فى اول حياته بمكناسة يتعاطى القراءة فصعب عليه الامر وتعذر عليه — الفهم فجاءه النبي (ص) فى رؤياه فقال له : فيما يحكيه : انك لن تقرأ ولكنك ستكون شيخا فاخرج الى البادية فخرج وهو لا يعلم تاويل رؤياه فى بدايته بل ظنها شيخ القبيلة فكان يزاحم الناس ليتقدمهم عند السلطان الى ان سرت فيه نفحة القرب من حضرة الرب فذهب الى مراكش ولقى بها شيخه ابا عمر القسطلي الاندلسي المراكشي وهذا كل ماذكره المؤرخون عن اولية هذا الشيخ الكبير الذى حظى بما حظى به من المعرفة الربانية والفتح الالهي ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء من عباده .

فكم من عالم لم يصحبه التوفيق الالهي ولا اثرت فيه اسرار الدين الاسلامي فعاش ما عاش من حياته غير مستفيد من علومه ومعارفه وكم من امى لايقرا ولا يكتب رزق من التوفيق والهداية الشيء الكثير مثل صاحبنا ومثل مولاى عبد العزيز الدباغ ومولاى عبد الرحمن المجذوب وغيرهم ممن اجتباهم المولى لحضرته وافاضوا على الكون باسرار عجيبة وحكم بالغة حتى ان منهم من صدرت على يديه كرامات وبزوا بحوارقهم وقربهم من الله العلي الكبير بزوا وفاقوا من افنوا اعمارهم بين الخزائن العلمية ومطالعة الكتب والتدريس وافادة الغير ، ومن هذا الفريق الشيخ ابو عبد الله سيدى محمد بن مبارك ، فقد ورد فى الاثر ما اتخذ الله وليا الا وعلمه ويشهد له قول الله عز وجل : « واتقوا الله ويعلمكم وفى الحديث « من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم » .

شكوت الى وكيع سوء حفظى
فارشدنى الى ترك المعاصى

وقال بنى : ان العلم نور
ونور الله لا يؤتاه عاصى

رحلتــه الى مراكــش

الا انه رغم كونه لم يتعاط فى صغره للقراءة والدراسة العلمية فقد احب حينما شعر بابتداء جذبه الى الحضرة الالاهية احب ان يجعل بينه وبين محبة مولاه شيخا يقربه الى حضرته فهنالك شد الرحلة الى مراكش الحمراء فقد كان عصره الذي هو القرن العاشر الهجرى كان يموج بعدد عديد من اولياء الله تعالى الذين قال الله فيهم : الا ان اولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ؛ والذين قال النبى (ص) فى حقهم على لسان الحق سبحانه : ولا يزال عبدى يتقرب الي بالنوافل حتى احبه فاذا احببته كنت سمعه الذى يسمع به الحديث ؛ وقوله (ص) : من آذى لى وليا فقد آذنته بالحرب وياويل من حارب الله تبارك وتعالى فان مآله الفشل والهلاك المحقق .

نعم لما سمع الشيخ بخبرولي الله تعالى سيدى ابى عمر القسطلي الاندلسي الاصل المراكشي مولدا ونشاة ومدفنا توجه اليه وقصده للاخذ عنه والاغتراف من بحره صحبة جماعة من — قبيلة زعير — حيث ان هاته القبيلة تخدم هذا الولي وتعظمه وتحترمه ويوجد بها بعض ذريته وكان مما قاله الشيخ ابو عمر لزواره حينما قدموا اليه هداياهم التى جمعوها وساقوها اليه ، قال لهم : — من اتى بها كلها ذهب بها كلها —

فهاته القصة تدلنا على نجاحه فى مبتغاه بين يدى شيخه الذى كان سبب وصوله على يديه؛ وقد ظهر سر ذلك فى رجوع الشيخ المباركي فقد ثقل جسمه بالاسرار الربانية حتى ان اصحابه الذين كانوا معه فى رحلته كانوا يحملونه على اربع ابعرة اذا أعيى جمل حمل على آخر بالتناوب .

بناء مسجده بقبيلة تستاوت (6) بزيان

لما وصل الى موطنه بتستاوت بارض زيان كان اول ما فعل هو بناؤه للمسجد الذى احب ان ينقطع فيه للعبادة فى المكان الذى عينه له شيخه المذكور .

---

6) توجد تستاوت بقبيلة زيان كما يوجد وادى تستاوت بقبيلة السراغنة قبيل القلعة بنحو 13 كلم تقريبا وكما توجد فخذة من تستاوت ببوززات .

منزلته وشهرته في الافاق

ادرك رحمه الله منزلة عظمى في ادراك الاسرار الالاهية والمعارف الربانية وابداء اسرار القوم مع كونه اميا ؛ وقد قال كل من ترجم له : انه ادرك منزلة القطبانية ؛ وقد شاع في المغرب صيته وقصده الناس من اماكن بعيدة للاخذ عنه والاغتراف من بحره الالاهي .

ذكر صاحب المحاضرات : ان جماعة من اصحابه دخلوا على قطب عصره سيدي محمد الشرقي فقال لهم ما يقوله شيخكم فقالوا : انه يقول : اهل زماننا محسوبون علي او في ذمتي ؛ فقال سيدي محمد الشرقي : اشهدوا علينا انا من اهل زمان ابن المبارك واخباره كثيرة لا نطيل بالتعرض الى جميعها

سبب تسميته بالزعري :

ذكر تلميذه ابو العباس ابن ابي محلي في كتابه الاصليت حينما عرف بشيخه صاحب الترجمة انه سمع من شيخ دهري من زعير ان سبب تسميته — بزعري — انه كان يحرث على جمل وفرس فكان يزجر الجمل بلفظة — زع — المعهودة في زجر الابل ويزجر الفرس بلفظة : — ري — المعهودة لزجره فلما تكرر منه ذلك لقب باللفظتين مركبتين واشتهر بذلك ونسخ اسمه الاول وهو سليمان .

وقد تعرض لترجمة هذا الولي الشهير كثير من المؤرخين والباحثين اولهم تلميذه ابو محلي المتقدم الذكر وصاحب نشر المثاني وحفيده ابو العباس احمد بن عبد القادر وصاحب صفوة من انتشر في اخبار القرن الحادي عشر . . والدوحة والحضيكي في طبقاته وصاحب المرآة والناصري في كتابه الاستقصا وابن زيدان في الاتحاف والعباس بن ابراهيم في الاعلام وغيرهم .

انتسابه للشرف النبوي

اختلفت كلمة المؤرخين في نسبته للشرف النبوي فاما صاحب النشر فقد نقل عن تلميذه الشيخ ابي محلي في كتابه الاصليت : ان نسبه من زعير وقال وربما سمعت من بعض اقاربه او اصحابه انه شريف النسب وما تلقيته منه ولا ممن اثق به ولا من اولئك العصبة وان كنت صرحت او لوحت بذلك في صدر الصبابة فالتحقيق ما هنا والله اعلم بالغيب وناهيكم بها من شهادة من احد تلاميذته العارفين باحواله وسيرته والمطلعين على نسبه واصله الذي لازمه للاخذ عنه مدة ثمانية عشر عاما .

اما صاحب يتيمة العقود الوسطى في مناقب الشيخ ابي عبد الله محمد المعطي لابي عبد الله محمد بن عبد الكريم العبدوني دفين ابي الجعد فانه رفع نسب المباركيين الى المولى ادريس (ض) بيد اننا نجده حينما تعرض لترجمة سيدي **احمد زروق بن محمد ابن** الحاج ابن الشيخ سيدي محمد بن مبارك نجده حلاه بالمرابط مع ان هذه اللفظة لا يحلى بها اهل الشرف النبوي ولعل ذلك هو سند بعض الظهائر التي وقفت عليها فقد وقفت على ظهير عزيزي ياذن فيه — للمرابط — السيد عبد القادر المباركي في بناء زاويتهم بتراب مغشوش من ارض زعير .

هذا وقد اوقفني الاخ العلامة المطلع السيد الحاج احمد معنينو على كناشة لاحد علماء سلا جاء فيها ان احد اجدادهم دخل الى المغرب مع الفاتحين عند فتح افريقيا في صدر المائة الثانية واستوطنوا جبال الناحية الشمالية الريفية ؛ وقيل اندمجت اسرهم في اسر الاشراف الادارسة بطريقة التزويج ولعل اصحاب هذه النظرية يذهبون الى ان النسب الشريف كما يثبت من قبل الاب كذلك يثبت من قبل الام وهي مسالة خلافية بين (7) العلماء —

وتابع صاحب الكناشة كلامه فقال : وتناسلت منهم ذرية يعرفون بالبرهوتيين بمقربة من جبل الاعلام بجوار المزارة التي تضم رفاة المولى عبد السلام بن مشيش العلمي وانتقل جدهم الى سلا في بداية الدولة

---

(7) وللحافظ ابي عبد الله محمد بن عبد الرحمن الكفيف المراكشي تاليف سماه اسماع الصم في اثبات الشرف من قبل الام وللعلامة الثبت السيد العابد بن العلامة السيد احمد ابن سودة المري كتاب في هذا المعنى سماه رفع اللبس والشبهات في اثبات الشرف من قبل الامهات .

العلوية الشريفة واشتهروا بالعلم والتدريس في مختلف المساجد ورفع نسبهم الى المولى ادريس بيان قال صاحب الكناشة : ان الشيخ سيدى محمد 1 بن مبارك 2 هو ابن عمران ابن 4 احمد بن مسعود 5 ابن محمد 6 ضما ابن برزوز 7 ابن محمد 8 ابن احمد 9 بن عبد الله 10 ابن علي 11 ابن مداس 12 ابن مناظر 13 ابن عيسى 14 ابن عبد الرحمن 15 ابن يعلى 16 ابن أبي العلاء ابراهيم 17 ابن احمد 18 بن علي 19 ابن محمد ضما ابن ادريس 21 الازهر ابن ادريس 22 الاكبر رضي الله عنهم ، وهذا العمود الذي ذكره صاحب هاته الكناشة موافق لما وقفت عليه بالخزانة العامة بالرباط في آخر مجلد خطي رقم 309 الا في كون مبارك والد الشيخ سيدى محمد هو ابن لعمران عند الاول وانه ابن لاحمد لا لعمران عند الثاني والخط الذي اشير اليه في هذا المجلد هو خط المؤرخ الشهير العلامة السيد محمد بن محمد بن علي الدكالي السلاوى رحمه الله .

وتابع صاحب الكناشة كلامه فقال : ان اصلهم من مكناسة الزيتون ونواحيها وقد مضى زمان على استيطانهم ونشاتهم بها ثم ارتحلوا الى سلا في صدر القرن الحادى عشر الهجرى بعد ما استوطنوا قبيلة من قبائل — زعير — تعرف بالجطارنة وهي بعيدة من الولي الصالح القطب الرباني ابي يعزى ابن عبد الرحمن المدعو احمر التراب بفراسخ قليلة بمدة من نصف يوم على مسيرة البهيمة .

وذكر صاحب هذه الكناشة ان المباركيين ينقسمون الى خمس فرق وهم الشرفاء 1 والقادريون 2 بسكون الدال والشوافع 3 والمباركيون 4 والبراهيميون 5 وهم من عمود الولى الصالح المولى ابراهيم بن احمد بن عبد القادر وهؤلاء هم المتصرفون بزاوية الشيخ الاكبر بسلا لا غير انتهى كلام صاحب الكناشة .

اما المباركيون الموجودون — بزعير — فانهم ينقسمون الى ثلاث فرق وهو المباركيون معروفون باسم جدهم الشيخ المترجم له والقادريون المتفرعون من ابى العباس احمد بن عبد القادر والبواشريون المتفرعون من سيدى عبد القادر بن البشير المباركي وجد الكل هو الشيخ سيدى محمد بن مبارك صاحب الترجمة .

هذا وقد وقفت في مجلد يضم اربعة كتب بخط العلامة المؤرخ ابى العباس احمد بن عاشر الحافي وهو في ملك صاحبه الاخ الصديق العلامة سيدى محمد الوافي بن عبد العزيز العراقي الحسيني ومن بين هذه الكتب منظومة لرجال المائة العاشرة لحفيد الشيخ صاحب الترجمة وهو ابو العباس احمد ابن عبد القادر التستاوى يذهب فيها الى صحة النسبة الشريفة لجده سيدى محمد ابن مبارك يقول فيها :

1) وعرج على القطب الرضي ابن مبارك
بارض زعير بدره كان ثاويا
2) شريف من الاطواد غوث فيجتلى
كذا قد روينا شامخ القدر عاليا
3) تراءى له البيت المفخم امره
لاجل بناء المسجد المرباديا

واتبع هذه الابيات بتعليق له عليها فقال :
وابن المبارك هو الشيخ العارف بالله تعالى سيدى محمد بن مبارك بن احمد بن مسعود الحسني فيما رايته مقيدا بخط ولده العالم ابى عمران سيدى موسى ثم افادنا صاحب هذه المنظومة والتعليق باشياء تتعلق بحياة صاحبنا فقال وكان جده باوطاط وانتقل هو منه مع والده وخرجا للغرب ومات — بعشابة — اعنى والده وقبره معروف مزارة ثم انتقل ابن مبارك لبلد — زعير — وكان مع اولاد طيب ثم انتقل — للجطارنة — (8) وعندهم تزوج وكان من

(8) قبيلة الجطارنة كانت في القديم تجاور سيدي محمد بن مبارك من ناحية القبلة متصلة بقريته ويقول سكانها اليوم ان اصلهم من بني وطاس وكانوا اعظم القبائل غنى وشجاعة حتى انهم كان افيالهم يجعلون صفائح خيولهم من فضة ومسامرها من ذهب ولما طرا صاحب الترجمة على هاته القرية وجدها في اوج عظمتها ووجد منها مضايقات ومشاغبة .
وقد انقرضت هاته القبيلة ولم تبق الا اراضيها افادني بهاته المعلومات الاخ الصديق السيد الطيب بن بنخدة قاضي ابي يعزى شكرا له كما زودني بصور اخذها من ضريح الولي سيدي محمد بن مبارك واقربته .

امره ما كان وما ذكر من ظهور البيت واجابة الميت له ونجاة من استغاث بـه فى البحـر لمـر غـاش : الى ان قال وقد الف صاحبه ابو العباس الشيخ احمد بن عبد الله المحلي تاليفا بل تواليف فى مناقبه ومنها الوضاح والمحيـا .

هذا وقد وقفت فى كتاب كشف النقاب عن انساب الاربعة الاقطاب للعلامة النسابة عبد القادر بن ابن محمد الطبرى (9) الحسينى المكى على ترجمة لاحد احفاد المترجم له فى قصة ساقها فى فصل : ذكر جماعة فرج كروبهم بسبب قراءة الحزب الشريف قال فيها عن هذا الحفيد وهو الشريف محمد الحسني ابن عبد الله ابن عبد العزيز ابن محمد ابن علي ــ ابن محمد ابن مبارك ــ ابن احمد ابن مسعود ابن محمد ابن برزوز ابن محمد ابن احمد ابن عبد الله ابن علي ابن وراسين ابن مضر ابن عيسي ابن عبد الرحمن ابن يعلى ابن عبد العال ابن ابراهيم ابن احمد ابن علي ابن محمد ابن ادريس الاصغر ابن ادريس الاكبر مالك المغرب ابن عبد الله المحض ابن الحسن المثنى ابن الامام الحسن (ض) سبط النبي (ص) .

هكذا ذكر صاحب هذا الكتاب « وهو من مكة كما علمت » عمود المباركين الذى اوصله الى المولى ادريس الاول ثم قال وهذا الشريف المغربي : انه احمدى الخرقة اقول وبالمقابلة بين هذه السلسلة الثلاث التي سقناها هنا فى هذا الكتاب لنسب هذا الولي الصالح يظهر لنا انه لا تخالف فيما بينها فى تسلسل جدود سيدى محمد بن مبارك الى المولى ادريس الفاتح الاول للمغرب الا ماكان من زيادة ابي عمران عند صاحب الثانية فقط والا فى كون مضاس عند الاولين بينما سماه صاحب كشف النقاب بوراسين والا فى كون مناظر عند الاولين وسماه بمضر صاحب كشف النقاب والا فى ابى العلاء ابراهيم عند الاولين وعند الاخير قال فيه عبد العال بن ابراهيم وهو اختلاف قريب فى بعض الاسامي فقط وبهذا الاعتبار تكون الروايات الثلاثة تضافرت على ثبوت النسبة الحسنية لهذا الولى الصالح ويحمل كلام تلميذه ابي محلى على كونه لم يسمعه لا ينافي ذلك فى الخارج والله اعلم بحقيقة الامر :

اوصاف الشيخ واخلاقه

قال تلميذه ابو محلي فى كتابه الاصليت كان سيدى محمد بن مبارك شيخا مهيبا فاضلا كامل الخلق والخلق واصلا رفيع الهمة بديع الحكمة صادق اللهجة معتدل الهيئة ظاهر السمت مطمئن الصمت ان تكلم اسكت وان صمت ابهت تمكن فى المقام بعدله وسما فوق الغمام بفضله كريم السجايا عظيم المزايا رحب الساحة خصب الراحة ذو الفائدة والمائدة للصادرة والواردة مع انه امي وليس باعجم لكنه نجي وغيره ابكم .

وقال صاحب دوحة الناشر فى رجال القرن العاشر لابن عسكر فى حقه : ومنهم الشيخ المشار اليه بالولاية الكبرى والخصوصية الجامعة لعز الدنيا ونعيم الاخرة ابو عبد الله محمد بن المبارك من احواز الرباط ــ ماسة ــ من قبائل المصامدة كان هذا الرجل اعجوبة من عجائب الدهر حدثنى جماعة من اكابر بلاد ــ السوس ــ قالوا كان السيد محمد بن المبارك مرهف الحس يوم الاجابة له بسبب ما هو متمكن من المقام النوحي فى سرعة الانفعالات وكان يظهر له من ذلك فى كل حين مالا يعبر عنه لسان .

---

(9) هذا الكتاب مطبوع بالمطبعة الخيرية بمصر وقد عاره لى صديقى الاسعد المستشار بالمجلس الاعلى السيد محمد الوالي العراقي الحسيني والاقطاب الاربعة هم : السادة الاولياء احمد الرفاعي وعبد القادر الجيلاني واحمد البدوى وابراهيم الدسوقي فقد تعرض صاحبه لترجمة هؤلاء الصلحاء وفيه فوائد تهم المؤرخ .
وقد وجدت بداخل كتاب كشف النقاب ورقة بخط العلامة البحاثة الشريف العدل السيد عبد العزيز العراقي معلقا على مكان دفن بعض هؤلاء السادة المباركيين فعن سيدى محمد ابن مبارك قال دفين زغير مع ان الصواب انه مدفون بتسلاوت بقبيلة زيان وعن عبد الرحمن قال دفين تود غير بفجيج وعن ابى يعلي قال دفين الطالعة بفاس وعن اسحاق يعني به ابراهيم قال دفين مصمودة بفاس وعن احمد دفين جرواوة بفاس ايضا ثم قال وهذا العمود ذكره الشيخ اسعد المفتي الحسيني فى سلسلة عند تعرضه للاخذ عنهم الطريقة الرفاعية ولبس خرقتها هـ .

مكانته وموقفه السياسي في وقته

وزاد ابن عسكر فقال كان اذا هاجت فتن القبائل يبعث لهم بالكف عن القتال فمن تعدى امره عجلت عقوبته في الوقت وصار ذلك من الامر المتعارف عند البعيد والقريب .

ثم انه وضع اياما معلومة في كل شهر : يسمونها ايام سيدى محمد بن مبارك لا يحمل فيها احد سلاحا ولا يقدر احد على المشاجرة فيها ويجمع الرجل منهم قاتل ابيه وولده وما يقدر أن يكلمه ، وذلك شائع عند قبائل العرب والبربر من اهل السوس وبلاد القبلة ، وهذا النص التاريخي دليل قاطع — لمن يريد سلوك طريق الاستدلال — على مكانة هذا الرجل وجلالة قدره الروحية والاجتماعية اللتين كان مترجمنا يتمتع بهما لا في بلده فقط بل ان صيته ونفوذه الروحي والسياسي وصل الى بلاد السوس وبلاد القبلة كما رأيت من السند المذكور .

وتابع ابن عسكر كلامه حول صاحبنا فقال : ومناقبه كثيرة لا تحصى وهو الذى امر قبائل السوس بالانقياد الى السلطانين الشريفين ابى العباس احمد واخيه ابى عبد الله محمد الشيخ وامرهما بالعدل والجهاد فى سبيل الله تعالى لما رأى النصارى تغلبوا على سواحل تلك البلاد فكان من امرهما ماهو معلوم هذه بعض اوصاف واخلاق هذا الرجل العظيم الجامعة لاوصافه الخلقية والخلقية افصح عنها وقرب الناس اليه والزمهم له تلميذه ابو محلى فقد حدث عن نفسه انه لازمه مدة تبلغ ثمان عشرة سنة وهى مدة طويلة الامد بعدما رجع من حضرة فاس فيما بين عامي : 986 — 987 التي كان قصدها للارتواء من حياض المعرفة ومكانها بالقرويين فاثرت فيه صحبة هذا الولى الكبير الى ان قال فى حقه ماقاله وقد حكى عن نفسه انه مكث بزاوية (10) الشيخ نحوا من ثلاثة اشهر لا يقاربه ولا يداخله مهابة له الى ان تكشف السر له فرأى ما رأى وخصه بالتاليف بالاستقلال وقد قص فى تواليفه حوله ماشهده له من كرامات ومناقب وما وعى حتى انه انشد قول الشاعر العربي :

يحق لاهل العلم ان يتدارسوا
مآثره حفظا وآثاره وعيا

ولم ينفرد بهذا الثناء العاطر والذكر الجميل المنعوتين بهما صاحبنا من طرف تلميذه وحده بل شاركه معاصروه فى ذلك ومنهم الشيخ القاضي الامام ابو عبد الله محمد بن علي بن مصباح المعروف بابن عسكر فى كتابه دوحة الناشر السالف الذكر فقد اوقفنا فيه على ناحية حساسة من حياته غير معروفة عند الكثير ممن أرخ له وهي :

اهتمامه بامر الجهاد وفك سواحل المغرب من ايدى المستعمرين البرتغاليين والاسبانيين وغيرهما فقد كان المترجم رحمه الله قدوة واماما فيما يأمر به من تحرير شواطىء المغرب وهى منقبة اخرى تضاف الى مناقبه العديدة التى لا ينساها له كل المخلصين وما اكثرهم بوطننا والحمد لله فكان علما من اعلام الجهاد ومرشدا كبيرا لمن يريد الاستقامة والفلاح بسلوكه ودعوته واى شرف اكبر من هذا .

---

(10) قد لعبت الزوايا بارضنا ادوارا جلى فى ميدان نشر العلم والمعرفة وكان لها قدم راسخة فى تأسيس الربط والخلايا للدفاع عن شواطئنا المغربية وكانت بالاضافة الى ذلك مقرا للعبادة والذكر والارشاد كما كانت محترمة ومعظمة يلجأ اليها الخائفون والمضطهدون من الملوك فمن دونهم يفرون اليها اذا ما خانهم الدهر ونزلت بهم كوارث الزمن عندما يطيش اهل رعيتهم فانهم كغيرهم من ارباب الحل والعقد كانوا يأوون اليها ويودعونها وذخائرهم خوفا عليها من الضياع الى ان تنكشف السحب وتزول العوائق فيجدون مدخراتهم فى ايد امينة ، فهذه زاوية المباركين والعباسيين والدلائيين وغيرهم وقد قامت الزوايا بجهاد كبير فى تحرير شواطىء مغربنا من ايدى المغيرين من برتغاليين وانجليزيين واسبانيين وقد خصصت بالتاليف مثل البحث القيم الذى قام به صديقنا الاستاذ محمد حجي حول زاوية الدلائيين وان كانت لا تخلو من شىء يشرفه فى بعض الاحيان وفى مثل ذلك يقال فى الزوايا خبايا فظن خيرا ولا تسأل عن الخبر انظر كتاب البليغ لمؤلفه العلامة المؤرخ المرحوم محمد المختار السوسي فقد تعرض للحديث عنها فى مواضع متعددة من كتابه .

بيت المباركيين

وسواء قلنا بصحة ثبوت نسبته الشريفة او لم نقل بصحتها فان بيت المباركيين بيت شهير بالمغرب حاز فضيلة العلم والولاية فكفاهم ذلك شرفا ونبلا وقد ورد في هذا المعنى حديث قال فيه نبي الله انا جد كل تقي ولله در من قال :

وما ينفع الاعراب ان لم يكن تقى
وماضر ذا تقوى لسان معجم

وقد اشتهر افراد منهم بالعلم والمعرفة والدراية والصلاح والولاية انتشروا في جهات عديدة من مدن المغرب وساحاول في دراستي حول هذا البيت ـ المباركي ـ ان اجمع بحول الله وقوته ما وقفت عليه من تراجم لمن عرف منهم بالعلم والتدريس والافتاء والقضاء والعدالة جهد المستطاع والله ولي التوفيق .

زاوية سيدى محمد بن مبارك

اما زاويته الكائنة بقبيلة زيان بتساوت بالمحل المسمى ـ بتامستا ـ التي بها ضريحه فانها كانت مقرا للعبادة والذكر والعلم والعرفان وكانت مزدهرة في ايامه ومن بعده يقصدها الناس من كل جهة من المشرق ومن المغرب وظهرت للناس اسرارها العديدة وتوالت عليها الوفود للارتواء من منابعها والكرع من حوضها وكانت محلا للاعتكاف والانقطاع للعبادة وطار صيتها بين الافاق حتى قيل في حقها من لم يزر زاوية سيدى محمد بن مبارك لم يرفى حياته شيئا لما لصاحبها من العز الظاهر والخير الكثير والشهرة الواسعة فكانت معهدا لحفظ القرءان الكريم والعلم الاسلامي من فقه وتوابعه .

وقد استقى من هاته الزاوية العدد العديد من الفضلاء واهل الولاية والصلاح فاخذ منها السادة الاتية اسماؤهم : عبد الله بن ناصر ويحيى بن عبد الله السوسي ومحمد بن ابى بكر ومحمد ابن عبد الله الغيات واحمد الدرعي واليزيد وعمر الحكماوى ومولاى عبد الله امغار ومولاى علي الشرسيكي ومولاى عبد الكريم البعلى ومولاى البوعناني ومولاى عبد الكريم المراكشي وسعيد بن عمر ابن ابراهيم التوتسي وسيدى الحجام الدرعي وعبد الله القاضي ومحمد الشرقي البجمعدي التدلاوى وعبد الرحمن التمازي وغيرهم ممن اشتهر بالولاية والصلاح واصبح علما من اعلام الهداية والرشاد رحمهم الله جميعا ونفعنا ببركاتهم ءامين .

وللسادة المباركيين (11) زوايا مبثوثة بالمغرب من اشهرها بعد الزاوية التي يرقد فيها جدهم زاوية سلا الشهيرة الذكر المعظمة المحترمة في الاوساط السلاوية ومنها زاوية مكناس والرباط .

بناء ضريحه :

بعد وفاته قام سلطان المغرب المولى احمد المنصور ببناء قبته بمشاركة ابنته التي وهبت صداقها في البناء محبة منها في هذا الولي الصالح اما مسجده فقد تولى هو بناءه في حياته بامر من شيخه ابى عمر المراكشي وقد سلف لنا ما وقع له من كرامة عندما قيل له ان محرابه منحرف .

وبقي امر بناء الضريح والمسجد على حالهما الى عهد سلطان المغرب المولى الحسن الاول قدس الله روحه في دار النعيم فانه في احدى جولاته المعهودة في حياته زار هذا الولي ودخل الى مسجده وصلى فيه فوجد مدرسته التي كانت مملوءة بالطلبة غير صالحة وغير كافية لمن يقصدها وحينما رجع الى فاس بعث بالبنايين والنجارين والعملة وبالات البناء من فاس فبنيت المدرسة الموجودة الان واضيف اليها اماكن اخرى مجاورة للمسجد لايواء التلاميذ وجعل ابوابها من خشب العرعار من الغابة الدائرة بالزاوية فهذه حسنة من حسنات هذا الملك الهمام الذى كان يشيد معاهد العلم والعرفان في الحواضر والبوادى جزاه الله عن العلم واهله خيرا

(11) هذه المعلومات المتعلقة بزاوية سيدى محمد بن مبارك ماخوذة من تقييد بعث به الي الفاضل امام المسجد بالزاوية المباركية وهو امام مسجدها السيد الحسن بن مبارك المزداد بقبيلة الجيش من دوار القليعة من اقليم مراكش فشكرا له .



قبة سيدي محمد بن مبارك والمسجد المتصل

واما قبته فقد بقيت على حالتها الاولى الى عام 1336 هجرية فقد قام اهل القبيلة باصلاحها وترميمها واعانهم على ذلك صندوق المولى ابى يعزى ولا زالت على حالتها الآن .

وفاة الشيخ رحمه الله

توفى الشيخ جد المباركيين بالوباء (12) فى ثانى شوال عام 1006 هجرية على ما فى مراة المحاسن ودفن بتستاوت بقبيلة زيان وقبره مشهور هناك اما تلميذه ابو محلى فانه ذكر انه توفى بالوباء ايضا عام 1007 وضريحه يبعد عن ضريح ابى يعزى بـ 25 كلم وهى مسافة الا سبعة منها فانها غير مرصفة رحمه الله رحمة واسعة واعاد علينا من بركاته آمين .

الرباط : محمد التاودى عمر ابن سودة

---

(12) هذا الوباء الجارف هو الذى كان عم سائر المغرب فى سنة 1005 هجرية الى سنة 1016 فقد دام نحوا من احد عشر عاما توفى بسببه خلق كثير منهم ملك المغرب المنصور الذهبي من ابليغ 12 ـ 32 وقد وقفت على ان هذا الوباء نقله الى المغرب من السودان احد الحدادين الذين رافقوا القبيل الذى جلبه الملك المنصور حين حجته لبلاد السودان فهو الذى تسبب فى هذا الوباء ولم يمكن لهم اذ ذاك معرفة بالادوية المضادة لهذا الداء حتى يتخذ الناس الحيطة منه ولله فى خلقه شئون .

من صور القضاء المشرقة في الأندلس

للأستاذ علي الغزيوي

ساهمت الاندلس بنصيب كبير في بناء صرح الحضارة الاسلامية التي تكون سلسلة ذهبية ، ساهم في جمع حلقاتها جميع المسلمين في مختلف البقاع التي انتشر فيها الاسلام الذي أضاء سماء الشعوب التي اعتنقته وانقذها من الظلام والجهل والعبودية ، وحفزها على تنظيم مرافق حياتها ، فاذا المسلمون جميعا أمة واحدة منظمة عاملة يتنافس أفرادها في البناء والتشييد والخلق والابتكار ، فأفادوا واستفادوا وهكذا فقد وضعوا كثيرا من القوانين والدساتير التي تكفل السير الصحيح والقويم في مختلف مرافق الدولة الاسلامية سياسيا وعسكريا واقتصاديا وثقافيا يستمدون أصولها من دستورهم المقدس، القرآن الكريم ، الذي حضهم على العمل والابتكار في كل المجالات ، وكثير هي الامور التي احتفظ بها التاريخ ولا زالت ذات فائدة عظمى على الرغم من الوقت المبكر الذي وضعت فيه بعض قوانينها ، مما يدل على أصالتها ومستواها الرفيع تفكيرا ومنهجا وأسلوبا .

ويعتبر أمر القضاء والقضاة وما يتعلق به من قوانين وتنظيمات من أهم أركان سياسة أي دولة . لما له من مكانة في نفوس الناس من جهة ، ولما يتطلب هذا الشأن من شروط وصفات تكفل لصاحبها النجاح في مهمته العسيرة والمقدسة ، اذا هو تحلى بها ، وتقول مقدسة لانها رفيعة الشأن عند الله عز وجل ، نظرا للدور الذي يقوم به القضاة في سبيل التقريب بين المتقاضين ، والبحث عن الحق ، وحسم كل نزاع ، حبا في نشر العدالة والامن والاستقرار بين مختلف فئات المجتمع ، ليتجهوا بمجهوداتهم الى ميادين أخرى تعود عليهم وعلى الانسانية بالخير والفائدة ، ودفع عجلة التقدم والازدهار لتحقيق غد افضل ، ومستقبل أسعد .

وقد عرف القضاء في الاندلس صورا مشرقة : وحلقات ذهبية ثمينة تعتبر من أهم واحسن الصور التي عرفها القضاء عند المسلمين ، وتولاه ، في بعض الفترات ، رجال أكفاء توفرت لهم صفات النجاح في مهمتهم ، فارتفعوا به عاليا وشرفوه ، فزادهم تشريفا وزادهم علوا وسموا . وبحثوا عن الحق - لا يخافون في ذلك لومة لائم ، ولا سطوة حاكم ولا بطش كبير مستبد ، فخلد التاريخ ذكرهم وسجل بطولتهم وعدالتهم وشجاعتهم .

والمطلع على بعض الوثائق التي توضح بعض ذلك في مظانها ، يشعر بالغبطة ، والاعتزاز بهؤلاء الاجداد الذين يمكن اعتبار ما قاموا به شرفا عظيما وفخرا يثير احترام الجميع .

الامثلة متعددة ، ممتدة على مختلف مراحل تاريخ الاندلس ، كلها تصلح عبرة ونموذجا يحتذى ، وتظهر وجها من وجوه البطولة والشجاعة ، وايثار الحق ، والتشبث الى حد بعيد ، بكل ما يؤدي الى الحق ويحيد عن الباطل ، الشيء الذي يجعل من يتولى القضاء فخورا معتزا بوظيفته يشعر بعلو الهمة .

أحيانا لا يهمنا الاشخاص بقدر ما يهمنا التنويه بمواقفهم ، وأحيانا أخرى نجد أنفسنا مضطرين الى الوقوف موقف الاعجاب والتقدير أمام أمثال هؤلاء القضاة الذين شرفوا ويشرفون القضاء ، والذين نريدهم نموذجا لقضاة عصرنا الذين يمكنهم تحقيق أكثر مما حققه هؤلاء ، نظرا لما يتصفون به من مميزات ويتوفرون عليه من امكانيات ونظرا للخبرة والتكوين اللذين ينقصهما القضاة في هذا العصر ، والمتتبع الاندلس ، يجد كثيرا من الرسائل والكتب التي تؤرخ للقضاة والقضاء هناك ، وكثرتها دليل على الاهمية التي يوليها الناس لهذا القطاع ، وذلك دليل على أهمية القضاء في حد ذاته .

ومن هؤلاء الذين ساهموا في الحديث عن القضاء والقضاة هناك ، وسجلوا بعض صفحاته المشرقة نذكر أبا عبد الله محمد بن حارث بن أسد الخشني القيرواني الاندلسي ، المؤرخ الاديب المحدث الفقيه المتوفى سنة 361 هـ في كتابه الذي يحمل عنوان

(قضاة قرطبة وعلماء افريقيا) المطبوع بعناية السيد عزت العطار الحسيني سنة 1372 هـ.

ومن النماذج التي تستوقف قارىء الكتاب ، ما ذكره مؤلفه الخشني عن تولية مهدى بن مسلم للقضاء في عهد الوالي عقبة ابن الحجاج السلولي في الاندلس (١١٦ — ١٢١ هـ) مما يدل في الواقع على بطولة الوالي والقاضي معا . كان عقبة بن الحجاج السلولي ، كما تروى ذلك كتب التاريخ ، صاحب جهاد ورباط ، ونجدة وبأس ، ورغبة في نكاية المشركين وكان اذا اسر الاسير لم يقتله حتى يعرض عليه الاسلام حينا ، ويرغبه فيه ، ويبصره بفضله ، ويبين له عيوب دينه الذي هو عليه ويذكر انه أسلم على يديه بذلك الفعل الفارجل ، وفي رواية اخرى الف رجل .

وفي كل ذلك وجه من وجوه بطولة عقبة ، الذي اتخذ الجهاد فريضة في كل سنة على نفسه ، حتى استطاع فتح كثير من المدن مثل اربونة وجليقية وبنبلونة وغيرها . وتكاد تجمع معظم الروايات على أنه قتل ببلاط الشهداء في غزوة له للكفار أعداء المسلمين .

أما مهدى بن مسلم ، فقد عرف أيضا بكونه من أهل الدين والعلم والورع ، بالاضافة الى اتصافه بالبلاغة والبيان . فاختير لذلك ليتولى مهمة القضاء ، ومن طريف هذه التولية ، ان القاضي كتب عهد ولايته للقضاء بنفسه ، بطلب من الوالي وفي ذلك منتهى التقدير الذي كان يكنه هذا الوالي لقاضيه الجديد الذي كان ، بدون شك ، جديرا بذلك . اذ ما اختاره الا اعجابا بتلك الصفات التي ذكرنا انه كان يتحلى بها .

وهنا لا بأس ان نسوق نص هذا العهد كاملا كما اورده العالم الخشني ، على الرغم مما في ذلك من اطالة ، ولكن مثل هذا العهد الذي كان الناس يحفظونه في ذلك الوقت ، ولما فيه من دستور للقضاء وتوجيه لمن يريد النجاح في مهمته وينال رضى الله في الدنيا والاخرة ، جدير بان ينشر ويحفظ ويوزع بين من يتولون هذه المهمة ، ليكون قدوة ومذكرا لهم في مهمتهم الشريفة المقدسة التي تعتبر من اكثر الوظائف تقريبا لله تعالى :

يذكر الخشني أن الوالي عقبة بن الحجاج السلولي لما أراد تولية القاضي مهدى بن مسلم قال له : «اكتب عهدك عني لنفسك ، فكتب مهدى» .

وهذا هو نص العهد من انشاء القاضي مهدى بن مسلم على لسان عقبة :

«بسم الله الرحمن الرحيم»

هذا ما عهد به عقبة بن الحجاج ، الى مهدى بن مسلم حين ولاه القضاء ، عهد اليه بتقوى الله ، وايثار طاعته، واتباع مرضاته،في سر أمره وعلانيته ، مراقبا له ، مستشعرا لخشية الله ، معتصما بحبله المتين ، وعروته الوثقى ، موفيا بعهده ، متوكلا عليه ، واثقا به متقيا منه ، فان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون .

وأمره أن يتخذ كتاب وسنة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ، اماما يهتدى بهما وبنورهما ، وعلما يعشو اليهما ، وسراجا يستضيء بهما ، فان فيهما هدى من كل ضلالة ، وكشفا لكل جهالة ، وتفصيلا لكل مشكل ، وابانة لكل شبهة ، وبرهانا ساطعا ، ووكيلا شافيا ، ومنارا عاليا ، وشفاء لما في القلوب وهدى ورحمة للمؤمنين .

وأمره ان يعلم انه لم يختره لمصالح العباد والبلاد ، وتولية القضاء — الذي رفع الله قدره وأعلا ذكره وشرف أمره — الا لفضل القضاء عند الله جل جلاله ، لما فيه من حياة الدين واقامة حقوق المسلمين واجراء الحدود مجاريها على من وجبت عليه ، واعطاء الحقوق من وجبت له ، ولما رجا عنده — فيما يمضيه ويتقدم فيه ويحكم به — من ايثار حق الله عز وجل، وطلب الزلفة لديه ، والقربة اليه وأن يحاسب نفسه — في يومه وغده — فيما تقلد من الامانة الثقيل حملها الباهظ عبؤها ، فانه محاسب وموعد وموعود .

وأمره أن يواسي بين الخصوم ، بنظره واستفهامه ، ولطفه ولحظه واستماعه ،وأن يفهم من كل أحد حجته وما يدلي به ، ويستأني بكل عيي اللسان ، ناقص البيان ، فان في استقصاء الحجة ما يكون به لحق الله تعالى عليه قاضيا ، وللواجب فيه راعيا ، فقد يكون بعض الخصوم ألحن بحجته ، وابلغ بمنطقه واسرع في بلوغ المطلب ، والطف حيلة في المذهب ، وأذكى ذكاء وأحضر جوابا ، من بعض وان كان غير الصواب مرماه ، وخلاف الحق منهاه ، فان لم يتعاهد القاضي مثل هذا ، ويجعله من القربات الى الله عز وجل بالتحفظ ، والتيقظ والاسترابة ، والاحتراس من أهل الخب واللدد والعناد ، والتلبس

بشهادات الزور ، وتحيف الحقوق ، أهلك القوى الضعيف ، واقتطع حقه ، وغلب عليه.

وفي تقدم القاضي – في النظر في ذلك ، والمراعاة له ، واحتساب ثواب الله فيه – اثبات الحق ، وازهاق الباطل (ان الباطل كان زهوقا) .

وأمره ان يكون وزراوه واهل شورته ، والمعينون له على أمر دنياه وآخرته ، اهل العلم والفقه ، والدين والامانة ، ممن قبله ، وان يكاتب من كان في مثل هذه الحالة المرضية ، ممن في غير ناحيته ويقابل آراء بعضهم ببعض ، ويجهد نفسه في اصابة الحق ، فان الله جل ثناؤه ، يقول في كتابه الناطق على لسان نبيه الصادق محمد عليه السلام : «وشاورهم في الامر ، فاذا عزمت فتوكل على الله». وبان يكون حجابه واعوانه ، ومن يستظهر به على ما هو بسبيله ، أهل الطهارة والعفاف والطلب لانفسهم والبعد من الدنس ، فان افعالهم منسوبة اليه ، ومنوطة لديه ، فاذا أصلح ذلك ، لم يلحقه عيب ولم يعلق به رين ، ان شاء الله .

وأمره ان يديم الجلوس والقعود ، لمن استرعاه الله امره، وقلده شأنه، واسند الحكم له عليه، ويقل السآمة منهم ، والتبرم بهم ، ويصرف اليهم قلبه وذهنه ، وشغله وفكره ، وفهمه ولسانه ، بما يوسعهم به عدلا وانصافا واصلاحا ، فان في ذلك لمنتهم ، واحياء لتاميلهم ، وتحقيقا لجميل ظنونهم ، وثقة منهم ، بورعه ونزاهته ، وطيب طعمته فان فيهم الضعيف عن التودد ، والزمن الثقيل ، وعليه في كل وقت : «التعهد – ووهنا – لاهل التلدد والفجور – والتقحم في ملتبسات الامور ، وان يكون قعوده لهم ، وتصرفه في النظر بينهم ، بنشاط وقلة فتور ، ليكون ذلك اقوى له ، واتقن لما يحكمه ويبرمه من سياستهم وتدبيرهم ، ان شاء الله .

وأمره ان يسمع من الشهود شهاداتهم على حقها وصدقها ، ويستقصيها حتى لا يبقى عليه شيء منها ، ومن المزكين تزكيتهم ، ويكثر البحث والفحص عن امورهم اجمعين ، ويسأل عنهم اهل الصلاح والدين ، والامانة والثقة والرعة ، ممن يعرفهم ويطبن احوالهم ولا يعجل بامضاء حكم حتى يستقصي حجج الخصوم ، وبيناتهم ومزكيهم ، ويضرب لهم الآجال ، ويوسع فيها عليهم، حتى تتجلى له حقائق امورهم ، وتنكشف له اغطيتها، فاذا اتى عليها علما وأيقنها ايقانا ، لم يؤخره الحكم بعد اتضاحه وظهوره وثبوته عنده من يشاوره من فقهائه .

وأمره أن يطالع بكتبه ، في الحوادث التي يحتاج فيها الى المؤامرات فيما أشكل عليه ، واستغلق له ، واحتاج اليه في النوازل : «ابراهيم بن حرب القاضي ليرد عليه منه ، ما يعمل به ويمتثله ، ويقتصر عليه ، ويصير اليه ، لتكون موارد اموره ومصادرها مبتداة فواتحها بالتسديد ، مقرونة خواتمها بالتأييد ان شاء الله .

هذا عهدي اليك ، وأمري اياك ، واسنادي اليك ما أسندت ، وتفويضي اليك ما فوضت ، فان تعمل به – مؤثرا لرضى الله وطاعته – قائما بالحسبة ، مؤديا حق الامانة – يكن حجة بين يديك ، وظهيرا لك ، وان لم تعمل به ، يكن حجة عليك ، وانا اسأل الله ان يعينك ويقويك ويرشدك ، ويوفقك ويسددك انه خير موفق ومعين ، وصلى الله على محمد».

وليس هذا هو النموذج الوحيد الذي يثير اهتمام من يتصفح كتب التراث العربي ، فهناك النماذج العديدة سواء في هذا الميدان أو غيره من الميادين الاخرى : العلمية والادبية ، وكلها مما يتطلب اهتماما ودراسة ، للوقوف على هذا الماضي المشرق الذي تستمد منه العروبة نورها لتضيء المستقبل الذي هي في طريق بنائه على يد ابنائها المخلصين العاملين الذين يسعون الى ما فيه خير الاسلام والعروبة ، واذا كانت الاندلس قد خرجت من يد العرب لانهم لم يعرفوا في وقت ما كيف يحتفظون بها، فان ما تركه العرب هناك من مآثر مادية ومعنوية يعيد تلك الصورة المشرقة ، وذلك العهد الذهبي الذي يعتبر طوق فخر في جيد كل عربي مسلم ، وان الاهتمام بتراث هذه البلاد جزء من خدمة العرب والعروبة ، وهو اهتمام بدون شك سيكون حافزا للعمل والتشييد .

وبالاضافة الى تلك القيمة البارزة المتعلقة بالمضمون ، نجد في هذه الوثيقة السياسية قيمة أخرى تتعلق بالشكل ، فهي تبرز جوانب من خصائص فن من الفنون النثرية المهمة : العهود ، في وقت مبكر هو أوائل القرن الثاني للهجرة ، ممثلة في طريقة «يحيى بن مسلم الفقيه العالم الاديب ، فنلمس فيها هذا الميل الى التقرير والوضوح ، والاحاطة بجوانب الموضوع ، والجمع بين الدين والسياسة ، في عبارات بعيدة عن التنميق والمحسنات الا ما جاء عفوا ، وفي جمل قصيرة قوية جزلة تؤدي المعنى المقصود بطريقة مباشرة .

مكناس – علي لغزيوي

حسناء العيد . . .

للشاعر محمد بن محمد العلمي

دقت البشريات في العيد بابي ، والصباح الوليد ملء الرحاب

واتتني الحسناء تختال تيها ودلالا ، في اجمل الاثواب

وانا الشاعر المتيم حبا في بهاها ، وحسنها الجذاب

ثم قالت : هيا لاعظم عرس ، هذه فرحتي بعيد الشباب

هل تريد السحر الحلال ؟ فانى من اغانيه شحنت جرابي :

بهجة العيد في الخمائل ، والطير الشوادي ، والجدول المنساب

افلا تشهد ؟ الروائع تبدو مبدعات فتونها بركابي ؟

انني جنة ، وقلبي ربيع خافق بالحياة ، غض الاهاب

فلقد عطر الولاء كياني ، ولقد ودت الحسان خضابي

هذه رايتي بنجمتها الخضراء ، رمز الفداء والاحساب

عمت الفرحة الوجود ، فجاءت بالتهاني شقائقي وصحابي

انني الدرة البتيمة في العقد ، وللتاج قد دمغت انتخابي

هذه نغمتي يرددها الدهر ، صداها يرن فوق السحاب

ايها الشاعر المغرد ، هلا ذقت كاسا من خمرتي ورضابي ؟

فخذ الناي ، ثم رتل نشيدا كان وحيا لمزهري وربابي

تلك قيثارتي ، واوتارها لحن بديع تشدو به اعصابي

هذه جوقة القلوب لعرش علوي ، تهتز بالترحاب

يا عروس الاحلام ، لبيك ، انني منك اترعت في الهنا اكوابي

فأجابت : مرحبى ، فانى اوحى ... لك فى العيد بالجديد العجاب

هذه نهضتي بكل مجال ، ... اتباهى بها على الاتراب

فى ربوعي ملاحم المجد تترى ، ... صنفت للأجيال خير كتاب

تلك ارضي المعطاء ، مصدر رزقي ... طفحت بالثمار والأعناب

وسدودي روت يعليون هكتا ... ر عروقى ، وراق منها شرابي

وطيكي من اشتراكية مثلى ، ... حبانى مطامحى ورغابي

حيث اغنى فقيرنا ، دون ان يفقر ... ميسورنا ، وليس يحابي

ان انتاجنا ، باشتراك عما ... ل ، سينمو بشعبنا الطلاب

تلك آفاقنا الفسيحة لم تترك ... بحق تحكما فى الرقاب

ويليكي معاتب من توانوا ، ... حبذا ، حبذا صريح العتاب !

خطة العاهل الكريم هي الاقناع ، ... فى حكمة ، وفى استيعاب

ان عيد الشباب معناه جد ... دائم ، فى قريحة واكتساب

لتصيد الصحراء ، فردوسنا المفقود ، ... رغم الصعاب والأوصاب

فى المشاريع يظهر الحق والصد ... ق امام الشاكى المرتاب

وهنا ، من سواعد الشعب تبدو ... معجزات لفتية انجاب

وهنا الصبح مشرق فى قلوب ... قد صفا عمقها بدون حجاب

وصفوف الاحرار ، جندها الايمان ... فى وحدة ، وفى استقطاب

قد كفانا القرآن ، اذ نحن منه ... فى غنى عن وصاية وانتداب

سنة الله نرتضيها ، فلا ننساق ... جهلا مع الدخيل المعاب

وانا المغرب العظيم اوالي ... خطواتي الى امان عذاب

هذه فى الورى اشتراكيتي الكبرى ، ... نفيها مفاتح الابواب

وسواها من دون شك ضلال ... وعقيم فى النهج والأسباب

فعساها تكون درسا مفيدا ، ... واعتبارا الى ذوي الألباب

واطارتنا يحث خطاها ... عرشنا المجتبى الخصيب الجناب

منذ (ادريس) نحن قوم كرام ... قد بنينا مفاخر الاحقاب

وانا المغرب الكريم شروق ، ... وثناء للخالق الوهاب

ودعائي : ان بارك الله دوما ... فى نماء القطعان والاعشاب

عندي السر لى بناء جيل ... بعد جيل فى أطهر الاصلاب

وانا حاضر بكل ضمير ، ... وعن المجد لا اطيق غيابي

انه الصبح يشمل المغرب الاقصى ، فيجلو عنه سجوف الضباب

وشعوب الدنيا الى العرش تصغي حينما جاءها بفصل الخطاب

نهي ترنو الى مكاسبنا الغر دواما بغاية الاعجاب

وهي تهفو الى حمانا بشوق ، هائمات بحسنه الخلاب

هذه وحدتي يعززها العر ش ، جزاه الرحمان خير ثواب

تلك روح جماعية كبرى تسامت بطبعنا الغلاب

مصنع تلو مصنع في حمانا ، وازدهار يعم كل الروابي

واقتصاد يزكو بأحسن عهد ، وكفاح في يقظة واحتساب

وشباب مجند للمعالي ، وخصيم لفتنة واضطراب !

للنهوض يسعى بجهد حثيث ، لبلوغ الاهداف والآراب

هذه ثورتي ، وتلك كنوزي ، وجهودي كشفت عنها نقابي

خطوات في اثرها خطوات ، وتعاء فوق الربى والهضاب

انما ، معشر الشباب ، بما نبنيه ، للشعب اصدق الصواب

انما نرصد الحقائق ؛ ان كا ن سوانا يجري وراء السراب

فاذا المطلب للخصوم جزاء ، واذا الحق واضح الايجاب

واذا ما ارتضى سوانا قشورا فلقد راقنا رفيع اللباب

❋ ❋ ❋

والاقاليم كلها في حبور ، تتباهى بعرشها في انتساب

والاهازيج ملء سمعي : كأن الكون يروي الغناء عن (زرياب)

وميادننا تضم سباقا يبهر العين ، للخيول العراب

كل ركن تجاوب وانسجام ، وفنون لها يسيل لعابي

ويقلب (البيضاء) حفل بهيج مدهش في حماسة والتهاب

فيها اصبح الفداء حديثا في النوادي بغاية الاسهاب

فلقد حققت بفضلك فتحا رغم انف العداة والارهاب

ليس اشهى من انتشار ورود وحمام يطير بالاسراب !

وصغار اضحوا كباقة زهر ورحاب مفروشة بالزرابي

نصبت للمليك اقواس نصر وارتدت في اللقاء ابهى الثياب

ليس تنسى عرشا يشاطرها اسمى كفاح ، ما بين شهد وصاب

هذه (فاس) مثل (مراكش الحمراء) ... عاشت عرسا ، بعيد الشباب
و (اكادير) رحبت بلقاء ، ... للأشقاء في أعز رحاب
ذلك المغرب الكبير ، وهذي ... نفحات الصحراء فوق الروابي
الف الحب باقة من زهور ... عاطرات للأهل والأحباب
ينبع الخير من كوازنا دو ... ما ، فيزكو العطاء دون حساب
فاذا هاتف الحياة ينادي ، ... واذا الماء سائغ في الصباب
والملايين عبرت عن ولاء ، ... وبنت في الخلود اعلى القباب
لوحت باليمين في الف زي ، ... وتباهت في الكون بالجلباب
والزغاريد والأناشيد راقت ، ... والهتافات موجها في اصطخاب
ان فيها الجواب يفحم من قد ... ادلجوا في تمرد وسباب
هذه حجة تشاهدها الدنيا ، ... تسامت عن مرية وارتياب
فالنظام الأصيل فينا لقد قا ... م على فطرة الهدى في الكتاب
انه الحب والوفاء بعيد ، ... لمليك مقدس ومهاب
عرشه ثابت بكل فؤاد ... وقرير في العين والأهداب
يتمنى به العجوز رجوعا ... لشباب يحيي عهود التصابي
حيث اضحى يرى الفداء وقد فا ... ز ذووه حقا بحسن المآب
شهداء البلاد ، ارواحهم هبت ، ... وشقت في الخلد كل عباب
وانحنت خشعة على العرش تحبو ... ه ثناء ، في تلكم الاعتاب
انه الاوكسجين يبعث في الشعب ... حياة فسيحة الابواب
قد مضى عهد حسرة واكتئاب ، ... حيث نال الطغاة شر عقاب
لم يذق راحة سوى من يعاني ... من ضروب الحرمان والاتعاب
أذهب الله بالمنى حزنا عنا ، ... فشكرا لباري الارباب !

* * *

هذه باقتي الى (الحسن الثا ... ني) المفدى جنيتها من ترابي
انني للأحرار خير بلاد ، ... عرشها لقلبه بغير حساب
ان تسل عنه في المشاريع ، كانت ... منجزات الانماء خير جواب
او تسل عن كوارث العلم ، فانظر ... لنبوغ الشبان والطلاب
وعلوم تضمها كليات ... طفحت بالعرفان والآداب

هذه وثبتي الى الخير ، فاشهد ثورتي اخت عزمي الوثاب

ومن القائد الموفق امضي في دروب الهدى ونهج الصواب

انه رائد زعيم عظيم ، واصيل في اشرف الانساب

انه ذلك الحبيب الذي كا ن يرجعاه اول الاحباب

زاد عزا وصولة واقتدارا ، حين امسى في محنة واغتراب

انه عاد عودة النصر فينا ، رغم من دبروا ظروف اغتصاب

مثلما كان مؤمنا في ذهاب ، كان شمسا تلألأت في الاياب

ومن (الخامس) المجيد ، لقد كا ن قريبا ، مرحى بخير اقتراب !

قد حبانا من روحه همة تمضي الى المجد دائما كالشهاب

والضمير اليقظان خير ضمان لانتصار على جميع الصعاب

ان طاقاتنا يبعثها العر شي لبعث اسلامي مستطاب :

مسجد اثر مسجد صار يتلى فيه قرآننا كشهد مذاب

وبافريقيا لعاهلنا القد افتخار بقمة الاقطاب

كان قال الخلاص للقارة السمراء ، من كابدت صنوف العذاب

انما المغرب الكبير عرين قد كساه الاخاء ابهى الثياب

لا عليتنا اذا تخلف عنا من يخوضون اخطر الالعاب

ظلم الشمس ليس يحجبها حقد ، لاولي نميمة واغتياب

حسبوا المجد في التهور ، لكن خالهم في تحول وانقلاب

وبدنيا العروبة اليوم (صهيو ن) لقد ضم طغمة للذئاب

ومن النيل للفرات يوالي جشعا ، في توسع واجتلاب

فتراه بحيلة او باخرى مستحثا مواكب الاسلاب

وهو يلقى زلازل كل حين ويرى الويل بين ظفر وناب

فضحته افريقيا : حيث اضحى كل مسعاه خاسر في تباب

يعرض العون في سخاء ؛ ويسعى باحثا في تجسس واكتساب

كذب القول منه فعلا خفيا ، والاراجيف عادة الكذاب

من شياطينه لقد جمع الما ل ، فكان البهتان ادهى اكتساب

القمته افريقيا في حماها خيبة مرة وسوم الغراب

علة تلك قد تفاقمت الآ لام منها ، برغم الاستطباب

تلك مأساتنا الكبيرة ، منها ادرك المنصفون هول المصاب

قد مضينا للثأر من كل فج ، وتركنا أعداءنا في انتحاب

يؤخذ الحق في الوجود غلابا ؛ ويوفي على رؤوس الحراب

هذه (القدس) : مسجدها الأقصى ، دعت للعدى بقرب الخراب

وبحهم ! حرقوه ؛ تلك لعمري سبة ، وصمة من الأذناب !

ومليكي هنا ، بتجريدة (الجو لان) ، قد جاد بالأسود الغضاب

سوف تمحو عن العروبة عارا لفلول العدى ، وشرع الغاب

فجراح الإسلام أثخنت الكو ن ، وأربت على الكلام النابي

* * *

بارك الله في مليك همام كان نبع الإلهام للكتاب

في ربوع الدنيا لقد عز مثله مثل للأشباه والأضراب

يا مليكي لك المفاخر تترى ؛ وبك الأمن دام في استتباب

من معانيك قد روت صحف الدنيا بيانا في لهفة وارتقاب

كم تعاليق ضافيات على ما أنت تلقي في حكمة واقتضاب

ترسل الحجة التي تقنع الجلاس في ندوة وفي استجواب

وجميع الأذواق تكبر آيا ت سمت في تدفق وانسكاب

فطرة الله في أدق مظاهرها ؛ فماذا يدعو للاستغراب ؟!

أنت ربانا الذي سير الفلك ؛ فحققت سلامة الركاب

ان يوم الجلاء قد قهر الخصم ؛ فولى في ذلة وانسحاب

ان سعينا الى الكمال ؛ فيكفي أن ترى عندك اكتمال النصاب

يا اماما يمضي بنا لأمام وجليل النعوت والألقاب

أنت وحدت بالمحبة أفذا ذا ؛ وصنت الإخاء في الأحزاب

ليت لي في الثناء السنة الدنيا تبث المحبوب عشقي وما بي !

فأنا ترجمان شعب وفي ؛ لمليك اليه دام اجتذابي

فاقبل العذر من خديمك أن أظهر عجزا في النطق والاعراب

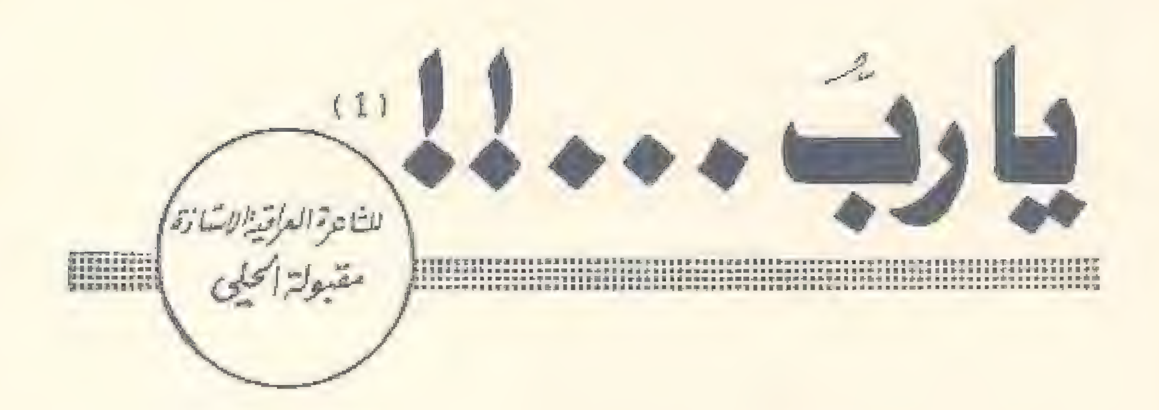
سوف يحيي ذكراك في الخلد شعب قد حباك الثناء بالإطناب

عشت مولاي ؛ وليعش في أمان ولي العهد سيد الأنجاب

وليعش شعبك السعيد ، بسر ظاهر من دعائك المستجاب

فهنيئا لنا بعهد جديد ، وهنيئا لنا بعيد الشباب !

الرباط — محمد بن محمد العلمي



يارب ... ما يتقي النفوس كذنبها — وهي العليمة انه لكبير !

ترجو الشفيع ولا شفيع لها سوى — صدق الصلاح وأمره ميسور

يارب قد كثرت ذنوب الخلق اذ — عشق الضلال فخانه التدبير

وطغى ... واغوته الحياة ببرقها — ولو ارعوى ما فاقه التيسير

ولو اشترى بضلاله خير الهدى — كان النعيم ثوابه المقدور

وغدا اذا تأتي النفوس لربها — يوم الحساب ؛ ولوحها منشور

تجد العذاب وتستجير بمن لها — خوف العذاب وليس ثم مجير

٥ ❋ ٥

يا أيها الانسان ما اغراك من — زيف الحرام المستلذ فشور

متكبر ؟! والله أكبر ! ظالم — والله أرحم ! جاحد مغرور

عاص ؟ وما العصيان غير جهالة — أعمى ـ وأنت اذا عددت بصير

عات وربك قادر ؟ ! مستهتر — بالدين وهو مدى العصور النور

تبت يداك لما زرعت وبئس ما — تجنيه ؛ فهو المأكل المسعور

٥ ❋ ٥

---

(1) أعدت الشاعرة العراقية الرقيقة الاستاذة مقبولة الحلي مدرسة العربية في ثانوية الحريري للبنات في بغداد للطبع ديوانها الاول (الحب الكبير) الذي يضم معظم شعرها منذ أوائل الخمسينات . والذي كان موضع دراسة عدد من نقاد الادب بصوره البديعة وجرسه الجميل والوانه المشرقة المبتكرة وقد خصت الاستاذة الحلي « دعوة الحق » بهذه الاضمامة اللطيفة من شعرها .

يا أيها الانسان خذ من هـذه الدنـيـا لاخرى قبلها مشهـور

واخش الذي خلق الانام فعفوه   جم ، ونعم جزاؤه المشكور

وارفق بنفسك من عذاب مصيرها   وارأف بها من ان يسوء مصير

نعم ما ابتنت يداي

لست تدري يا صاح ما في فؤادي   من جروح لم تلتئم بضماد

عن كبير عن الحياة ، ودمع   وليال اطالهن سهادي

وسكوت عند البلية مضن   واصطبار على الامور الشداد

كم ارتني الايام بيض الاماني   كالحات قد جللت بالسواد

جعلتني مرمى سهام الاعادي   والد الاعادي خل معادي

ان تجنى الدهر الظلوم تجنى   وتمادى في المتنائي والبعاد

واذا ما شكوت همي اليه   كان همي من صده في ازدياد

نعم ما ابتنت يداي ولكن   بئس ما قد جنيت عند الحصاد

٥ ❊ ٥

جل حكم الخلاق في كل امر   وبقسم الحظوظ بين العباد

أرق الليل كله بعذابي   ويلذ الخلي طيب الرقاد

تساوت الاقدار عندي

تساوت الاقدار عندي فما   سانحة فيهن او بارحة !

وان يومي مثل امسي الذي   خابت به آمالي الجامحة

يا قلب ... مانفع الاسى بعدما   ماتت مناك الغضة الطامحة

وما الذي يفعله الدمع ان   تجل عن دموعنا القادحة

ان كان امر الله هذا القضا   فاقرأ على ما فاتنا الفاتحة

وقل اذا ما حل يوم النوى   (ما اشبه الليلة بالبارحة)

ابن الارض

بمناسبة افتتاح احد مشاريع الري في العراق

ان لم يكن في الخالدين كزمزم   فهو الحري بان يكون الكوثرا

سيقول للاقسى ان سواعدا   كالصلب فكت صلبه فتفجرا !

يسقي القفار الظامئات بفيضه   فيصير الغبراء روضا اخضرا

ويحيل حبات الرمال سنابلا   تؤتي الطعام مذهبا ومنورا
هو قدوة الانسان هب ارادة   وعزيمة ، فبنى وشاد وعمرا
بوركت يا ابن الارض برا مكرما   تعطي يداه الخير من اني جرى

الى معلمي أينما كان

اذا علمتني حرفا   فقد صيرتني عبدا
ولو غدر الورى طرا   فقلبي الحافظ العهدا
علي يد ... ونعماها   وكنت الواهب الفردا
أأكفرها ؟ معاذ الله ان انسى لها رفدا
وان اعصي لها أمرا   وان الوي لها قدا

صوت جريح عربي

ابي ان قلبي به خفقة   يهز بها ... قبل لم تخصب !
احس بها وشفاه الردى   تمص دمي كالحيا الخيب
وكالبرء عند اشتداد الضنى   يمر على قلبي المتعب
ابي هل انت من ضفاف الفرات   ومن عزمه القاهر المرعب
ام انطلقت من شعاب الحجاز   اشم بها نفحات النبي

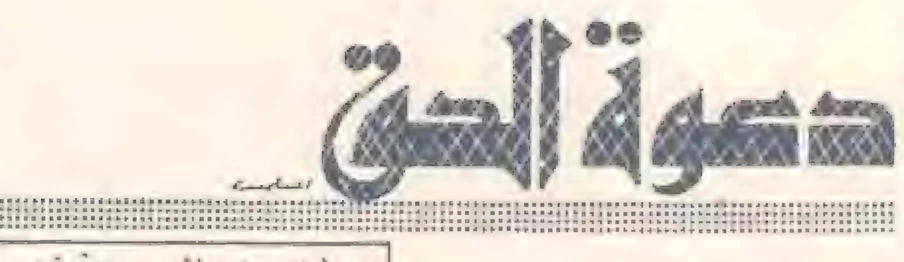
٥ ❊ ٥

ابي بالدماء التي ترتوي   ضلوعي من نبعها الطيب
اذا غير ذاك الشديد الذي   عرفت به قوة المخلب
فاني لاشجع ان اتقسم   واني لاشرف ان اغضب
واني لاعدى على من جنى   واني لاقوى على المذنب

٥ ❊ ٥

لقد مزق العتب ائتلافنا   وجمعها اليوم جرح ابي
فجل الذي وحد المعدين   فثاروا من الشرق للمغرب
وجل الذي صب هذي الدما   بعرقي وعرق ابي اليعربي

العراق : مقبولة الحلي



للشاعر جمال فوزي

دعوة الحق فكرتي من خلالك ... ونضالي غدا صميم نضالك

أنت عهدي : وما لغيرك عهد ... وكياني ، فقدري ما بدا لك

قد شققت الطريق وسط ظلام ... رفق رهط مغاير من رجالك

وتوالت كتائب الحق رامت ... نصرة الدين لا تهاب المهالك

فانبرى الغاشم الظلوم مغيظا ... يعلن الحرب في ليال حوالك

ليس في الغرب وحدة بل بشرق ... كتلوا الكفر في جميع المسالك

صوبوها الى الحنيفة سهما ... تلو سهم مجهز لقتالك

كم شهيد قد نالها في رحاها ... كلهم نالها فداء جلالك

محنة الامس منحة لنراها ... محصت جمعنا بأعتى فواتك

طالما مزقت جسودا ولكن ... ظلت الروح شعلة من جمالك

يا أخا الفكر يا دعاية حصن ... يا رصيدا للحق وسط المعارك

الأفاعي لها رؤوس أطلت ... لا تدعها بل نحها من مسارك

دعوة الحق أنت روحي وعقلي ... أنت كلي وها أنا من ثمارك

جمال فوزي

كملت وحدة التراب ...

للشاعر عبد القادر المقدم

سمع العالم القصي نداءنا ... ووعى الكون ما يروم عدانا
ورحاب الصحراء تستصرخ الدنيا ... وتلقى من صوتها برهانا
وشغاف «الحمرا» تقص حكايا ... خفقتها الاجيال ، آنا ، فآنا
كتبتها الايام بالنار والنور ... وبالحق تطرق الآذانا
وبوادى «الابريز» كوكبة النصر ... تحدث ببأسها فرسانا
هم بنوه ، وهم كماة ، تحلوا ... بابـاء ، يحطم الطغيانا
هم بنو « يوسف » تمتهم اليه ... شيم ، تورث العدو هوانا
يتلاقون فى انتماء اصيل ... عربي الاعراق ، ليس يدانى
حسبهم ان بنوا مدائن شتى ... وعلى العدل ، اثلوا بنيانا
وجمال تسرى رويدا ، رويدا ... تزرع الخير ، والهنا صنوانا
تتهادى ، عبر الرمال ، وتصغى ... لحديث العصور فوق ربانا
« اننا امة تقيم » حضارات ... تباعا ، تسابق الركبانا
فى دروب موصولة باقاصى ... الارض ، تفنى الضيوف والقطانا

* * *

وغزال ناجيت تيه اليسنا ... « انا اهوى فى حيكم غزلانا
وقصيدى : ان تمنحونى رايا ... فى دخيل ، يدعونه (اسبانا)
هل له فى دياركم ، من مقام ؟ ... قال : « انا لن نقبل الصلبانا »
نحن بالفرض والمليك مدى الدهر ... نباهى ، ونفشى العرفانا »

* * *

اي امر حـــدا يغـزو شتيـع يستفز الاجنـــاس والاوطانـــا !

اذ يروم الاسبان تمويه حـــق وسقيه ؛ من يدعـى بهتانـــا

ركوبها حماقـــة ؛ واتوهـــا فرية ؛ اصبحت لهـم عنوانـــا

ودعاهم لمثلها طمـع اعمـــى سراب ؛ يرونـــه غدرانـــا

وشبيه بما جنوه ، اغتصـــاب لفلسطين ؛ شـــوه الانسانـــا

هدد الامن ؛ واستباح دمـــاء وجنى منكرا ؛ يشل الامانـــا

ووراء الاقطاب من دول الغـرب تغذى الاطماع ؛ والعدوانـــا

والذى يحسب الانام نيامـــا فاته ان فـى الدجـى يقظانـــا

واذا العالـم استفـاق ليلقـى تبعات ؛ على الذى قد خانـــا

* * *

يوم « فيتنام » شاهد ؛ وذرى ها نوى ، ثارت على العدى بركانـــا

كـم تلاقت بأرضها فرق الموت سجـــالا ، تؤجج النيرانـــا

تتوارى السمـــا ، وراء غيـوم تقذف الموت ، تزرع الاحزانـا

* * *

كم تسلوا بالاثـم مـن كل صنف بذروه فوق الثـرى الوانـــا

ودعـوه تمدنـــا ؛ وسلامـــا ودعوا ما قد افسدوا عمرانـــا

وتصدت لهـم ببأس شديـد قلـب الآى ؛ حيـر الاذهانـــا

ثورة فى متاهة الجن ؛ تلقـــى بالمنايا ؛ تزلزل الميدانـــا

كلما اوقدوا ؛ هناك جحيمـــا كبدتهم بما جنـوا خسرانـــا

ولكم اخطأوا الحساب ؛ وباتـــوا يحصـون الارقام ؛ والميزانـــا

وعناد ؛ يستنزف العزم منهـــم والاسى ، يأكل المنى ثعبانـــا

وتكل الاعصاب منهم تباعـــا حيث ذابت ؛ نفوسهم ذوبانـــا

انكرتهم ما البغى يصنع بالباغى وكم يـورث الغـرور هوانـــا

كلما خطت الملاحـم الوانـــا وحازت يوم اللقـاء رهانـــا

وانجلى الصبح ، مؤذنا بجـــلاء بالاسـد ، تخطفـــت ذؤبانـــا

وتوالت علـى العروبـة احداث جسام ؛ تثيرهـا اشجانـــا

جشع منذر بخطـب وشيـــك داب صهيون ؛ ينقر الجدرانـــا

هل رأيتم «ابليس» فى سمت انسى والاقـــذاك فـــى « ديانـــا »

يبتغيه وثبا على العرب يجتاح   مزبدا ، من الثرى ، امعانا
ولعل الايام اغرته بالنصر   فنال الاغراء منه مكانا
وتجلى الايمان ، يبتعث العرب   واحيت آياته (رمضانا)
ويكون اللقا ، وبالا على الباغي   ودارت به الدنيا ، دورانا

* * *

وتراءت سيناء فى غمرة النصر   فما شئت ، فلتعش جذلانا
تلك اشلاؤهم تهاوت ركاما   وحطام (الفانتوم) يلقى دخانا
والاسارى قوافل مثخنات   ووجوه ، لم تعرف السلوانا
تلك سيناء ، والمواقع تمتد   طويلا ، فتشمل (الجولانا)
والربى منه تشهد الجولة الكبرى   فتفتن فى القتال افتتانا
تقذف الساح بالصواعق من كل   شهاب ، يدكها كثبانا
ورجوم تنساب فى اثر (فانتوم)   وما انساب فى السما غربانا
ونسور لنا تدك حصونا   طائرات ، تهوى حطاما مهانا

* * *

حصن (بارليف) لم يصنهم وباتوا   يرهبون الخيال ، والعيدانا
ولقد غرهم ركوب هواء   وتمادوا فى غيهم غيلانا
ونسوا لعنة الاله عليهم   وتعاموا ، وحالفوا الشيطانا
ولكم آوهم نكال من الله   قديم ، بما جنوه ، عيانا
ودعاهم خطب يزيد اساهم   ان للعرب فى الورى ، اخوانا
هم دعاة الورى لدار سلام   وهم البغوا الورى ايمانا
وهم اثلوا شوامخ للمجد   وهم اورثوا الورى الفرقانا
وتشاء الاقدار ان تجمع العرب   على موعد مجا خذلانا
كتبوا النصر شاملا ، مستتبا   خيب الظن للعدى واذانا
(برباط) تسنموا القمة الشماء   فى موكب حوى تيجانا
اعلنوا آية الوفاق ، اخلصوا   امة العرب ، مرتقى مزدانا
رفعوا راية لشعب فلسطين   وصوت الصحرا يرن اذانا.

* * *

ابرموها وثيقة ، بتوالى — مبتغاها شريعة وبيانا

اودعوها (لاهاى) حيث تناهى — كلهم العدل ناطقا رثانا

* * *

وبمدريد كم تهامس قوم — حسبوا انه الونى يغشانا

اوترزم السلام ، وهو اتقاء — لبلاء الوغى ، وذاك رجانا

اخطأوا فى حسابهم ، وتجافوا — منطق الحق ، انه مهوانا

اننا فى الوغى رؤوس ظباها — فالشقى ، الشقى من يلقانا

نحن من طبعنا دعاة سلام — واحتمال الايذاء ، داب سوانا

علمتنا الحياة ان نركب الهول — ونشتط فى طلاب متانا

ونوالى بالحق ، انى اقمنا — ونعادى له ، ولا نتوانى

وسبيل العلا ، طويل ، ووعر — والحياة المثلى ، دليل خطانا

ولنا فى مناقب الحسن الثانى — اعتداد ، واسوة ترعانا

طاوعته الاقدار فى كل شاو — تتخطى الاحداث يبلغ شانا

راودته الامال يصنع منها — عالما مشرق الذرى ، ريانا

شغل الدهر بالعظائم ، حتى — همس الدهر : « انه مولانا »

جمع الشمل للعروبة ، واختط — سبيلا ، كى يرفع الايوانا

وهو يرنو لمحو آثار عدوان — لابد ، تخالها (سرطانا)

وهو يسل مدية زرعتها — عصبة البغى فى الحشا ، طغيانا

وعلى موعد مع القدس يفتك — جماه ، ويسحق الادرانا

عزمه صارم ، اذا شاء امرا — جاء طوعا يلقى اليه العنانا

ويريق الضياء فى كل درب — ويفيض الآلاء ، والاحسانا

غمرت شعبه مكارم شتى — فاقت العد ، فاقت الحسبانا

منحته السماء ، ماشاء من فهم — فكانت آراؤه تبيانا

يسبق الكشف منه ، مايضمر الآتى — وبالحدس يسبق الازمانا

همة تنحنى الامانى لديها — وطموح ، يستوعب الاكوانا

والذى ازدانت الحياة بمسعاه — حبته من الحلى افتانا

وتراءت ترنو اليه رجاء — وتدانت ، تهفو اليه حنانا

ماجد ، وابن ماجد ، وحليم — كل فضل يزجى اليه لسانا

فارق ماشئت ايها الحسن الثانى — وخلص من العدى صحرانا

وربوعا ، تحنوا الى الوطن الأم   حنينا ، يؤرج الاردانا

بشمال البلاد ، حيث ترى العين   حصونا ، تعزز الشطآنا

مدن شاطئية تتلألأ   كنجوم تسبي النهى ، لمعانا

وبعراى ، منها خرائد ، كالدر   تناغي المها ، تحنانا

جزر ، جعفرية ، تخلب الطرف   جمالا ، وتلهم الالحانا

* * *

لعلى وحدة التراب وخطه   ملتقى ، يكسب العدى اذعانا

نحن جند ، لا نرهب الموت ان كان   سبيلا ، نرد كيد عدانا

نحن جند لقديك ، والعرش، فاسلم   ملكا ، رائدا ، يصون حمانا

دمت فى مأمن ، من الدهر ، ترعاك   قلوب ، وللعلا ، ربانا

وملاك الشفا يحوطك ثيتا   انت تحتل ، قلبها (انسانا)

وأرتك السماء ، فى قرة العين   مراما ، يجمل الاوطانا

طنجة : عبد القادر المقدم



عــاد الربــــيع ... ورنم القيثــار
وهفـــا الفــرا ش ، وغنت الاطيار :
عــاد الربيــع

* * *

ان هــذا لبســـاط سندسي من استبرق
قد كسا البيداء ثوبــا زاهي اللون منمـــق
خضرة تعني الامانــى كالصبــا ترمز للعشـق
ردد الربــو صداهــا ووعاه الغرب والشرق

* * *

عــاد الــربـــيع ، ورنم القيثار
وهفـــا الفــرا ش ، وغنت الاطيار :
عــاد الربيــع

* * *

اين ذاك الغيم يا شقـ ـوة الاذران ثقيـــلا !
اين تلك الريح ياشقـ ـوة ! قد صارت عليلا
ـبـة الافق استحالت بسمة الثغر جميــلا
وزهورا ضاحكــات انبتت جيلا وجيــلا

* * *

عـــاد الربيـــــــع .. ورنم القيثـار
وهفــــا الفـــــرا   ش ، وغنت الاطيار :
عـــاد الربيـع

❊ ❊ ❊

قد جرى الما سلسبيلا   وتغنى بخريره
هل سمعت الجو يشدو   بتراتيم غديره ؟
نغمة ألهمها اللـــــه تعالى في سريره
قد غذاها الأمل الحلـــو مذاقـا كنميره

❊ ❊ ❊

عـــاد الربيـــــــع ... ورنم القيثار
وهفـــا الفـــرا   ش ؛ وغنت الأطيار :
عـــاد الربيـع

❊ ❊ ❊

هو ذا الخطاف قد عـــاد بجنحيه يطير
ينشد الدفء ملاذا   والعدو : الزمهرير
تخذ العش مقـرا   حيث أنثـاه تدير
حيث نادته : حبيبي   قم بنـا للما نسير

❊ ❊ ❊

عـــاد الربيـــــــع ... ورنم القيثار
وهفـــا الفـــرا   ش ؛ وغنت الاطيار :
عـــاد الربيـع

❊ ❊ ❊

عاد « مايو » بزهور   من نثير وجميع
كم لنا عن مهرجان   فيه ، أو عرض بديع !
صفت الأزهار فيه   صف جمهور سميع
يملأ الأرض شذاها   حبذا فصل الربيع

❊ ❊ ❊

عـــاد الربيـــــــع ... ورنم القيثار
وهفـــا الفـــرا   ش ؛ وغنت الاطيار :
عـــاد الربيـع

نمت الخضـــرة والنضـــــم ، كما تنمو الأمانــي

وتبدى كـــل هــذا   فــي أغاريد حســان

رددتها الطير في الغصـــــن سراعــا ، فكأنــي

بالربيع الكهل يقضى   بعد هــذا في ثــوان

❊ ❊ ❊

رجـــع الربيــــــــع ... ورجع القيثار

رقـــص الفـــرا   ش ، وغنت الأطيار :

ســـاد الربيـــع

❊ ❊ ❊

هكذا في كل عـــــام   ترتدى الدنيا جديدا

ويظـــل العمر عمرا   لن يعــدن مديــــدا

فـــاذا نلنـــا حيـــاة   ثم راحت ، لن نعيدا

هكذا ضاعت حياتــي   أملي صـــار فقيــدا

❊ ❊ ❊

مـــات الربيــــــــع ... تقطع الأوتار

وقضــــى القـــرا   ش ، ونامت الأطيـــار

مـــات الربيـــع

❊ ❊ ❊

تطوان : عبد الله العمراني

معرض الكتب

كتاب البرصان والعرجان والعميان والحولان

للجاحظ

● تحقيق : الاستاذ محمد مرسي الخولي

● تعليق الاستاذ محمد بن تاويت

وهذا كتاب آخر من كتب الجاحظ الممتعة ، كانت المكتبات تنعاه ، الا مكتبة واحدة ، كانت تتمتع به وتحنو عليه وتضمن به في اعتزاز ، تلك مكتبة مغربية في «بزو» بين تادلا والسراغنة ، حيث الزاوية العياشية ، كما يقول مكتشفوها ، ثم ناشرها ، وانها لمفخرة لخزائننا العلمية، التي حرصت على اقتناء عيون المخطوطات وعينها ، حتى ولو لم يكن اصحابها من ذوي الشأن في العلم والعرفان ، كما حدث لهذا الكتاب القيم في مخطوطته هذه .

لقد نشر كتابنا في 369 صفحة من القطع المتوسط ، أضيفت اليها فهارس 14 تحتوي على ما ورد في الكتاب من قرآن وحديث وأمثال والفاظ لغوية واشعار كاملة الابيات ، ثم أنصافها ، فالارجاز ثم الاعلام والقبائل مع الامم والطوائف، والبلدان مع المواضع والمياه ، ثم أيام العرب ، فأسماء الكتب ، فالمراجع وأخيرا فهرس الموضوعات ، او المسائل التي طرقها الكتاب.

وحيث ان الجاحظ اتخذ – كما يقول الناشر – من كتاب الهيثم بن عدي ، في موضوعه هذا ، تكأة لتأليف كتابه ، فان الناشر الكريم الحق الكتاب بما نسب الى الهيثم ، وهو لا يعدو ثلاث صفحات مما ذكرنا ، لا تتسم بطابع التأليف ، بل هي أشبه ما يكون بتقييد وتسجيل لاسماء بعض الاشراف الذين عرفوا بعاهات مختلفة ، كالعور والحول ، ونحوهما.

وجدنا هذا مذكورا ، بعد نهاية الكتاب وقبل صفحات الفهارس ، بعنوان كتاب الهيثم بن عدي، والغالب انه تجريد منه او تلخيص مائت ، لا حرارة فيه للتأليف ، ولا حياة تنسمها الجاحظ منه في كتابه ، ان كان كما هو عليه عندنا ، ولا نظنه كذلك، بل سقط منه . ما ذكر بعضه الجاحظ نفسه في كتابه هذا ، وهو غير موجود فيما نشر له ، ولكنه لا يزيد على سرد الاسماء معراة من كل حلية او زينة

نعود الى كتابنا في فهارس موضوعاته ، فنذكر منها ما يلقي ضوءا على محتوياتها ، فمن رؤوسها ، علل الجوارح ، والفخر بالعمى وغيره من العاهات عند اصحابها وذكر ما افتخروا به من أشعار وغيرها ، استعارة العرب للبياض والاوضاح واستعمال ذلك في الاماكن ، ما يبرأ وما لا يبرأ من الامراض ، بعض ما يصيب الناس والحيوان من اختلاف في اللون ، ذكر شأن العرجان الاشراف وأنواع العرج ، ثم العرج من الحيوان أيضا ، ثم وصف مشي النساء بضروب من ذلك ، فوصف اصحاب الخيلاء في مشيهم ، فالعرض للاعوجاج والحنو نحوهما . فعود الى العرج عن الحيوان، ثم ذكر الشأن في المصالح لا في الاستقامة والاعوجاج ، ثم القول في المنازلة والمشي بالسيف وما يتصل به ، والقول في الساق العليلة والساق السليمة ثم الاستطراد بذكر سمن الابل عن جودة المرعى والحديث عن الغيث والمراعي والرياض ، ثم الرجوع الى العرج والظلع وظلع الكلاب وتزل الذئاب وما ورد

في ذلك كله . ثم التعرض الى بعض ما اشتهر من علل الملوك ثم ينتقل الى ان كل صناعة تصور صاحبها على ما يشاكلها ، فالفساد الذي يصيب الاعضاء اذا اعوجت ، ثم ذكر الحولان والرمض والحدب ، ثم بعض العيوب التي اشتهرت بها قبائل ذكرت بعينها، ثم يأتي باب آخر في ذكر من كان عرجه من قبل قطع رجله في الحروب ، وفيه دحض بعض المزاعم التي لا تصدق ثم ذكر من سقى بطنه من الاشراف ، ثم العيوب التي اشتهر بها مدعو النبوة والالوهية ، ثم يأتي باب في اللقوة وما أشبه ذلك ، ثم باب ما جاء في شبيه الاعضاء المرغوب عنها من اعضاء الذئاب والكلاب وغيرها ، ثم باب القول في الرؤوس صغارها وكبارها واصحابها من الرجال والنساء والحيوان ثم باب ما قالوا في الاعناق في الرجال والنساء والحيوان أيضا ، ثم باب الصلع ثم باب القزعان والقرعان ، ثم باب القول في الايمن والاعسر .

هذه أهم الابواب والموضوعات ، تتخللها جميعا اشعار واشخاص واخبار طريفة ، وبحوث مختلفة في الطب واللغة والبلاغة والعزف على الاوتار ، والضرب بالسيوف والرمي بغيرها ، وما يتصل بها من وظائف الاعضاء . الى غير ذلك مما تزخر به كتب الجاحظ ويدل على ثقافات واسعة النطاق كان يتمتع بها صاحبها ، وقلما نجدها مجموعة في غيره ، فمن ذلك الاتساع الذي لا حد له . اطلاعه على ما يروج بالاندلس لعهده ، كما نجد في الصفحة 303 انه يذكر عبد الرحمن بن الحكم بن هشام بن عبد الرحمن ، بأنه كان من الخشم لا يجد رائحة البتة .

ومما نستفيده من الكتاب الفاظ حضرية ، نستعملها حتى الآن ، مثل «البرادة» و «الفالقة» و «خفتان» وان عرف عندنا بالقفطان .

كما نستفيد منه لتاريخنا معلومات قيمة، كالتي ذكرها عن موسى بن نصير ، وأنه كان من العرجان ثم من اصحاب الفتوح والزحوف مع قصة له مع الوليد وقد رأى هذا رؤيا في نومه ، أن رجلا من أهل الاندلس أعرج ، يفتح الله على يديه المغرب.

بعد هذا نتوجه الى الناشر في عمله ، فنشكره جزيل الشكر ، ونعيبه شنيع العيب ، نشكره لانه اتاح لنا ولغيرنا فرصة الاطلاع على الكتاب ، الذي لولاه لطال به المكث في ظلام القبور ، وربما بعثر فلا يحصل منه شيء في الصدور ، ونعيبه ، لان هذا الكتاب ما خرج الى النور مثله من كتب الجاحظ ، في تشويهه وعاهاته التي هي أشد من عاهات موضوعه ، فهو احيانا اعمى ، يترك نقط ، او مقفا بوضع نقط على عينه ، وهو اعرج بتكسير بعض ابياته ، وهو أبرص بحركات تبقع كلماته وهو ابتر بقطع بعض اعضائه ، وربما حول تعويضها فآذاها ذلك وآذاها ، فكانت الطامة الكبرى .

والمحقق – كما يبدو – يتوفر على مؤهلات التحقيق ، بما له من معلومات مفيدة وعظيمة ، تتجلى في تعليقاته العديدة ، ولكنه دون السابقين الى تحقيق كتب الجاحظ استفادة منها واطلاعا على غيرها وعلما بقواعد ، كان جهلها بها ، يوقعه في اخطاء توقعه في غيرها بالجر والتبعية احيانا .

ولا نريد أن نلقي القول على عواهنه ، لذا نأتي بهذه الامثلة كنماذج من تلك المعيبات ، تاركين النقط والشكل ، فذلك ما لا يدخل تحت حصره ، ويمكن ان نجده في كل صفحة تقريبا او تماما ، فمن تكسير الابيات الشعرية ،نجد هذه الامثلة :

(الصفحة 10) :

أقاتل حتى لا أرى مقاتلا

سقطت «لي» كما نجد ذلك في الصفحة التالية (أقاتل حتى لا ارى لي مقاتلا) .

(الصفحة 17 و 227) :

لكنا سواه ولسال به جملى

هكذا متكرر في الصفحتين وصوابه

(لكنا سواه الا لسال به جملى)

(الصفحة 18) :

وانا ابن بجدتها في صبابتها

وهو من الكامل ، ولا يستقيم وزنه هكذا ،في صبابتها، ففيه سقط وغموض .

(الصفحة 18 أيضا) :

ماضرها اني ادب على العصا
وفي السرج ليث صادق ضيغم النقد

فالبيت من الطويل، فيكون قد سقط نحو الواو اولا ، اللهم الا ان يكون فيه خزم ، وهذا نجد منه امثلة كثيرة في غيره تركنا التنبيه عليها ، لامكان الخزم بها ، ولعدم تمكننا من الاطلاع على نصها في

غير هذا الكتاب 22 للفرزدق ، 128 لابى راشد الضبى 220 لاعرج فى عمر ، 234 ليغثر بن لقيط ، وكنا سنترك التنبيه فى هذا ايضا ، ولكننا آثرناه ، عسى ان يطلع على وجه الصواب فيه وفى غيره من الابيات الاخرى .

(الصفحة 19) :

انا للخميسة انف   حين ما للخمس عاطس

والبيت من مجزو الرمل، ووجود كلمة «الخميسة» التى علق عليها المحقق بقوله : الخميسة الجيش ، تجدها نجن مكسورة للوزن ، فهو لا يستقيم الا بنحو : (انا للخمسة انف) .

(الصفحة 20) :

وقلبي أنا ما ضيع الناس حصلا

وصوابه :

(وقلب اذا ماضيع الناس حصلا)

(فى نفس الصفحة) :

يقول اذا أحزن الشعر أسهلا

وصوابه :

(يقول اذا ما أحزن الشعر أسهلا)

(الصفحة 22) :

يذب بلحيى لاهج مخلخل

وعلق عليه هكذا ، ولا يستقيم ، وصوابه :

(ذب بلحيي لاهج)

(الصفحة 23) :

كلا ورب البيت لا تقتلونه

والبيت من الطويل ، فوجود كلمة «كلا» أوله يكسر وزنه ، وصوابه :

(كذبتم ورب البيت لا تقتلونه)

فلا شك أنه صحف من الناسخ ، فكان على المحقق الاعتماد على الرواية الصحيحة ، التى أطلع عليها نفسه فى ديوان الحماسة لابى تمام وتاريخ الطبرى، خصوصا أنه يتدخل أحيانا فى اصلاح ما يبدو له فى النص تصحيف او تحريف ، ولا يقف مكتوف الايدى كما يفعل المستشرقون ازاء نصوصنا العربية ، لعجزهم فيها ، فنقادهم حتى فى العجز .

(الصفحة 27) :

حبستاهم حتى أضاء لنا
من الصبح مشهود الشواكل ابلق

وصوابه كما يبدو :

(حبسناهم حتى أضاء لناظر)

والا فيبقى الوزن ناقصا ، وعبارة «اضاء لناظر» مطروقة جدا ، وكذلك المضارع فيها .

(الصفحة 47) :

فقام فتى وشوشى الذرا   ع لم يلبث ولم يهمم

وصوابه كما يبدو :

ع لم يتلبث ولم يهمم

والا فان الوزن ينكسر بكلمة «يلبث» لا محالة.

(الصفحة 55) :

فما وضحي من داء سوء علمته
ولكن كيى النار فى الجلد موضح

وصوابه :

(ولكن كي النار فى اللد موضح)

وهنا لابد أن ننبه على خطأ آخر ، وقع فى البيت تبعا للاول ، حيث شكلت اللام بالفتح ، كأنها تكميلى بالمفعول ، ولا وجه له معنى فى البيت.

(الصفحة 75)

فيانفس حتى متى تليطين على الخائن الاول المرتشى ، كلمة «تليطين» مصحفة ، كما يبدو عن «تلطين» ولا تدوين فى البيت .

(الصفحة 78) :

اذا غمزته الكف قال الاله
وخشيته لو انه غير شائب

فهذا البيت يخون فيه الوزن ، ولا يستبين فيه معنى ، ولا يستقيم بشكله مبنى ، ولا ندرى وجه الصواب فيه مطلقا ، فلا شك انه مصحف ، وليس بذلك فى الاصل ، والا لنبه المحقق على غموضه ، كما يفعل فى غيره .

(الصفحة 84) :

او لبيب استوى حنكة
موفى السرة مامون العقد

علق المحقق على كلمة «استوى» بانها غير واضحة في الاصل ، ولعلها كما اثبت ، وفات المحقق أن ينص مع هذا على أن وزن الشطرة لا يتم بما تمت به ولا يستقيم ، لا بصورة مرضية ولا بغيرها .

(الصفحة 90) :

وابيض فياض لوجهه رياض
يرى السعاية فينا وقلبه مراض

هكذا ورد هذا البيت ، ولا ندرى فى اى بحر يخوض ؟

(الصفحة 91) :

اذا ظل يحسب كل شخص فارسا
ويرى نعامة ظله فيحول

هكذا مكسورا ، وصوابه :

اذ ظل يحسب كل شخص فارسا

(الصفحة 105) :

وقد طولت الاست فصار الاست فارا به
علاها برص الصدغ فصارت بدرا به

هكذا أثبت هذا الكلام ، الذى لا يستقيم له وزن ولا معنى ، وعلق عليه المحقق بقوله : هذا أقصى ما استطعت أن أستبينه ، واعتقد أنه بعد ذلك ليس خاليا من التحريف .

واذا تركنا الاعتقاد هنا فى محله ، ولم نحمله على الظن كما جرى به الاستعمال ، فانه لا يخص التحريف وحده ، بل هذا الوزن الطويل العريض لا نجد بحرا يحتويه من البحور الخمسة عشر ولا الستة عشر ، زيادة على كونه لفظا مركبا غير مفيد .

(الصفحة 146) :

يمشى اليها سيمات تهد
مشى العذارى يبتهجن ود

فالبيت من الرجز ، ولا يستقيم وزن اوله ولا معناه ، وقد علق عليه هكذا : السمات جمع سيمة ، وهى العلامة ؛ اى يمشى اليها فحل ذو علامات ..

ومن هنا ندرك أن «ذو» سقطت ، وأن «سيمات» بعدها مصحفة او محرفة عن «سمات» كما تصحف فى التعليق مفردها .

فتكون الشطرة بذلك :

(يمشى اليها ذو سمات تهد)

وبالرغم من كون التصحيف من الطباعة وحدها فالمحقق يتحمل قسطه تحملا ما

(الصفحة 151) :

عاتيك أم عصباء فى أعلى شعف

فورود الام هنا يكسر الوزن ، وصوابه :

(عاتيك او ..) ولا يصح أن تكون «أم»

(الصفحة 159) :

اذ هى شك السمهرى نحورها
وخاضت عن الاعداء أقحمها القد

وصوابه :

(اذا هى شك السمهرى نحورها)

(الصفحة 184) :

أرزم عشواء يستجير صعده
حان معا كماته وربده

هكذا يضطرب به هذا البيت ولا يستقيم له وزن ويبقى المعنى بعد ذلك على غير وضوح لم ينبه عليه

(الصفحة 189) :

ياسعد كيف انت اذا اصحابى
عاتبتهم فتركوا عتابى

وصوابه :

(ياسعد كيف انت اذ اصحابى)

(الصفحة 191) :

تجانب عبدى يكسون بغاوة
دعا وقد جاوزن عرض الشقائق

وصوابه :

(دعاه وقد جاوزن عرض الشقائق)

كما يفهم منه والا فكلمة «دعا» كما هى لا يستقيم بها هذا البيت من الطويل .

(الصفحة 196) :

وفلاة يستفز الحشا

(الصفحة 216) :

فتقنصت بي الصحو فاومنت القدامى

(الصفحة 218) :

قالوا قسم لنا هذا فقلت لهم
او وصفه يعدل التفسير في القيل

وصوابه :

(وصفي له يعدل التصريح في القيل)

(الصفحة 220) :

ما رأينا مثلك يا ابن الخطاب

وهو من الرجز ، وصوابه :

(لم نر مثلك يا ابن الخطاب)

(الصفحة 224) :

مقدمين اتوفا في غطائهم حجنا لاجدعت تلك العرانين

ولعل صوابه :

(حجنا الاجدعت)

(الصفحة 225) :

قل لليهودي ان اللؤم حالفكم
من قبل عاد فاخفوا الشخص واقتصدوا

(الصفحة 226) :

أحوى كلون الليل مزمنج
تنبيت أولا الاشاه العوج

وصوابه :

(تنبيت أولاد..)

(الصفحة 227) :

تشكو الى جاراتها وتعيبني

وصوابه وقد تقدم :

(تشكى الى جاراتها وتعيبني)

(الصفحة 234) :

ليس اذا قلتم أبونا وامنا
هناك سدان ولا متقارب

(الصفحة 249) :

للكواعب يا دهماء قد جعلت
تزور عني ويلقى دوني الحجر

وصوابه كما يبدو :

(ان الكواعب يادهماء قد جعلت)

(في نفس الصفحة) :

وشاني واش عند ليلى سفاهة
فقالت له ليلى مقالة ذي عقل

وصوابه :

(وشى بي واش عند ليلى سفاهة)

وهذا في الواقع لا يضطرب فيه الوزن، وذكرناه لوجوده في نفس الصفحة فقط .

(الصفحة 265) :

أرادوا لحاق القوم فاستأخرت بهم
اوائل من خال لهم ومن اب

(الصفحة 266) :

خنافس ذي يلعب القوم باسته
وتطرب خصيته اذا هو اعنقا

وصوابه كما يبدو :

(وتطرب خصيتاه ان هو اعنقا)

(الصفحة 270) :

وفي اللزبات إذا ما السنو ن القى من بركها كلكل

وصوابه :

(ألقى على بركها كلكل)

(الصفحة 272) :

وصاحب كان لي وكنت له
أشفق بن والد على ولد

وصوابه :

أشفق من والد على ولد

(وفي نفس الصفحة) :

صب عليه قانص لما غفل
والشمس كالمرآة في وجه الاشل

وصوابه :

(والشمس كالمرآة في كف الاشل)

وهذا من شواهد «اسرار البلاغة» وغيرها كالتلخيص ، وفيها ايضا :

صرت نشزا اذا التحفت بثوبي
ولوحا اذا سلكت طريقي

(الصفحة 288) :

ومانوس ذهبت بسرج
في فتنة الناس وهذا الهرج

وصوابه كما يبدو :

(.. قد ذهبت بسرج)

(الصفحة 299) :

بطي العطا سريع العصا
لا يفعل الخير الا قليلا

وصوابه كما يبدو :

بطي العطاء سريع العصا
ء لا يفعل الخير الا قليلا

(الصفحة 332) :

ومن يتبع مني الطلع يلقني
اذا ما رآني اصلع الرأس اشيبا

وصوابه :

(ومن يتتبع مني الطلع يلقني)

(صفحة 333

يذب عنه ابن ابي طالب
ذبك جرباء ابل تشرع

وصوابه كما يبدو :

(ذبك جربا ابل تشرع)

(صفحة 339

الحمد لله الذي ارضاني
بمقتل السرحان بعد السرحان

ماض على سياسة العمران
يرمون بالاشمل قبل الايمان

فالشطران الثانيان من البيتين ، كلاهما لا يستقيم وزنه ، ومع هذا فان المحقق مطمئن تمام الاطمئنان ، ولا نجده في التعليق الا ذاكرا انه «في الاصل : ماضيا على سيا العمران ، ولا يستقيم معها الوزن ، فلعل ما أثبت يكون أدنى الى الصواب» .

وهكذا لاحظ على الشطرة الاولى من البيت الثاني ، انها على حالها التي كانت ، لا يستقيم معها الوزن ، أما غيرها فمستقيم .

ولعل الصواب في الوزن هكذا :

بمقتل السرحان والسرحان ؟

يرمون بالاشمال والايمان

(الصفحة 350) :

ان كبر الناس عنا
وان يعنو يكبر

فليس بعدو خلافا
اذ قيل خالف تذكر

خلاف كعب ذي دارتيـ
ـن في الرامي اعسر

ونشهد ان لا اله الا الله ، وأن هذه الابيات ، لا يستقيم بعضها على وزن ، حتى يختل بعضها على الآخر ، على ذلك الوزن ناخذ البيت الاول ونحاول اقامته على مجزوء الرجز ، فنصلحه كما يلي :

ان كبر الناس عنا
(وان عنو هو يكبر)

بتسكين واو «هو» وتحريك راء «يكبر» ولكن البيت الثاني يخذلنا ، حيث يفاتحنا بمجزوء المجتث ، في شطره الاول ، ثم يعود الى مجزوء الرجز في شطره الثاني ، بعد تحريك رائه فاذا انتهينا الى البيت الآخر فانه يغم علينا تماما ، ولا ندري نحن اين ، واين نحن ! ولا يفيدنا التعليق عليه من المحقق ولا قوله «ولعل ما أثبت أقرب الى الصحة» يعني من الاصل الذي هو «خلاف اكشف» كما قال ، والامر لله .

وربما كان البيت الثاني هكذا :

(فليس يعدو خلفهم) ، ويبقى بعد هذا ، ما كان على ما كان ، مما قلنا .

(الصفحة 356) :

لـهـا لهـاة ورجـاج فـارض
جذلا كالوطب لحـاه الماخض

فها انتم هؤلاء ترون ان كلمة «جذلا» لا يستقيم بها الوزن ، ومع هذا يغض البصر عنه المحقق ، وان لم يفته ، وهو يفسره : بانه اى الجذل الكثير العظيم من كل شيء ، ويبقى لنا ان نسائله : فما وجه نصبه بعد ذلك ، وهو كذلك ؟ لا شك انه لن يحير جوابا ، ونرى أنه كما يبدو :

(جذلان كالوطب لحاه الماخض)

نكتفي بهذه الامثلة من ذلك النـوع ، ونتوجـه الى نوع آخر ، وهو البتر فيما عدا الشعر ، او الزيادة بما لا وجه له ، فمن ذلكم ، ما ورد في (الصفحة 19) وما ضر ـ أكرمه الله ـ فهذه الزيادة ، لا وجه لها الا أن تكون «أكرمك الله» على عـادة الجاحظ بتوجيـه الدعاء لمخاطبـه .

(الصفحة 21) : والحجل هو الخلخال ، فاذا كان في الفرس ، في موضع المخلخل بياض ، قيل مخلخل وصوابه «محجل» بدليل الاستشهاد الذي جاء بعده : ويبدو من الخود الغريرة حجلها (و) مائلة الحجلين لو ان ميتا (و) محجل مقدم مؤخر (و) عن ذي قراميص لها محجل .

(الصفحة 27) : اذا كـان مـذكورا في الحالات كلها ، واذا اجتمع على تشديد أمره القرآن والآثـار ، فاذا هذه لا وجه لها ، فكان الاستغناء عن ذكرها أو ابدالها بأن واجبا ، والاولى الاستغناء عنها بالمرة .

(الصفحة 47) : «ولعل بعض من رأيتواكثر كانوا أغلظ عظما وأوثج وثاجة ممن ولد لتمـام» فيبـدو ان كلمة «أكثر» مع الواو لا محل لها هنا .

(الصفحة 49) : الا اسنانه ، بهذا يبتدىء السطر الاول من الصفحة ، ولا علاقة لذلك بالصفحة السابقة التي انتهى الكلام عند ثلثيها هكذا: ولو أن بعض جلد المغرب صار لبعض السـودان والادمـان لعدوهمـا لا محالة في البرصان .

فلا بد ان كلاما بتر قبله ، او يكون منتزعا من كلام آخر لم تنتبه له .

(الصفحـة 64) : أنـس الـفـوارس.. وكـان المشهورين بالبرص لا شـك ان «من» سقطـت بعـد «كان» هكذا : وكان من المشهورين ..

(الصفحة 69) : سمعت الاصمعي وسأله رجل ، عن بعض المثالب : اني والله ما اقول انى لا احسنها، ولكن ادعها تحرجا ، ولكن والله ان علمنيها الله قط .

فقد سقط «يقول» ونحوه ، بعد «المثالب» وقبل القول «اني والله» ثم ان «ولكن الثانية» لا وجه له بعد الاولى وما بعده ناقص لما قبله ، على ان تكون «ان» نافية كما تقتضيها العبارة ، وليست مشددة كما هي في النسخة التي تعنينا .

(الصفحة 70) : فقال له ابو هوذة بن شماس ، قال : اسكت ، فقال هوذة ..

سقط «أبو» قبل «هوذة» الاخيرة .

(الصفحة 75) : ومن العجب خبر ضبر الاعمش مع أبي حنيفة وسفيان، وهذين من المرجئة ، والاعمش من الغالية .

فكأنـه سـرق بأبي حنيفة وسفيـان ، فانجـر بهذين في حبلهما ، ولم ينتبه الى وجوب الألف بدل الياء في هذين ، مما هو من البديهيات وترنا به أن يتخذ مكانه من اخطاء النحو التي يجهلها المحقـق كما سنرى .

(الصفحة 78) : لولا الذي كان مـن زهير مـن الفحش.. لما كان في الارض آثم.. ولا اقصـد ولا اقل .. وادت صيغ التفضيل الثلاث مفتوحة كلهـا ، وكنا سنسكت عنها حسب ما ذكرنا ، الا أننا نبهنا عليها لكثرة ورودها للمحقق ، مثل قول الجاحظ في الصفحة 67 ولا يعرف .. أغـرق مـن ابن قطري.. فشكل المحقق اعرق بالفتح ، مع انـه نائـب فاعل يعرف ، ونحوه في 108 لم يكن ، أبلغ .

(الصفحة 81) : وزعموا أن بني نمير برصا

هكـذا ، وصوابه :

«برصان» أو برص ، ويرجح هذا الاستشهـاد الآتي بعده في الابيات (ولا البرص الفقاح ولا عقيل)

(الصفحة 106) : بنت الحارث ، وزعموا ان النبي خطبها ، فقال : بها سوء ، فقال النبي : ليكن ، فيرجع النبي وقد برصت ، يبدو أن «فيرجـع» محرف عـن «فرجع» ، ولم يعلق الا على كلمة «النبي» الاخيرة ، بقوله : «لعل صحة هذا اللفظ ابوها بدل النبي» .

(الصفحة 100) : وكان كأنه لم ير مغموسا في الورس، يذكر هذا الرجل في مناط المعدودين من الصفر وعليه فتكون «الا» قد سقطت بعد «لم» هكذا : وكان كأنه لم ير الا مغموسا .

(الصفحة 106) : وكان يضرب بالمسراء من أن يغير الاوتار .

والظاهر أن بترا حدث بعد «المسراء» بنحو «خوفا» فيكون هكذا : وكان يضرب بالمسراء خوفا من أن يغير الاوتار ، وق اختمت الصفحة بكلام مضطرب هكذا «رب والله ما أصبحت في يوم ، فيتفق الا يبعث الى أحد ، ولا يمكنني أن أبعث الى بعض اخواني ، لتوقعي في كل حال رسول من لا امتنع من اجابته ، فلا يبقى من اولئك احد الا والذي يمنعه من الارسال الى انه لا يجوز أن يكون الخليفة واشباه الخليفة يتفق أمرهم وقولهم على مثلي ، لا يتفق أن يتركه الجميع الا توهم كل واحد على حدته ان غيره قد سبق الى ، واتفق منهم التدافع وبقيت أتثاءب وحدي ولقد أجهدت نفسي لفهم هذا الكلام مستقيما ، فما نجحت ، ويستمر هكذا أول الصفحة التالية : «وانما يتهيأ ذلك ان يدعني في ذلك اليوم الملك الاعظم ويتفقون كلهم على هذا الراى» .

وكان الكلام جميعه واضح للمحقق ، لهذا لم يعلق الا على كلمة «يدعني» بانها هكذا في الاصل ، وهي خطأ وصحتها يدعوني .

(الصفحة 112) : وكان الحسن الاول الذي سمى الثاني والثاني الذي سمى الثالث باسمه ، ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ وهذا ايضا نراه مضطربا بتكرار الثاني الذي سمى «فكان الاصل هكذا» وكان الحسن الاول الذي سمى الثاني والثالث باسمه ابن.

(الصفحة 128 فلما طال قعوده ، اقعد من رجليه فقال :

ارى كل داء فيه للقوم راحة .. فقال حين جفاه اصحابه .. قد كنت أنضي الخافقين برحلتي ، فلعل «فقال» الاخيرة محرفة عن «ثم قال» أو يكون هناك كلام قد سقط قبلها ، وهي مترتبة عليه ، نحو : وجفاه قومه ..

(الصفحة 139) : الضبع .. أشد السباع حرصا وأشد الخلق معاد وأسنان .

«كلمة «معاد» غير ظاهرة ، وزيادة على كونها لا يسيغها النحو . كما لا يستسيغ «أسنان» الى جانبها وهي تمييز مثلها ، وهذا ايضا من البديهيات ، لهذا لا نعده من اخطائه النحوية ، عن جهل منه ، وقد رجعنا الى الحيوان للمؤلف ، فلم نجد ما يوضح «معاد»

(الصفحة 181) : «ولا بد أن من تعمى» .

وهذا ليس من قبيل الزيادة والنقصان ، بل من قبيل التقديم والتاخير ، فالعبارة كما هو واضح «ولا بد من أن تعمى» .

(الصفحة 214) : وكان يرون ذلك من صنيع العامة ، وصواب العبارة «وكانوا يرون ذلك» .

(الصفحة 225 ـ 226) : فقال صاحب الابل يفخر على صاحب النخل ، فلما اراد الزراية على الفيل وتهجين شانها ، بانها مقيمة لا تبرح ولا تمشي ، ولا تتصرف جعلها عرجا فقال :

وهكذا نرى قوله «فلما اراد الزراية» لا ينسجم سياقه مع ما قبله ، فالغالب ان مقول «فقال» سقط هنا ، ثم جاء «فلما» .

(الصفحة 230) : وبينا بيان بن سمعان ، مع اصحابه وهو يخبرهم ، ومر به رجل اعور ، فقال :

قالوا في «ومر» زائدة لا محل لها ، فيكون الكلام «وبينا بيان ، مع أصحابه ، مر به الخ..»

(الصفحة نفسها) : فتطافروا الجدران ، والصواب «فتطفقوا الجدران» ، بدليل ما ياتي بعد :

والذي طفف الجدران من الرعب وقد بات فاسم الانفال ، أي تسلقوا طفافة العليا .

(الصفحة 237) : وتعلم هذه الصناعة فجعلها مكسبه التي لا يفارقها ، الصواب «الذي لا يفارقه»

(الصفحة 244) احميكن ما دمت واقفا على ظهر فرسي ولا يتبعونكم ما داموا يرون سواد شخصي ، والصواب : ولا يتبعونكن .

(الصفحة 266) : واذا ارادوا فرق ما بين الذكر والانثى فهو فحل ، قال الراعي : وطرقهن فحيلا ، وقال الشاعر : خفي ، فحيل وقال جرير : أبوك فحيل فمن هذا كله ، يبدو ان كلمة «فحل» محرفة عن فحيل الواردة في الاشعار الثلاثة ، مستشهدا بها على ذلك .

(الصفحة 270) : يدك عنك بالظيم الشيطان .

وصوابه : «يدك عني»

(الصفحة 302) : ويوصف الانسان بانه أقنى مدح ، فاقنى مدح هذا لا ندري وجه الصواب فيه

(الصفحة 325) لقد قال الله صلى الله عليه وسلم وواضح أن كلمة «رسول» سقطت بعد القول .

(الصفحة 355) : غسان الشيطان يأكل بشماله لم يقل : بيساره ، لان اليسار كناية عن الشمال وتهوين الامر .

ولا شك أن «الشمال» محرفة عن غيرها مما يؤدي معنى اليسر وعطف عليه تهوين الامر عطف وتفسير لا بد .

(الصفحة 356) : فكان يدل على ما يسال الناس عن جمالها ومالها وعفافها وحسبها (شكلت بالفتحة كلمة الناس هنا) ولعل في العبارة سقطا نحو : فكان يدل ما يسال الناس عنه ، من جمالها .

وليعذرني المحقق الكريم ، ان قلت عنه أنه قاصر في العروض تصوزة في النحو ، ومن تتبع تشكيله للكلمات وتكرير ذلك في عدة صفحات أدرك هذه الحقيقة التي كنا نريد أن لا يتسم بها من يتعرض لتحقيق مثل هذا الكتاب ، وقد تقدم من العروض أمثلة من ذلك ، وهذا مثال صارخ عن جهله بالنحو والعروض في هذا البيت :

كتارك يوما مشية من سجية
لاخرى ففاتته فأصبح يحجل

فقد نون «تارك» ثم شكل «مشية» بالفتح ، والواقع أن «تارك» لا تنوين فيه ، لانه مضاف الى مشية التي يجب أن تكون مشكلة بالكسرة لا الفتحة ، وصح أن يفصل بين المضاف والمضاف اليه ، لان الشرط المطلوب متحقق في ذلك ، كما قال ابن مالك

فصل مضاف شبه فعل ما نصب
مفعولا أو ظرفا أجز ولم يعب

ومن جهله بهذا وبغيره ، أنه يثبت تحريفات لا وجه لثبوتها ثم ينص على الاختلاف الذي يجده في مصادر أو مراجع أخرى وتكون هي الصواب ، وهذا يعني أنه غير مدرك لتلك التحريفات ، بدليل أنه يتدخل في غيرها فيصححه ، حتى ولو لم يكن له ما يساعده على هذا التصحيح ، والامثلة على ذلك مسجلة عليه عندنا ، وقد طال بنا حبل غيرها ، فنتركها الى حين آخر ، كما نترك بعض الاستعمالات العمية ، كقوله «هو الاخر» بدل كذلك ، ونترك التعليقات التي ينص فيها على بعض المصادر الوارد فيها النص فلا نجده بها كاملا ، وربما لا نجده بالمرة وعلى العكس من هذا يذكر في تعليقه على بيت الابيات أنها غير واردة في ديوان الشاعر ، مع أنها تكون مثبتة بالديوان .

وبالرغم من هذا كله ، فاننا نكرر شكرنا للمحقق الكريم الذي اتاح الفرصة للاطلاع على هذا الكتاب الذي كنا في شوق اليه ، كما نحن في شوق الى ما لم ينشر من كتب الجاحظ حتى الان .

تطوان : محمد بن تاويت

رحم الله امرءا عرف قدر نفسه ..

بلغ عمر بن عبد العزيز ان بعض اولاده اتخذ خاتما واشترى له فصا بالف درهم فكتب اليه :

« أما بعد فقد بلغني انك اشتريت فصا بالف درهم ، فبعه ، وأشبع به الف جائع ، واتخذ خاتما من حديد ، واكتب عليه : « رحم الله امرءا عرف قدر نفسه» .

النملة و الزيز . . .

* لسومرست موم
* تعريب : للاستاذ احمد صالح الطيب

كنت في ايام طفولتي شغوفا بحكايات «لافونتين» التي كان مغزى كل حكاية منها يشرح لي بوضوح . وقد علقت بذاكرتي ، من بين تلك الحكايات ، حكاية (النملة والزيز) التي تروى للصغار في البيوت لتكون عبرة لهم .

تذهب تلك الحكاية اللطيفة (واعتذر هنا عن سردها لافتراضي ان الجميع يعرفها) الى ان نملة عملت الصيف بطوله لجمع مؤونة الشتاء ، بينما الزيز ينعم بالجلوس على ورقة من ورقات السنابل الخضراء ، يغني للشمس ، الى ان اقبل الشتاء الذي كانت النملة قد اعدت له العدة ، بينما كان بيت مؤونة الزيز فارغا ، فلم يجد هذا الاخير بدا من الالتجاء الى النملة ليطلب منها ما يمسك عليه رمقه . . عند ذلك سألته النملة سؤالها التقليدي : « ما الذي كنت باهذا تفعله ابان الصيف ؟ وكان جوابه : كنت اغني آناء الليل واطراف النهار » . قالت النملة : « حسنا فعلت اذ كنت تغني ، وما عليك الا ان تذهب الآن فترقص » .

لم افهم ، في طفولتي ، مغزى تلك الحكاية على وجه دقيق ، او بالاحرى لم احاول فهم ذلك ، ربما لتردد الطفولة ، او لعدم اكتمال الادراك . كنت منحازا الى جانب الزيز ميالا اليه ، عاطفا عليه ، ولذا فانني كنت اسارع فادوس بقدمي اية نملة المحها تسعى فوق الثرى .

عادت هذه الحكاية الى مخيلتي في ذلك اليوم الذي رايت فيه « جورج رامسي » يتناول طعام العشاء وحيدا في احد المطاعم . كانت على وجهه امارات الكدر والاسى . . وكان ينظر نظرة الواجم ، وكان اعباء العالم كلها تثقل كتفيه . رثيت لحالة آنذاك وساءلت نفسي عما اذا كان اخوه ، السيء التصرف ، قد سبب له ازعاجا آخر . اردت ان اتأكد من الامر فهرعت اليه مادا يدي للسلام ، ولما استفسرته عن حاله اجاب : « لست على ما يرام » . قلت : « اهو (توم) اذن ؟ فتأوه وقال : « نعم . انه هو ، مرة اخرى » ولم اتمالك عندئذ عن ان اقول : « ولم لا تتركه وشأنه ؟ لقد قمت بكل ما يمكن ان تقوم به من اجله ، وعليك ان تدرك الآن ان صلاحه امر غير مرجو » .

في اعتقادي ان في كل اسرة فردا يعكر صفوها .

استهل « توم » حياته متزنا محتشما ، فقد ابتدأ بعمل ، ثم تزوج وانجب طفلين . . وكان من اسرة محترمة مرموقة ، مما دعا الى الاعتقاد بأن « توم » سيسلك طريقا قويما في حياته . . لكنه اذاع ، ذات يوم ، دون مبالاة ، انه لا يحب العمل ، وانه لم يخلق للزواج ، نظرا لانه يرغب في ان يسعد نفسه . وقد اعرب عن انه على غير استعداد للاستماع الى اي اعتراض او عتاب . . هكذا ، ولان ذلك يوافق هواه . ترك « توم » زوجه ، وهجر عمله ، وكان لديه قدر

من مال : فيسافر الى اوربا حيث قضى سنتين سعيدتين متنقلا بين عواصمها . وبين حين وحين كانت اخباره ترد على اقاربه : فكانوا يذهلون لتصرفاته ويهزون رؤوسهم متسائلين عما سيؤول اليه امره حين تنفد نقوده ؛ الا انهم سرعان ما كانوا يستنتجون انه سيلجأ الى الاستدانة .

كان « توم » طائشا : لا يبالي بشيء ولا يرعى عهدا ؛ وكان مع هذا يستميل القلوب اليه بل انني لا أعرف شخصا جرؤ على أن يرفض لتوم طلبا ؛ وهكذا كان له دخل ثابت من اصدقائه ؛ وكان يكسب الصداقه بيسر وسهولة ؛ ويقول : « ان النقود التي تنفقونها على الضروريات شيء ممل ؛ اما النقود التي يجري صرفها على الكماليات والترف فهي التي تحمل مخلبا المناسب . ولأجل هذا كان يعتمد على اخيه « جورج » فقد استمال قلبه ايضا .. لكن « جورج » كان رجلا جادا لا ينطلي عليه الإغراء والاغواء ؛ وكان محترما مرموق المركز ؛ ومع ذلك فقد خضع لوعود « توم » مرة او مرتين فاعطاه مبالغ لا بأس بها ليبدا حياته من جديد ويثوب الى الجادة القويمة ؛ وما كان من « توم » الا ان اشترى بتلك النقود سيارة وبعض المجوهرات الأنيقة . ولما تيقن « جورج » من ان اخاه لن يرجع عن غيه قرر ان يغسل يديه عنه ليرتاح ؛ الا ان « توم » عرف كيف يحصل على اموال من اخيه قسرا ، ذلك انه سيعمل خادما في مقصف او سائق سيارة اجرة ؛ فتلك مهنة شريفة لاغبار عليها . ولم يكن « جورج » — بصفته محاميا مرموقا — يرغب في أن يرى اخاه في مثل تلك المهنة التي لا تتناسب ومستوى الأسرة . ولم يمانع « توم » في ان يتخلى عن تلك الفكرة ارضاء لأخيه اذا تسلم مئتي جنيه ؛ وكان له ما اراد .

وذات مرة ؛ كان « توم » على وشك ان يدخل السجن . وغضب « جورج » من جراء ذلك غضبا شديدا . لقد ذهب « توم » في طيشه مذهبا بعيدا : كان انانيا ؛ لا يتعقل ولا يحفل بالنتائج ، فقد غش شخصا اسمه « جرونشو » ؛ وكان هذا حقودا محبا للانتقام ؛ فصمم على أن يقدم « توم » للمحكمة ؛ لانه كما قال : « أثيم يجب أن ينال عقابا » . فكر « جورج » في الامر . كان عليه ان يعمل شيئا لينقذ أخاه من السجن .. وهكذا تحمل متاعب كثيرة في سبيل ذلك ؛ كما اعطى خمسمئة جنيه لـ « جرونشو » ليعيد المياه الى مجاريها . لكن « توم » كان قاسيا ؛ ففي اللحظة التي اعطى فيها « جورج » المبلغ « لجرونشو » سمع أن « توم » و « جرونشو » قد سافرا معا الى « مونت كارلو » وقضيا هناك شهرا ممتعا .. ولم ار « جورج » غاضبا مثل غضبه في ذلك اليوم !

والعب « توم » طيلة عشرين سنة على المقامرة والرهان في سباق الخيل . كان يغازل الفتيات الحسان ، ويرقص ، ويتناول طعامه في ارقى المطاعم . ويرتدي الثياب الفاخرة الأنيقة .. وكان يبدو في تصرفاته كمن بارح لتوه سجنا قضى فيه مدة طويلة ومع انه كان في السادسة والاربعين من عمره ؛ فقد كان يبدو كمن لم يتجاوز الخامسة والثلاثين . كان « توم » رفيقا مسليا ؛ وعلى الرغم من انك تعلم ان لا خير فيه فانك ستسر بمجالسته . كان لطيف المعشر يطغى سحره وطلاوة حديثه على كل شيء . لم آكن لأحقد عليه بسبب المنح والمساعدات التي كان يفرضها على لضروريات وجوده ؛ بل انني لم اقرضه يوما خمسين جنيها مثلا دون ان يخالجني شعور بانني انا المدين لاهو . كان الجميع يعرف من هو « توم رامسي » كما كان « توم » يعرف الجميع ؛ ومع انك لا تستطيع أن ترضى عن تصرفاته فانك لا تقوى على أن تفقد عشرته .

يالجورج المسكين . كان هذا يكبر اخاه المتهور سنة واحدة فقط وعلى الرغم من ذلك ؛ فقد كان مظهره يدل على انه ناهز الستين . لم تكن اجازاته تزيد عن اسبوعين سنويا في مدى ربع قرن تقريبا ؛ فقد كان يتوجه الى مكتبه كل صباح في حوالي التاسعة والنصف ؛ ولا يبارحه قبل السادسة كان صادقا نشيطا مجدا نافعا . وكانت له زوج مخلصة لا يخامره ادنى شك في اخلاصها . وكان ابا مثاليا لاربع بنات . وقد انتهج طريقة يوفر بها ثلث دخله ؛ كي يتقاعد حين يبلغ الخامسة والخمسين فينتقل الى بيت ريفي صغير يعتني بحديقته ويمارس لعبة الجولف . وعندما يذكر « جورج » ان السن تتقدم به كانت الافراح تغمره ؛ ذلك ان أخاه « توم » يتقدم في السن بدوره ..

حك « جورج » كفا بكف وقال :

« كان كل شيء على ما يرام حين كان « توم » صغيرا مقبول التصرف ؛ وبما انه يصغرني سنة واحدة

فسيبلغ الخمسين بعد اربعة سنوات ؛ وعندئذ لن تكون حياته سهلة وساكون قد ادخرت ثلاثين الفا جنيه فى الوقت الذى ابلغ فيه الخمسين . ومنذ خمس وعشرين سنة كنت اقول ان « توم » سيصبح ساقيا للحديقة ، وسنعلم آنذاك هل سيقوم بعمله ذاك او يركن الى الخمول » .

يالجورج المسكين ! فى هذا الوقت الذى اجلس فيه الى جواره — اشعر بأنى ارثى له ؛ واسائل نفسى عن المساوىء التى قد يكون « توم » اقترفها ؛ ذلك ان « جورج » كان بادى الانزعاج .

قال « جورج » : « اتدرى ماحدث الآن ؟ » .

ولما كنت اتوقع اسوأ الامور فانى سألته عما اذا كان رجال الشرطة قد قبضوا على « توم » . وهنا ، حمل « جورج » نفسه حملا على الكلام ؛ وقال :

« ان تنكر انى عشت حياتى مكافحا فى عملى باستمرار ، وكنت مستقيما اتمتع بالتقدير ؛ وتمكنت بعد حياة جد واجتهاد وادخار ؛ ان اوفر لنفسى دخلا صغيرا استعين به لدى تقاعدى . لقد قمت بواجبى على الدوام ؛ طيلة حياتى ؛ متعولا بتوفيق الله » .

قلت : « حقا لا استطيع نكران ذلك » .

قال « ولا تستطيع كذلك ان تنكر ان « توم » كان خاملا ، كسولا ، لا نفع منه ، وانه كان فاسقا ، فاسد الاخلاق ، منافقا ، متقلبا .. »

قلت : « صحيح ذلك هو الواقع » .

وهنا احمر وجه « جورج » ، وهو يستطرد قائلا :

« قبل بضعة اسابيع » « تزوج توم » امرأة عجوزا ، تصلح لان تكون اما له .. ولم تلبث ان ماتت موصية له بكل ما كانت تملك : نصف مليون من الجنيهات ، يخت بحرى ، منزل فى لندن ، وآخر فى الريف ... » .

ودق « جورج رامسى » المائدة بقبضة يده ؛ وتمتم : « ان ذلك ليس عدلا ؛ والله ان ذلك ليس عدلا .

عندئذ لم اطق صبرا .. بل ضحكت ضحكة مدوية وانا انطلع الى وجه « جورج » المنفعل الغاضب . واضطرب به المقعد ؛ وكنت على وشك السقوط على الارض !

ولن يغفر لى « جورج » ذلك .

اما « توم » فكثيرا ما دعانى الى منزله الجميل لتناول طعام العشاء ، واذا كان يستدين منى بعض المبالغ التافهة احيانا ؛ فلا اظن انه يفعل ذلك الا بحكم العادة !

أحمد صالح الطيب

نص الكلمة التى ألقاها رئيس الوفد المغربى

السيد الداي ولد سيدي بابا

فى المؤتمر السادس لوزراء خارجية الدول الاسلامية الذى انعقد بجدة ..

سيدى الرئيس

ينعقد مؤتمر وزراء خارجية الدول الاسلامية السادس ومنظمتنا قد قطعت مرحلة هامة من مراحل وجودها ، ولا نبالغ اذا قلنا ان فترة السنوات الست التى انقضت على وجودها كانت فترة صعبة ، ولكنها كانت مع ذلك حافلة بالمنجزات السياسية والتنظيمية وأهم من هذا كله ان هذه المنظمة قد برهنت للعالم أنها منظمة تتحرك بروحها وبهيكلها وأنها تشق طريقها نحو الاهداف السامية التى رسمت لها وتعمل تطبيقا للمثل العليا التى انشئت من اجلها وتلبى رغبة جماعية يشعر كل بلد من البلدان الاسلامية أنه فى حاجة الى التعبير عنها فى هذا العالم الذى لم يعد فيه مجال لأى شعب الا فى نطاق المجموعات الروحية والفلسفية الكبرى ، والرسالة المنوطة بمنظمتنا هذه لا ترمى فى الواقع الا الى ابراز حقيقة هذا العالم الاسلامى ككيان التقت دوله وشعوبه حول عقيدة واحدة وأخلاق وقيم واحدة ، وتكاملت ثقافاته ولغاته بالعطاء المتبادل والانتاج المشترك .

فدولنا وشعوبنا التى عانت الكثير من ويلات الحروب الامبريالية والاستغلال الاستعمارى ترى أنها ملزمة كذلك بالتعاون والتضامن فيما بينها حتى تسد الطريق فى وجه الطامعين المعتدين وتبطل المحاولات التى تأتى من الخارج بهدف التحكم فى تفكيرنا أو فى ثرواتنا الطبيعية الهائلة او من اجل التمركز فى مواقعنا الاستراتيجية ، وفى هذا الصدد فانى أعتقد ان عدم استعداد الدول الكبرى او تماطلها فى الاعتراف بحقوقنا سواء فيما يتعلق بالقدس الشريف وفلسطين أو فيما يتعلق بمشاكل الاستعمار والميز العنصرى ، او فيما يتصل بنظام التبادل التجارى الدولى كل هذه أمور تفرض على دول العالم الاسلامى أن توحد صفها وتجمع كلمتها حول مواقف معينة وتدافع عنها بما تتطلبه الظروف الدولية من حكمة وتبصر وتصميم وبما تسمح به ايضا سياسة الوسائل المتوفرة لدى منظمتنا .

سيدى الرئيس

يمكن أن يقال ان منظمتنا ، وان كانت لا تزال فى خطواتها الاولى ولم تستكمل بعد ارساء كل اجهزتها الادارية قد أنجزت فعلا اشياء لا يستهان بها ، وبرهنت عن أهمية المكانة التى تتمتع بها فى المنتظم الدولى ، وليس ذلك راجعا الا لكونها قد طبعت القرارات التى صدرت عنها اثناء دوراتها الماضية بطابع الجد والموضوعية والرزانة ، ولنا اليقين أن هذا الاتجاه الذى اختارته كسياسة لها من شأنه أن يكسبها تقديرا واحتراما لدى الجميع مع أننا لسنا من هذه الناحية جاهلين لطبيعة خصوم الاسلام وأعدائه المتربصين له والذين لا بد أن يكون نجاح هذه المنظمة من أسباب القلق والاضطراب بالنسبة لهم وخصوصا اذا وصل هذا النجاح الى

مرحلة تؤدى الى خروج شعوبنا من حالة التخلف الى عهد التقدم والتطور والانبعاث الحضارى .

سيدى الرئيس

لقد استمع المؤتمر — باهتمام بالغ — الى خطاب حضرة صاحب الجلالة الملك خالد بن عبد العزيز المعظم ذلك الخطاب الذى أوضح معالم الطريق لهذا المؤتمر ، وخاصة عندما دعانا الى الرجوع الى عقيدتنا السمحة ، والاهتمام بمشاكل العالم الروحية وقيمه الانسانية بنفس القدر الذى يهتم به بمشاكله المادية . ويمكن لنا أن نؤكد ان هذه الكلمات البليغة تكفى لتكون برنامجا لاعمال مؤتمرنا ، ويسر الوفد المغربى ان يشيد بما يشتمل عليه هذا الخطاب الكريم من توجيهات سامية وارشادات رائدة لهذا المؤتمر .

والواقع ان معانى هذا الخطاب الكريم تبرز أمام الملأ استمرار السياسة الاسلامية التى رسم خطوطها وأرسى دعائمها على تقوى من الله ورضوان جلالة المغفور له الشهيد الملك فيصل بن عبد العزيز رائد فكرة التضامن الاسلامى .

ان جدول اعمال المؤتمر الاسلامى زاخر بالموضوعات السياسية والاقتصادية والاجتماعية وغيرها مما يهم الدول والشعوب الاسلامية فى مشارق الارض ومغاربها .

واذا كانت هناك اسبقيات لبعض الموضوعات بالنسبة لغيرها ، فان على مؤتمرنا هذا ان يخصص لقضية القدس التى انعقد مؤتمر القمة الاسلامى الاول من اجلها المكانة التى تستحقها نظرا للاحداث التخريبية الرهيبة التى تقترفها الصهيونية الاثيمة سعيا لطمس معالم القدس الدينية فى أولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين .

وان تحرير هذه البقعة المقدسة واستخلاصها من براثن الصهيونية البغيضة يتطلب من الامة الاسلامية ان تجند كل طاقاتها المادية والمعنوية وتوحد جهودها حتى ينتصر الحق ويتحطم الظلم فوق ارض فلسطين ويستعيد الشعب الفلسطينى حريته وكرامته وتسترجع الدول العربية الشقيقة جميع أراضيها الرازحة تحت الاحتلال الصهيونى فى سيناء والجولان .

سيدى الرئيس

ان الاستعمار والميز العنصرى لا يزالان يسيطران على مناطق شاسعة من افريقيا ، واذا كانت البرتغال قد اضطرت الى الجلاء عن الاراضى التى كانت تستعمرها فان قضية الميز العنصرى لا تزال تشكل خطرا على الامن والسلام الدوليين فى هذه المنطقة من العالم وما فتىء اخوة لنا يعانون من المرارة والذل والاضطهاد .

فنحن اذا مطالبون بالمساهمة فى انهاء هذا الواقع المؤلم الذى يعتبر وصمة عار فى جبين الانسانية وانتهاكا للقيم والمثل التى شرعتها عقيدتنا الاسلامية

وفى ما يتعلق بالصحراء الغربية الخاضعة للاحتلال الاسبانى فان المغرب — كما تعلمون — يعلق اهمية حيوية عليها ويعتبرها قضية مصيرية ، وقد عرفت تطورات هامة منذ أن طرحت امام محكمة العدل الدولية بقرار صادقت عليه الجمعية العامة للامم المتحدة فى دورتها التاسعة والعشرين بالاجماع .

ومن ابرز هذه التطورات الاعلان الصادر عن الحكومة الاسبانية بشان عزمها على ترك الصحراء الغربية محاولة من وراء هذا الاسلوب الجديد القيام بمناورة مكشوفة وخلق المشاكل فى المنطقة ووضع محكمة العدل الدولية أمام الامر الواقع .

ولكن المغرب وموريطانيا اللذين ادركا ابعاد هذه السياسة الجديدة قررا فى لقاء تم بين جلالة الملك الحسن الثانى والرئيس المختار ولد دادة تنسيق جهودهما من أجل انهاء الوجود الاستعمارى وسد الطريق امام الدسائس الماكرة التى حاولت السلطات الاسبانية أن تحقق بها اهدافها الاستعمارية المقنعة .

ومما يبرهن على أن السلطات الاسبانية لا تزال تتصرف تجاه بلادنا بنوايا استعمارية وبعقلية صليبية من بقايا القرون الوسطى انها ما تزال تبدى تصلبا متطرفا فى شان المدينتين المغربيتين سبتة ومليلية وجزرنا الساحلية بالبحر الابيض المتوسط ، فالسكان المغاربة فى هذه المواقع يطردون باعداد

كبيرة كل يوم ، والسجون والمعتقلات الاسبانية مكتظة بابنائنا الذين لا ذنب لهم سوى انهم اعلنوا عن ولائهم لوطنهم ودينهم وملكهم .

وينتظر الوفد المغربي من مؤتمرنا هذا أن يعرب عن تضامنه مع بلادنا في مواجهتها لهذا التحدى الاستعماري ليس فقط في الصحراء الغربية ولكن ايضا في سبتة ومليلية والجزر الساحلية .

سيدى الرئيس

أن المغرب باعتباره دولة من الدول التي أسست منظمة المؤتمر الاسلامي وتشرفت باستضافة أول مؤتمر قمة اسلامي منه نشأت هذه المنظمة ليؤمن ايمانا جازما بأن أحسن وسيلة لخلق تضامن اسلامي صحيح هو انشاء تعاون اقتصادي يشمل جميع الميادين المتصلة بعناصر التنمية والتقدم ، كما يؤمن ايضا بان القضاء على التخلف بين الشعوب الاسلامية لا يمكن ان يتحقق الا بقيام نوع من التكامل بين هذه الشعوب التي تتوفر على موارد طبيعية هائلة ، فباتباع سياسة تضامنية فعالة يستطيع هذا العالم أن ينهض نهضة كبرى ويقضى على كل اسباب التخلف الاجتماعي والاقتصادي والعلمي ، فالامر يتطلب بطبيعة الحال انشاء مؤسسات متخصصة وقيام نظام جديد متوفر على جميع وسائل التنمية من خبراء وأطر ورؤوس اموال .

سيدى الرئيس

لقد استمع الوفد المغربي باهتمام بالغ الى التقرير الذى تقدم به الى المؤتمر في جلسة مساء أمس سيادة الامين العام حسن التهامي ، ويطيب لي أن اهنيء السيد الامين العام على ما تقدم به من معلومات قيمة حول نشاطه والاعمال التي قام بها في نطاق المهمة التي أنيطت بسيادته تطبيقا للقرارات التي صادق عليها مؤتمر كوالا لمبور الخامس ، ولقد وجدنا في عرضه المتكامل الصراحة والصدق والاخلاص في العمل والرغبة الاكيدة في أن تفرض هذه المجموعة وجودها وتدافع عن حقوقها وحقوق المسلمين المضطهدين في بعض الاماكن من العالم . فيامل الوفد المغربي أن يدرس هذا التقرير بالعناية التي يستحقها حتى يمكن لهذا المؤتمر أن يسترشد بما يتضمنه من افكار ومعلومات وآراء ويعمل بما يمكن أن يعمل به في نطاق سياسته المتبصرة على اساس الاعتبارات الدولية التي ينبغي لدولنا أن تنظر اليها وتعالج على ضوئها مشاكل العالم الاسلامي بروح من الواقعية وبعد النظر .

توصيتان خاصتان بالصحراء المغربية وسبتة ومليلية من المؤتمر الاسلامي السادس :

● المؤتمر الإسلامي يؤيد عودة الصحراء المغربية إلى أصحابها الشرعيين ...

● المؤتمر يساند المغرب في مطالبته باسترجاع سبتة ومليلية ..!

انهى مؤتمر وزراء خارجية الدول الاسلامية السادس اجتماعاته في جدة واصدر بيانا مشتركا وعدة توصيات تتعلق بالقضايا العربية والاسلامية وفي مقدمتها قضية فلسطين . وصادق على توصية خاصة بالقدس لحمايتها من التهويد ، كما صادق على توصيات اقتصادية تهدف الى المساهمة في محاربة التضخم واقامة نظام اقتصادي عالمي جديد . ودعا المؤتمر الدول الاخرى لتاييد النضال ضد الاستعمار والصهيونية وادان انتهاك اسرائيل لحقوق الانسان في الارض العربية المحتلة كما ادان الدعم العسكري والاقتصادي والبشري الذي تقدمه بعض الدول لاسرائيل ، وطالب بقطع العلاقات الانسانية والاقتصادية مع اسرائيل وطردها من الامم المتحدة . واصدر قرارات اخرى خاصة بالاقليات الاسلامية في العالم كما طالب بتحرير الصومال من السيطرة الفرنسية كما اصدر قرارين يتعلق الاول بالصحراء الخاضعة للاستعمار الاسباني ، والثاني بمدينتي سبتة ومليلية والجزر الساحلية المغربية .. وننشر فيما يلي نص القرارين كما صادق عليهما وزراء خارجية اربعين دولة اسلامية :

اصدر المؤتمر الاسلامي المنعقد في جدة من 12 الى 15 يوليوز الحالي قرارين يتعلق الاول بالصحراء الخاضعة للاستعمار الاسباني والثاني بمدينتي سبتة ومليلية والجزر الساحلية المغربية ،، وننشر فيما يلي نص القرارين كما صادق عليهما وزراء خارجية اربعين دولة اسلامية .

ان مؤتمر وزراء الخارجية الاسلامي السادس المنعقد في جدة من 3 الى 6 رجب 1395 هجرية الموافق من 12 ـ 7 الى 15 ـ 7 ـ 1975 اذ يؤكد مرة اخرى تصميم الدول الاعضاء على تحقيق التحرر الكامل للاجزاء التي لا تزال من القارة الافريقية تحت السيطرة الاستعمارية وذلك في اسرع وقت ممكن .

وإذ يوجه اهتماما خاصا ومتزايدا لتطور الوضع في الصحراء الغربية التي تعاني من ورطة السيطرة الاستعمارية لاسبانيا .

وإذ يبدي قلقه من المناورات التي تقوم بها الحكومة الاسبانية التي ترمي من ورائها الى فرض خطتها الاستعمارية الخطيرة ، والى التحلل من الالتزامات التي يتعين عليها الوفاء بها تطبيقا للقرار الذي صادقت عليه الجمعية العامة للامم المتحدة تحت رقم 3292 في دورتها 29 .

وبعد ان استمع الى العرضين اللذين تقدم بهما كل من المغرب وموريطانيا حول ما حدث من تطور في القضية خلال الفترة التي انقضت على المؤتمر الخامس الذي انعقد بكوالالمبور من 21 الى 25 – 6 – 74 يقرر ما يلي :

1) يسجل بكامل الارتياح التفاهم الحاصل بين المغرب وموريطانيا في شأن الصحراء الغربية والهادف الى تحرير هذه المنطقة من الاستعمار بكل مظاهره واشكاله .

2) يستنكر بشدة المناورة الاسبانية الرامية الى تعطيل سير الاجراءات المنصوص عليها في القرار الذي صادقت عليه الجمعية العامة للامم المتحدة تحت رقم 3292 في دورتها 29 والقاضي بعرض قضية الصحراء الغربية على انظار محكمة العدل الدولية .

3) يؤيد القرار رقم 3292 الصادر عن الجمعية العامة للامم المتحدة والذي يطلب من محكمة العدل الدولية رأيا استشاريا في وضعية الصحراء القانونية ابان وقوعها تحت الاستعمار الاسباني .

4) يطالب بالحاح اسبانيا بوصفها الدولة الحاكمة ان تمتنع عن اتخاذ اي اجراء انفرادي في الصحراء الغربية وذلك ريثما تتخذ الجمعية العامة للامم المتحدة القرار النهائي في الموضوع .

5) يندد بعمل القمع والتشريد والتنكيل التي ترتكبها سلطة الاحتلال الاسباني ضد الاهالي في الصحراء ، كما يستنكر الوسائل التي تتخذ لتسخير عناصر عاملة تخدم الاهداف الاستعمارية في المنطقة .

6) يطلب من الامين العام للمؤتمر الاسلامي اتخاذ الخطوات اللازمة لتنفيذ هذا القرار .

القرار الثاني رقم 16 للمؤتمر الاسلامي بشأن مدينتي سبتة ومليلية والجزر الساحلية المغربية :

وهذا نص التوصية الخاصة بسبتة ومليلية والجزر المغربية الساحلية :

تأكيدا للارادة التي اعلنت في نطاق المؤتمر الاسلامي من اجل تعزيز التضامن الاسلامي بين الدول والقضاء على الاستعمار في جميع اشكاله .. ونظرا لما تقوم به السلطات الاسبانية من عمل التعسف والطرد الجماعي والتحركات العسكرية كرد فعل ضد مطالب المملكة المغربية في استرجاع مدينتي سبتة ومليلية والجزر المغربية الساحلية الواقعة تحت السيطرة الاستعمارية الاسبانية .

1) يعرب عن مساندته الكاملة للمملكة المغربية في مطالبتها باسترجاع سيادتها على مدينتي سبتة ومليلية والجزر التابعة لهما .

2) يطلب من لجنة تصفية الاستعمار النظر في هذه القضية واصدار توصية تطالب الحكومة الاسبانية بالدخول في مفاوضات مع المملكة المغربية من اجل تصفية بقايا وجودها الاستعماري في المنطقة الشمالية من المملكة المغربية .

3) يعلن المؤتمر عن قلقه واستيائه من التحركات التي يقوم بها الجيش الاسباني في هذين المدينتين والجزر التابعة لهما ، كما يعبر عن استنكاره لاعمال القمع والاعتقال والطرد الجماعي للسكان المغاربة من المدينتين .

4) يدعو المؤتمر الحكومة الاسبانية لتعمل حفاظا على علاقاتها مع العالم الاسلامي وتمشيا مع روح العصر على انهاء احتلالها لهذه المنطقة المغربية .

5) يطلب من السيد الامين العام للمؤتمر الاسلامي ان يقوم بالاجراءات الضرورية لتبليغ هذا القرار الى الحكومة الاسبانية والامم المتحدة .

فهرس العدد الثاني والثالث



خاص

مجلة شهرية
تعنى بالدراسات الاسلامية
وبشؤون الثقافة والفكر

تصدرها :
وزارة الشؤون الاسلامية والأوقاف
بالمملكة المغربية

يوم الاحتفال بذكرى تأسيس

مجلة تصدرها
وزارة الأوقاف
والشؤون الاسلامية
بالمملكة المغربية



العدد الثاني والثالث
السنة السابعة عشرة
جمادى الثانية 1395
يوليوز 1975
ثمن العدد : 3 دراهم

مجلة شهرية تعنى بالدراسات الإسلامية وبشؤون الثقافة والفكر

بيانات إدارية

تبعث المقالات بالعنوان التالي :

مجلة « دعوة الحق » ــ قسم التحرير ــ وزارة الأوقاف والشؤون الاسلامية ـ الرباط ـ المغرب ـ الهاتف 10-308

الاشتراك العادي عن سنة 30 درهما ، والشرفي 100 درهم فأكثر .

السنة عشرة اعداد . لا يقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة .

تدفع قيمة الاشتراك في حساب :

مجلة « دعوة الحق » رقم الحساب البريدي 55 ــ 485 ــ الرباط

Daouat El Hak compte chèque postal 485 - 55 à Rabat

او تبعث راسا في حوالة بالعنوان التالي :

مجلة « دعوة الحق » ــ قسم التوزيع ــ وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية . الرباط ــ المغرب .

ترسل المجلة مجانا للمكتبات العامة ، والنوادي والهيئات الوطنية والثقافية والاجتماعية ، وذلك بناء على طلب خاص .

لا تلتزم المجلة برد المقالات التي لم تنشر

المجلة مستعدة لنشر الاعلانات الثقافية .
في كل ما يتعلق بالاعلان يكتب الى :

« دعوة الحق » ــ قسم التوزيع ــ وزارة الأوقاف والشؤون الاسلامية ــ الرباط تليفون 308.10 ــ 327.03